شرح أصول الكافي

السيد جعفر الحسيني الشيرازي

كتاب الحجة القسم الأول

الجزء الثالث

دار العلوم

الشجرة الطيبة

شبكة الفكر
alfeker.net

شرح أصول الكافي

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة
لمؤسسة الشجرة الطيبة

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

الشجرة الطيبة

دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع

المكتب والمستودع :بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي
ص .ب:24/140 - هاتف:01/541650 - تلفاكس:01/545182 - موبايل:03473919
www.daraloloum.com E-mail:info@daraloloum.com

شرح أصول الكافي

كتاب الحجة

القسم الأول

السيد جعفر الحسيني الشيرازي

الجزء الثالث

الشجرة الطيبة

دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمَّد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين، إلى قيام يوم الدِّين.

وبعد: فهذا شرح توضيحي لكتاب الحجَّة من أُصول الكافي، وهو خلاصة بحوث ألقيتها على بعض طلبة العلوم الدِّينيَّة، أسأل الله القبول، والتوفيق للإتمام، إنَّه وليّ ذلك وهو المستعان.

جعفر بن محمد الحسيني الشيرازي
قم المقدَّسة
١٦/المحرم الحرام/ ١٤٣١

كِتَابُ الحجة

بَابُ الِاضْطِرَارِ إِلَى الْحُجَّةِ

١ ـ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْكُلَيْنِيُّ مُصَنِّفُ هَذَا الْكِتَابِ رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عُمَرَ الْفُقَيْمِيِّ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ لِلزِّنْدِيقِ الَّذِي سَأَلَهُ مِنْ أَيْنَ أَثْبَتَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ؟[١] ....

«الاضطرار إلى الحجّة» بمعنى ضرورة وجود نبيّ، أو وصيّ نبيّ بين الخلق، والدليل على ذلك عقلي، وأمّا الأدلّة النقليّة فهي ترشد إلى حكم العقل، كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾(١).

الحديث الأوّل:

[١] **(من أين أثبت الأنبياء والرُّسل)**:

«أثبتَّ» صيغة مُخاطب من باب الإفعال.

و«النُّبوّة» منصب خاص، يمنحه الله تعالى لبعض من اصطفاهم من الناس، و«الرسالة» تكون للنبيّ الذي أُمِر بتبليغ الأحكام للناس، فالرسول أخصّ من النبيّ، فكلّ رسول نبيّ، وبعض الأنبياء رسل.

وفائدة النُّبوّة لا تنحصر في التبليغ، بل هناك أغراض أُخرى كالمُؤازرة للرُّسل، كهارون لموسى عليه السلام ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾(٢).

(١) سورة الحديد: الآية ٢٥.
(٢) سورة طه: الآيات: ٢٩ ـ ٣٢.

قَالَ: إِنَّا لَمَّا أَثْبَتْنَا[٢] ....

ولعلَّ من الفوائد هو أنَّ وجود إنسان كامل في الأخلاق والأفعال في مجتمع سببٌ لإشعاع نوره عليهم وتأثيره فيهم حتَّى وإن كان صامتاً، وسيأتي التفصيل في الأبواب اللاحقة، إن شاء الله تعالى.

[٢] **(قال إنَّا لما أثبتنا)**:

حاصل الدليل هو:

أنَّ إثبات النُّبوَّة فرع إثبات الخالق تعالى، فبعد أن أثبتنا لك وجود الله وأنَّه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه، بعد ذلك نُثبت النُّبوَّة.

وذلك لأنَّه من العبث خلق الناس وتركهم بلا مرشد وهادي، لأنَّه لا حكمة في الخلق لأجل التذاذ المخلوق لفترة وجيزة ـ، بل هو عبث.

فلا بدَّ أن يكون الخلق لهدف أسمى وغرض أعلى، وهو الخلق للرحمة الدائمة التامَّة، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾(٢)، أي للرحمة خلقهم، ولا يمكن استحقاق هذه الرحمة إلَّا بالقابلية لها، وتلك القابلية تحصل عبر العبادة كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٣)، ولا يمكن للإنسان معرفة العبادة بعقله أو بالتجربة، فلا بدَّ من أنبياء يدلّونه على كيفية العبادة ليستحق الرحمة التي هي الغرض من خلق الإنسان.

وأمَّا العقل ـ لوحده ـ فلا يمكنه معرفة كيفية العبادة أصلاً، وسائر المصالح والمفاسد لا يمكن للعقل الحكم بها إلَّا بعد علمه ـ لأنَّه مع الجهل لا حكم للعقل أصلاً ـ، وهذا العلم لا يحصل للإنسان في كثير من الأشياء، أو أنَّه يتوقف أحياناً على التجربة، وهي بحاجة إلى زمان

(١) سورة المؤمنون: الآيتان ١١٥ ـ ١١٦.

(٢) سورة يوسف: الآية ١١٩.

(٣) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

أَنَّ لَنَا خَالِقاً صَانِعاً مُتَعَالِياً[٣] عَنَّا وَعَنْ جَمِيعِ مَا خَلَقَ، وَكَانَ ذَلِكَ الصَّانِعُ حَكِيماً مُتَعَالِياً[٤] لَمْ يَجُزْ[٥] أَنْ يُشَاهِدَهُ خَلْقُهُ، وَلَا يُلَامِسُوهُ فَيُبَاشِرَهُمْ

طويل قد يستغرق في بعض الأُمور أجيالاً كثيرة، ممَّا يتسبَّب موت الكثيرين على الضلال قبل اكتشاف بعض الحقائق.

هذا كله مضافاً إلى قاعدة اللطف، التي مرَّت الإشارة إليها في المجلد السابق، فراجع.

[٣] **(خالقاً صانعاً متعالياً):**

«الخلق»: هو التقدير، و«الصنع»: هو إجادة الفعل، كقوله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾(١)، و«المتعالي» بالذات، فليس هو بجسم، ولا يمكن إدراكه بالحواس.

[٤] **(حكيماً متعالياً):**

أي متعالياً عن العبث في أفعاله، فالمتعالي الأول يُراد به التعالي في الذات فلا يمكن إدراكه بالحواس وأخذ الأمور مباشرة منه، والمتعالي الثاني يُراد به تعاليه عن العبث في أفعاله.

والحاصل: أنه لا يمكن للخلق إدراكه حتى يأخذوا منه أحكامهم بالمباشرة، وليس خلقهم عبثاً حتى لا يحتاجوا إلى الأحكام أصلاً.

[٥] **(لم يجز):**

خبر ثالث لـ«كان» في قوله: (كان ذلك الصانع)، وعدم الجواز بمعنى عدم الإمكان، فلا يمكنهم إدراكه حتَّى يسألوه مباشرة، ولا لهم القابلية ليكونوا كلهم أنبياء، كما سيشير إليه في قوله: (غير مشاركين للناس... في شيء من أحوالهم).

والحاصل أنَّه تعالى غير مرئي ولا محسوس، فلا يمكن مباشرته بالوصول إليه وإدراكه حتَّى يتمكنوا من التكلُّم معه وأخذ أحكامهم مباشرة منه.

---

(١) سورة النمل: الآية ٨٨.

وَيُبَاشِرُوهُ، وَيُحَاجَّهُمْ وَيُحَاجُّوهُ، ثَبَتَ أَنَّ لَهُ سُفَرَاءَ فِي خَلْقِهِ[٦]، يُعَبِّرُونَ عَنْهُ[٧] إِلَى خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ[٨]، ....

و«المشاهدة» في الأصل الحضور، ويُراد بها هنا: الرؤية بالعين، و«الملامسة» الإحساس بظاهر الجلد، و«المباشرة» في الأصل: التقاء البشرتين ـ أي الجلدين كالمصافحة ـ ويُراد بها هنا اللقاء الحضوري الجسماني، و«المحاجّة» في الأصل: إلقاء الحجَّة والبرهان، والمراد بها هنا التكلُّم معه وأخذ الحجج عنه مباشرة.

[٦] **(ثبت أنَّ له سفراء في خلقه):**

«ثبت» جزاء «لمّا» في قوله: (إنَّا لمَّا أثبتنا أنّ لنا خالقاً. . .إلخ).

«السفير»: هو الرسول بين القوم، وأصله من «السَّفْر» بمعنى كشف الغِطاء في الأعيان الخارجية، أمّا إذا كان في الأُمور المعنوية قيل له تفسير من «فَسَر»، وهو كشف القناع عن المعنى، كالرؤيا ومعاني القرآن وأمثال ذلك.

[٧] **(يعبِّرون عنه):**

أي يوصلون أحكامه إلى عباده، وأصل«العبر»: الانتقال من شيء إلى شيء آخر، والعبارة: هي انتقال من اللفظ إلى المعنى، وتعبير الرؤيا: انتقال من ظاهرها إلى باطنها، وقد ضُمِّن «يعبِّرون» هنا معنى يبلغون لذا تعدَّى بـ«إلى».

[٨] **(إلى خلقه وعباده):**

العطف تفسيري، أو أنَّ الخلق: عامَّة الناس ـ مطيعهم وعاصيهم ـ والعباد: خصوص المؤمنين منهم، خصَّهم بالذِّكر لأنَّهم المنتفعون من التبليغ، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾(١).

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

وَيَدُلُّونَهُمْ[٩] عَلَى مَصَالِحِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ[١٠] وَمَا بِهِ بَقَاؤُهُمْ وَفِي تَرْكِهِ فَنَاؤُهُمْ[١١]، فَثَبَتَ الْآمِرُونَ[١٢] ....

---

[٩] **(يدلونهم):**

لعلّه إشارة إلى برهان اللُّطف، وقد مرَّت الإشارة إليه في المجلد السابق.

[١٠] **(مصالحهم ومنافعهم):**

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

«مصالحهم ومنافعهم» دنيوية وأخروية، كما أشارت الآية، حيث الغفران والجنّة والمساكن ثواب أخروي، والنصر والفتح جزاء دنيوي.

[١١] **(وفي تركه فناؤهم):**

الفناء بالعذاب الدنيوي كقوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾(٢)، والبقاء باستمرار نسلهم، أو البقاء كناية عن الثواب، والفناء كناية عن العذاب، أو معنى البقاء نظام معيشتهم، والفناء اختلال النظام.

[١٢] **(فثبت الآمرون):**

هذا برهان «إنّي»، أي انتقال من العلّة إلى المعلول، فلمّا كان الله متعالياً بالذات لا يمكن للخلق إدراكه بحواسهم، ومتعالياً في أفعاله فلا يعبث، ولما لم يتمكّن الخلق من الوصول إلى كثير من مصالحهم، لزم إرسال الرُّسل ليدلّوا الناس على مصالحهم التي تنظّم معيشتهم وتوصلهم إلى الحياة الأبدية التي ملؤها الرحمة الإلهيَّة.

---

(١) سورة الصف: الآيات ١٠ ـ ١٣.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٦.

وَالنَّاهُونَ عَنِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ[١٣] فِي خَلْقِهِ وَالْمُعَبِّرُونَ عَنْهُ جَلَّ وَعَزَّ وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ عليهم السلام[١٤] وَصَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ[١٥]، حُكَمَاءَ مُؤَدَّبِينَ بِالْحِكْمَةِ، مَبْعُوثِينَ

بل كل تطوُّر علمي وصناعي وعقلي وفكري وغيرها ممّا وصل إليه البشر، فإنَّما هو بفضل الأنبياء، حيث أثاروا دفائن العقول وكشفوا للناس مصالحهم وحذَّروهم عن المفاسد.

وما انتشار العلم والتطوُّر في عالم اليوم إلَّا بفضل نشر المسلمين لمختلف العلوم إبَّان حضارتهم فانتقلت عبر الأندلس وعبر الغُزاة الصليبيين إلى غيرهم، ولم يكن حمل المسلمين لمشعل العلم إلَّا بفضل رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله.

وكذا يُقال في سائر الحضارات التي سبقت الإسلام فإنَّها ترجع في نقاطها المضيئة إلى الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام.

[١٣] **(عن الحكيم العليم):**

اختار الإمام عليه السلام هذين الاسمين، لمناسبتهما للمقام، حيث إنَّ إرسال الرُّسل إنَّما هو لحكمته تعالى، ودلالتهم الخلق إنَّما هو بما علَّمهم الله تعالى.

[١٤] **(وهم الأنبياء):**

الإمام عليه السلام ذكر بعض خصوصيات الأنبياء عليهم السلام.

١ ـ الخلوص في خلقهم من النقائص.

٢ ـ أنَّ الله علَّمهم وأدَّبهم.

٣ ـ بعثهم بالحكمة.

٤ ـ أنَّهم أفضل من الناس في المراتب المعنوية، وإن كانوا بشراً مثل سائر الناس في تركيبتهم الجسدية.

[١٥] **(صفوته في خلقه):**

من «الصفو» و«الصفاء»، وهو خلوص الشيء من الشوائب، واصطفاء

بِهَا؛ غَيْرَ مُشَارِكِينَ لِلنَّاسِ ـ عَلَى مُشَارَكَتِهِمْ لَهُمْ فِي الْخَلْقِ وَالتَّرْكِيبِ ـ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِهِمْ[١٦] ....

الأنبياء بمعنى أنَّ الله خلقهم خالصين من كلّ قذارة وكدر، فهم مطهَّرون خَلقاً، معصومون في أفعالهم، وبذلك صارت لهم القابلية لحمل الرِّسالة، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾(١)، وبالنسبة إلى الأئمة من أهل البيت عليهم السلام قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾(٢).

[١٦] **(في شيء من أحوالهم)**:

أمَّا مشاركة الأنبياء لسائر الناس في البشرية، فلأنَّه لا يمكن الاقتداء والتأسي بمخلوق آخر يختلف في الحاجات والتركيب عن الإنسان، ولذا قال تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾(٣).

وأمَّا عدم مشاركتهم للناس في مراتب الفضيلة، فلأنَّ الله تعالى بنى هذا الكون على التفاضل في كلّ شيء، فالذهب أفضل من التراب، والحيوان أفضل من النبات والجماد، والإنسان أفضل من الحيوان، وبعض الناس أفضل من بعض، وبعض الأنبياء أفضل من أنبياء آخرين، قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ﴾(٤).

وقد مرَّ تفصيل هذا الكلام مع الاستشهاد بعدَّة آيات، فراجع.

والحاصل أنَّ الأنبياء لهم القابلية لحمل الرِّسالة، والأوصياء من بعدهم يواصلون الطريق، وأمَّا سائر الناس فليست لهم تلك القابلية لكي يوحي الله إليهم مباشرة، فلم تكن من الحكمة الوحي إليهم وجعلهم جميعاً أنبياء، فلذا احتاجوا إلى الوسائط بينهم وبين الله تعالى.

---

(١) سورة الحج: الآية ٧٥.
(٢) سورة فاطر: الآية ٣٢.
(٣) سورة الأنعام: الآية ٩.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

مُؤَيَّدِينَ مِنْ عِنْدِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ بِالْحِكْمَةِ[١٧]، ثُمَّ ثَبَتَ ذَلِكَ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَزَمَانٍ[١٨] مِمَّا أَتَتْ بِهِ الرُّسُلُ[١٩] ....

---

[١٧] **(من عند الحكيم العليم بالحكمة):**

«التأييد»: بمعنى التقوية، و«الباء» إمّا للمصاحبة، فالمراد أنَّ الله أيّدهم بالطريقة المناسبة بحيث لا يُبطل الامتحان، أو الباء للتعدية أو للاستعانة، فالحكمة مفعول، أي إنَّ تقويتهم كانت عن طريق الحكمة التي عرفوها وجاؤوا بها، فقوله: «حكماء» إشارة إلى علمهم بالحكمة، و«مؤدّبين بالحكمة» إلى عملهم بتلك الحكمة، و«مؤيدين بالحكمة» إلى أنَّ الحكمة التي جاؤوا بها إلى الناس هي دليل صدقهم يعرفها العقلاء بعقلهم فيتّبعونهم، فتكون الحكمة سبباً لتقويتهم بالحجّة وباتّباع العقلاء لهم.

[١٨] **(ثمَّ ثبت ذلك في كلّ دهر):**

هذا دليل ثانٍ على إثبات الأنبياء ـ وهو دليل «لِميّ» أي انتقال من المعلول إلى العلّة ـ وحاصله أنّا لمّا شاهدنا المعجزات من الأنبياء، علمنا بصدق مقالتهم في أنّهم مبعوثون من الله سبحانه وتعالى.

(في كلّ دهر وزمان):

«الدهر»: المدّة الطويلة، و«الزمان»: المدّة ـ طالت أم قصرت ـ، وذلك لأنَّ الله قد يرسل الأنبياء تترى، وقد يرسل على فترة كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾(١) أي يتبع بعضهم بعضاً، وقال سبحانه: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾(٢) أي في حين فتور وانقطاع من الرُّسل.

[١٩] **(ممّا أتت به الرُّسل):**

متعلق بقوله: (ثم ثبت...) أي الثبوت ناشىء من المعاجز والبراهين التي جاءت بها الأنبياء.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٤٤.

(٢) سورة المائدة: الآية ١٩.

وَالْأَنْبِيَاءُ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ[٢٠]، لِكَيْلَا تَخْلُوَ أَرْضُ اللَّهِ مِنْ حُجَّةٍ[٢١] يَكُونُ مَعَهُ عِلْمٌ[٢٢] يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ مَقَالَتِهِ وَجَوَازِ عَدَالَتِهِ[٢٣].

---

[٢٠] **(الدلائل والبراهين):**

«الدليل» هو ما يتوصل به إلى معرفة الشيء ـ سواء كان لفظاً أم فعلاً أم غيرهما ـ، و«البرهان» بيان للحجَّة ـ بقول أم بفعل ـ، إلَّا أنَّه يُراد بالدليل ـ هنا ـ المعجزات في الفعل، وبالبرهان: بيان للحجَّة بالقول.

[٢١] **(أرض الله من حجَّة):**

أي وجود الأنبياء في كل دهر وزمان حتَّى لا تخلو الأرض من حجَّة، فيكون نقضاً لغرض الخلق.

وفي هذه العبارة احتمالان:

الأوَّل: إنَّه لا تندرس شريعة إلَّا ويبعث الله تعالى شريعة أُخرى، أو لا يُنسى نبي إلَّا ويرسل تعالى رسولاً آخر.

الثاني: إنَّه يلزم وجود خليفة من قبل الله تعالى في كلّ العصور وهم الأنبياء، وحيث خلت الأرض من الأنبياء فلا بدَّ من وجود أوصياء لهم لكيلا تخلو الأرض من حجَّة.

والأوَّل أظهر من العبارة، إلَّا أنَّ الثاني أقرب إلى المراد حيث وردت روايات متواترة بعدم خلو الأرض من نبي أو وصي نبي، كما سيأتي تفصيله، إن شاء الله تعالى.

[٢٢] **(يكون معه علم):**

إمَّا «عَلَم» بمعنى الدليل والعلامة، أو «عِلْم» حيث إنَّ حجج الله لهم المعاجز والعلوم.

[٢٣] **(جواز عدالته):**

أي جريان عدله في أفعاله، فالصدق في القول، والعدالة تظهر في العمل، أي العلم يدلُّ على صحَّة قوله وفعله.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ أَجَلُّ وَأَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُعْرَفَ بِخَلْقِهِ، بَلِ الْخَلْقُ يُعْرَفُونَ بِاللَّهِ[١]، قَالَ: صَدَقْتَ، قُلْتُ: إِنَّ مَنْ عَرَفَ أَنَّ لَهُ رَبّاً، فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ لِذَلِكَ الرَّبِّ رِضاً وَسَخَطاً[٢]، وَأَنَّهُ لَا يُعْرَفُ رِضَاهُ وَسَخَطُهُ إِلَّا بِوَحْيٍ أَوْ رَسُولٍ[٣]، فَمَنْ لَمْ

الحديث الثاني:

[١] **(يعرفون بالله):**

مرّ شرح هذا المقطع في الحديث الثالث من باب (أنّه لا يُعرف إلّا به)، وحاصل المعنى أنَّ الله ذاته تدلُّ عليه كما في الدُّعاء «يا من دلَّ على ذاته بذاته وتنزَّه عن مجانسة مخلوقاته»(١)، وأمّا الخلق كالأنبياء والأئمّة فإنّهم يُعرفون بما آتاهم الله من الدلائل والبراهين.

[٢] **(الرَّبّ رضا وسخطاً):**

أي حين عرف وجود الله تعالى، فلا بدَّ أن يعرف صفاته، فإنَّ المعرفة لا تتمّ إلّا بوصفه بالكمالات وتنزيهه عن النقائص، ومن صفاته تعالى أنَّه يريد الخير ويكره القبيح، وأنَّه لطيف بعباده يريد فعلهم الخير وتجنّبهم الشَّر، وأنَّه يُجازي على الحسنة ويُعاقب على السيِّئة.

وحيث إنَّ الإنسان لا يعرف كثيراً من الخيرات والشرور، فإنَّ لطف الله تعالى يقتضي إرشاده، إمَّا مباشرة بأن يجعله نبيّاً، أو بطريق غير مباشر بإرسال الأنبياء.

[٣] **(بوحي أو رسول):**

الوحي إليه بأن يجعله نبيّاً، أو أن يرسل إليه رسولاً يدلّه على مواطن الرِّضا والسخط.

---

(١) مصباح الفقاهة: ج١، ص١٢٨.

يَأْتِهِ الْوَحْيُ فَقَدْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَطْلُبَ الرُّسُلَ[٤]، فَإِذَا لَقِيَهُمْ عَرَفَ أَنَّهُمُ الْحُجَّةُ[٥] وَأَنَّ لَهُمُ الطَّاعَةَ الْمُفْتَرَضَةَ[٦].

وَقُلْتُ لِلنَّاسِ: تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ هُوَ الْحُجَّةَ مِنَ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ؟ قَالُوا: بَلَى. قُلْتُ فَحِينَ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ كَانَ الْحُجَّةَ عَلَى خَلْقِهِ؟ فَقَالُوا: الْقُرْآنُ[٧]. ....

---

[٤] **(يطلب الرُّسل):**

فلا ينتظر لكي يصل الرسول إليه، بل لا بدَّ له من البحث عن ذلك الرسول.

[٥] **(عرف أنَّهم الحجَّة):**

لقوَّة برهانهم، وتأييدهم بالمعجزات.

[٦] **(الطاعة المفترضة):**

إذ لا معنى لإرسال الرُّسل إلَّا وجوب إطاعتهم، فلو لم تجب طاعتهم كانت بعثتهم لغواً، تعالى الله عن ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(١).

[٧] **(فقالوا: القرآن):**

أي لوحده، كما قال عمر: «حسبنا كتاب الله»(٢)، مع أنَّ القرآن يصرِّح بأنَّ الرسول ﷺ مبيِّن له، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(٣)، وقال رسول الله ﷺ ـ في الحديث المتواتر بين الفريقين وبألفاظ متقاربة ـ: «إنِّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي»(٤).

---

(١) سورة النساء: الآية ٦٤.

(٢) البخاري: ج٤، ص١٦١٢، الحديث: ٤١٦٩، وج٥، ص٢١٤٦، الحديث: ٥٣٤٥ ؛ ومسلم: ج٥، ص٧٦، الحديث: ٤٣٢٢؛ ومسند أحمد: ج١، ص٣٣٦، الحديث: ٣١١١.

(٣) سورة النحل: الآية ٤٤.

(٤) راجع الكافي: ج٢، ص٤١٥، ورواه من العامة في سنن النسائي: ج٥، ص٤٥؛ وكنز العمال: ج١، ص١٨٦، الحديث ٩٤٤.

فَنَظَرْتُ فِي الْقُرْآنِ[٨] فَإِذَا هُوَ يُخَاصِمُ بِهِ الْمُرْجِئُ وَالْقَدَرِيُّ وَالزِّنْدِيقُ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِهِ[٩] حَتَّى يَغْلِبَ الرِّجَالَ بِخُصُومَتِهِ، فَعَرَفْتُ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَكُونُ حُجَّةً إِلَّا بِقَيِّمٍ[١٠]، ....

وأراد رسول الله ﷺ تأكيد ذلك حينما حضرته الوفاة، فقال: «ايتوني بكتاب ودواة لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبداً» فقال عمر: إنَّ الرجل ليهجر!! حسبنا كتاب الله(١).

[٨] **(فنظرت في القرآن):**

أي فقلت لهم إنِّي نظرت في القرآن. . .إلخ.

[٩] **(الذي لا يؤمن به):**

«المرجئة» قوم من العامَّة زعموا أنَّه لا يضرُّ مع الإيمان معصية، والإرجاء هو التأخير، سمّوا بذلك لأنَّهم زعموا أنَّ الله أرجأ تعذيبهم عن المعاصي أي أخَّره حتَّى تركه، وقد مرَّ أنَّ متأخّريهم لما علموا ببطلان هذا المذهب ثمَّ رأوا أنَّ بعض كبارهم نُسبوا إلى الإرجاء، ابتدعوا معنىً آخر له لينزّهوا كبارهم منه، وهو تأخير علي بن أبي طالب عليه السلام عمَّن سبقوه من الخلفاء!!

و«القدري» القائل بالجبر، وكذا القائل بالتفويض المطلق، نسبة إلى القَدَر أو عدمه، وقد مرَّ إبطال قولهم في باب (الجبر والقدر) وأنَّ الصحيح هو (الأمر بين الأمرين)، و«الزنديق» هو الملحد، وهو معرب (زندك)، وهم قوم من المجوس الثنوية، لكن بعد التعريب استُعمل غالباً في الملاحدة المنكرين لله تعالى.

وإنَّما يُخاصم الزنديق بالقرآن، احتجاجاً على المسلمين، وإلزاماً لهم بما يعتقدون.

[١٠] **(لا يكون حجَّة إلَّا بقيِّم):**

أي من يقوم بأمر القرآن ـ من بيان وتفسير وتأويل وتعريف بالناسخ من

---

(١) المصدر نفسه وقد اعترف ابن تيمية بأنَّ قائل الكلمة هو عمر بن الخطاب. راجع منهاج السنّة: ج٦، ص٢٤.

فَمَا قَالَ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ كَانَ حَقّاً[١١]، فَقُلْتُ لَهُمْ: مَنْ قَيِّمُ الْقُرْآنِ؟ فَقَالُوا ابْنُ مَسْعُودٍ قَدْ كَانَ يَعْلَمُ، وَعُمَرُ يَعْلَمُ، وَحُذَيْفَةُ يَعْلَمُ، قُلْتُ: كُلَّهُ؟ قَالُوا: لَا[١٢]،

المنسوخ والعامّ من الخاصّ وغير ذلك ـ قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾(١).

أي ثمَّ بعد الرسول أورثنا علم الكتاب للذين اصطفيناهم من عبادنا، لكن هؤلاء العباد على ثلاثة أقسام فمنهم ظالم لنفسه بتركه للذين اصطفاهم الله وبأخذه علمه من غيرهم، ومنهم مقتصد متوسط في العمل، ومنهم سابق بالخيرات ترجَّح حسناته.

[١١] **(من شيء كان حقّاً):**

لأنَّ جعل القيّم مَنْ يُخطىء ويقول الباطل، ـ نقض للغرض، حيث لم يجعل القيّم إلَّا لتقريب الناس إلى الحق، لا لإبعادهم عنه.

[١٢] **(قلت كلّه؟ قالوا لا):**

لما ثبت أنَّهم سُئلوا عن أُمور من القرآن فلم يعرفوا الجواب، كما أنَّهم سألوا غيرهم عن معاني بعض الكلمات، وثبت جهل بعضهم ببعض أحكام القرآن.

فعمر لم يكن يعرف معنى الأب في قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾(٢)، ولم يكن يعرف عدم تحديد المهر حتَّى أعلمته امرأة قولَه تعالى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾(٣)، ولا أنَّ أقل الحمل ستة أشهر مع دلالة آيتين عليه وهما ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ﴾(٤). ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ﴾(٥) وغير ذلك

---

(١) سورة فاطر: الآية ٣٢.

(٢) سورة عبس: الآية ٣١.

(٣) سورة النساء: الآية ٢٠.

(٤) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٣٣.

فَلَمْ أَجِدْ أَحداً يُقَالُ: إِنَّهُ يَعْرِفُ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَّا عَلِيّاً عليه السلام[١٣]. وَإِذَا كَانَ الشَّيْءُ بَيْنَ الْقَوْمِ فَقَالَ هَذَا: لَا أَدْرِي، وَقَالَ هَذَا: لَا أَدْرِي، وَقَالَ هَذَا: لَا أَدْرِي، وَقَالَ هَذَا: أَنَا أَدْرِي، فَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيّاً عليه السلام[١٤] كَانَ قَيِّمَ الْقُرْآنِ، وَكَانَتْ

كثير، فراجع كتاب الغدير للعلّامة الأميني المجلد السابع، حيث يروى ذلك وغيره عن مختلف مصادر العامّة.

[١٣] **(كلّه إلّا عليّاً عليه السلام)**:

حاصل الدليل: هو أنّا علمنا لزوم القيّم على القرآن.

ولم يَدَّعِ أحد علمه بكلّ القرآن إلّا الإمام علي عليه السلام، ولم يدّع غيره ذلك، ولم يتفق في تاريخ الإمام علي أن سئل عن آية فقال: لا أدري، أو أنّه قال أو أفتى بخلاف القرآن الكريم.

فالنتيجة هي انحصار علم الكتاب كلّه ومن كلّ الجهات بالإمام علي عليه السلام، بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فهو قيّم القرآن.

فإذا كان كذلك، كان هو الحجّة، وكانت طاعته مفترضة.

ثمّ إنّه لا إشكال في أنّ الإمام علي عليه السلام هو أعلم الأُمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وروت العامّة في صحاحها قول عمر: «أقضانا علي»(١).

ولا شكّ أنّ القضاء يتوقف على العلم، فالأقضى هو الأعلم، هذا فضلاً عن روايات كثيرة رووها في علمه وأعلميته على جميع الصحابة.

[١٤] **(فأشهد أنّ عليّاً)**:

جزاء «إذا» في قوله: «وإذا كان الشيء بين القوم...»، والمعنى إذ قال الكل لا أدري، وقال أحدهم: أدري، فأشهد أنّ القيّم هو قائل أدري، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) انظر: البخاري: ج٤، ص١٦٢٨، الحديث: ٤٢١١؛ سنن النسائي: ج٦، ص٢٨٩، الحديث: ١٠٩٩٥؛ الدرّ المنثور: ج١، ص٢٥٤.

طَاعَتُهُ مُفْتَرَضَةً وَكَانَ الْحُجَّةَ عَلَى النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَّ مَا قَالَ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ حَقٌّ فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ[١٥].

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ قَالَ: كَانَ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْهُمْ حُمْرَانُ بْنُ أَعْيَنَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ النُّعْمَانِ، وَهِشَامُ بْنُ سَالِمٍ، وَالطَّيَّارُ، وَجَمَاعَةٌ فِيهِمْ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ وَهُوَ شَابٌّ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا هِشَامُ أَلَا تُخْبِرُنِي كَيْفَ صَنَعْتَ بِعَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ[١] وَكَيْفَ سَأَلْتَهُ؟ فَقَالَ هِشَامٌ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ إِنِّي أُجِلُّكَ وَأَسْتَحْيِيكَ[٢] وَلَا يَعْمَلُ لِسَانِي بَيْنَ يَدَيْكَ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَافْعَلُوا[٣].

---

[١٥] **(فقال رحمك الله):**

تقرير للإمام عليه السلام لما ذكره منصور بن حازم.

الحديث الثالث:

[١] **(عمرو بن عبيد):**

من كبار المعتزلة ـ وهم قوم من العامّة ولا يقولون بالإمامة كسائر العامة وقد انقرضوا في الحال الحاضرة ـ ، فإنَّ الاعتزال بدأ من واصل بن عطاء ـ حيث اعتزل مجلس الحسن البصري ـ، وتتلمذ على يديه عمرو بن عبيد إلى أن استقل عنه.

[٢] **(إنّي أجلّك وأستحيك):**

أي أنت أعظم من أن يتكلّم مثلي بين يديك.

[٣] **(إذا أمرتكم بشيء فافعلوا):**

لأنَّ أمر الإمام لأجل المصلحة، فإطاعة الإمام أولى من إطاعة النفس.

قَالَ هِشَامٌ: بَلَغَنِي مَا كَانَ فِيهِ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ وَجُلُوسُهُ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَيَّ[٤]، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ وَدَخَلْتُ الْبَصْرَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَأَتَيْتُ مَسْجِدَ الْبَصْرَةِ فَإِذَا أَنَا بِحَلْقَةٍ كَبِيرَةٍ فِيهَا عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ وَعَلَيْهِ شَمْلَةٌ سَوْدَاءُ مُتَّزِراً بِهَا مِنْ صُوفٍ[٥]، وَشَمْلَةٌ مُرْتَدِياً بِهَا، وَالنَّاسُ يَسْأَلُونَهُ، فَاسْتَفْرَجْتُ النَّاسَ[٦] فَأَفْرَجُوا لِي، ثُمَّ قَعَدْتُ فِي آخِرِ الْقَوْمِ عَلَى رُكْبَتَيَّ ثُمَّ قُلْتُ: أَيُّهَا الْعَالِمُ: إِنِّي رَجُلٌ غَرِيبٌ تَأْذَنُ لِي فِي مَسْأَلَةٍ[٧]؟ فَقَالَ لِي:

---

[٤] **(فعظم ذلك عليَّ):**
لعلَّه لما رآه من إضلاله الناس، وافتتانهم به.

[٥] **(متزراً بها من صوف):**
يصف زهده بحيث كانت ملابسه من صوف وهي قطعتان إحداهما إزاره والأُخرى ردائه.
ولعلَّ التطويل في بيان هذه المقدِّمات وبيان تفاصيل المجلس والحضور واللباس ونحوها، لأجل بيان عظمته بين الناس ولتصوير الحالة التي كانت عليها المناظرة، ليكون نقل المناظرة أوقع في النُّفوس، حتَّى يعايشها الذين يستمعون إليها.
كما أنَّ بيان انقطاع الخصم في الجواب، أبلغ بعد بيان عظمته الدنيوية.
«الشملة» الثوب الذي يُغطَّى به، سُمِّي «شملة» لاشتماله ـ أي احتوائه ـ على الجسم.

[٦] **(فاستفرجت الناس):**
أي نحيّت الناس، لأدخل في الحلقة، فلما دخلت في الحلقة جلست في آخرها.

[٧] **(تأذن لي في مسألة):**
لعلَّ طريقة جلوسه وبيان أنّه غريب ووصفه عمراً بأنه عالم، ثم الاستئذان في السؤال، لأجل أن لا ينهره ويُعرض عن الجواب، فإنَّ مَن راعى الأدب وتواضع في السؤال، يحصل على الإجابة غالباً.

نَعَمْ، فَقُلْتُ لَهُ: أَلَكَ عَيْنٌ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ أَيُّ شَيْءٍ هَذَا مِنَ السُّؤَالِ؟ وَشَيْءٌ تَرَاهُ كَيْفَ تَسْأَلُ عَنْهُ؟ فَقُلْتُ هَكَذَا مَسْأَلَتِي فَقَالَ: يَا بُنَيَّ سَلْ وَإِنْ كَانَتْ مَسْأَلَتُكَ حَمْقَاءَ[٨] قُلْتُ: أَجِبْنِي فِيهَا، قَالَ لِي: سَلْ.

قُلْتُ أَلَكَ عَيْنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ فَمَا تَصْنَعُ بِهَا؟ قَالَ: أَرَى بِهَا الْأَلْوَانَ وَالْأَشْخَاصَ. قُلْتُ: فَلَكَ أَنْفٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: أَشَمُّ بِهِ الرَّائِحَةَ. قُلْتُ: أَلَكَ فَمٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ أَذُوقُ بِهِ الطَّعْمَ، قُلْتُ: فَلَكَ أُذُنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَمَا تَصْنَعُ بِهَا؟ قَالَ: أَسْمَعُ بِهَا الصَّوْتَ[٩]، قُلْتُ: أَلَكَ قَلْبٌ[١٠]؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ فَمَا

---

[٨] **(مسألتك حمقاء):**
(وصف المسألة بالحمقاء تجوّز، كما يُقال: صائم نهاره، قائم ليله، والمراد بالوصف صاحب المسألة.

[٩] **(أسمع بها الصوت):**
في المرآة[١]: وإنّما لم يذكر اللمس، لأنّه ليس لها جارحة مخصوصة، أو لقلّة الاشتباه فيه، مع أنّه يعرف بالمقايسة.

[١٠] **(ألك قلب؟):**
من الواضح أنَّ الأعضاء والجوارح لها مدبِّر ومدير، كما أنَّ الأحاسيس الباطنة لها مرجع، وهذا المدير والمرجع يُعبَّر عنه بالقلب.
ويذهب البعض إلى أنَّ القلب يُراد به معناه الحقيقي وهو العضو الذي في الصدر.
والأقرب أنَّ المراد بالقلب معناه المجازي، أي النفس أو الرُّوح، نعم يمكن أن يكون القلب نقطة التقاء بين الجسم من جهة وبين النفس والرُّوح من جهة أخرى، وبهذه المناسبة كان التعبير عن النفس والرُّوح بالقلب مجازاً،

---

(١) في المرآة: ج٢، ص٢٦٦.

تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: أُمَيِّزُ بِهِ كُلَّ مَا وَرَدَ عَلَى هَذِهِ الْجَوَارِحِ وَالْحَوَاسِّ، قُلْتُ: أَوَلَيْسَ فِي هَذِهِ الْجَوَارِحِ غِنًى عَنِ الْقَلْبِ؟ فَقَالَ: لَا، قُلْتُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ وَهِيَ صَحِيحَةٌ سَلِيمَةٌ، قَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّ الْجَوَارِحَ إِذَا شَكَّتْ فِي شَيْءٍ شَمَّتْهُ أَوْ رَأَتْهُ أَوْ ذَاقَتْهُ أَوْ سَمِعَتْهُ، رَدَّتْهُ إِلَى الْقَلْبِ فَيَسْتَيْقِنُ الْيَقِينَ وَيُبْطِلُ الشَّكَّ[١١]، قَالَ هِشَامٌ: فَقُلْتُ لَهُ: فَإِنَّمَا أَقَامَ اللَّهُ الْقَلْبَ لِشَكِّ الْجَوَارِحِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: لَا بُدَّ مِنَ الْقَلْبِ وَإِلَّا لَمْ تَسْتَيْقِنِ الْجَوَارِحُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا مَرْوَانَ فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَتْرُكْ جَوَارِحَكَ حَتَّى جَعَلَ لَهَا إِمَاماً[١٢] يُصَحِّحُ لَهَا الصَّحِيحَ وَيَتَيَقَّنُ بِهِ مَا شُكَّ فِيهِ، وَيَتْرُكُ هَذَا

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾(١)، وقال: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(٢)، وقال: ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾(٣) وغيرها.

[١١] **(فيستيقن اليقين ويبطل الشكّ):**

فإنَّ الحواس تخطئ كثيراً ـ لمحدوديتها وعدم سعة أُفقها ـ والإنسان يكتشف كثيراً من الأُمور بالتجربة، وبمعلوماته يصحّح أخطاء الحواس، مثلاً من رأى الأُفق فإنَّ خطأ الباصرة يصوِّر له التقاء السَّماء والأرض، ومن يرى البعيد يراه صغيراً جداً ثمَّ يكبر في العين كلَّما اقترب، ونحو ذلك من أخطاء العين وسائر الحواس، وكلَّما أحسَّ بشيءٍ فإنَّه يرجعه إلى قلبه ليصحّح له أخطاءه.

[١٢] **(حتَّى جعل لها إماماً):**

لمَّا كان سؤال هشام لإثبات أمر الإمامة وأنَّها بالنص من الله تعالى، لذا استعمل كلمة (الإمام) هنا ليكون أبلغ في الحجَّة.

---

(١) سورة الحج: الآية ٤٦.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٨٩.

(٣) سورة النحل: الآية ١٠٦.

الْخَلْقَ[١٣] كُلَّهُمْ فِي حَيْرَتِهِمْ وَشَكِّهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ، لَا يُقِيمُ لَهُمْ إِمَاماً يَرُدُّونَ إِلَيْهِ شَكَّهُمْ وَحَيْرَتَهُمْ، وَيُقِيمُ لَكَ إِمَاماً[١٤] لِجَوَارِحِكَ تَرُدُّ إِلَيْهِ حَيْرَتَكَ وَشَكَّكَ؟! قَالَ: فَسَكَتَ وَلَمْ يَقُلْ لِي شَيْئاً.

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ لِي: أَنْتَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ؟ فَقُلْتُ: لَا[١٥]، قَالَ: أَمِنْ جُلَسَائِهِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَالَ: فَأَنْتَ إِذاً هُوَ ثُمَّ ضَمَّنِي إِلَيْهِ، وَأَقْعَدَنِي فِي مَجْلِسِهِ وَزَالَ عَنْ مَجْلِسِهِ وَمَا نَطَقَ حَتَّى قُمْتُ، قَالَ: فَضَحِكَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَقَالَ: يَا هِشَامُ مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا؟ قُلْتُ شَيْءٌ أَخَذْتُهُ مِنْكَ وَأَلَّفْتُهُ[١٦]، فَقَالَ: هَذَا وَاللَّهِ مَكْتُوبٌ فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى.

---

[١٣] **(ويترك هذا الخلق):**

بتقدير استفهام إنكاري، أي فهل يترك الخلق بلا إمام، مع أنَّه أهمّ بكثير من إمام الجوارح؟ وكيف يصحّ القول بأنَّه لم يترك المهم لكنَّه ترك الأهم!!

[١٤] **(ويقيم لك إماماً):**

تكرار للتأكيد، أو أنَّه قسَّم ما يرتبط بالإمام وذكر في وسط الجوارح والقلب، فذكر أولاً فعل الإمام بالتصحيح وإيجاد اليقين، ثم ذكر ثانياً فعل الناس برجوعهم إلى الإمام في حيرتهم، وهذا التقسيم أوقع في النفس وأكثر إلزاماً وأخذاً للخصم.

[١٥] **(فقلت: لا):**

لعلَّه كان للتقية، حتَّى لا يُعرف بالمناظرة في الإمامة فتأخذه السلطة ـ الأموية أو العبَّاسيَّة ـ، لأنَّ عمرو بن عبيد مات عام ١٤٤ في أوائل أمر العبَّاسيِّين، ولعلَّ هذا الحوار كان في عهدهم أو في أواخر عهد الأمويين.

[١٦] **(أخذته منك وألَّفته):**

أي أخذت أصله منك، ثمَّ أضفت إليه ما يناسب المجلس، فإنَّهم عليهم السلام منشأ كلّ حق ـ في كلام أو فعل ـ.

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَوَرَدَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ صَاحِبُ كَلَامٍ وَفِقْهٍ وَفَرَائِضَ[١] وَقَدْ جِئْتُ لِمُنَاظَرَةِ أَصْحَابِكَ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٢]: كَلَامُكَ مِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[٣] أَوْ مِنْ

الحديث الرابع:

[١] **(فقه وفرائض):**

الفرائض بمعنى المواريث، وإنّما ذكرها بالخصوص مع أنّها من البحوث الفقهية، لأنّها تحتاج إلى علم بالحساب وخاصة الكسور خلافاً لباقي الفقه.

[٢] **(فقال أبو عبد الله):**

لعلّ توجيه الإمام عليه السلام هذه الأسئلة لتكون كالمقدّمة لإثبات أنّ كلامه عليه السلام كلّه مأخوذ من رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّه إمام مفترض الطاعة، لذا وجب اتّباعه.

كما أنّ فيه أسلوباً نفسياً ليشك الرجل الشامي بمقالته، ليتهيّأ لقبول الحق.

وحاصل السؤال هو أنّه لا تخلو أنت من ثلاث حالات:

١ ـ أن تكون شريكاً للرسول صلى الله عليه وآله، فأخبره الله ببعض الحق، وأخبرك ببعضه الآخر!!

٢ ـ أن تكون نبيّاً، فكما أخبره الله بكلّ الحق، أخبرك بكلّه أيضاً!!

٣ ـ أن يكون الله قد فوّض إليك وأمضى ما تقوله!.

وحيث بطلت الشقوق الثلاثة، لا يبقى إلّا أن يكون ما أخذته من الرسول صلى الله عليه وآله حقّاً، وما قلته من نفسك باطلاً.

[٣] **(كلامك من كلام رسول الله):**

كان غرض الشامي المناظرة في إمامة الإمام الصّادق عليه السلام كما سيظهر من جداله مع هشام، وتعيين الإمام إنّما يكون بالنصّ ولا مجال للرأي فيه.

كما أنّ الفقه والفرائض تكون بالسماع من المعصومين عليهم السلام.

عِنْدِكَ؟ فَقَالَ: مِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ عِنْدِي. فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: فَأَنْتَ إِذاً شَرِيكُ رَسُولِ اللَّهِ[٤] قَالَ: لَا، قَالَ: فَسَمِعْتَ الْوَحْيَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُخْبِرُكَ؟[٥] قَالَ: لَا، قَالَ فَتَجِبُ طَاعَتُكَ[٦] كَمَا تَجِبُ طَاعَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَا، فَالْتَفَتَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام إِلَيَّ فَقَالَ: يَا يُونُسَ بْنَ يَعْقُوبَ هَذَا قَدْ خَصَمَ نَفْسَهُ[٧] قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: يَا يُونُسُ لَوْ كُنْتَ

وفي الأُمور النقلية، لا يجوز الاجتهاد في قبال النص، بل يكون الاجتهاد لفهم النصّ كما هو من غير تحريف المعاني.

[٤] **(إذاً شريك رسول الله)**:

أي هل حقائق الإسلام قال بعضها الرسول ﷺ، وتقول أنت بعضها الآخر؟ فيكون للإسلام نبيّان!!

[٥] **(عزَّ وجلَّ يخبرك)**:

بأن تكون مستقلاً في النُّبوَّة، وفرق هذا عن سابقه أنَّ ذاك على الشراكة، وهذا على الاستقلال.

[٦] **(فتجب طاعتك)**:

أي هل فوَّض الله إليك، وأمضى كلّ ما تقوله، وحينئذٍ تجب طاعتك؟

أو بمعنى هل أوجب الله طاعتك حتَّى يجب علينا قبول كلامك في أمر الإمامة وغيرها؟

أو بمعنى هل أنت معصوم، حتَّى يكون كلامك كلّه حقّاً ـ وإن لم يكن مستنداً إلى الوحي؟

[٧] **(قد خصم نفسه)**:

لأنَّه اعترف بأنَّ كلامه لا يستند إلى أساس صحيح، فلا هو قد استند إلى الوحي، ولا الله تعالى أمضى كلامه وأمر باتّباعه، وكل أمر نقلي لا يستند إلى أحد هذين الأمرين فهو باطل.

و«خصمته» أي غلبته في الخصام والجدال، و«خصم نفسه» أي أتى بما يُبطل كلام نفسه.

تُحْسِنُ الْكَلَامَ كَلِّمْتَهُ، قَالَ يُونُسُ[٨]: فَيَا لَهَا مِنْ حَسْرَةٍ[٩]، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنِّي سَمِعْتُكَ تَنْهَى عَنِ الْكَلَامِ وَتَقُولُ: وَيْلٌ لِأَصْحَابِ الْكَلَامِ يَقُولُونَ: هَذَا يُنْقَادُ وَهَذَا لَا يُنْقَادُ[١٠]، وَهَذَا يُنْسَاقُ وَهَذَا لَا يُنْسَاقُ[١١]، وَهَذَا نَعْقِلُهُ وَهَذَا لَا نَعْقِلُهُ[١٢]، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّمَا قُلْتُ: فَوَيْلٌ لَهُمْ إِنْ تَرَكُوا

---

[٨] **(قال يونس):**

هذا من كلام الراوي عن يونس، وهي جملة معترضة، وكأنَّ يونس قالها حين روايته الحديث.

[٩] **(فيا لها من حسرة):**

حيث لم يكن يعرف طريقة الجدال، والمنادى محذوف، واللام في «لها» للتعجب، «من» زائدة، و«حسرة» تمييز الضمير، والمعنى: يا ناس اعجبوا لهذه القضية وهي الحسرة التي انتابتني بسبب عدم تمكّني من الجدال.

[١٠] **(هذا ينقاد وهذا لا ينقاد):**

لعلَّه إشارة إلى ما يُقال حين الجدال: «سلَّمنا هذا» و«لا نسلِّم ذلك».

[١١] **(وهذا ينساق وهذا لا ينساق):**

لعلَّه إشارة إلى قولهم «للخصم أن يقول كذا» فيسوق كلامه إليه، و«ليس للخصم أن يقول كذا» فلا يحقّ له أن يسوق كلامه إليه.

[١٢] **(وهذا لا نعقله):**

أي يتركون ما ثبت من النصوص إلى ما توهموه من آرائهم الضعيفة زاعمين أنَّها قواعد عقلية.

ثمَّ إنَّ الشرع لا يخالف العقل أصلاً، لكونهما حجَّتين لله تعالى، لكن من الباطل: الزعم بأنَّ الآراء الفاسدة والقواعد الباطلة هي من العقل، وما أكثر من ينمّق الكلام الخطابي أو الشعري ويجعله في صورة برهان، وما أكثر من يهتمّ بصورة القياس ويترك المادة.

مَا أَقُولُ وَذَهَبُوا إِلَى مَا يُرِيدُونَ[١٣].

ثُمَّ قَالَ لِي: اخْرُجْ إِلَى الْبَابِ فَانْظُرْ مَنْ تَرَى مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ فَأَدْخِلْهُ؟ قَالَ: فَأَدْخَلْتُ حُمْرَانَ بْنَ أَعْيَنَ[١٤] وَكَانَ يُحْسِنُ الْكَلَامَ، وَأَدْخَلْتُ الْأَحْوَلَ[١٥] ....

---

[١٣] (وذهبوا إلى ما يريدون):

أي تركوا محكمات الشرع والتجأوا إلى مموّهات الكلام نصرة لآرائهم المخالفة للشرع، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾(١)، وأصل الزخرف هو الزينة المزوّقة، وزخرف القول: أي الكلام الباطل المزيّن.

[١٤] (حمران بن أعين):

أخو زرارة، وفي رسالة أبي غالب الزراري: «كان حمران من أكبر مشايخ الشيعة المفضّلين الذين لا يشكّ فيهم وكان أحد حملة القرآن»(٢) وروى الكشي روايات مادحة له(٣).

[١٥] (أدخلت الأحول):

هو محمد بن علي بن النعمان مؤمن الطاق، قال الشيخ الطوسي: «كان ثقة، متكلماً، حاذقاً، حاضر الجواب»(٤)، وعن الإمام الصادق عليه السلام: أربعة أحبّ الناس إليّ أحياءً وأمواتاً: بريد العجلي، وزرارة بن أعين، ومحمد بن مسلم، والأحول، أحبّ الناس أحياءً وأمواتاً»(٥).

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١١٢.

(٢) رسالة أبي غالب الزراري: ص١١٣.

(٣) رجال الكشي: ص١٧٦ ـ ١٨١.

(٤) فهرست الشيخ الطوسي: الرقم ٥٩٤، ص٣٠٧.

(٥) البحار: ج٤٧، ص٣٤٠، عن كمال الدين وروى الكشي هذا المضمون أيضاً.

وَكَانَ يُحْسِنُ الْكَلَامَ، وَأَدْخَلْتُ هِشَامَ بْنَ سَالِمٍ[١٦] وَكَانَ يُحْسِنُ الْكَلَامَ، وَأَدْخَلْتُ قَيْسَ بْنَ الْمَاصِرِ[١٧] وَكَانَ عِنْدِي أَحْسَنَهُمْ كَلاماً، وَكَانَ قَدْ تَعَلَّمَ الْكَلَامَ مِنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِنَا الْمَجْلِسُ[١٨] ـ وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَبْلَ الْحَجِّ يَسْتَقِرُّ أَيَّاماً فِي جَبَلٍ فِي طَرَفِ الْحَرَمِ[١٩] فِي فَازَةٍ لَهُ مَضْرُوبَةٍ[٢٠] ـ قَالَ: فَأَخْرَجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام رَأْسَهُ مِنْ فَازَتِهِ فَإِذَا هُوَ

---

[١٦] **(هشام بن سالم):**

الجواليقي، قال النجاشي: «ثقة ثقة»(١) وقد مرَّ الكلام في تنزيهه عن التجسيم ونحوه.

[١٧] **(قيس بن الماصر):**

لم نجد له ذكراً إلَّا في هذا الحديث، ولعلَّه بسبب عدم وجود كتاب له، فإنَّ من لا كتاب له يندثر علمه بمرور الزمان.

[١٨] **(استقرّ بنا المجلس):**

أي كنَّا لا ننتظر أحداً أو أمراً، فإنَّه مع الانتظار لا استقرار للمجلس، وهذا من المجاز في الإسناد، لأنَّ المستقر هو الإنسان لا المجلس.

[١٩] **(في طرف الحرم):**

لعلَّه ليسهل وصول الناس إليه، فإنَّ كثيراً من أصحابه لم يكونوا يتمكنون لقاءه إلَّا في الحج، حيث يكون السفر إلى مكَّة طبيعياً، واللقاء بالإمام ـ في ذلك الازدحام ـ بعيداً عن أعين الرقباء والجواسيس، والاستقرار في خيمة في طرف الحرم يجعل الوصول إليه أسهل، وقد عُدَّ في بعض الأحاديث أنَّ من فوائد الحجّ لقاء الأئمَّة عليهم السلام(٢).

[٢٠] **(فازة له مضروبة):**

الفازة: الخيمة الصغيرة، أو مظلَّة بعمودين.

---

(١) رجال النجاشي: الرقم ١١٦٦، ص٤٣٤.

(٢) الوسائل: ج١٤، ص٣٢٤ فما بعد.

بِبَعِيرٍ يَخُبُّ[٢١]، فَقَالَ: هِشَامٌ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: فَظَنَنَّا أَنَّ هِشَاماً رَجُلٌ مِنْ وُلْدِ عَقِيلٍ كَانَ شَدِيدَ الْمَحَبَّةِ لَهُ.

قَالَ: فَوَرَدَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ وَهُوَ أَوَّلُ مَا اخْتَطَّتْ لِحْيَتُهُ، وَلَيْسَ فِينَا إِلَّا مَنْ هُوَ أَكْبَرُ سِنّاً مِنْهُ، قَالَ: فَوَسَّعَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَقَالَ: نَاصِرُنَا بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا حُمْرَانُ كَلِّمِ الرَّجُلَ فَكَلَّمَهُ فَظَهَرَ عَلَيْهِ حُمْرَانُ، ثُمَّ قَالَ: يَا طَاقِيُّ كَلِّمْهُ فَكَلَّمَهُ فَظَهَرَ عَلَيْهِ الْأَحْوَلُ، ثُمَّ قَالَ: يَا هِشَامَ بْنَ سَالِمٍ كَلِّمْهُ فَتَعَارَفَا[٢٢]، ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام لِقَيْسٍ الْمَاصِرِ: كَلِّمْهُ فَكَلَّمَهُ، فَأَقْبَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَضْحَكُ مِنْ كَلَامِهِمَا مِمَّا قَدْ أَصَابَ الشَّامِيَّ[٢٣].

فَقَالَ لِلشَّامِيِّ: كَلِّمْ هَذَا الْغُلَامَ ـ يَعْنِي هِشَامَ بْنَ الْحَكَمِ ـ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لِهِشَامٍ: يَا غُلَامُ سَلْنِي فِي إِمَامَةِ هَذَا، فَغَضِبَ هِشَامٌ حَتَّى ارْتَعَدَ[٢٤]، ....

[٢١] **(بعير يخبّ)**:
«الخبب» طريقة في العَدْو ـ أي الركض ـ ولعلّه يشتمل على مَيَلان شديد يمنة ويسرة.

[٢٢] **(كلّمه فتعارفا)**:
أي تكلّما بكلام مقبول لدى الطرفين، بمعنى أنّه لم يحدث بينهم جدال، لأنّ ما دار بينهما كان من الأمور المتفق عليها، وفي بعض النسخ «فتعاركا» أي لم يغلب أحدهما الآخر.

[٢٣] **(ممّا قد أصاب الشامي)**:
الظاهر أنّ المراد: ما أصابه من العناء والانكسار.

[٢٤] **(حتّى ارتعد)**:
كأنّه أساء الأدب بأن استهزأ بهشام مستصغراً له، أو أساء الأدب بالنسبة

ثُمَّ قَالَ لِلشَّامِيِّ: يَا هَذَا أَرَبُّكَ أَنْظَرُ لِخَلْقِهِ[٢٥] أَمْ خَلْقُهُ لِأَنْفُسِهِمْ؟ فَقَالَ الشَّامِيُّ: بَلْ رَبِّي أَنْظَرُ لِخَلْقِهِ، قَالَ: فَفَعَلَ بِنَظَرِهِ لَهُمْ مَاذَا؟ قَالَ: أَقَامَ لَهُمْ حُجَّةً وَدَلِيلاً كَيْلَا يَتَشَتَّتُوا أَوْ يَخْتَلِفُوا[٢٦]، يَتَأَلَّفُهُمْ وَيُقِيمُ أَوَدَهُمْ وَيُخْبِرُهُمْ بِفَرْضِ رَبِّهِمْ[٢٧]، قَالَ: فَمَنْ هُوَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ هِشَامٌ: فَبَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، قَالَ هِشَامٌ: فَهَلْ نَفَعَنَا الْيَوْمَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فِي رَفْعِ الِاخْتِلَافِ عَنَّا؟[٢٨] قَالَ الشَّامِيُّ: نَعَمْ، قَالَ: فَلِمَ اخْتَلَفْنَا أَنَا

إلى الإمام عليه السلام، و«الرعدة» الرجفة قد يكون منشؤها الخوف أو الغضب أو البرد.

[٢٥] (أربّك أنظر بخلقه):

النظر هنا بمعنى الإحسان والرحمة، يُقال: «نظر إليه نظرة رحيمة»، أي أحسن إليه.

[٢٦] (يتشتّتوا أو يختلفوا...):

«التشتُّت»: افتراق النظام، ويُقابله «إقامة الأود» أي إزالة الاعوجاج بإيجاد نظام مستقيم، و«الاختلاف»: التنازع، ويُقابله «الائتلاف» أي إيجاد المحبّة في قلوبهم.

[٢٧] (يخبرهم بفرض ربّهم):

هذا الإخبار هو سبب تأليف القلوب وإقامة الأود، فيكون من ذكر السبب بعد ذكر المسبَّب.

أو التأليف وإقامة الأود يرتبط بفعل الحجّة، والفرائض مرتبطة بفعلهم.

[٢٨] (في رفع الاختلاف عنّا):

المراد أنّ تحكيم الكتاب والسُّنّة وقبول حكمهما لا يرفع الاختلاف، أمّا الكتاب فلاحتياجه إلى التفسير، مع وجود المتشابه والناسخ والخاصّ والمقيّد ونحوها فيه، وبعض آياته يمكن تفسيرها بوجوه مختلفة، وأمّا السُّنّة فكذلك مضافاً إلى كثرة الموضوعات التي افتُربت على رسول الله ﷺ.

وَأَنْتَ وَصِرْتَ إِلَيْنَا مِنَ الشَّامِ فِي مُخَالَفَتِنَا إِيَّاكَ؟[٢٩] قَالَ: فَسَكَتَ الشَّامِيُّ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام لِلشَّامِيِّ: مَا لَكَ لَا تَتَكَلَّمُ؟ قَالَ الشَّامِيُّ: إِنْ قُلْتُ: لَمْ نَخْتَلِفْ كَذَبْتُ، وَإِنْ قُلْتُ: إِنَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ يَرْفَعَانِ عَنَّا الِاخْتِلَافَ أَبْطَلْتُ لِأَنَّهُمَا يَحْتَمِلَانِ الْوُجُوهَ[٣٠]. وَإِنْ قُلْتُ: قَدِ اخْتَلَفْنَا وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا يَدَّعِي الْحَقَّ فَلَمْ يَنْفَعْنَا إِذَنِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ. إِلَّا أَنَّ لِي عَلَيْهِ هَذِهِ الْحُجَّةَ[٣١]، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: سَلْهُ تَجِدْهُ مَلِيّاً[٣٢].

أمّا النبيّ والإمام فإنَّ تحكيمه والقبول بحكمه يرفع الاختلاف كاملاً، فإن لم يرجع الناس إليهم، فهذا لضلالهم وعتوهم، وتكون لله الحجّة البالغة عليهم، لأنّه نصب طريقاً يرفع خلافهم لكنّهم لم ينصاعوا له.

إن قلت: وماذا عن عهد الغيبة الكبرى؟

قلت: غيبة الإمام بسبب الناس أنفسهم، ولذا قيل: (وجوده لطف، وتصرُّفه لطف آخر، وغيبته منّا).

[٢٩] **(في مخالفتنا إيّاك)**:

أي قصدتنا لتجادلنا بسبب أنّا نخالفك في المعتقد!!

[٣٠] **(يحتملان الوجوه)**:

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (فإنَّ القرآن حمّال ذو وجوه تقول ويقولون)(١).

[٣١] **(أنَّ لي عليه هذه الحجّة)**:

أي نفس هذا الإشكال يرد على هشام أيضاً، والجواب النقضي، يسكت الخصم ـ مع أنّه لا يرفع الإشكال بل يزيده ـ.

[٣٢] **(تجده مليّاً)**:

أي مليئاً بالعلم، قادراً على الجواب.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم: ٧٧.

فَقَالَ الشَّامِيُّ: يَا هَذَا مَنْ أَنْظَرُ لِلْخَلْقِ أَرَبُّهُمْ أَوْ أَنْفُسُهُمْ؟ فَقَالَ هِشَامٌ: رَبُّهُمْ أَنْظَرُ لَهُمْ مِنْهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ الشَّامِيُّ: فَهَلْ أَقَامَ لَهُمْ مَنْ يَجْمَعُ لَهُمْ كَلِمَتَهُمْ وَيُقِيمُ أَوَدَهُمْ وَيُخْبِرُهُمْ بِحَقِّهِمْ مِنْ بَاطِلِهِمْ؟ قَالَ هِشَامٌ: فِي وَقْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوِ السَّاعَةِ؟ قَالَ الشَّامِيُّ: فِي وَقْتِ رَسُولِ اللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَالسَّاعَةِ مَنْ؟ فَقَالَ هِشَامٌ: هَذَا الْقَاعِدُ الَّذِي تُشَدُّ إِلَيْهِ الرِّحَالُ[٣٣]، وَيُخْبِرُنَا بِأَخْبَارِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وِرَاثَةً عَنْ أَبٍ عَنْ جَدٍّ[٣٤]، قَالَ الشَّامِيُّ: فَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ ذَلِكَ؟ قَالَ هِشَامٌ: سَلْهُ عَمَّا بَدَا لَكَ، قَالَ الشَّامِيُّ: قَطَعْتَ عُذْرِي[٣٥] فَعَلَيَّ السُّؤَالُ.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا شَامِيُّ! أُخْبِرُكَ كَيْفَ كَانَ سَفَرُكَ؟ وَكَيْفَ كَانَ طَرِيقُكَ؟ كَانَ كَذَا وَكَذَا، فَأَقْبَلَ الشَّامِيُّ يَقُولُ: صَدَقْتَ أَسْلَمْتُ لِلَّهِ السَّاعَةَ[٣٦]،

---

[٣٣] (تشدُّ إليه الرحال):
و«الرحل» ما يوضع على البعير للركوب عليه أو ليحمله، والمراد: أنَّه يقصده الناس ويسافرون إليه.

[٣٤] (وراثة عن أب عن جدّ):
أي لا يقول شيئاً من نفسه، بل كلّ علمه مأخوذ عن آبائه عليهم السلام عن جدّهم رسول الله ﷺ.

[٣٥] (قطعت عذري):
أي لا عذر لي في عدم سؤاله، بعد أن جعلت جوابه عن أسئلتي دليلاً على إمامته، أو المعنى أنَّه لا عذر لي في استمرار النقاش معك بعد أن جعلت الدليل سؤال غيرك.

[٣٦] (أسلمت لله الساعة):
لأنَّ الإمام عليه السلام أخبره عن الغيب ممَّا لا يمكن أن يطلع عليه إلَّا الله تعالى أو من علَّمه الله.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: بَلْ آمَنْتَ بِاللَّهِ السَّاعَةَ، إِنَّ الْإِسْلَامَ قَبْلَ الْإِيمَانِ، وَعَلَيْهِ يَتَوَارَثُونَ وَيَتَنَاكَحُونَ[٣٧]، وَالْإِيمَانُ عَلَيْهِ يُثَابُونَ[٣٨]، فَقَالَ الشَّامِيُّ: صَدَقْتَ، فَأَنَا السَّاعَةَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَأَنَّكَ وَصِيُّ الْأَوْصِيَاءِ.

---

[٣٧] (يتوارثون ويتناكحون):

أي يترتَّب على الإسلام أُمور دنيوية، وأهمها: الإرث والنكاح، فإنَّ الكافر لا يرث المسلم، أمَّا المسلمون فإنَّ كلّ واحد منهما يرث الآخر، وكذا لا يجوز نكاح المسلمة بالكافر، أمَّا المسلمة والمسلم فإنَّه ينكح كلّ واحد منهما الآخر.

وإنَّما جاء بوزن (التفاعل) للدلالة على أنَّ الإسلام يوجب الإرث والنكاح من الطرفين، ولكنّ كفر أحدهما لا يوجب ذلك بين الطرفين، بل قد يكون من طرف واحد كإرث المسلم من الكافر دون العكس، وكنكاح المسلم من الكتابية دون العكس.

[٣٨] (عليه يُثابون):

أي الثواب الأخروي، والمراد به الجنَّة، فإنَّها خاصة بالمؤمنين لا يدخلها من لم يكن مؤمناً.

وفي المرآة(١): (ويدلُّ ـ أي هذا الحديث ـ على أنَّ الإسلام هو الاعتقاد بالتوحيد والرسالة والمعاد وما يلزمها سوى الإمامة، والإيمان هو الاعتقاد القلبي بجميع العقائد الحقّة التي عمدتها الإقرار بالأئمَّة الحق عليهم السلام، ويدلُّ على أنَّ الأحكام الدنيوية تترتَّب على الإسلام، وأمَّا الثواب الأخروي فلا يكون إلَّا بالإيمان، فالمخالفون لا يدخلون الجنَّة أبداً، وعلى أنَّه يجوز نكاح المخالفين وإنكاحهم، ويكون التوارث بينهم وبين المؤمنين، وعلى عدم دخول الأعمال في الإيمان...).

---

(١) المرآة: ج٢، ص٢٧٤.

ثُمَّ الْتَفَتَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام إِلَى حُمْرَانَ، فَقَالَ: تُجْرِي الْكَلَامَ عَلَى الْأَثَرِ فَتُصِيبُ[٣٩]؛ وَالْتَفَتَ إِلَى هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، فَقَالَ: تُرِيدُ الْأَثَرَ وَلَا تَعْرِفُهُ[٤٠]، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْأَحْوَلِ، فَقَالَ: قَيَّاسٌ رَوَّاغٌ[٤١]، تَكْسِرُ بَاطِلاً بِبَاطِلٍ[٤٢] ....

قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾(١).

[٣٩] **(تجري الكلام على الأثر فتصيب):**

أي كلامك يكون تابعاً للآثار الواصلة عن الرسول صلى الله عليه وآله فتصيب ذلك الأثر، أو تصيب في الاحتجاج بحيث لا يبقى جواب للخصم، أو المعنى: تجري على أثر الخصم فتلزمه بكلامه.

[٤٠] **(تريد الأثر ولا تعرفه):**

«الأثر» عن الرسول صلى الله عليه وآله، أو أثر الخصم فلا تعرف كيفية إلزامه بما يقول.

[٤١] **(قياس رواغ):**

أي تقيس بعض الأُمور ببعضها لإلزام الخصم، أي تأخذه بما يقبله فتجري القياس بما لا يعترف به، وهذا نظير الجواب النقضي.

«روّاغ» من الرَّوْغ وهو الميل على سبيل الاحتيال، والروّاغ الذي يُكثر من الميل نحو الشخص لأمر يريده منه بالاحتيال، والمراد أنّه يجرُّ الخصم إلى كلام يكون حجّة عليه.

[٤٢] **(تكسر باطلاً بباطل):**

كمن يحتجّ بمعتقدات وكتب الخصم، لبيان بطلان أمر يعتقد به، كمسلم يحتجّ على اليهودي بما في التوراة ـ المحرّفة ـ لإبطال باطل يقوله اليهود ـ مثلاً ـ.

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٤.

إِلَّا أَنَّ بَاطِلَكَ أَظْهَرُ[٤٣]، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى قَيْسٍ الْمَاصِرِ، فَقَالَ: تَتَكَلَّمُ وَأَقْرَبُ مَا تَكُونُ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبْعَدُ مَا تَكُونُ مِنْهُ[٤٤]، تَمْزُجُ الْحَقَّ مَعَ الْبَاطِلِ[٤٥]، وَقَلِيلُ الْحَقِّ يَكْفِي عَنْ كَثِيرِ الْبَاطِلِ[٤٦]، أَنْتَ وَالْأَحْوَلُ قَفَّازَانِ حَاذِقَانِ[٤٧]، قَالَ يُونُسُ: فَظَنَنْتُ وَاللَّهِ أَنَّهُ يَقُولُ لِهِشَامٍ

---

[٤٣] **(إلّا أنَّ باطلك أظهر):**

أي إذا أردت إلزام الخصم بأمر، فإنَّك تستدلّ بباطل يعتقد به الخصم ولا يتمكَّن من إنكاره، فتبطل الباطل الأخفى، بالباطل الأجلى، كمن يبطل تثليث النصارى بما ورد في الإنجيل ـ المحرَّف ـ مثلاً.

[٤٤] **(أبعد ما تكون منه):**

لعلَّ المعنى أنَّك تستشهد بحديث نبوي ويمكنك أن تلزم الخصم، لكنَّك تُشتّت الموضوع، وتنتقل إلى دليل آخر.

أو المعنى أنَّك بعيد جداً عن الأحاديث النبوية، ولا تعرف الاستدلال بها، فحين تظنُّ أنَّك قريب من الحديث، فإنَّك بعيد عنه جداً.

[٤٥] **(تمزج الحق مع الباطل):**

وهذا سبب عدم تمكُّنك من الغلبة على الخصم، لأنَّه لا يمكن الغلبة بالباطل.

[٤٦] **(قليل الحق يكفي عن كثير الباطل):**

لأنَّ الباطل زهوق، ولئن لم يتمكَّن الخصم من الجواب في المجلس وبالبديهية، لكنَّه قد يتمكَّن من ردّ الباطل بعد التفكُّر والتأمُّل، فيكون أدعى لبقائه على باطله.

أمَّا الحقّ فإنَّه لا يمكن دفعه ويعرفه العقل، ولئن لم يُعرف الحقّ فوراً فإنَّه سيظهر ولو بعد حين.

[٤٧] **(قفازان حاذقان):**

«قفَّاز» من القفز، والمعنى هو الانتقال من موضوع إلى موضوع آخر، أو الانتقال من كلام الخصم إلى لوازم كلامه للاحتجاج عليه، و«الحاذق»: الماهر، ولعلَّ المراد سريع البديهة.

قَرِيباً مِمَّا قَالَ لَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: يَا هِشَامُ لَا تَكَادُ تَقَعُ[٤٨]، تَلْوِي رِجْلَيْكَ[٤٩]، إِذَا هَمَمْتَ بِالْأَرْضِ طِرْتَ[٥٠]، مِثْلُكَ فَلْيُكَلِّمِ النَّاسَ، فَاتَّقِ الزَّلَّةَ[٥١] وَالشَّفَاعَةُ مِنْ وَرَائِهَا[٥٢] إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

---

[٤٨] **(لا تكاد تقع):**

أي لا توجد لك زلَّة في الكلام.

[٤٩] **(تلوي رجليك):**

لعلَّ المقصود أنَّه يجمع كلامه بكيفية يطير معها، كما أنَّ الطير يجمع رجليه حين الطيران، فقوله: (إذا هممت. . .إلخ) جملة مستأنفة.

[٥٠] **(إذا هممت بالأرض طرت):**

لعلَّ المقصود أنَّه حينما يزعم الخصم أنَّه أوشك أن يلزمك ويوقع بك، فإنَّك تطير في كلامك فتغلبه كما أنَّ الطائر في طيرانه قد يقترب من الأرض لكن لا للسقوط بل للصيد أو لالتقاط حبّ ثم يرتفع مجدداً.

[٥١] **(فاتق الزلَّة):**

لعلَّ المقصود أنَّ مدحي إيَّاك لا يغرنَّك، بل عليك أن تستعمل منطقك دائماً بالطريق الأمثل، وفكِّر لكي لا تزلّ.

[٥٢] **(والشفاعة من ورائها):**

لعلَّ المقصود أنَّ الإنسان بعمله ـ مهما كان عظيماً ـ لا يستغني عن الشفاعة أصلاً، بل يحتاج إليها لينال الدرجات العلى.

وقيل: هذا المقطع إشارة إلى زلَّة وقع فيها هشام في حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، لكن بما أنَّ تلك الزلَّة كانت بحسن نيَّة وبقصد خدمة الدِّين، فإنَّ الشفاعة تناله لمحوها وغفرانها(١).

ثمَّ لا يخفى أنَّ غرض الإمام عليه السلام هو تعليم هؤلاء كيفية المناظرة والنقاش، فتقييمه عليه السلام لأدائهم لم يكن بغرض التنقيص منهم بل بغرض

---

(١) للتفصيل راجع مرآة العقول: ج٢، ص٢٧٧، فإنَّه روى الخبر عن رجال الكشي.

٥ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ أَبَانٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي الْأَحْوَلُ[١] أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام

التعليم، وحاصل ما استفدناه أنَّه ينبغي في النقاش عدَّة أُمور:

١ ـ إصابة الأثر عن الرسول ﷺ والاستدلال بكلامه، ومعرفة الآثار وتعلُّمها.

٢ ـ تعلُّم الجواب النقضي وإلزام الخصم بما يعتقد به عبر قياس ما يعتقد به بما يقوله، وكما قال: (قياس).

٣ ـ الإيقاع بالخصم وجرّه ليعترف ببعض الأُمور ثمَّ إلزامه بها كما قال: (رواغ).

٤ ـ كسر الباطل بباطل يعتقد به الخصم، لإحقاق الحقّ.

٥ ـ عدم خلط الحقّ بالباطل، بل الاقتصار على الحقّ وإن كان قليلاً.

٦ ـ الانتقال من كلام الخصم إلى لوازم كلامه، وتكثير الأدلَّة عليه كما قال: (قفازان).

٧ ـ التمرُّن على الجدال بالتي هي أحسن، وتمرين سرعة البديهة كما قال: (حاذقان).

٨ ـ جمع الكلام وعدم تشتيته كما قال: (تلوي رجليك).

٩ ـ عدم الخوف من الاقتراب إلى كلام الخصم، بل التماشي معه لإلزامه كما قال: (إذا هممت بالأرض...) إلخ.

١٠ ـ الحرص على عدم الوقوع في الزلَّة وذلك عبر الدقَّة في الكلام والقول بعد الفكر.

وما ذكرناه إنَّما هو على سبيل الاحتمال في بعض الفقرات والله العالم.

الحديث الخامس:

[١] **(أخبرني الأحول):**

حاصل ما يُستفاد من هذا الحديث ـ بضميمة أحاديث أُخرى سنشير إليها ـ:

أنَّ زيد بن علي رضي الله عنه كان مأذوناً في الجهاد، وكان يدعو إلى الرِّضا من

بَعَثَ إِلَيْهِ ـ وَهُوَ مُسْتَخْفٍ[٢] ـ قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ لِي: يَا أَبَا جَعْفَرٍ مَا تَقُولُ إِنْ طَرَقَكَ طَارِقٌ[٣] مِنَّا أَتَخْرُجُ مَعَهُ؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنْ كَانَ أَبَاكَ أَوْ أَخَاكَ[٤]، خَرَجْتُ مَعَهُ، قَالَ: فَقَالَ لِي: فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَخْرُجَ أُجَاهِدُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَاخْرُجْ مَعِي، قَالَ: قُلْتُ: لَا، مَا أَفْعَلُ جُعِلْتُ فِدَاكَ، قَالَ: فَقَالَ لِي: أَتَرْغَبُ بِنَفْسِكَ عَنِّي؟[٥] ....

آل محمد ﷺ، ولو ظفر لوفى، لكن خواص أصحاب الإمام الصَّادق عليه السلام لم يكونوا مأذونين في الجهاد معه، ولذلك لم يشترك أحد منهم، ولعلَّه لأجل دفع المكروه عن الإمام الصَّادق عليه السلام ولكي لا يتبيَّن إذن الإمام عليه السلام، وادخاراً لهم لنشر العلوم وفقه آل محمَّد ﷺ في فرصة زوال حكم بني أُميَّة وعدم استقرار حكم بني العبَّاس.

[٢] **(وهو مستخف)**:

أي متخفٌ، حين كان يجمع العدد والعُدَّة للجهاد.

[٣] **(طرقك طارق)**:

أصل الطرق: الضرب، ومنه سُمِّي الطريق طريقاً لضربه بالأرجل، ثمَّ استُعمل في الطارق في اللَّيل، أي الداخل فيه، كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾(١) والمعنى أن جاءك باللَّيل متخفياً خوفاً من الظلمة، بغرض إعانته والقيام معه بالجهاد.

[٤] **(أباك أو أخاك)**:

أي إماماً مفترض الطاعة، ولا يخفى أنَّ إرادته للخروج كانت في زمان الإمام الصَّادق عليه السلام وهو ابن أخي زيد، ولعلَّ الأحول لم يذكره تأدُّباً مع زيد حيث إنَّه عمّه وأكبر منه سنّاً، وإنَّما أراد ذكر القاعدة وهي خروج إمام مفترض الطاعة.

[٥] **(أترغب بنفسك عنِّي)**:

أي هل ترغب عنِّي ـ وعن الجهاد معي ـ بسبب نفسك أي لأجل حبها؟

---

(١) سورة الطارق: الآيات ١ ـ ٣.

قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّمَا هِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ[٦]، فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ حُجَّةٌ فَالْمُتَخَلِّفُ عَنْكَ نَاجٍ[٧] وَالْخَارِجُ مَعَكَ هَالِكٌ[٨] وَإِنْ لَا تَكُنْ لِلَّهِ حُجَّةٌ فِي

فالباء للسببية، أو أنّها للمقابلة فالمعنى هل ترغب عنّي بدلاً من رغبتك عن نفسك.

[٦] **(إنّما هي نفس واحدة):**

المقصود هو أنَّ النفس ليست متعددة حتى إذا أخطأ مرّة بذهاب نفسه، يمكنه تدارك الخطأ بنفس ثانية، بل النفس واحدة، فإن أخطأ فقد يجلب العذاب الأبدي عليها.

ثمَّ ذكر مؤمن الطاق أنَّ الأمر بالنسبة لي دائر بين الهلاك وبين عدم الهلاك، فاللازم عليَّ الاحتياط بعدم الخروج معك، فإن كانت لله حجّة ولم تأذن لي في الخروج معك فإنَّ في خروجي هلاك نفسي.

وإن لم تكن لله حجّة فلا أهلك سواء خرجت معك أم لم أخرج.

ونحن حيث نعتقد بوجود الحجّة ـ وهو الإمام الصّادق عليه السلام ـ ولم يأذن لنا في الخروج معك، فيكون في الخروج الهلاك.

وحتّى لو لم نعتقد بوجود حجّة، فلا فرق في الخروج معك أو عدم الخروج فلماذا أهلك نفسي.

وفي صورة الشكّ فإنَّ العقل يحكم بالاحتياط.

ولعلَّ استدلال مؤمن الطاق، استدلال عقلي، ويعبّر عنه بـ (الدوران بين التعيين والتخيير)، فإنّه يجب الاحتياط ـ إن لم يدلُّ دليل على البراءة ـ.

[٧] **(فالمتخلف عنك ناج):**

لالتزامه بالحجّة.

[٨] **(الخارج معك هالك):**

لأنَّ خروجه بلا استئذان من الحجّة.

ولا يخفى أنَّ كل خارج يحتاج إلى إذن، إمّا إذن عام للجميع، وإمّا خاصّ به فلا يشمل غيره.

الْأَرْضِ فَالْمُتَخَلِّفُ عَنْكَ وَالْخَارِجُ مَعَكَ سَوَاءٌ[٩].

قَالَ: فَقَالَ لِي: يَا أَبَا جَعْفَرٍ[١٠]: كُنْتُ أَجْلِسُ مَعَ أَبِي عَلَى الْخِوَانِ[١١] فَيُلْقِمُنِي الْبَضْعَةَ[١٢] السَّمِينَةَ وَيُبَرِّدُ لِيَ اللُّقْمَةَ الْحَارَّةَ حَتَّى تَبْرُدَ،

وزيد بن علي رضوان الله عليه كان خروجه بإذن خاصّ ـ كما يظهر من الأخبار وسنذكر بعضها ـ فكان في خروجه رضى الله تعالى، ولم يكن هناك إذن لمثل مؤمن الطاق فخروجه كان فيه الهلاك.

[٩] **(والخارج معك سواء):**

حيث لا يوجد دليل قاطع، فالأمر موكول إلى تشخيص الأفراد، فمن شخَّص لزوم الخروج كان معذوراً، ومن شخَّص عدم الخروج كان معذوراً.

[١٠] **(قال: فقال لي: يا أبا جعفر):**

حاصل كلامه هو الإعراض عن المناقشة في دليل مؤمن الطاق، حيث إنَّ دليله صحيح، لذا استدلّ زيد بدليل آخر على أنَّ الخروج جائز لا مانع عنه، بل مأذون فيه، وحاصل دليله هو أنَّ خروج زيد بن علي (رضوان الله عليه) إن كان محرماً لكان الإمام زين العابدين عليه السلام يخبره به، وينهاه عنه، شفقة له، فقد كانت هذه الشفقة في الأُمور اليسيرة كالطعام الحار ونحوه فكيف لا يشفق عليه من نار جهنَّم.
إذن، فإنَّ خروجه مشروع، ومأذون فيه!!

[١١] **(على الخوان):**

الخِوان ـ بالكسر ـ سفرة الطعام وهي معرَّبة، وأصلها ـ قراءة ـ: خان، لكن لما كان من رسم الخط الفارسي كتابة الخاء التي بعدها ألف ـ أحياناً ـ بـ «خوا» لذا تلفظها العرب بالخِوان. أو إنَّ إضافة الواو وكسر الخاء كان لأجل التعريب، كدأبهم في تغيير الكلمات حينما يعرِّبوها.

[١٢] **(البضعة):**

بفتح الباء، ويجوز فيها الكسر، وهي القصعة من اللحم.

شَفَقَةً عَلَيَّ[١٣]، وَلَمْ يُشْفِقْ عَلَيَّ مِنْ حَرِّ النَّارِ، إِذاً أَخْبَرَكَ بِالدِّينِ وَلَمْ يُخْبِرْنِي بِهِ؟[١٤] فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ مِنْ شَفَقَتِهِ عَلَيْكَ مِنْ حَرِّ النَّارِ لَمْ يُخْبِرْكَ، خَافَ عَلَيْكَ أَنْ لَا تَقْبَلَهُ فَتَدْخُلَ النَّارَ[١٥]، وَأَخْبَرَنِي أَنَا، فَإِنْ قَبِلْتُ نَجَوْتُ، وَإِنْ لَمْ أَقْبَلْ لَمْ يُبَالِ أَنْ أَدْخُلَ النَّارَ. ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ[١٦] ....

---

[١٣] **(شفقة عليَّ):**

«الشفقة»: الخوف الناشىء عن الحب، كخوف الأُمّ على أبنائها، وفي مفردات الراغب(١): فإذا عُدّي بـ(من) فمعنى الخوف أظهر، وإذا عُدِّي بـ(في) فمعنى العناية أظهر.

[١٤] **(ولم يخبرني به):**

لعلَّ زيداً رضوان الله عليه استشف من كلام مؤمن الطاق، أنَّ ما يقوله هو كلام مأخوذ عن الإمام زين العابدين عليه السلام ـ حيث كان من أصحابه أيضاً كما قال النجاشي في رجاله(٢) ـ، كما سيذكر مؤمن الطاق بما سمعه عن الإمام زين العابدين عليه السلام.

[١٥] **(فتدخل النار):**

لأنَّ مخالفة الإمام توجب استحقاق النار، وأما لو لم يسمع من الإمام شيئاً واجتهد ـ حتَّى إن أخطأ ـ فقد يكون معذوراً.

[١٦] **(ثمَّ قلت له: جعلت فداك):**

هذا استدلال على أنَّ الأنبياء قد يكتمون أمراً عن أبنائهم شفقة عليهم لئلا يخالفوا، وكذلك الأئمَّة يمكن أن يكتموا عن أبنائهم بعض الأُمور شفقة عليهم.

---

(١) مفردات الراغب: ص٤٥٩.

(٢) رجال النجاشي: الرقم ٨٨٦، ص٣٢٥.

أَنْتُمْ أَفْضَلُ[١٧] أَمِ الْأَنْبِيَاءُ؟ قَالَ: بَلِ الْأَنْبِيَاءُ. قُلْتُ: يَقُولُ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ [يُوسُف: ٥]، لِمَ لَمْ يُخْبِرْهُمْ؟ حَتَّى كَانُوا لَا يَكِيدُونَهُ[١٨] وَلَكِنْ كَتَمَهُمْ ذَلِكَ، فَكَذَا أَبُوكَ كَتَمَكَ لِأَنَّهُ خَافَ عَلَيْكَ، قَالَ: فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ[١٩] لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ لَقَدْ حَدَّثَنِي صَاحِبُكَ بِالْمَدِينَةِ[٢٠] أَنِّي أُقْتَلُ وَأُصْلَبُ بِالْكُنَاسَةِ وَإِنَّ عِنْدَهُ لَصَحِيفَةً فِيهَا قَتْلِي وَصَلْبِي.

---

[١٧] **(أنتم أفضل):**

المراد بـ«أنتم» أبناء الأئمّة، فلا يقصد أنتم بنو علي عليه السلام، لأنّه لا شكّ في أنّ الأئمة عليهم السلام أفضل من جميع الأنبياء ما عدا جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله فهو أفضل منهم أجمع.

[١٨] **(حتّى كانوا لا يكيدونه):**

الجملة سؤال وجواب، فالسؤال «لِمَ لَمْ يُخبرهم؟» والجواب «حتى كانوا لا يكيدونه» أي عدم إخباره إيّاهم لأجل أن لا يكيدوا بيوسف.

[١٩] **(قال: فقال: أما والله...):**

أي لما يئس زيد بن علي رضوان الله عليه من نصرة مؤمن الطاق أخبره بأنّ خروجه ليس لطلب الدُّنيا، فإنّه يعلم بأنّه مقتول لأنّ الإمام الصّادق عليه السلام أخبره بذلك، فليس خروجه إلّا لأجل طلب مرضاة الله وجهاد أعدائه إقامة للدِّين.

وفي كلامه إشعار بأنّه مأذون في الخروج.

[٢٠] **(صاحبك بالمدينة):**

أي الإمام الصّادق عليه السلام، لأنّ خروج زيد كان في عهده، كما أنّ الروايات الأُخرى دلّت على أنّ القائل هو الإمام الصادق عليه السلام.

فَحَجَجْتُ فَحَدَّثْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ بِمَقَالَةِ زَيْدٍ وَمَا قُلْتُ لَهُ، فَقَالَ لِي: أَخَذْتَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ[٢١] وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ وَمِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ، وَلَمْ تَتْرُكْ لَهُ مَسْلَكاً يَسْلُكُهُ.

---

[٢١] **(أخذته من بين يديه):**

أي لم تترك له طريقاً في الجواب، وتخلَّصت بنفسك عن اللحاق به.

ثمَّ اعلم أنَّ زيد بن علي بن الحسين ﷺ كان مرضياً محموداً كما دلَّت عليه الأحاديث، وقد عقد في الوافي باباً أسماه (باب أنَّ زيد بن علي مرضي)[١].

ومنها: روى الكليني رضوان الله عليه ـ بسند حسن كالصحيح ـ عن الإمام الصَّادق ﷺ أنَّه قال: (... فإنَّ زيداً كان عالماً، وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه، إنَّما دعاكم إلى الرِّضا من آل محمَّد، ولو ظهر في ظفر لوفىٰ بما دعاكم إليه...».

وروى الصدوق في العيون أنَّ الإمام الرِّضا ﷺ قال للمأمون: (... لا تقس أخي زيداً إلى زيد بن علي، فإنَّه كان من علماء آل محمَّد، غضب لله، فجاهد أعداءه حتَّى قتل في سبيله، ولقد حدَّثني أبي موسى بن جعفر، أنَّه سمع أباه جعفر بن محمَّد ﷺ يقول: «رحم الله عمِّي زيداً، إنَّه دعا إلى الرِّضا من آل محمَّد، ولو ظفر لوفى بما دعا إليه، ولقد استشارني في خروجه، فقلت له: يا عمي إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك»، فلمَّا ولَّى، قال جعفر بن محمَّد ﷺ: «ويل لمن سمع داعيته فلم يجبه»، فقال المأمون: يا أبا الحسن، أليس قد جاء فيمن ادَّعى الإمامة بغير حقها ما جاء؟ فقال الإمام الرِّضا ﷺ: «إنَّ زيد بن علي لم يَدَّعِ ما ليس له بحق، وإنَّه كان أتقى من ذلك، إنه قال: أدعوكم إلى الرِّضا من آل محمَّد، وإنَّما جاء ما جاء، فيمن يدَّعي أنَّ الله تعالى نصَّ عليه، ثم يدعو إلى غير دين الله، ويضلّ عن سبيله بغير

---

(١) الوافي: ج٢، ص٢٢٢ ـ ٢٢٨ وأيضاً راجع البحار: ج٤٦، ص١٧١ ـ ١٧٣ ـ ١٧٤ ـ ١٧٥.

علم، وكان زيد ـ والله ـ ممّن خُوطب بهذه الآية: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾(١).

وروى الصدوق في المجالس بإسناده عن الإمام الباقر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله للحسين عليه السلام: «يا حسين، يخرج من صلبك رجل يُقال له زيد، يتخطّى هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غرّاً محجلين، يدخلون الجنَّة بغير حساب».

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه قال حول زيد: «هذا سيِّد من أهل بيته، والطالب بأوتارهم، لقد أنجبت أُم ولدتك يا زيد».

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام: «مضى ـ والله ـ زيد عمِّي وأصحابه، شهداء مثل ما مضى عليه الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه».

وروى الصدوق أيضاً بإسناده عن عمرو بن خالد قال: قال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام: في كلّ زمان رجل منَّا أهل البيت، يحتجّ الله به على خلقه، وحجّة زماننا ابن أخي جعفر بن محمَّد عليه السلام، لا يضلّ من تبعه، ولا يهتدي من خالفه.

وروى في البحار روايات أخرى تدلّ على كونه مرضياً عنه.

منها: عن الإمام الباقر عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله للحسين: يا حسين يخرج من صلبك رجل يُقال له زيد، يتخطى هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غرّاً محجلين يدخلون الجنّة بلا حساب(٢).

ومنها: عن الإمام الصادق عليه السلام ـ لمّا بلغه خبر استشهاد زيد ـ: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، عند الله أحتسب عمّي، إنه كان نِعم العمّ، إنَّ عمّي كان رجلاً لدنيانا وآخرتنا، مضى والله عمّي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم(٣).

ولذلك ذهب أصحابنا إلى حُسن حال زيد بن علي رضوان الله عليه، قال

(١) سورة الحج: الآية ٧٨.

(٢) البحار: ج٤٦، ص١٧١ عن أمالي الصدوق.

(٣) المصدر نفسه: ص١٧٥ عن العيون.

العلّامة المجلسي رحمه الله: ثمَّ اعلم أنَّ الأخبار اختلفت في حال زيد ـ إلى أن قال ـ وأكثرها يدلّ على كونه مشكوراً، وأنه لم تدع الإمامة، وأنه كان قائلاً بإمامة الباقر والصادق عليهما السلام، وإنّما خرج لطلب ثأر الحسين عليه السلام، وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يدعو إلى الرضا من آل محمد، وأنه كان عازماً على أنه إن غلب فوّضه إلى أفضلهم وأعلمهم، وإليه ذهب أكثر أصحابنا، بل لم أر في كلامهم غيره، وقيل: إنه كان مأذوناً من قبل الإمام عليه السلام سرّاً، ويؤيّده ما استفيض من بكاء الصادق عليه، وترحّمه ودعائه له، ولو كان قتل على دعوى الإمامة لم يستحق ذلك(١).

(١) مرآة العقول: ج٤، ص١١٨.

بَابُ طَبَقَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَالْأَئِمَّةِ عليهم السلام

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي يَحْيَى الْوَاسِطِيِّ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ؛ وَدُرُسْتَ بْنِ أَبِي مَنْصُورٍ، عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ عَلَى أَرْبَعِ طَبَقَاتٍ[١]: فَنَبِيٌّ مُنَبَّأٌ فِي نَفْسِهِ

الحديث الأوّل:

[١] (على أربع طبقات):

فالأنبياء غير المرسلين طبقتان ـ أي صنفان ـ، والمرسلون صنفان، فالمجموع أربع، ونذكر شرح ما ذكره الإمام عليه السلام على سبيل الاحتمال:

١ ـ نبي لم يأمر بالتبليغ، وطريقة الوحي إليه بالإلهام.

٢ ـ نبي لم يأمر كذلك بالتبليغ، لكن طريقة الوحي إليه برؤية الملك في النوم وسماع صوته في اليقظة.

٣ ـ أمر بالتبليغ لطائفة من الناس، ولكنَّه مأموم لنبي فوقه وعليه أن يتبعه، وطريقة الوحي إليه أنَّه يرى الملك ويسمع صوته في النوم واليقظة.

٤ ـ إنَّه أمر بالتبليغ، وهو إمام على أنبياء آخرين، وطريقة الوحي إليه كالسابق.

فالفرق بين الطبقة الأولى والثانية في طريقة الوحي إليهم فقط.

والفرق بين الثالثة والرابعة في الإمامة فقط.

ثمَّ إنَّ طرق الوحي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾(١).

---

(١) سورة الشورى: الآية ٥١.

لَا يَعْدُو غَيْرَهَا[٢]، وَنَبِيٌّ يَرَى فِي النَّوْمِ[٣] وَيَسْمَعُ الصَّوْتَ وَلَا يُعَايِنُهُ فِي الْيَقَظَةِ[٤]، وَلَمْ يُبْعَثْ إِلَى أَحَدٍ وَعَلَيْهِ إِمَامٌ[٥]، ....

---

[٢] **(في نفسه لا يعدو غيرها):**

لعلَّ «في نفسه» إشارة إلى طريقة الوحي إليه وأنَّها بالإلهام والإلقاء في الروع بلا توسط ملك ـ لا في نوم ولا في يقظة ـ و«لا يعدو غيرها» بمعنى أنَّه لم يبعث على أحد أي لم يأمر بالتبليغ إلى أحد.

إن قلت: ما فائدة هذه النُّبوَّة.

قلت: وظائف النبي لا تنحصر في التبليغ، مضافاً إلى أنَّ وجود رجل صالح في مجتمع ـ حتَّى وإن كان صامتاً ـ يكون سبباً لانتشار الفضيلة بسبب حسن فعله وقوله وأخلاقه، أو يكون تمهيداً لرسول لاحق، أو لغير ذلك.

[٣] **(ونبي يرى في النوم):**

عن الشيخ المفيد في أوائل المقالات(١): منامات الرُّسل والأنبياء والأئمَّة عليهم السلام صادقة لا تكذب، وإنَّ الله تعالى عصمهم عن الأحلام، والحُلُم ـ بضمتين ـ المنامات غير الصادقة كقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٍ﴾(٢).

[٤] **(ولا يعاينه في اليقظة):**

لا يعاين الملك بهيئته الأصلية أو لا يراه حين الوحي إليه.

أمَّا رؤية المَلَك بغير الصورة الأصلية وفي غير الوحي فإنّما كانت ميسّرة لكثير من الناس، كهاروت وماروت اللذين نزلا في بابل بهيئة بشر، وكذلك روي أنَّ بعض المسلمين رأوا جبرائيل في هيئة دحية الكلبي(٣).

[٥] **(وعليه إمام):**

لعلَّ المراد أنَّه ليست له شريعة مستقلة به، بل تابع لشريعة نبي آخر، مثل الأنبياء بين موسى وعيسى عليهما السلام حيث كانوا على شريعة موسى عليه السلام.

---

(١) أوائل المقالات: ص٧٠.

(٢) سورة يوسف: الآية ٥٣.

(٣) الكافي: ج٢، ص٥٨٧ وأمالي الصدوق: ص٤٢٦، الحديث: ٥٦٢..

مِثْلُ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ[٦] **عَلَى لُوطٍ** عليه السلام، **وَنَبِيٌّ يَرَى فِي مَنَامِهِ وَيَسْمَعُ الصَّوْتَ وَيُعَايِنُ الْمَلَكَ، وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَى طَائِفَةٍ قَلُّوا**[٧] **أَوْ كَثُرُوا كَيُونُسَ، قَالَ اللَّهُ لِيُونُسَ:** ﴿وَأَرْسَلْنَهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[٨] [الصّافات: ١٤٧] **قَالَ: يَزِيدُونَ**

---

[٦] **(مثل ما كان إبراهيم):**

هذا ليس مثالاً للطبقة الثانية، فإنَّ إبراهيم عليه السلام من الطبقة الرابعة ولوط عليه السلام من الطبقة الثالثة حيث إنَّه مرسل كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾(١).

بل هذا مثال للإمامة، فإنَّ إبراهيم عليه السلام كان إماماً كما قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾(٢)، وإمامته كانت للناس كافَّة بِمَن فيهم لوط عليه السلام.

وإنَّما ذكر المثال هنا ولم يؤخره إلى الطبقة الثالثة أو الرابعة، تعجيلاً في توضيح معنى (الإمام)، بمثال قرآني.

[٧] **(إلى طائفة قلّوا):**

كآدم عليه السلام حيث أرسل إلى زوجته وبنيه.

[٨] **(مائة ألف أو يزيدون):**

«أو» هنا ليست للترديد، فإنَّه محال على الله تعالى، لأنّ الترديد منشأه الشك.

ثمَّ اختلف في معناها(٣)، فهي إمَّا بمعنى الواو، أو بمعنى «بل» للإضراب، أو للإبهام بأن لا يريد المتكلِّم بيان العدد بالدقَّة ـ مع علمه به ـ، أو للتخيير أي إذا رآهم الرائي تخيَّر بين أن يقول هم مائة ألف أو يقول هم أكثر، أي فالشك مصروف إلى الرائي، وأكثر هذه الاحتمالات تجري في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾(٤)، وقوله: ﴿فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾(٥).

---

(١) سورة الصافات: الآية ١٣٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

(٣) نقلناها من مغني اللبيب: ج١، ص٩١ ـ بتصرف ـ

(٤) سورة النحل: الآية ٧٧.

(٥) سورة البقرة: الآية ٧٤.

ثَلاثِينَ أَلْفاً وَعَلَيْهِ إِمَامٌ، وَالَّذِي يَرَى فِي نَوْمِهِ وَيَسْمَعُ الصَّوْتَ وَيُعَايِنُ فِي الْيَقَظَةِ وَهُوَ إِمَامٌ مِثْلُ أُولِي الْعَزْمِ[٩]. وَقَدْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام نَبِيّاً وَلَيْسَ بِإِمَامٍ[١٠] حَتَّى قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ

وقيل: كانوا في أوّل أمره مائة ألف ثمّ زادوا ـ بالتدريج ـ، فـ«أو» لبيان أنَّ المرسل إليهم على قسمين، ففي بعض الأوقات مائة ألف، وفي بعضها يزيدون(١).

[٩] **(مثل أولي العزم):**
قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾(٢) و«من» للتبعيض بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾(٣).
ثمَّ إنَّ «مثل» في قوله: (مثل أولي العزم) إمَّا للتقسيم، أي الرُّسل والأنبياء قد يكونون أولي العزم وقد لا يكونوا منهم، فذكر أولي العزم للمثال، أو أنَّ «مثل» للبيان أي الإمام في الأنبياء ينحصر في أولي العزم.
ثمَّ إنَّ أولي العزم خمسة ـ كما سيأتي في الحديث الثالث من هذا الباب ـ وإليهم يشير الله تعالى في القرآن: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾(٤).

[١٠] **(نبياً وليس بإمام):**
كما يظهر من قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾(٥)، وتلك الكلمات كانت بعد نبوّته كامتحانه بنار نمرود والهجرة وذبح إسماعيل على كبره، وقد ذكرنا بعض التفصيل في كتاب (التفكُّر في القرآن).

---

(١) نقله في المرآة: ج٣، ص٢٨٣ ـ بتصرف ـ
(٢) سورة الأحقاف: الآية ٣٥.
(٣) سورة طه: الآية ١١٥.
(٤) سورة الأحزاب: الآية ٧.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٢٤] **مَنْ عَبَدَ صَنَماً أَوْ وَثَناً لَا يَكُونُ إِمَاماً**[١١].

---

[١١] **(من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً)**:

لأنَّه شرك بالله تعالى، والشرك ظلم عظيم، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾(١).

دلَّت الآية على أنَّ الإمامة عهد من الله تعالى حيث قال: ﴿عَهۡدِي﴾ فلا تكون باختيار الناس.

كما دلَّت على لزوم عصمة الإمام، لأنَّ كل غير معصوم يمكن أن تصدر منه معصية فيكون إمَّا ظالماً لنفسه أو لغيره.

كما دلَّت على أنَّ الإمامة منصب عظيم فوق النُّبوَّة، فيلزم أن يتبوأها من لا يكون ظالماً طوال حياته، فمن كان مشركاً ولو في فترة حتَّى وإن تاب فإنَّه لا يستحقها.

قال الطبرسي في مجمع البيان: «فإن قيل: إنَّما نفى أن يناله في حال ظلمه، فإذا تاب فلا يُسمَّى ظالماً، فيصح أن يناله؟

فالجواب: إنَّ الظالم وإن تاب، فلا يخرج من أن تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالماً، فإذا نفى أن يناله فقد حكم بأنَّه لا ينالها، والآية مطلقة غير مقيَّدة بوقت دون وقت، فيجب أن تكون محمولة على الأوقات كلّها، فلا يناله الظالم وإن تاب فيها بعد»(٢) انتهى.

و«الصنم» و«الوثن» بمعنى واحد إلَّا أنَّ الصنم يُستعمل عادة لما له صورة، والوثن لما لا صورة له، ـ كذا قيل ـ.

---

(١) سورة لقمان: الآية ١٣.

(٢) مجمع البيان: ج١، ص٢٠١.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ زَيْدٍ الشَّحَّامِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْداً[١] قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيّاً، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ نَبِيّاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُولاً، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ رَسُولاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ خَلِيلاً[٢]، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ خَلِيلاً قَبْلَ أَنْ يَجْعَلَهُ إِمَاماً[٣]، فَلَمَّا جَمَعَ لَهُ الأَشْيَاءَ قَالَ:

الحديث الثاني:

[١] **(اتخذ إبراهيم عبداً):**

المراد بالعبد هنا: العابد، فالمعنى أنَّ الله أخلصه قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾(١)، وقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾(٢). وليس كلّ الناس عابدين لله تعالى.

نعم العبد بمعنى المملوك عام لجميع الناس قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾(٣).

[٢] **(قبل أن يتخذه خليلاً):**

أي يحبّه كما يحبّ الخليل خليله، والخُلَّة ـ بضم الخاء ـ بمعنى المحبة، وهي في غير الله تعالى بمعنى توسط الحب في القلب، وأما في الله تعالى فهو بمعنى الإحسان، فالخُلَّة من إبراهيم عليه السلام بمعنى نفوذ حبّ الله تعالى في قلبه بحيث فرغ قلبه عن جميع ما سوى الله تعالى، وهي من الله تعالى لإبراهيم عليه السلام بمعنى إحسان ولطف خاص أكثر من لطفه وإحسانه لأكثر الأنبياء عليهم السلام.

[٣] **(قبل أن يجعله إماماً):**

الإمامة: هي الرئاسة العامة في كلّ شيء على جميع الخلق.

---

(١) سورة الحجر: الآية ٤٢.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

(٣) سورة مريم: الآية ٩٣.

﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]. قَالَ: فَمَنْ عِظَمِهَا فِي عَيْنِ إِبْرَاهِيمَ[٤]

والفرق بين الإمامة والخلافة والإمارة، هو أنَّ (الخلافة) بمعنى النيابة عن الله، فلا بدَّ أن تكون بأمره قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(١) وقال: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾(٢)، وكذا الخلافة عن النبي ﷺ وفي الحديث - المتفق عليه بين الخاصَّة والعامَّة - أنَّ الرسول ﷺ قال لعلي عليه السلام: (إنَّ هذا أخي ووصيِّي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا)(٣).

وأمَّا (الإمامة) فهي - كما ذكرنا - الرئاسة العامَّة كما قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، ولا تكون إلَّا بجعل من الله تعالى لأنَّها عهده ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وأمَّا (الإمارة) فهي الملك والأمير هو السائس، وهذه فرع من فروع الإمامة، فليست الإمامة هي الإمارة.

ثمَّ إنَّ الخلافة والإمامة لأنَّهما بجعل من الله تعالى، يكون المتصف بهما متصفاً على الدوام، فالإمام والخليفة قد لا يكون حاكماً - بأن تسلب منه الإمارة ظلماً -، ولا يمكن سلب الإمامة وخلافة الله ورسوله أبداً.

[٤] **(فمن عظمها في عين إبراهيم):**

لا يخفى أنَّ إبراهيم عليه السلام هو النبي الوحيد الذي نقل القرآن أدعيته لذرِّيته مكرراً ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾(٤)، ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾(٥) ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾(٦) وقد فصلنا البحث في ذلك في كتاب (التفكُّر في القرآن).

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٢) سورة ص: الآية ٢٦.

(٣) من مصادر العامَّة: الطبري في تاريخه: ج٢، ص٦٤ ولكن قال في تفسيره بدل وصيِّي وخليفتي: كذا وكذا؟! انظر تفسير الطبري: ج١٩، ص٤١٠، تفسير قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ وانظر كذلك قريباً منه في مصادر الشيعة: أمالي الصدوق: ص٥٦٤، الحديث: ٧٦٣، والإرشاد للشيخ المفيد: ج١، ص٧.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٢٨.

(٥) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.

(٦) سورة إبراهيم: الآية ٤٠.

قَالَ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] قَالَ: لَا يَكُونُ السَّفِيهُ إِمَامَ التَّقِيِّ[٥].

٣ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْخَثْعَمِيِّ، عَنْ هِشَامٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: سَادَةُ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ خَمْسَةٌ، وَهُمْ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، وَعَلَيْهِمْ دَارَتِ الرَّحَى[١]: نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ.

---

[٥] (قال: لا يكون السفيه إمام التقي):

أي قال الإمام الصَّادق عليه السلام في تفسير ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، والظالم سفيه، لأنَّ كل معصية سفه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾(١)، وقد مرَّ حديث (العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان)، وأيُّ قلَّة عقل أكثر من ارتكاب المعاصي التي فيها الخسران المبين.

الحديث الثالث:

[١] (عليهم دارت الرحى):

أي لم يقم الدِّين إلَّا بهؤلاء، وسائر الأنبياء تبع لهم، لأنَّ كلّ واحد منهم كان صاحب شريعة، وأُرسل إلى الناس كافة ـ كما يظهر من الأخبار ـ.

وفي نهج البلاغة «وإنَّه ليعلم أنَّ محلي منها محل القطب من الرحى» وفي توضيح نهج البلاغة(٢): الرحى: ما يُطحن فيه الحبوب، وما أشبه، والقطب هو محور الرحى الذي يُدار عليه، وبدون القطب لا يتمكن الرحى من العمل والإنتاج.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٠.

(٢) توضيح نهج البلاغة: ج١، ص٦٥.

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَبِي السَّفَاتِجِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْداً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيّاً، وَاتَّخَذَهُ نَبِيّاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُولاً، وَاتَّخَذَهُ رَسُولاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ خَلِيلاً، وَاتَّخَذَهُ خَلِيلاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ إِمَاماً، فَلَمَّا جَمَعَ لَهُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ ـ وَقَبَضَ يَدَهُ[١] ـ قَالَ لَهُ:

وقالت فاطمة الزَّهراء عليها السلام: «دارت بنا رحى الإسلام»(١).

ولعلَّه إلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾(٢).

الحديث الرابع:

[١] (وقبض يده):

يعني قبض الإمام الباقر عليه السلام يده، أي جمع أصابعها، وذلك لأنَّ إضافة الإشارة إلى الكلام أوقع في النفس، وأدعى إلى الحفظ، وهو من أساليب الخطباء الناجحين.

قيل: إنَّ الإنسان قد يحفظ ما أحسّه بإحدى الحواس، وقد ينساه، وإذا تعدَّدت الحواس في شيء كان احتمال الحفظ أكثر، فلو حدث حادث وأدركه الإنسان بسمعه وببصره وبلمسه، فإنَّ احتمال نسيانه قليل جداً.

والإنسان يسمع الكلام، فلو ضمَّت إليه الإشارة فإنَّه يرى تصوير الشيء ـ بالإشارة ـ فيكون أدعى للحفظ.

كما أنَّه قد يكون لبعض الإشارات ظلال لا توجد في بعض الكلمات، كما أنَّها من أساليب الإقناع، وقد تساهم في سرعة الفهم، وفي تركيز ذهن المستمع وعدم تشتُّته.

حاصل ما يُستفاد من أحاديث هذا الباب ـ وغيرها ـ هو:

---

(١) الاحتجاج، للطبرسي: ج١، ص١٤٠.

(٢) سورة الشورى: الآية ١٣.

يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البَقَرَة: ١٢٤] **فَمِنْ عِظَمِهَا فِي عَيْنِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام قَالَ: يَا رَبِّ** ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٢٤].

---

١ ـ **النبيّ: في المنام**: يرى الملك ويُلقى إليه الحكم الشرعي.
في اليقظة: لا تجتمع له الرؤية والسماع، فإذا رأى الملك فلا سماع، وإذا سمعه لا يراه.
٢ ـ **الرسول: في المنام**: يرى ويُلقى إليه الحكم.
في اليقظة: يجتمع له السماع والرؤية.
٣ ـ **الإمام: في المنام**: لا يُلقى إليه الحكم الشرعي.
في اليقظة: لا يجتمع له السماع والرؤية، فقد يرى بلا سماع، وقد يسمع بلا رؤية.

قال العلّامة المجلسي رضوان الله عليه:

والذي ظهر لي من أكثرها ـ أي الأخبار ـ.

هو أنَّ الإمام لا يرى الحكم الشرعي في المنام، والنبي قد يراه فيه.

وأمّا الفرق بين الإمام والنبي وبين الرسول:

أنَّ الرسول يرى الملك عند إلقاء الحكم، والنبي غير الرسول والإمام لا يريانه في تلك الحال ـ وإن رأياه في سائر الأحوال ـ[١].

---

(١) مرآة العقول: ج٢، ص٢٨٩.

بَابُ الْفَرْقِ بَيْنَ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ وَالْمُحَدَّثِ

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥١] مَا الرَّسُولُ وَمَا النَّبِيُّ؟[١] قَالَ: النَّبِيُّ الَّذِي يَرَى فِي مَنَامِهِ وَيَسْمَعُ الصَّوْتَ وَلَا يُعَايِنُ الْمَلَكَ[٢]، وَالرَّسُولُ الَّذِي يَسْمَعُ الصَّوْتَ وَيَرَى فِي الْمَنَامِ وَيُعَايِنُ الْمَلَكَ[٣]، قُلْتُ:

الحديث الأوّل:

[١] **(ما الرسول وما النبي):**

أي ما الفرق بينهما، وجواب الإمام عليه السلام هو أنَّ بينهما عموماً وخصوصاً مطلقاً، فبيَّن عليه السلام جهة الافتراق بينهما، فالنبي هو الذي يرى في المنام ويسمع الصوت في اليقظة، وليس بالضرورة أن يرى الملك في اليقظة، فقد لا يراه فيكون نبياً فقط، وقد يراه فيضمّ الرسالة إلى النُّبوَّة.

[٢] **(يسمع الصوت ولا يعاين الملك):**

أي في حال اليقظة لا تجتمع له الرؤية والسماع، فلا يعاين في حالة السماع. نعم دلَّت أحاديث أُخرى ـ كما مرَّ ـ أنَّه يمكنه الرؤية في حال عدم السماع.

[٣] **(يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك):**

«يسمع الصوت ويرى في المنام» نقطة التقاء الرسول والنبي، فهما مشتركان في هاتين الصفتين، «يعاين الملك» جهة الافتراق، وكلمة «عاين» تُستعمل في الرؤية بالعين في حال اليقظة، فلا يُقال عاين في منامه بل يُقال رأى أو حلُم.

الْإِمَامُ مَا مَنْزِلَتُهُ؟[٤] قَالَ: يَسْمَعُ الصَّوْتَ وَلَا يَرَى وَلَا يُعَايِنُ الْمَلَكَ[٥]، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢] وَلَا مُحَدَّثٍ[٦].

---

[٤] **(ما منزلته):**

أي ما هي مكانته، والمقصود ما هو فرقه عن النبي والرسول.

[٥] **(ولا يرى ولا يعاين الملك):**

لعلَّ المقصود هو أنَّ الإمام يسمع صوت الملك مطلقاً، ولكنَّه لا يرى الحكم الشرعي في المنام، وكذا لا يرى الملك في اليقظة في حال إلقاء الحكم الشرعي.

[٦] **(من رسول ولا نبي ولا محدَّث):**

قيل: قوله عليه السلام ولا محدَّث، إنَّما هي قراءة أهل البيت عليهم السلام.

أقول: قد ذكرنا سابقاً أنَّ القرآن المنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله هو بقراءة واحدة، هي القراءة المشهورة بين المسلمين، وهي أيضاً قراءة أهل البيت عليهم السلام أيضاً، وقرأ بها أيضاً حفص عن عاصم عن عبد الرحمن السلمي عن الإمام علي عليه السلام، وأما سائر القراءات فإنَّما كانت اجتهادات من القرّاء ولم تثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله - ليس بالتواتر فحسب، بل لم تثبت حتَّى بخبر واحد صحيح -.

وعليه: فإنَّ قول الإمام عليه السلام «ولا محدَّث» هو من التأويل وبيان للمراد من الآية، ومن المتعارف أن يقرأ أحدنا آية من القرآن ثم يتبعها بكلمة يُراد بها التفسير، أو يذكرها في وسط الآية.

ثمَّ إنَّه لا إشكال في تحديث الملائكة لغير الأنبياء، ككلامهم مع مريم عليها السلام، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾(١)، وقال: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢).

---

(١) سورة مريم: الآية ١٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٢.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مَرَّارٍ قَالَ: كَتَبَ الْحَسَنُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْمَعْرُوفِيُّ إِلَى الرِّضَا عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَخْبِرْنِي مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ وَالْإِمَامِ؟ قَالَ: فَكَتَبَ أَوْ قَالَ: الْفَرْقُ بَيْنَ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ وَالْإِمَامِ، أَنَّ الرَّسُولَ الَّذِي يُنْزَلُ عَلَيْهِ جَبْرَئِيلُ فَيَرَاهُ وَيَسْمَعُ كَلَامَهُ وَيُنْزَلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ[١] وَرُبَّمَا رَأَى فِي مَنَامِهِ[٢] نَحْوَ رُؤْيَا إِبْرَاهِيمَ عليه السلام[٣]، وَالنَّبِيُّ رُبَّمَا سَمِعَ الْكَلَامَ[٤] وَرُبَّمَا رَأَى الشَّخْصَ وَلَمْ يَسْمَعْ، وَالْإِمَامُ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُ الْكَلَامَ وَلَا يَرَى الشَّخْصَ[٥].

الحديث الثاني:

[١] **(وينزل عليه الوحي):**

أي بلا واسطة ملك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾(١).

[٢] **(ربَّما رأى في منامه):**

أي يرى الحكم الشرعي، وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم، حيث إنَّ رؤيا غيرهم ليست بحجَّة ولا تثبت حكماً شرعياً.

[٣] **(نحو رؤيا إبراهيم):**

قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ﴾(٢).

[٤] **(ربَّما سمع الكلام):**

من غير أن يرى الملك ـ في حال السماع ـ.

[٥] **(يسمع الكلام ولا يرى الشخص):**

أي لا يراه في حال إلقاء الحكم، أما في غير حال الإلقاء فقد يراه ـ كما

---

(١) سورة الشورى: الآية ٥١.

(٢) سورة الصافات: الآية ١٠٢.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ الْأَحْوَلِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنِ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ وَالْمُحَدَّثِ، قَالَ: الرَّسُولُ الَّذِي يَأْتِيهِ جَبْرَئِيلُ قُبُلاً[١] فَيَرَاهُ وَيُكَلِّمُهُ فَهَذَا الرَّسُولُ، وَأَمَّا النَّبِيُّ فَهُوَ الَّذِي يَرَى فِي مَنَامِهِ نَحْوَ رُؤْيَا إِبْرَاهِيمَ، وَنَحْوَ مَا كَانَ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مِنْ أَسْبَابِ النُّبُوَّةِ قَبْلَ الْوَحْيِ[٢] حَتَّى أَتَاهُ جَبْرَئِيلُ عليه السلام مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِالرِّسَالَةِ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله حِينَ جُمِعَ لَهُ النُّبُوَّةُ وَجَاءَتْهُ الرِّسَالَةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَجِيئُهُ بِهَا جَبْرَئِيلُ وَيُكَلِّمُهُ بِهَا قُبُلاً، وَمِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَنْ جُمِعَ لَهُ

مرَّ توضيحه في الحديث السابق ـ.

الحديث الثالث:

[١] **(يأتيه جبرائيل قبلاً):**

أي معاينة، وقيل (قبل) جمع قابل أي مقابل لحواسهم، كقوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾(١)، وكقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾(٢).

[٢] **(من أسباب النُّبوَّة قبل الوحي):**

في بحار الأنوار:

فاعلم أنَّ الذي ظهر لي من الأخبار المعتبرة، والآثار المستفيضة هو: أنَّه صلى الله عليه وآله كان قبل بعثته ـ مذ أكمل الله عقله في بدو سِنّه ـ نبيّاً مؤيداً بروح القدس، يكلِّمه الملك، ويسمع الصوت، ويرى في المنام، ثم بعد أربعين سنة صار رسولاً، وكلَّمه الملك معاينة، ونزل عليه القرآن، وأُمر بالتبليغ، وكان يعبد الله ـ قبل ذلك ـ بصنوف العبادات: إمَّا موافقاً لما أمر به الناس بعد التبليغ، وهو أظهر، أو على وجه آخر: إمَّا مطابقاً لشريعة إبراهيم عليه السلام، أو غيره ممَّن تقدّمه من الأنبياء عليهم السلام لا على وجه كونه

---

(١) سورة الانعام: الآية ١١١.

(٢) سورة الكهف: الآية ٥٥.

النُّبُوَّةُ[٣] وَيَرَى فِي مَنَامِهِ وَيَأْتِيهِ الرُّوحُ[٤] وَيُكَلِّمُهُ وَيُحَدِّثُهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ يَرَى فِي الْيَقَظَةِ، وَأَمَّا الْمُحَدَّثُ فَهُوَ الَّذِي يُحَدَّثُ فَيَسْمَعُ، وَلَا يُعَايِنُ وَلَا يَرَى فِي مَنَامِهِ.

٤ ـ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَعْقُوبَ الْهَاشِمِيِّ، عَنْ مَرْوَانَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليهما السلام فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ وَلَا مُحَدَّثٍ[١]، قُلْتُ:

تابعاً لهم وعاملاً بشريعتهم، بل بأنَّ ما أوحي إليه ﷺ كان مطابقاً لبعض شرائعهم، أو على وجه آخر نُسخ بما نزل عليه بعد الإرسال(١).

ثم استدل رحمه الله بخمسة وجوه ـ مضافاً إلى ما أسلفه سابقاً ـ وأحد تلك الوجوه هذا الخبر، فراجع.

[٣] (ومن الأنبياء من جُمع له النُّبوَّة):

بيان نقطة الافتراق بين النبي والرسول، وقد مرَّ قبل قليل أنَّ النبي أعمّ مطلقاً، والرسول أخصّ، فكل رسول نبي، وبعض الأنبياء رسل.

جمع النُّبوَّة: إمَّا بمعنى اجتماع أسبابها، أو بمعنى التمام أي تمَّت نبوَّته.

[٤] (ويأتيه الرُّوح):

الرُّوح قد يكون جبرائيل، وقد يكون مخلوق آخر أعظم منه ـ كما في بعض الروايات ـ.

الحديث الرابع:

[١] (ولا نبيّ ولا محدَّث):

لعلَّ الراوي توهم أنَّ «محدَّث» ـ الذي ذكره الإمام تأويلاً وبياناً للمعنى ـ

---

(١) بحار الانوار: ج١٨، ص٢٧٧.

جُعِلْتُ فِدَاكَ لَيْسَتْ هَذِهِ قِرَاءَتَنَا، فَمَا الرَّسُولُ وَالنَّبِيُّ وَالْمُحَدَّثُ؟ قَالَ: الرَّسُولُ الَّذِي يَظْهَرُ لَهُ الْمَلَكُ فَيُكَلِّمُهُ، وَالنَّبِيُّ هُوَ الَّذِي يَرَى فِي مَنَامِهِ، وَرُبَّمَا اجْتَمَعَتِ النُّبُوَّةُ وَالرِّسَالَةُ لِوَاحِدٍ، وَالْمُحَدَّثُ الَّذِي يَسْمَعُ الصَّوْتَ وَلَا يَرَى الصُّورَةَ، قَالَ: قُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي رَأَى فِي النَّوْمِ حَقٌّ، وَأَنَّهُ مِنَ الْمَلَكِ؟ قَالَ: يُوَفَّقُ لِذَلِكَ حَتَّى يَعْرِفَهُ[٢]، لَقَدْ خَتَمَ اللَّهُ[٣] بِكِتَابِكُمُ الْكُتُبَ وَخَتَمَ بِنَبِيِّكُمُ الْأَنْبِيَاءَ.

هو من قراءتهم ﷺ، لكن لمّا لم يكن سؤاله عن القراءة بل عن الفرق، أعرض الإمام ﷺ عن بيان أنَّ «محدَّثاً» تأويل وليس قراءة، وذكر الفرق فقط.

[٢] **(يوفق لذلك حتّى يعرفه)**:

أي يفيض الله ذلك العلم له، فيكون نظير علمنا بالشمس حين نراها، فإنَّ الله تعالى أعطانا أسباب العلم ووسائله كالإحساس والعقل ونحو ذلك، فلمّا تجتمع تلك الأسباب يحصل العلم.

وأمّا بالنسبة إلى المنامات: فإنَّ الله لم يعطنا أسباب العلم فيها ولا عصمنا فيها، ولذا قد تكون مناماتنا صادقة وقد لا تكون، أمّا الأنبياء والرُّسل فقد أفاض الله تعالى عليهم أسباب العلم في المنامات وعصمهم عن الأحلام.

[٣] **(لقد ختم الله)**:

هذا الكلام من الإمام ﷺ لبيان أنَّ التحديث لا يلازم النُّبوَّة، ولا «المحدَّث به» كتاب منزل من الله، كما في تحديث الملائكة مع مريم ﷺ فلم تكن نبياً، ولا الحديث كتاباً منزلاً.

ثمَّ إنَّ الإمامة منصب، والنُّبوَّة منصب آخر، وقد يجتمعان في شخص كأولي العزم من الأنبياء ﷺ، ولا تلازم بين المنصبين.

ثمَّ إنَّ المناصب قد لا يكون بينها إلَّا فرق اعتباري مع الاشتراك في

الصلاحيات، كما أنَّ نائب الرئيس قد يكون له كامل صلاحيات الرئيس في حال غيابه أو مرضه، مع أنَّه لا يُقال له رئيس، بل يُقال له نائب الرئيس.

وقد يكون بين المناصب فرق حقيقي ـ باعتبار الفرق في الصلاحيات أو في غيرها ـ.

والفرق بين منصب الإمامة والنُّبوَّة فرق حقيقي، فالأنبياء مبعوثون بالأصالة ـ حتَّى وإن كانوا تابعين لشريعة غيرهم من الرُّسل ـ، والأئمَّة هم أوصياء رسول الله ﷺ. وهم أفضل من جميع الأنبياء سوى جدّهم رسول الله ﷺ فهو أفضل الأوّلين والآخرين.

بَابُ أَنَّ الْحُجَّةَ لَا تَقُومُ لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا بِإِمَامٍ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ دَاوُدَ الرَّقِّيِّ، عَنِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الْحُجَّةَ[١] لَا تَقُومُ لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا بِإِمَامٍ[٢] حَتَّى يُعْرَفَ[٣].

الحديث الأوّل:

[١] **(إنَّ الحجّة):**

قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾(١).

وشاء الله تعالى أن يجعل الواسطة لإبلاغ حجّته الرُّسل من الأنبياء ومن بعدهم الأئمّة، فلا تتمّ الحجّة إلّا عبرهم.

وقيام الحجّة في الدُّنيا: بحيث تثبت التكاليف على الناس.

وفي الآخرة: بحيث يحتج عليهم فيما لو خالفوها.

[٢] **(إلّا بإمام):**

أي بعد ختم النُّبوّة، حيث إنَّ الحجّة هم الرُّسل، وبعد ختم الرُّسل لم تُرفع الحجّة بل استمرت في الأئمّة عليهم السلام.

[٣] **(حتّى يعرف):**

«يُعرِّف» أي يُعرِّف الإمام الناس بالله أو بالدِّين، أو «يُعْرَف» أي يُعْرَف الله بواسطة بيان الإمام لصفاته ولدينه.

وفي المرآة(٢): وفي بعض النسخ «حيّ» مكان «حتّى»... والتقييد

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤٩.

(٢) المرآة: ج٢، ص٢٩٣.

٢ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ قَالَ: سَمِعْتُ الرِّضَا عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ[١]: إِنَّ الْحُجَّةَ لَا تَقُومُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا بِإِمَامٍ حَتَّى يُعْرَفَ.

٣ ـ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام[١] قَالَ: إِنَّ الْحُجَّةَ لَا تَقُومُ لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا بِإِمَامٍ حَتَّى يُعْرَفَ.

بالحيّ، للردّ على العامّة القائلين بأنَّ الإمام بعد الرسول القرآن، كما قال إمامهم: حسبنا كتاب الله.

وفي بعض النسخ: «حق» مكانه، ردّاً على المخالفين القائلين بإمامة خلفاء الجور.

الحديث الثاني:

[١] **(أنَّ أبا عبد الله عليه السلام قال):**

رواه الإمام الرِّضا عليه السلام عن الإمام الصَّادق عليه السلام، وذلك لأنَّ كلّ إمام لاحق أخذ علمه عن الإمام السابق إلى أمير المؤمنين عليه السلام حيث علَّمه رسول الله صلى الله عليه وآله.

والأئمَّة عليهم السلام كانوا يصرِّحون بأنَّ علومهم أخذوها عن آبائهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمَّ إنَّهم أحياناً كانوا يذكرون الحديث مباشرة وبلا تفصيل ذكر سلسلة السند الذهبية، وأحياناً كانوا يذكرون كامل السند، وأحياناً بعضه، لاعتبارات مختلفة، وغالبها لرعاية حال المستمع.

ولعلَّ في هذه الرواية كان الإمام يريد إبطال مزاعم الواقفة، فنقل الحديث المشهور عن الإمام الصادق ـ حيث يعترفون بإمامته ـ.

الحديث الثالث:

[١] **(عن أبي الحسن الرِّضا عليه السلام):**

كرَّر الكليني رضوان الله عليه الحديث ثلاث مرَّات، لتعدُّد السند، ولأنَّ

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ خَلَفِ بْنِ حَمَّادٍ، عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: الْحُجَّةُ قَبْلَ الْخَلْقِ[١] وَمَعَ الْخَلْقِ وَبَعْدَ الْخَلْقِ[٢].

القائل في الحديث الأوّل هو الإمام الكاظم، وفي الثاني الإمام الصَّادق، وفي الثالث الإمام الرِّضا عليهم السلام ممَّا يدلُّ على أهمية الموضوع.

الحديث الرابع:

[١] **(الحجَّة قبل الخلق):**
الحجَّة هي البرهان، والمراد هنا الأنبياء والأوصياء والأئمَّة عليهم السلام لأنَّهم حجج الله على الخلق.

[٢] **(وبعد الخلق):**
فقد خلق الله تعالى آدمَ قبل حوَّاء وذرِّيَّته، واستمرَّت الحجَّة ـ بين نبي ووصي ـ إلى بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعده استمرَّت في الأئمَّة عليهم السلام، وآخر من يموت هو الإمام، وسيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ قول الإمام الصَّادق عليه السلام: (إنَّ آخر من يموت الإمام، لئلا يحتج أحد على الله عزَّ وجلَّ: أنَّه تركه بغير حجَّة لله عليه)(١).
وفي الوافي(٢): (وثبت أنَّه إذا قبض الله تعالى القائم، خربت الدُّنيا وفني الخلق كلهم، والغرض من هذا الحديث بيان وجوب استمرار وجود الحجَّة في العالم وابتناء بقاء العالم عليه).
ويمكن أن يكون المعنى «الحجَّة قبل الخلق» هو قبل الولادة في عالم الذرّ «ومع الخلق» في الدُّنيا حيث لا يخلو عصر من وجود حجَّة على أهل ذلك العصر، «وبعد الخلق» أي بعد الموت في يوم القيامة.

---

(١) الكافي: ج١، ص١٨٠.
(٢) الوافي: ج٢، ص٦٢.

بَابُ أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ حُجَّةٍ

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: تَكُونُ الْأَرْضُ[١] لَيْسَ فِيهَا إِمَامٌ؟ قَالَ: لَا[٢]، قُلْتُ يَكُونُ إِمَامَانِ؟ قَالَ: لَا إِلَّا وَأَحَدُهُمَا صَامِتٌ[٣].

الحديث الأوّل:

[١] **(تكون الأرض):**
المراد وجود أهل في الأرض ـ وبقاء التكليف ـ أو بقاء نظام الأرض تكويناً.

[٢] **(ليس فيها إمام؟ قال: لا):**
اتفقت صحاح المسلمين على عدم خلو الأرض من إمام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
وقد روت العامّة في صحاحها حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يزال هذا الدِّين قائماً ما دام اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»(١) ومن المعلوم بقاء هذا الدِّين إلى يوم الانقضاء.

[٣] **(إلّا وأحدهما صامت):**
أي لا يدعو إلى نفسه، بل يدعو إلى الإمام الناطق، وهذا تحقّق في جميع الأئمّة حيث كانوا صامتين في حياة الإمام الذي قبلهم.

---

(١) روى ذلك بألفاظ متقاربة مسلم: ج٦، ص٣، الحديث: ٤٨٠٩، والبخاري: ج٦، ص٢٦٤٠، الحديث: ٦٧٩٦، وابن حبان: ج١٥، ص٤٣.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ؛ وَسَعْدَانَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو[١] إِلَّا وَفِيهَا إِمَامٌ، كَيْمَا إِنْ زَادَ الْمُؤْمِنُونَ شَيْئاً رَدَّهُمْ[٢]، وَإِنْ نَقَصُوا شَيْئاً أَتَمَّهُ لَهُمْ[٣].

ثمَّ إنَّ هذا الحديث يدلُّ على كون الصامت إماماً أيضاً لكنَّه لا يدعو إلى نفسه ولا يباشر مهام الإمامة، وعليه إمام أيضاً.

الحديث الثاني:

[١] **(لا تخلو):**

أي لا تخلو من أهلها إلَّا وفيها إمام، والمعنى أنَّه ما دام هناك أهل الأرض فلا بدَّ من وجود إمام، وأمَّا إذا خلت الأرض من أهلها بهلاكهم جميعاً فيرفع الله الإمام حينئذٍ.

[٢] **(زاد المؤمنون شيئاً ردَّهم):**

أي زادوا في الأُصول أو الفروع، «ردَّهم» إلى الحق وبيَّن لهم بطلان الزيادة.

[٣] **(وإن نقصوا شيئاً أتمَّه لهم):**

نقصوا شيئاً من الأُصول والفروع بسبب قصورهم، وذلك لأنَّ الغرض من الخلق هو الرحمة وطريق الوصول إليها العبادة، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾(١) وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٢) فلا بدَّ من نصب طريق يدلّهم على العبادة ـ المتوقفة على العقيدة الصحيحة والأركان التامَّة ـ.

إن قلت: فما الحال في زمان الغيبة.

---

(١) سورة هود: الآية ١١٩.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُسْلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْعَامِرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَا زَالَتِ الْأَرْضُ[١] إِلَّا وَلِلَّهِ فِيهَا الْحُجَّةُ، يُعَرِّفُ[٢] الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ.

قلت: يتدخل الإمام بطريقة ـ غيبية أو طبيعية ـ لكي لا تندرس الأحكام والعقائد، ولذا قال فقهائنا بأنَّ مستند حجَّية الإجماع هو القطع بقول الإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشريف.

قال المحقِّق الخراساني في الكفاية: إنَّ وجه اعتبار الإجماع هو القطع برأي الإمام عليه السلام، ومستند القطع به لحاكيه ـ على ما يظهر من كلماتهم ـ هو علمه بدخوله عليه السلام في المجمعين شخصاً ولم يعرف عيناً، أو قطعه باستلزام ما يحكيه لرأيه عليه السلام عقلاً من باب اللُّطف، أو عادة أو اتفاقاً من جهة حدس رأيه عليه السلام . . . إلخ(١).

الحديث الثالث:

[١] **(ما زالت الأرض):**

أي ما استمرت الأرض في نظامها وفي بقاء أهلها، إلَّا بسبب وجود حجَّة الله، فإنَّ الله تعالى ربط البقاء به.

[٢] **(يُعرِّف):**

سبب بقاء الأرض، هو أنَّ الغرض من الخلق العبادة، وهي متوقفة على البيان عبر الحجَّة، وبقاء الأرض بلا حجَّة نقض للغرض، فلذا لا تبقى بدونه.

ولهذا الحجَّة صفتان:

الأولى: إنَّه عالم، يعرف الحلال والحرام.

الثانية: إنَّه مبلِّغ، يدعو الناس إلى سبيل الله.

---

(١) كفاية الأصول: ص٣٣١.

٤ ـ أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: تَبْقَى الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ؟[١] قَالَ: لَا.

٥ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَحَدِهِمَا عليه السلام قَالَ: قَالَ:[١] إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَدَعِ الْأَرْضَ بِغَيْرِ عَالِمٍ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يُعْرَفِ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ.

الحديث الرابع:

[١] **(تبقى الأرض بغير إمام):**

في المرآة: «أي تبقى صالحة معمورة؟ أو تبقى مقرّاً للناس؟

فأجاب عليه السلام بنفي البقاء حينئذٍ، لفقد ما هو المقصود من الخلق ـ من العبادة والمعرفة ـ مع فقد الزواجر عن الفساد، المنجرّ إلى الخراب والهلاك»(١).

الحديث الخامس:

[١] **(قال: قال):**

حاصل كلام الإمام عليه السلام:

ما دام أهل الأرض موجودين فإنّه يكون معهم عالم بالحلال والحرام، يكون هو الميزان الفارق بين الحق والباطل فتتمّ الحجّة على الخلق، ولولاه لاختلط الحق بالباطل.

---

(١) مرآة العقول: ج٢، ص٢٩٦.

٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَجَلُّ وَأَعْظَمُ[١] مِنْ أَنْ يَتْرُكَ الْأَرْضَ بِغَيْرِ إِمَامٍ عَادِلٍ.

٧ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ أَبِي أُسَامَةَ؛ وَعَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ أَبِي أُسَامَةَ؛ وَهِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَمَّنْ يَثِقُ بِهِ مِنْ أَصْحَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَا تُخْلِي أَرْضَكَ مِنْ حُجَّةٍ لَكَ عَلَى خَلْقِكَ[١].

الحديث السادس:

[١] **(أجلّ وأعظم):**

لأنَّه حكيم لطيف، والحكيم لا يُخِلُّ بالغرض، وحين كان الغرض هو العبادة فلا بدَّ من وجود من يدلُّ عليها، وهو تعالى لطيف بعباده ـ أي بارّ بهم ـ ومن بِرّه أن لا يتركهم سدى بلا مرشد، فهو أجلُّ وأعظم من أن يترك الحكمة واللُّطف، أو من أن لا يقدر عليها.

الحديث السابع:

[١] **(لك على خلقك):**

في علل الشرائع: «اللَّهمَّ إنَّك لا تخلو الأرض من حجَّة لك على خلقك، ظاهر أو خافي مغمور، لئلا تبطل حججك وبيناتك»(١).

وقد ورد مضمون هذه الأحاديث في صحاح العامَّة، منها: (لا يزال هذا

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٣، ص٢٠ عن العلل: ص٧٦.

٨ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ: وَاللَّهِ مَا تَرَكَ اللَّهُ أَرْضاً[١] مُنْذُ قَبَضَ آدَمَ عليه السلام إِلَّا وَفِيهَا إِمَامٌ يُهْتَدَى بِهِ إِلَى اللَّهِ، وَهُوَ حُجَّتُهُ عَلَى عِبَادِهِ[٢]، وَلَا تَبْقَى الْأَرْضُ[٣] بِغَيْرِ إِمَامٍ حُجَّةٍ لِلَّهِ عَلَى عِبَادِهِ.

الدِّين قائماً أو يكون اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش)(١) دلَّ على استمرار هذا الدِّين ما دام اثنا عشر خليفة، ومفهومه عدم استمرار الدِّين بعدهم، وهذا بمعنى قيام القيامة. وفي بعض أحاديثهم: (لا تقوم الساعة إلَّا أن يكون اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش)(٢).

الحديث الثامن:

[١] **(ما ترك أرضاً):**

لعلَّ التنكير في «أرضاً» لأجل أنَّ الإمام هو إمام في كلّ الأرضين، وليس إماماً في أرضنا فحسب، كما تشعر به بعض الروايات، فقوله: «إلَّا وفيها» أي في الأرضين.

أو المعنى: لم يترك أرضاً من الأراضي ـ كل قطعة أرض ـ إلَّا والإمام إمام عليها، فليست إمامته خاصَّة بجزء من الأرض بل عامَّة لكلّ أرض.

[٢] **(يهتدى.. حجَّته على عباده):**

الاهتداء للناس، والحجَّة لله.

[٣] **(ولا تبقى الأرض):**

أي ما دام أهلها أحياء.

---

(١) و(٢) مرّ تخريج الحديث: مسلم: ج٦، ص٣، البخاري: ج٦، ص٢٦٤٠.

٩ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَبِي عَلِيٍّ بْنِ رَاشِدٍ قَالَ: قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام[١]: إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ حُجَّةٍ، وَأَنَا وَاللَّهِ ذَلِكَ الْحُجَّةُ.

١٠ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَتَبْقَى الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ؟ قَالَ: لَوْ بَقِيَتِ الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ لَسَاخَتْ[١].

١١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَتَبْقَى الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَإِنَّا نُرْوَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١] أَنَّهَا لَا تَبْقَى

الحديث التاسع:

[١] (قال أبو الحسن):
في المرآة والوافي: هو أبو الحسن الثالث، الإمام الهادي عليه السلام.

الحديث العاشر:

[١] (لساخت):
أي انخسفت بأهلها فأهلكتهم، كما أنَّ المكان المنخسف في الأرض يختلّ نظامه ويهلك أهله.
ولعلَّ فيه إشارة إلى قيام القيامة بعد رفع آخر إمام، فإنَّه حينئذٍ لا يوجد غرض لبقاء نظام الأرض، وتكون المصلحة في أن يرث الله الأرض ومن عليها.

الحديث الحادي عشر

[١] (نروى عن أبي عبد الله عليه السلام):
مقصود الإمام الصّادق عليه السلام أنَّ الأرض لا تبقى بغير إمام إلّا في صورة

بِغَيْرِ إِمَامٍ إِلَّا أَنْ يَسْخَطَ اللَّهُ[٢] تَعَالَى عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ[٣] أَوْ عَلَى الْعِبَادِ[٤]، فَقَالَ: لَا، لَا تَبْقَى إِذاً لَسَاخَتْ[٥].

سخط الله على أهل الأرض، وحينئذٍ تصبح الأرض بلا إمام ولكن مع هلاك أهلها واختلال نظامها.

وبعبارة أُخرى الاستثناء في قوله: (إلّا أن يسخط...) يدلُّ على بقاء الأرض بغير إمام، ولكن لا يدلُّ على بقاء نظام الأرض وبقاء أهل الأرض، ومن المعلوم أنَّ الأرض تبقى إلى ما بعد يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾(١)، ولكن مع تغيُّر نظامها كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾(٢).

[٢] **قوله: (يسخط الله):**

لعلَّه إشارة إلى ما رُوي من أنَّه قبل قيام القيامة يحكم الأرض الأشرار أربعين يوماً، وتقوم عليهم القيامة.

[٣] **قوله: (على أهل الأرض):**

أي جميعهم، أمَّا السخط على البعض فقد تحقَّق من يوم أن عصي الله على وجه الأرض.

[٤] **(أو على العباد):**

لعلَّ التردد من الرواي، أو أنَّ هناك روايتين عن الإمام الصَّادق عليه السلام فأشار الراوي إليهما إجمالاً.

[٥] **(فقال: لا، لا تبقى إذاً لساخت):**

نفي لما فهمه الراوي من كلام الإمام الصَّادق عليه السلام، أي ليس المقصود ما فهمته، بل المراد إذا سخط الله على أهل الأرض، فإنَّه يخسفها وذلك برفع الإمام عنها.

---

(١) سورة هود: الآية ١٠٨.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٤٨.

١٢ ـ عَلِيٌّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِ، عَنْ أَبِي هَرَاسَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: لَوْ أَنَّ الْإِمَامَ رُفِعَ مِنَ الْأَرْضِ سَاعَةً لَمَاجَتْ بِأَهْلِهَا[١] كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ بِأَهْلِهِ.

١٣ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام هَلْ تَبْقَى الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: إِنَّا نُرْوَى أَنَّهَا لَا تَبْقَى إِلَّا أَنْ يَسْخَطَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْعِبَادِ؟ قَالَ: لَا تَبْقَى إِذاً لَسَاخَتْ[١].

الحديث الثاني عشر:

[١] (لماجت بأهلها):

«ماج» بمعنى اضطرب كاضطراب موج البحر، قال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾(١).

الحديث الثالث عشر:

[١] (لا تبقى إذاً لساخت):

مضمون السؤال والجواب ورد في الحديث الحادي عشر، وإنَّما كرَّره لاختلاف السند، ولاختلاف في بعض الألفاظ.

---

(١) سورة الكهف: الآيتان ٩٨ ـ ٩٩.

بَابُ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا رَجُلَانِ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الْحُجَّةَ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنِ ابْنِ الطَّيَّارِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: لَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا اثْنَانِ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الْحُجَّةَ[١].

الحديث الأوَّل:

[١] (لكان أحدهما الحجَّة):
لأنَّ العِلَّة التي سبَّبت اختيار الحجَّة، لا فرق فيها بين كثرة الخلق أو قلَّتهم، فكما أرسل الله الرُّسل للمجموعة الكثيرة حتى لا تقول: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾(١)، كذلك الواحد يمكن أن يقول هذا الكلام، فلا بدَّ من إرسال رسول إليه لكي لا يقوله، ولذا خلق الله آدمَ عليه السلام قبل حوَّاء، فكانت الخليفة قبل الخليقة.
وهذا المضمون روته العامَّة أيضاً في صحاحها، فقد روى مسلم عن النبي صلى الله عليه وآله: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان»(٢).

---

(١) سورة طٰه: الآية ١٣٤.
(٢) مسلم: ج٦، ص٢، الحديث: ٤٨٠٧، وانظر كذلك: البخاري: ج٣، ص١٢٩٠، الحديث: ٣٣١٠.

٢ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ـ جَمِيعاً ـ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ الطَّيَّارِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: لَوْ بَقِيَ اثْنَانِ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الْحُجَّةَ عَلَى صَاحِبِهِ[١].

مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى مِثْلَهُ.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَى الْخَشَّابِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ كَرَّامٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: لَوْ كَانَ النَّاسُ رَجُلَيْنِ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الْإِمَامَ.

وَقَالَ: إِنَّ آخِرَ مَنْ يَمُوتُ الْإِمَامُ، لِئَلَّا يَحْتَجَّ أَحَدٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ تَرَكَهُ بِغَيْرِ حُجَّةٍ لِلَّهِ عَلَيْهِ.

٤ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ ابْنِ سِنَانٍ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ الطَّيَّارِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: لَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا اثْنَانِ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الْحُجَّةَ ـ أَوْ الثَّانِي الْحُجَّةَ ـ الشَّكُّ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ.

الحديث الثاني:

[١] **(الحجّة على صاحبه):**
لاحتياجهما إلى الطريق، إلى المعرفة الصحيحة ـ في الاعتقادات وفي العمل ـ، ولسدّ باب الاختلاف، فأحدهما يعرف بطريق من الله كالوحي، والآخر باتباع الأول.
والغرض هو بيان لزوم وجود الحجّة، وإلّا فيمكن عقلاً أن يكونا كلاهما الحجّة، نعم النصوص دلّت على عدم اجتماع حجّتين في آخر الزمان.

٥ ـ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنِ النَّهْدِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا اثْنَانِ لَكَانَ الْإِمَامُ أَحَدَهُمَا.

بَابُ مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ وَالرَّدِّ إِلَيْهِ

١ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّمَا يَعْبُدُ اللَّهَ مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ[١]، فَأَمَّا مَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ فَإِنَّمَا يَعْبُدُهُ هَكَذَا ضَلَالاً[٢] قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَمَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ؟ قَالَ: تَصْدِيقُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[٣] ....

الحديث الأوّل:

[١] (إنّما يعبد الله من يعرف الله):

أي الطريق إلى العبادة هو المعرفة، وأمّا من لا يعرف الله فإنّما يعبد مخلوقاً صنعه في وهمه وتوهّم أنّه الخالق، فمن يعبد إلهاً لا ينزّهه عن النقائص ولا يصفه بالكمالات ويشبّهه بخلقه فإنّما يعبد صنماً اختلقه في ذهنه.

[٢] (هكذا ضلالاً):

لعلّ الإمام عليه السلام أشار إلى بعض الناس أو أشار إلى غائبين لكن لحضورهم في ذهن السامع صحّت الإشارة إليهم، أو «هكذا» كناية عن عدم الجدوى والفائدة.

و«ضلالاً» بدل عن «هكذا»، وهو تمييز أي إنّما يعبده من جهة الضلال وليس حقّاً.

[٣] (تصديق الله عزّ وجلّ):

لم يذكر أصل الاعتقاد بوجود الله تعالى، لأنّ الكلام حول العابد ـ وهو من يعتقد بوجود خالق ـ وليس حول الملحد الدهري.

ثمّ إنّه عليه السلام أدخل في معرفة الله: تصديق الرسول صلى الله عليه وآله وموالاة الأئمّة عليهم السلام

وَتَصْدِيقُ رَسُولِهِ ﷺ[٤]، وَمُوَالَاةُ عَلِيٍّ عليه السلام[٥]، وَالِائْتِمَامُ بِهِ[٦] وَبِأَئِمَّةِ الْهُدَى عليهم السلام، وَالْبَرَاءَةُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَدُوِّهِمْ[٧]، هَكَذَا يُعْرَفُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

والبراءة من عدوّهم، لأنَّ معرفته تعالى تحصل عن طريقهم مع عدم الأخذ من عدوّهم.

وكذلك لأنَّ معرفة الله تكون بمعرفة صفاته، ومنها أنَّه لطيف حكيم رحيم، - وهي من صفات الفعل - فعدم الاعتقاد بالرسول أو بالأئمَّة إنَّما هو بسبب عدم معرفة هذه الصفات.

ولذا يُقال بأنَّ من ينكر مقامات الرسول ﷺ والأئمَّة عليهم السلام، إنَّما مرجع إنكاره إلى عدم معرفته الله تعالى، وأمَّا من عرف الله سبحانه - كما عرَّف نفسه - فإنَّه يتلقَّى تلك المقامات بالقبول بل يعتبرها بديهيَّة.

[٤] **(تصديق رسوله):**

أي بأنَّه رسول من قِبل الله تعالى، وكذا تصديقه في كلّ ما جاء به من المعتقدات والشرائع.

[٥] **(وموالاة علي عليه السلام):**

إنَّما ذكره بالخصوص، مع وجوب موالاة جميع الأئمَّة عليهم السلام، لأنَّ الأصل في موالاتهم عليهم السلام هو موالاته عليه السلام.

[٦] **(والائتمام به):**

أي الاقتداء به واتباعه في كلّ ما يقول - من عقيدة أو عمل أو قول -، و«الموالاة» تشمل الاقتداء فيكون عطف الخاص على العام، لأنَّ الموالاة في القلب والعمل، والائتمام في العمل، ولكن العمل طريق إلى معرفة ما يدور في القلب.

أو الموالاة في القلب، والائتمام في العمل.

[٧] **(من عدوّهم):**

لأنَّه لا تتمّ الموالاة إلَّا بالبراءة من العدو، كما قال تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ

٢ ـ الْحُسَيْنُ، عَنْ مُعَلَّى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَائِذٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ أَحَدِهِمَا ﷺ أَنَّهُ قَالَ: لَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُؤْمِناً[١] حَتَّى يَعْرِفَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْأَئِمَّةَ كُلَّهُمْ وَإِمَامَ زَمَانِهِ[٢]، وَيَرُدَّ إِلَيْهِ وَيُسَلِّمَ لَهُ[٣]، ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ يَعْرِفُ الْآخِرَ وَهُوَ يَجْهَلُ

﴿لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾(١).

وكذلك لأنَّ الله أمر بموالاتهم وبالبراءة من عدوّهم، فعدم البراءة من الأعداء إنَّما هي مخالفة لأمر الله تعالى أو جهل به، وكلاهما بسبب عدم معرفته تعالى.

الحديث الثاني:

[١] **قوله: (لا يكون العبد مؤمناً):**

أي إيماناً كاملاً، وقد مرَّ أنَّ الإيمان درجات، فقد يكون مقابل الإسلام، وقد يكون مقابل النفاق، وقد يكون مقابل الكفر، وقد ذكرنا بعض التفصيل في (التفكُّر في القرآن) فراجع.

[٢] **قوله: (وإمام زمانه):**

عطف الخاص على العام، وقد تواترت روايات الفريقين بأنَّه (من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية)(٢).

وإنَّما خصَّه بالذِّكر، لأنَّ الاعتقاد بالماضين أسهل من الاعتقاد بالإمام الحاضر.

[٣] **(ويسلم له):**

هذا بيان لجهة الاحتياج إلى معرفة إمام الزمان، والردّ إليه بمعنى أن

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤.

(٢) من مصادرنا: بصائر الدرجات: ص٢٧٩، الكافي: ج١، ص٣٧٦، وقريبٌ منه في مصادر العامة: ابن حبان: ج١٠، ص٤٣٤، المعجم الكبير للطبراني: ج١٩، ص٣٨٨، الحديث: ٩١٠.

الْأَوَّلَ؟![٤].

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: أَخْبِرْنِي عَنْ مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ مِنْكُمْ وَاجِبَةٌ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ[١] ....

يرجع إليه ما لا يعلمه فيسأله عنه، فإذا أجاب بالجواب فلا بدَّ من القبول منه وهو معنى التسليم له، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(١).

[٤] (وهو يجهل الأول):

هذا بيان لجهة الاحتياج إلى معرفة الأئمَّة السابقين، وذلك لأنَّ طريق معرفة الإمام هو نصّ الإمام السابق عليه، فلا يمكن معرفة إمام الزمان إلَّا عبر معرفة الإمام السابق ومعرفة نصّه على اللاحق، وهكذا نصّ كل أسبق على سابق إلى أن تنتهي النصوص إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

نعم هناك طريق آخر، وهو مشاهدة الآيات والمعاجز عن الأئمَّة عليهم السلام، ولكن اقتضت الحكمة عدم مشاهدة غالب الناس لتلك المعاجز، فيكون الطريق الأساس لمعرفة الأئمَّة هو النص.

وأيضاً التفريق بينهم هو تكذيب للرسول صلى الله عليه وآله وللنصوص المتواترة.

الحديث الثالث:

[١] (إلى الناس أجمعين):

كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾(٢)

---

(١) سورة النساء: الآية ٦٥.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

رَسُولاً وَحُجَّةً[٢] لِلَّهِ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ[٣]، فَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ[٤]، فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْإِمَامِ مِنَّا وَاجِبَةٌ عَلَيْهِ؛ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَمْ يَتَّبِعْهُ وَلَمْ يُصَدِّقْهُ وَيَعْرِفْ حَقَّهُمَا[٥] فَكَيْفَ يَجِبُ

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾(١)، وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾(٢) فكلمة «الناس» دلَّت على عموم رسالته، لا كلمة «كافة» فإنَّها ـ هنا ـ بمعنى المنع من الكفّ، كما قيل.

وكلام الإمام عليه السلام كالمقدِّمة لبيان لزوم معرفة الإمام على جميع من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله.

[٢] **(رسولاً وحجَّة):**

رسول للناس، وحجَّة لله، فكونه رسولاً لكي يتبعه الناس، وكونه حجَّة لكي يحتجّ به الله تعالى على خلقه حتَّى لا يقولوا: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾(٣).

[٣] **(جميع خلقه في أرضه):**

«جميع خلقه» إمَّا تأكيد لقوله: «إلى الناس أجمعين»، أو الأوَّل للرسالة، (إلى الناس أجمعين رسولاً)، والثاني للحجَّة (حجَّة الله على جميع خلقه)، أو للتعميم فإنَّ جميع الخلق يشمل الجن أيضاً.

[٤] **(واتبعه وصدّقه):**

«آمن بمحمَّد رسول الله» أي نطق بالشهادتين، فيدخل جميع المسلمين في الإيمان ـ بهذا المعنى ـ، «واتّبعه» في الأفعال، و«صدّقه» قلباً ولساناً في كلّ ما يقوله صلى الله عليه وآله.

[٥] **(ولم يصدّقه ويعرف حقّهما):**

«يعرفْ» بالجزم عطف على المنفيّ، أي ولم يعرف حقّ الله ورسوله.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٢) سورة سبأ: الآية ٢٨.

(٣) سورة طٰه: الآية ١٣٤.

عَلَيْهِ مَعْرِفَةُ الْإِمَامِ[٦] وَهُوَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَعْرِفُ حَقَّهُمَا؟! قَالَ: قُلْتُ: فَمَا تَقُولُ[٧] فِيمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُصَدِّقُ رَسُولَهُ فِي جَمِيعِ مَا

أمَّا حقّ الله، فالاعتقاد بوجوده وبتوحيده وصفاته الكمالية، وتنزيهه عن صفات النقص، والالتزام بتكاليفه.

وأمَّا حقّ الرسول ﷺ فهو تصديقه وتنزيهه والائتمام به والبراءة من أعدائه واتباع تشريعاته.

[٦] **(فكيف يجب عليه معرفة الإمام)**:

قيل: في هذا الحديث دلالة على أنَّ الكفَّار ليسوا مكلَّفين بشرائع الإسلام بل هم مكلَّفون بأُصول الدِّين فقط، وبعد اعتقادهم بها يكلَّفون بالشرائع.

أقول: أولاً: الإمامة من أُصول الدِّين، بمعنى أنَّ منكرها كافر باطناً ويُحشر مع الكفَّار، ولكنَّه مسلم ظاهراً ـ إن تشهّد الشهادتين ـ فيُعامل معاملة المسلمين في التناكح والتوارث ونحوهما.

وثانياً: قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾(١)، دلَّت الآية على أنَّ المشرك مكلَّف بالزكاة ـ وهي من فروع الدِّين ـ، وظاهر هذه الآية حجَّة لنا وإن ورد في تأويلها غير ذلك، وكذا قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾(٢).

فلا بدَّ من حمل قوله عليه السلام: (فكيف يجب عليه معرفة الإمام) على الإمكان لا على التكليف فالمعنى كيف يمكنه معرفة الإمام وهو لا يؤمن بالله ورسوله؟

[٧] **(قال: قلت فما تقول)**:

إمَّا تكرار لسؤاله تأكيداً أو تعجباً، وإمّا سؤال آخر يريد به فهم علَّة لزوم

---

(١) سورة فصلت: الآيتان ٦ ـ ٧.

(٢) سورة المدثّر: الآيات ٤٢ ـ ٤٦.

أَنْزَلَ اللَّهُ، يَجِبُ عَلَى أُولَئِكَ حَقُّ مَعْرِفَتِكُمْ؟[٨] قَالَ: نَعَمْ أَلَيْسَ[٩] هَؤُلَاءِ يَعْرِفُونَ فُلَاناً وَفُلَاناً؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: أَتَرَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَوْقَعَ فِي

معرفة الإمام، فإنَّ الذي يعمل بكلام رسول الله ﷺ في كلّ شيء ما حاجته إلى معرفة الإمام؟

[٨] **(حقّ معرفتكم)**:

إمَّا من إضافة الوصف إلى الموصوف أي معرفتكم التي هي الحقّ، أو الإضافة بيانية أي الحقّ الذي هو معرفتكم، أو بمعنى كمال معرفتكم من غير نقصان وبخس.

[٩] **(قال: نعم أليس)**:

أي نعم يجب على أولئك معرفة الإمام.

وفي معنى كلام الإمام عليه السلام وجوه:

الأول: إنَّ عدم معرفة الإمام أدّىٰ إلى الظلم الذي نشأ من خلفاء الجور، وكذا إلى الضلال في الأُصول والفروع.

الثاني: إنَّه كيف يصدّق الرسول ﷺ وهو لا يصدّق ما قاله عليه السلام في حقّ الإمام علي عليه السلام والأئمَّة عليهم السلام، فمعرفتهم لفلان وفلان وإنكارهم للأئمَّة عليهم السلام لم يكن إلَّا من تكذيبهم للرسول ﷺ بما ألقاه الشيطان في قلوبهم.

الثالث: ما في الوافي(١): يعرفون فلاناً: يعني بالخلافة، أراد عليه السلام: أنَّهم لمَّا تفطّنوا بوجوب الخليفة وتمكنوا من معرفته، فما المانع لهم من الاهتداء لما هو الحقّ فيه؟ ليس المانع إلَّا الشيطان، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ أقدرهم على ذلك وأعطاهم آلة المعرفة، فوجب عليهم تحصيل معرفة الإمام.

الرابع: ما في المرآة(٢): ويحتمل أن يكون المراد أنَّ المخالفين أيضاً

---

(١) الوافي: ج٢، ص٨٢.

(٢) المرآة: ج٢، ص٣٠٢.

قُلُوبِهِمْ مَعْرِفَةَ هَؤُلَاءِ؟ وَاللَّهِ مَا أَوْقَعَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا الشَّيْطَانُ[١٠]، لَا وَاللَّهِ مَا أَلْهَمَ الْمُؤْمِنِينَ حَقَّنَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ[١١].

٤ ـ عَنْهُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي الْمِقْدَامِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ:[١]

قائلون بوجوب معرفة الإمام، فاعتقدوا لذلك بإمامة هؤلاء، وإن أخطأوا في تعيين الإمام.

[١٠] **(إلَّا الشيطان)**:

وذلك بسبب أنَّهم تولوه كما قال تعالى: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ۝ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾(١)، وقال: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾(٢).

[١١] **(إلَّا الله عزَّ وجلَّ)**:

لأنَّهم وطَّنوا أنفسهم على قبول الحقّ واتباع الله ورسوله، فهداهم الله للحقّ، وقد مرَّ تفصيل بحث الهداية، فراجع.

الحديث الرابع:

[١] **(سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول)**:

حاصل كلام الإمام عليه السلام أنَّ معرفة الله تعالى لا تنفكّ عن معرفة الإمام، فلا يمكن معرفته تعالى من دون معرفتهم عليهم السلام وذلك لأنَّ من لا يأخذ دينه عنهم عليهم السلام، فإنَّما يأخذ التوحيد من الرجال، ولا يفهم ـ بشكل صحيح ـ صفات الله تعالى المذكورة في القرآن، فيترك المحكم زعماً بأنَّه متشابه، ويعتقد بالمتشابه زعماً بأنَّه المحكم.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين، بأنَّ القرآن وأهل البيت عليهم السلام لا يفترقان، فمن تركهم فقد ترك القرآن، وضلَّ ضلالاً بعيداً.

---

(١) سورة الحج: الآية ٤٠.

(٢) سورة النحل: الآية ١٠٠.

إِنَّمَا يَعْرِفُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيَعْبُدُهُ[٢] مَنْ عَرَفَ اللَّهَ وَعَرَفَ إِمَامَهُ[٣] مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ[٤]، وَمَنْ لَا يَعْرِفِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا يَعْرِفِ الْإِمَامَ[٥] مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ فَإِنَّمَا يَعْرِفُ وَيَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ[٦]، هَكَذَا وَاللَّهِ ضَلَالاً.

---

[٢] **(ويعبده):**

أي يعبده عبادة صحيحة.

[٣] **(عرف الله وعرف إمامه):**

أي جمع بين المعرفتين: معرفة الله ومعرفة الإمام.

[٤] **(منّا أهل البيت):**

القيد لإخراج أئمَّة الكفر والضلال، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾(١)، فمعرفة هؤلاء مزيد كفر وضلال، وأمَّا معرفة الأئمَّة من أهل البيت عليهم السلام فهو طريق الهداية.

[٥] **(لا يعرف الله عزَّ وجلَّ ولا يعرف الإمام):**

في بعض النسخ (ويعرف الإمام)، فقوله: (يعرف) بالجزم عطف على المنفي في قوله: (ومن لا يعرف الله).

[٦] **(يعرف ويعبد غير الله):**

وذلك لأنَّ التوحيد الصحيح هو ما بيَّنه الأئمَّة عليهم السلام، أخذوه من جدّهم صلى الله عليه وآله، وأمَّا من لا يتبع الأئمَّة عليهم السلام فإنَّه يختلق في ذهنه إلهاً ثم يعبده متوهماً أنَّه يعبد الله عزَّ وجلَّ، فمن يعتقد بإله يركب على حمار، ويحيط به المكان حين ينزل إلى السَّماء الأولى ليلة الجمعة، وله رجل يدخلها في نار جهنَّم و... فإنَّما اختلق في ذهنه صنماً وعبده، فإنَّ ربّ العالمين منزَّه عن كلّ ذلك.

---

(١) سورة القصص: الآية ٤١.

٥ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ ذَرِيحٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ الْأَئِمَّةِ بَعْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله؟ فَقَالَ: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِمَاماً، ثُمَّ كَانَ الْحَسَنُ إِمَاماً، ثُمَّ كَانَ الْحُسَيْنُ إِمَاماً، ثُمَّ كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ إِمَاماً، ثُمَّ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ إِمَاماً، مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ كَانَ كَمَنْ أَنْكَرَ مَعْرِفَةَ اللَّهِ[١] تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَمَعْرِفَةَ رَسُولِهِ صلى الله عليه وآله، ثُمَّ قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ جُعِلْتُ فِدَاكَ؟[٢] ـ فَأَعَدْتُهَا عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ـ فَقَالَ لِي[٣]: إِنِّي إِنَّمَا حَدَّثْتُكَ لِتَكُونَ مِنْ شُهَدَاءِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَرْضِهِ.

الحديث الخامس:

[١] **(كمن أنكر معرفة الله):**
أي من أنكر الأئمَّة عليهم السلام، فكأنَّه ينكر معرفته بالله، وبعبارة أُخرى فكأنَّه يقرّ بأنَّه لا يعرف الله تعالى، وذلك لأنَّ شرط معرفة الله تعالى هي معرفتهم، ولا يمكن معرفته إلَّا عن طريقهم ـ حيث إنَّ مشيئته تعلَّقت بتعريف نفسه بواسطتهم ـ فمن أنكرهم فقد أنكر معرفته بالله تعالى، وكذا بالرسول صلى الله عليه وآله.

[٢] **(ثمَّ أنت جعلت فداك):**
تصديق من الراوي ـ وهو ذريح المحاربي ـ، وسكوت الإمام عليه السلام هو تقرير له، وإنَّما لم يذكر الإمام نفسه لأنَّ ذريحاً كان من الخواص الثقات، وكان يعلم بأنَّه لا فرق بين الإمام وبين آبائه عليهم السلام، وحيث بيَّن الإمام عليه السلام درجة آبائه وأنَّ شرط معرفة الله ورسوله هي معرفتهم، علم ذريح أنَّ نفس الأمر ينطبق على الإمام الصَّادق عليه السلام.

[٣] **(فقال لي):**
لعلَّ مقصوده عليه السلام هو أنِّي لم أذكر هذا الأمر للافتخار أو للامتنان، وإنَّما ذكرته لهدايتكم، لكي تكون شاهداً بإذن الله تعالى كما قال:

٦ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١] قَالَ: إِنَّكُمْ لَا تَكُونُونَ صَالِحِينَ حَتَّى تَعْرِفُوا[٢]، وَلَا

﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾(١)، وقال: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾(٢) وقال: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾(٣).

الحديث السادس:

[١] **(عن أبي عبد الله عليه السلام):**

الحديث يتكوّن من عدَّة فصول ذكرها الإمام عليه السلام:

١ ـ طريق الصلاح، وهو المعرفة والتصديق والتسليم.

٢ ـ قبول العمل الصالح فقط وهو لا يكون إلَّا بالوفاء بعهد الله.

٣ ـ الثواب على الوفاء بالشروط والعهود فقط.

٤ ـ بيان العهود وأنَّ من أهمها الاهتداء لأوليائه عليهم السلام وإطاعتهم.

٥ ـ طريق معرفة ولاة الأمر وأنَّهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

٦ ـ معرفتهم بحاجة إلى بصيرة وفهم.

٧ ـ بيان أنَّ هؤلاء هم رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

٨ ـ لزوم الاعتقاد بجميعهم وعدم كفاية معرفة بعضهم.

أوَّلاً: طريق الصلاح

[٢] **(لا تكونون صالحين حتَّى تعرفوا):**

أي لا صلاح إلَّا بالمعرفة، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٥٣.

(٣) سورة النساء: الآية ٦٩.

تَعْرِفُوا حَتَّى تُصَدِّقُوا[٣]، وَلَا تُصَدِّقُوا حَتَّى تُسَلِّمُوا[٤]، أَبْوَاباً أَرْبَعَةً[٥]، لَا

لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾(١)، إذ لا إيمان ولا عمل صالح إلّا بالمعرفة فمن لم يعرف الله أو الرسول ﷺ أو الإمام كيف يؤمن إيماناً صحيحاً وكيف يعمل الصالحات!!

[٣] **(ولا تعرفوا حتَّى تصدّقوا):**

نهي عن المعرفة قبل التصديق، فإنَّ المعرفة من غير تصديق لله تعالى ولرسوله ﷺ وللأئمَّة عليهم السلام لا تكون معرفة، بل ضلالاً وتيهاً، كما تاه من ترك كلامهم واعتمد على غيرهم.

وفي بعض نسخ الوافي (ولا تعرفون) فيكون إخباراً بعدم إمكان المعرفة قبل التصديق، وكذا الفقرة اللاحقة (ولا تصدقون حتى تسلموا).

والحاصل أنَّ المعرفة الحقّة منحصرة عن طريق القرآن والرسول ﷺ والأئمَّة عليهم السلام، فمن صدَّقهم فيما يقولون وصل إلى الحقّ وإلّا بقي على ضلاله.

[٤] **(ولا تصدَّقوا حتَّى تسلموا):**

نهي عن التصديق قبل التسليم، إذ هو تصديق صوري يزول سريعاً بأدنى تشكيك أو تغيّر المصالح، ولذا قال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٢).

والتسليم هو الانقياد للحق والإذعان له، وهو يكون في القلب ثمَّ يظهر على الجوارح والأعمال.

[٥] **(أبواباً أربعة):**

أي خذها أبواباً أربعة، وهي الصلاح والمعرفة والتصديق والتسليم ـ التي

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٩.

(٢) سورة النساء: الآية ٦٥.

يَصْلُحُ أَوَّلُهَا إِلَّا بِآخِرِهَا[٦]، ضَلَّ أَصْحَابُ الثَّلَاثَةِ[٧] وَتَاهُوا تَيْهاً بَعِيداً[٨]. إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَقْبَلُ إِلَّا الْعَمَلَ الصَّالِحَ[٩]، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا

ذكرها الإمام عليه السلام في صدر الحديث ـ.

وإنَّما سُمّيت أبواباً لأنَّه لا يمكن الدخول للتالي إلّا عبر السابق فكان كالباب له، فيُبتدأ بالتسليم ومنه يُنتقل إلى التصديق ثمَّ إلى المعرفة ثم إلى الصلاح.

وما ذكرناه من معنى الأبواب الأربعة هو الأنسب لسياق الكلام، وهناك احتمالات أُخرى ذكرها في المرآة(١).

[٦] **(أوّلها إلّا بآخرها):**

أي لا يتمّ كل سابق إلّا عبر اللاحق.

[٧] **(ضلَّ أصحاب الثلاثة):**

أي من تمسَّك بثلاثة منها وترك الرابع فإنَّه ضال، وذلك يكشف عن عدم تمسّكه بأيّ منها، لأنَّها متلازمة مترابطة، فمن كانت له بعضها فإنَّها صورية غير حقيقية، فالصالح غير المصدق صالح ظاهراً فاسد باطناً.

[٨] **(تيهاً بعيداً):**

«التيه»: التحيُّر، و«بعيداً» أي ابتعد بُعداً كبيراً عن الحق، لأنَّهم لا يخرجون من تحيُّرهم أبداً، ونتيجته الخزي والعذاب الدائم.

ثانياً: قبول العمل الصالح

[٩] **(لا يقبل إلّا العمل الصالح):**

قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾(٢)، والرفع هنا بمعنى القبول.

---

(١) المرآة: ج٢، ص٣٠٥.

(٢) سورة فاطر: الآية ١٠.

الْوَفَاءَ بِالشُّرُوطِ وَالْعُهُودِ[١٠]، فَمَنْ وَفَى لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَرْطِهِ[١١] وَاسْتَعْمَلَ مَا وَصَفَ فِي عَهْدِهِ نَالَ مَا عِنْدَهُ وَاسْتَكْمَلَ مَا وَعَدَهُ[١٢]، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام في الفقرة اللاحقة يبيّن أنّ العمل الصالح هو الذي اشترطه الله على العباد، ووعدهم في مقابله الجنّة، فإن خالفوا الشرط لم يستحقوا شيئاً عليه تعالى.

[١٠] **(بالشروط والعهود):**
قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾(٢).
و«الشرط»: كلّ حكم معلوم متعلّق بأمر، وذلك الأمر كالعلامة له، و«العهد»: حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال، ـ كذا في المفردات ـ(٣).
ولعلّ من الفرق بينهما أنّ الشرط اتفاق بين الطرفين، ولكن العهد قد يكون أمراً من أحدهما متضمناً وعداً على الالتزام به ووعيداً على تركه، فتأمّل.

ثالثاً: الثواب على الوفاء بالشروط

[١١] **(وفى لله عزّ وجلّ بشرطه):**
أي بشرط الله عليه، بأن أطاعه إطاعة كاملة.
ولعلّ الفرق بين العبارتين أنّ «وفى لله عزّ وجلّ بشرطه» في ماضي أيامه و«استعمل ما وصف في عهده» في مستقبلها، فإنّه يلزم حفظ الشروط والعهود إلى آخر الحياة.

[١٢] **(استكمل ما وعده):**
أي أخذه كاملاً غير منقوص، أو بمعنى أنّه تعالى يزيده من فضله، قال

---

(١) سورة الفتح: الآية ١٠.
(٢) سورة البقرة: الآية ٤٠.
(٣) ص٤٥٠ في الشرط، وص٥٩١ في العهد.

وَتَعَالَى[١٣] أَخْبَرَ الْعِبَادَ بِطُرُقِ الْهُدَى، وَشَرَعَ لَهُمْ فِيهَا الْمَنَارَ، وَأَخْبَرَهُمْ كَيْفَ يَسْلُكُونَ[١٤]، فَقَالَ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ

سبحانه: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾(١).

رابعاً: بيان العهود

[١٣] **(إنَّ الله تبارك وتعالى)**:

شروع لبيان الشروط والعهود، وبيان الذين وفوا بها والذين تاهوا عنها.

وحاصله: أنَّ الله يغفر ذنوب من تاب وآمن وعمل صالحاً واهتدى، ويقبل عمل المتقي.

وأنَّ الطريق إلى ذلك هو إطاعة الرسول ﷺ وإطاعة الأئمَّة عليهم السلام والأخذ منهم.

وأمَّا من تركهم وأخذ من غيرهم فإنَّه يتيه ويعمى قلبه، ومن أنكرهم فإنَّه لا يفيده عمل.

[١٤] **(كيف يسلكون)**:

«طرق الهدى» الطاعات والعبادات وشروطها ونحو ذلك، «المنار»: الرسول ﷺ والأئمَّة عليهم السلام، لأنَّ (المنار) هو عَلَم الطريق إذ كانوا يضيئون في مرتفع ليدلّ المارَّة على الطريق ليلاً، وكذا الرسول والأئمَّة هم منار الحقّ، «كيف يسلكون» بالأخذ منهم وإطاعتهم.

وشرحنا هذه الفقرات الثلاث بما يظهر من تكملة الحديث الشريف.

«ثُمَّ اهتدى» في روايات مستفيضة اهتدى إلى ولاية أهل البيت عليهم السلام(٢) و(ثُمَّ) هنا للترتيب في الإخبار لا للترتيب الزماني، إذ إنَّ ولايتهم شرط في الإيمان والعمل الصالح، وفي الآية دلالة على لزوم الاستمرار لذا أفردها بالعطف بـ«ثمَّ».

---

(١) سورة فاطر: الآية ٣٠.

(٢) البرهان: ج٦، ص٤١٢ ـ ٤١٦، نقل اثنتي عشرة رواية.

اهْتَدَىٰ﴾[١٥] [طه: ٨٢] **وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ[١٦]﴾** [المائدة: ٢٧] **فَمَنِ اتَّقَى اللَّهَ[١٧] فِيمَا أَمَرَهُ[١٨]** ....

وفي التقريب(١): «أو المراد بيان أنَّ الاهتداء ليس عقيدة في القلب وعملاً بالجوارح، وإنَّما يحتاج إلى رسوخ الإيمان والتحلي بنور الهداية، وإنَّما العقيدة والعمل مقدمتان له، ومهيئتان الجو لإشراقه».

[١٥] (وإنّي لغفار... ثم اهتدى):

هذه الآية في غفران الذنوب، والآية التالية في قبول العمل، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾ من الغفران أي الستر أو الصون من العذاب ﴿لِّمَن تَابَ﴾ عن الكفر أو الظلم ﴿وَءَامَنَ﴾ بالقلب واللّسان.

[١٦] (يتقبّل الله من المتقين):

«التقبُّل» هو القبول الذي يقتضي ثواباً وكان عن رضا بذلك العمل، فمن رضي بعمل وأثاب عليه فإنَّه تقبَّله.

[١٧] (فمن اتقى الله):

هذا الكلام تفريع على الآيتين، فكأنَّ الإمام عليه السلام يريد أن يبيِّن الترابط بين مضامينهما، إذ التقوى هي سبب التوبة والإيمان والعمل الصالح والاهتداء.
فالتائب المؤمن العامل بالصالحات المهتدي هو المتقي، وإنَّ الله كما يغفر له فكذلك يتقبَّل منه.

[١٨] (اتقى الله فيما أمره):

«التقوى» من الوقاية، وهي حفظ النفس من المهالك والمضرَّات، واستعملت هنا في فعل الواجبات لأنَّ حفظ النفس من عذاب الله تعالى يكون بترك المحرمات وفعل الواجبات، إلَّا أنَّه تعارف استعماله في ترك المحرمات، وقوله: «فمن اتقى الله فيما أمره» بمعنى حفظ نفسه من عذاب الله.
أو (التقوى) هنا بمعنى الخوف، ففي المفردات(٢): ثم يُسمَّى الخوف تارة تقوى،

---

(١) تقريب القرآن: ج٣، ص٤٩٦.
(٢) المفردات: ص٨٨١.

لَقِيَ اللّٰهَ مُؤْمِناً[١٩] بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ[٢٠]، فَاتَ قَوْمٌ وَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَهْتَدُوا، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ آمَنُوا، وَأَشْرَكُوا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ[٢١].

والتقوى خوفاً، حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه، والمقتضي بمقتضاه»، أي تسمية السبب باسم المسبب وبالعكس، فإنَّ الخوف هو سبب التقوى.

والمقصود من «فيما أمره» ـ هنا ـ هو اتباع الأئمَّة عليهم السلام وإطاعتهم، لأنَّ الله أمر بها، كما سيبيِّنه الإمام عليه السلام بعد قليل.

[١٩] **(لقي الله مؤمناً):**

لأنَّ أوامر الله تعالى وصلت إلينا عبر رسوله ﷺ، والالتزام بتلك الأوامر دليل على الإيمان بالرسول وبما جاء به.

و«لقاء الله» بمعنى لقاء جزائه في القبر والقيامة، ولذا يُطلق على الثواب وعلى العقاب، كقوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾(١)، وقال: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾(٢).

[٢٠] **(هيهات هيهات):**

لما بيَّن الإمام عليه السلام أنَّ الله تعالى لا يقبل إلَّا الوفاء بالشروط والعهود وأنَّ الله يغفر لهم ويتقبَّل منهم، ذكر القسم الآخر وهم الذين لم يفوا بالعهود، فخالفوا عهد الله، فهؤلاء فاتهم الثواب وقد أهلكوا أنفسهم وألقوها في الردى لأنَّهم لم يأتوا البيوت من أبوابها.

و«هيهات» اسم فعل بمعنى بَعُدَ الأمر، وحاصل المعنى أنَّ من اتقى لقي الله مؤمناً، وأمَّا من لم يتق الله فيما أمره فهذا بَعُد عن الإيمان والهداية.

[٢١] **(أشركوا من حيث لا يعلمون):**

كما قال تعالى: ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾(٣)، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤٤.

(٢) سورة التوبة: الآية ٧٧.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٣٠.

إِنَّهُ مَنْ أَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا اهْتَدَى[٢٢]، وَمَنْ أَخَذَ فِي غَيْرِهَا سَلَكَ طَرِيقَ الرَّدَى؛ وَصَلَ اللَّهُ[٢٣] طَاعَةَ وَلِيِّ أَمْرِهِ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَطَاعَةَ رَسُولِهِ

وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾(١).

خامساً: طريق معرفة ولاة الأمر

[٢٢] (إنّه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى):

شرح لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾، وأنَّ الاهتداء إنَّما يكون بإتيان الأبواب التي جعلها الله تعالى، ثمَّ بيَّن تلك الأبواب بقوله عليه السلام: (وصل الله طاعة ولي أمره. . .) إلخ.

قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾(٢)، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها فمن أراد العلم فليأت من الباب»(٣)، وعن الإمام الباقر عليه السلام: (نحن باب حطتكم)(٤) في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾(٥).

[٢٣] (وصل الله):

وهذا بيان للأبواب، وأنَّهم الأئمَّة عليهم السلام في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(٦)، قيل: تكرار «أطيعوا» للدلالة على أنَّ إطاعة الله إنَّما هي الأصل، وإطاعة الرسول وأولي الأمر فرع من طاعته، لأنَّه أمر بها، ولم تتكرَّر في «أطيعوا الرسول وأولي الأمر» للدلالة على أنَّ طاعتهم من جنس واحد، بل هو تكليف واحد لأنَّ أولي الأمر كلامهم

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٩.

(٣) البحار: ج٤٠، ص٢٠٣، باب أنه عليه السلام باب مدينة العلم والحكمة، روى فيه ١٦ حديثاً.

(٤) البرهان: ج١، ص٤٠٦ عن تفسير العياشي.

(٥) سورة البقرة: الآية ٥٨.

(٦) سورة النساء: الآية ٥٩.

بِطَاعَتِهِ، فَمَنْ تَرَكَ طَاعَةَ وُلَاةِ الْأَمْرِ لَمْ يُطِعِ اللَّهَ وَلَا رَسُولَهُ[٢٤]، وَهُوَ[٢٥] الْإِقْرَارُ بِمَا أُنْزِلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾

إنَّما هو كلام الرسول ﷺ، كما قال عليه السلام: (حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدّي ـ إلى أن قال ـ: وحديث علي حديث رسول الله)... إلخ(١).

وحيث قرن طاعة أولي الأمر بطاعة الله والرسول، دلَّ على أنَّهم معصومون، لأنَّ غير المعصوم لا تجب طاعته إذا أمر بخلاف ما أنزل الله أو ظهر خطؤه.

[٢٤] **(لم يطع الله ولا رسوله)**:

لأنَّ من أوامر الله إطاعتهم، فلو لم يطعهم فإنَّما خالف قوله ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ كما أنَّ الرسول ﷺ أمر بطاعتهم فعدم طاعتهم مخالفة لأمره ﷺ.

مضافاً إلى أنَّ كلامهم كله من الله ورسوله، فمخالفة أي كلام من كلماتهم إنَّما هو مخالفة لأوامر الله ورسوله.

[٢٥] **(وهو الإقرار...)**:

أي إتيان البيوت من أبوابها ـ وهم أولي الأمر ـ إقرار بآية أُخرى هي قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾(٢).

في المرآة(٣): «دلالة على أنَّ المراد بالزينة: معرفة الإمام وولايته، وبالمسجد الصلاة أو مطلق العبادة، وقد ورد في بعض الروايات تأويل الزينة باللباس وبثياب التجمُّل وبالسواك، والجمع بينها: بأنَّ الزينة شاملة لكل ما يزيّن به الإنسان روحه وبدنه، لقبول العبادة وكمالها، فزينة الرُّوح والنفس بالعقائد والأخلاق الحسنة، والبدن بما ذكر». انتهى.

---

(١) الكافي: ج١، ص٥٣.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٣١.

(٣) المرآة: ج٢، ص٣٠٨ ـ ٣٠٩.

وَالْتَمِسُوا الْبُيُوتَ[٢٦] الَّتِي ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾، فَإِنَّهُ

ولعلَّ سياق الآيات يدلُّ على هذا المعنى حيث قال تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾(١).

ولا يخفى أنَّ اللباس وثياب التجمُّل. . .إلخ هي تفسير للآية ببعض المصاديق، والمعرفة والعبادة تأويل لها.

ثمَّ إنَّه يمكن أن يكون مقصود الإمام عليه السلام هو الاستشهاد بمجموع الآيتين: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ﴾:

فيكون المقصود أنَّ الله أمركم أن تتهيأوا للذهاب إلى المساجد ثم ابحثوا عن هؤلاء الرجال الموصوفين بهذه الأوصاف في المساجد فإنَّكم ستجدون الأئمَّة أو أتباعهم، فتصلون إلى الحق.

والحاصل أنَّ الذي يتزين للذهاب إلى المسجد إنَّما يفعل ذلك لاهتمامه بأمر المسجد، - أمَّا من لا يهتم فإنّه يذهب كيفما اتفق ثُمَّ يخرج فوراً بلا بحث ولا تفكُّر -، فإذا ذهب المتزيِّن إلى المسجد متهيئاً فعليه أن يبحث عن المؤمنين الموصوفين بتلك الأوصاف، وحينئذٍ يهديه الله إلى نوره بأن يلتقي بالأئمَّة أو بأتباعهم فيدلونه إلى الحق، فتأمَّل.

[٢٦] (التمسوا البيوت):

أي اطلبوها، فإنَّكم إن بحثتم عن تلك البيوت فإنَّكم ستجدونها لأنَّ الله سيهديكم إلى نوره، فترون الرفعة المعنوية لتلك البيوت وللرجال الذين هم فيها، فإنَّهم متصفون بالأوصاف المذكورة.

والآية الكريمة في سورة النُّور: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ نور الله ﴿مَن يَشَآءُ﴾ ممَّن اتبع الحقّ ولم يعانده ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ﴾ فهو الذي ضرب النُّور مثلاً لنفسه، لأنَّه هادٍ لأهل السَّماء وأهل الأرض، كالنُّور الذي يضيء الدرب، وضربه للمثل تشبيهاً للمعقول بالمحسوس تقريباً إلى

---

(١) سورة الأعراف: الآيتان ٣٠ ـ ٣١.

أَخۡبَرَكُمۡ أَنَّهُمۡ ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ

الأذهان، ولا يحقّ لغيره أن يضرب مثلاً له كما قال: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[١] فهو يعلم كيف يمثل لنفسه لا أنتم ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[٢] فيعلم الأمثال المناسبة التي توجب علماً وفقهاً للناس.

ثمَّ إنَّ ذلك المصباح الذي يتلألأ منه النُّور إنَّما هو ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ عامرة بالتقوى، ليُضاف النُّور المعنوي إلى النُّور الظاهري، فإنَّ مثل نور الله كمثل المصباح الموضوع في المسجد، فإنَّه يبهره ذلك النُّور الساطع في أقدس الأماكن ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ﴾ رفعة ظاهرية بالعمران، ورفعة معنوية بالاحترام والتطهير من الأرجاس، وأفضل تلك البيوت هي بيوت الأنبياء والأئمَّة عليهم السلام ﴿وَ﴾ كذلك أذن الله بأن ﴿يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾، في مقابل بيوت الكفَّار التي لم يأذن الله في رفعها ـ بمعنى كراهة علوها وكراهة الصلاة فيها على ما قيل ـ، أمَّا البيوت الذي أذن فإنَّه ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ﴾ الصباح ﴿وَٱلۡأٓصَالِ﴾ جمع أصيل، طرف العصر ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ﴾ لا تشغلهم ﴿تِجَٰرَةٞ﴾ مطلق المعاملة، ﴿وَلَا بَيۡعٌ﴾ وذكره بعد التجارة لشيوعه بين التجارات وقيل المقصود من التجارة: الشراء، ﴿عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ﴾ أي إقامة ﴿ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ﴾ عذاب ﴿يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ من الخوف، فإنَّ الخائف يتشتَّت باله ويدير الطرف في مختلف الجهات كأنَّه يتلمَّس المفرّ[٣].

والحاصل أنَّ حكَّام الجور ووعَّاظ السلاطين لا تنطبق عليهم هذه الأوصاف، وأمَّا أئمَّة أهل البيت عليهم السلام فقد انطبقت عليهم تمام الانطباق، ويجد هذه الحقيقة كل من حقَّق وتأمَّل في أحوالهم وأحوال مناوئيهم، فهم عليهم السلام أحقّ بالاتباع من غيرهم.

---

(١) سورة النحل: الآية ٧٤.

(٢) سورة النور: الآية ٣٥.

(٣) اقتباس من تقريب القرآن: ج٣، ص٧٠٦ ـ ٧٠٧ ـ بتصرُّف وإضافة ـ

يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧]. **إِنَّ اللَّهَ قَدِ اسْتَخْلَصَ الرُّسُلَ لِأَمْرِهِ**[٢٧]**، ثُمَّ اسْتَخْلَصَهُمْ**[٢٨] ....

---

[٢٧] (إن الله قد استخلص الرُّسل لأمره):

الإمام عليه السلام يستشهد بآية ثالثة وهي قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾(١)، حيث اصطفى الأنبياء لذلك ومن بعدهم الأئمَّة عليهم السلام، وقد مرَّ أنَّ حمل هذا الأمر يحتاج إلى قابلية في الحامل، ولا تحصل القابلية إلَّا بأن يكون مخلَصاً ـ بالفتح ـ ومصطفى، كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾(٢)، وقال سبحانه في المصطفين من هذه الأمَّة: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾(٣).

«استخلص» بمعنى جعله خالصاً لنفسه، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾(٤)، والمعنى أنَّ الله جعلهم خالصين من كل شوب ودنس ـ مادي ومعنوي ـ ليحملوا رسالته.

[٢٨] (ثمَّ استخلصهم):

أي بعد الأنبياء استخلص ولاة الأمر وهم الأئمَّة عليهم السلام، حال كونهم «مصدقين بذلك» الأمر، فالأئمَّة عليهم السلام هم امتداد للأنبياء ويصدقونهم في أمر الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾(٥)، كما ورد تفسيره في مستفيض الروايات(٦)، وقال تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾(٧) قال الإمام

---

(١) سورة فاطر: الآية ٢٤.
(٢) سورة الحجّ: الآية ٧٥.
(٣) سورة فاطر: الآية ٣٢.
(٤) سورة يوسف: الآية ٥٤.
(٥) سورة هود: الآية ١٧.
(٦) راجع البرهان: ج٥، ص١١٥ ـ ١٢٢ وفيه أكثر من ٢٠ رواية بهذا المعنى.
(٧) سورة الرعد: الآية ٤٣.

مُصَدِّقِينَ بِذَلِكَ فِي نُذُرِهِ[٢٩]، فَقَالَ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ[٣٠]﴾ [فاطر: ٢٤]. تَاهَ مَنْ جَهِلَ[٣١]، وَاهْتَدَى مَنْ أَبْصَرَ وَعَقَلَ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ

الباقر عليه السلام في تفسيرها: «إيَّانا عنى، وعليّ عليه السلام أوَّلنا وأفضلنا وخيرنا بعد النَّبيّ»(١).

[٢٩] **(في نُذُره):**

جمع نذير، وهو يطلق على كلّ شيء فيه إنذار ـ إنساناً كان أو غيره ـ كما في المفردات(٢).

فإن كان المقصود المنذرين، يكون المعنى إنَّ الأئمَّة عليهم السلام مصدقين بأمر الله تعالى وكائنين في جملة المنذرين.

وإن كان المقصود: الإنذارات، يكون المعنى إنَّهم عليهم السلام مصدقين بأمره تعالى في إنذاراته للناس.

[٣٠] **(إلَّا خلا فيها نذير):**

المعنى ﴿وَإِن﴾ نافية ﴿مِّنْ أُمَّةٍ﴾ جماعة من الناس ﴿إِلَّا خَلَا﴾ مضى ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾ من نبيّ أو مَن قام مقامه مِن أوصيائه.

سادساً: البصيرة في معرفتهم عليهم السلام

[٣١] **(تاه من جهل):**

أي إنَّ إتيان البيوت من أبوابها وطاعة ولاة الأمر ومعرفة الرجال الذين لا تلهيهم التجارة واللهو، بحاجة إلى رؤية الحقائق، فمن لا يرى الحقائق فهو أعمى القلب، ولا تمكن الرؤية إلَّا بفهم الأشياء وذلك عبر التدبُّر والتفكُّر فيها.

«تاه» تحيَّر في ضلال «من جهل» الحق «واهتدى» إلى الحق «من أبصر» البصيرة في الفكر «وعقل» أي فهم العلامات والآيات، فإنَّ طريق الحقّ واضحة لمن تأمَّلها.

---

(١) البرهان: ج٥، ص٣٦٦ وفيه أكثر من ٢٥ رواية بهذا المضمون.

(٢) المفردات: ص٧٩٨.

يَقُولُ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ[٣٢]﴾ [الحج: ٤٦]. وَكَيْفَ يَهْتَدِي مَنْ لَمْ يُبْصِرْ[٣٣]؟ وَكَيْفَ يُبْصِرُ مَنْ لَمْ يَتَدَبَّرْ؟[٣٤] اتَّبِعُوا رَسُولَ اللَّهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَأَقِرُّوا بِمَا نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَاتَّبِعُوا آثَارَ

---

[٣٢] (ولكن تعمى القلوب التي في الصدور):

استدلال بالآية على أنَّ سبب الهداية هو البصيرة في القلب لا مجرَّد البصر بالعين، فإنَّ أكثر أهل الضلال لهم عيون ولكن لا يبصرون بها الحقائق، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾(١) ثمَّ إنَّ قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ مع وضوح أنَّ موطن القلب في الصدر، إنَّما هو بغرض التعميم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾(٢) فوصف الطائر بأنَّه يطير بجناحيه هو للتعميم.

[٣٣] (من لم يبصر):

قال تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِي ٱلْعُمْيَ وَلَوْ كَانُواْ لَا يُبْصِرُونَ﴾(٣) أما من يبصر فإنَّه يهتدي كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾(٤).

[٣٤] (من لم يتدبَّر):

أي إنَّ طريق الإبصار هو التفكُّر والتأمُّل في الأُمور، وعدم الاتباع الأعمى للآباء وللمجتمع، فإنَّ الفكر مرآة صافية، وعَبره يتوصَّل الإنسان إلى الحقّ، قال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٥).

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

(٣) سورة يونس: الآية ٤٣.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٣.

(٥) سورة ص: الآية ٢٩.

الْهُدَى[٣٥]، فَإِنَّهُمْ عَلَامَاتُ الْأَمَانَةِ وَالتُّقَى[٣٦]، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَوْ أَنْكَرَ[٣٧] رَجُلٌ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عليه السلام وَأَقَرَّ بِمَنْ سِوَاهُ مِنَ الرُّسُلِ لَمْ يُؤْمِنْ، اقْتَصُّوا الطَّرِيقَ[٣٨]

سابعاً: هم الرسول والأئمة عليهم السلام

[٣٥] **(آثار الهدى):**

أي العلامات والدلائل التي توصلكم إلى الهداية، وهي دلائل إمامتهم، كالنصوص الصريحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله الدالّة عليهم بالعموم أو الخصوص، وكذلك الآيات القرآنية النازلة فيهم، وكذا ملاحظة سيرتهم وأحاديثهم وغيرها، فإنَّها تدلُّ على أنَّهم أبواب الهدى وأنَّهم ولاة الأمر وأنَّ كلامهم الحق ونحو ذلك.

[٣٦] **(فإنَّهم علامات الأمانة والتقى):**

هذا كالدليل، أي اتبعوا آثار الهدى فإنَّكم تجدونها عندهم عليهم السلام، فإنَّ من أبرز شروط الهدى هي الأمانة والتقى، وهم عليهم السلام يمثِّلون الأمانة والتقى بطريقة واضحة وجلية بحيث صاروا علامة عليهما، و«العلامة» هي ما تدلُّ على الشيء.

ثامناً: لزوم الاعتقاد بجميعهم

[٣٧] **(واعلموا أنَّه لو أنكر. . .):**

المقصود بيان لزوم الاعتقاد بجميعهم، فإنَّ من أنكر أحدهم كان كمن أنكر جميعهم، فلا يُقبل منه.

كما أنَّه يجب التصديق بجميع الأنبياء وعدم التفريق بينهم ـ بأن يصدق بعضهم ويكذب بعضهم ـ، ومن فرَّق بينهم لم يُقبل منه وهو كافر.

النتيجة

[٣٨] **(اقتصوا الطريق):**

«القصّ» تتبع الأثر، أي اطلبوا الطريق الموصل إلى الله تعالى وهو

بِالْتِمَاسِ الْمَنَارِ، وَالْتَمِسُوا مِنْ وَرَاءِ الْحُجُبِ[٣٩] الْآثَارَ، تَسْتَكْمِلُوا أَمْرَ دِينِكُمْ، وَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ.

٧ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ صَغِيرٍ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١] ....

الصراط المستقيم عبر التفحُّص عن الإمام، ولو بحثتم فإنَّكم تصلون إليه لأنَّهم المنار، وعلامتهم واضحة لمن أراد الحقّ.

[٣٩] **(من وراء الحجب)**:

أي هناك موانع تمنعكم، ولكن شاء الله أن يجعل نورهم مشرقاً يراه من أراد الحق، لكن بشرط التفحُّص والتتبُّع، ونحن نشاهد أنّه على رغم أنَّ أعدائهم أرادوا إطفاء نورهم وإخفاء آثارهم، واستعملوا جميع ما أُتيح لهم من ظلم واضطهاد وقتل ومنع نقل فضائلهم والكذب عليهم، مع كلّ ذلك نرى نورهم ساطع، والحجَّة بالغة قال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾(١).

الحديث السابع:

[١] **(عن أبي عبد الله عليه السلام)**:

حاصل الحديث: أنَّ معرفة حقائق الدِّين متوقفة على معرفة الرسول صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام والأخذ منهم.

لأنَّ الحكمة الإلٰهيَّة اقتضت ـ في هذا العالم ـ بأن تكون النتائج عبر الأسباب، وقد جعلهم الله سبحانه سبب معرفة حقائق الدِّين.

فمن أراد الوصول إلى تلك الحقائق عن غير طريقهم ضلَّ وغوى، كما نشاهد في ضلال بعض كبار المفكِّرين والفلاسفة لما اعتمدوا على

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣٢.

أَنَّهُ قَالَ: أَبَى اللَّهُ أَنْ يُجْرِيَ الْأَشْيَاءَ إِلَّا بِأَسْبَابٍ[٢]، فَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ

عقولهم وتركوا حجج الله تعالى.

ومن فذلكة القول: إنَّ لكلّ علم منهج يجب السير فيه على طبق ذلك المنهج، ومن خالفه لم يتوصل إلى النتائج الصحيحة، مثلاً العلوم الطبيعية تتوقف على التجربة، وأمَّا من يجلس في غرفة مغلقة ويريد عبر التحليل العقلي الوصول إلى حقائق الطبيعة فإنَّه يخطىء غالباً، ولذا بطلت غالب طبيعيات الفلسفة اليونانية رغم أنَّ قائليها كانوا من عباقرة المفكِّرين، وكذلك المنهج في علوم اللغة هو التفحُّص في كلام أهل تلك اللغة للتوصل إلى قواعدها لا الجلوس في الأبراج العاجية والتفكُّر في معاني الكلمات، وكذا للفقه منهج خاص به ومنه البحث في أسناد الأخبار، وللتاريخ منهج خاص به وهو تتبُّع الآثار والقرائن وجمع المتفرقات المبثوثة في الكتب لتكميل الصورة، ولو أراد أحدهم تطبيق المنهج الفقهي على التاريخ لزم منه إلغاء التاريخ برمَّته لأنَّه قلَّما يوجد نص أو كتاب تاريخي ينطبق عليه مواصفات المنهج الفقهي في الروايات.

وهكذا علم المبدأ والمعاد منهجه الصحيح هو الأخذ من الوحي.

وفي كلّ هذه العلوم العقل إنَّما يكون كالسراج الذي يضيء الطريق، فعالم الطبيعيات يستفيد من عقله لفهم التجارب، وعالم اللغة لقياس الجُمَل والكلمات لاكتشاف مشتركاتها للتوصل للقواعد، وكذا في الاعتقادات يُستعمل العقل لفهم كلام الوحي.

وعلى كلِّ حال منهج كلّ علم هو أساس السير الصحيح في ذلك العلم، والخطأ في المنهج يتسبَّب الخطأ في غالب النتائج.

[٢] **(الأشياء إلَّا بأسباب):**

في البداية يذكر الإمام عليه السلام القاعدة الكلية، وهي أنَّ لكل شيء سبباً، ثم يطبق هذه القاعدة على علوم الشريعة وأنَّ الله جعل السبب فيها الرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام.

سَبَباً[٣]، وَجَعَلَ لِكُلِّ سَبَبٍ شَرْحاً[٤]، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَرْحٍ عِلْماً، وَجَعَلَ لِكُلِّ عِلْمٍ بَاباً نَاطِقاً، عَرَفَهُ مَنْ عَرَفَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ[٥]، ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ[٦].

---

[٣] **(فجعل لكل شيء سبباً):**

أي جعل الله تعالى لكلّ شيء يحتاج إليه من أُمور الدِّين طريقاً يوصل إليه، كما قال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾(١) أي جعلنا لذي القرنين من كلّ شيء يحتاج إليه طريقاً يوصله إلى مراده.

[٤] **(وجعل لكلّ سبب شرحاً):**

لعلّ المقصود هو الفهم، لأنَّ الشرح هو توسعة الصدر وبسطه بنور إلٰهي يُوجب قبول الحقّ وعدم العناد، كما قال سبحانه: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾(٢).

والحاصل أنَّ معرفة الأسباب بحاجة إلى توسعة وانشراح في الصدر لقبول الحقّ.

ويمكن أن يكون المقصود من «الشرح»: شرح المشكل وإظهار ما خفي من الحقائق، كما يُقال شَرَح الكلام أي وضحّه.

[٥] **(وجهله من جهله):**

المقصود أنَّ العلم به أو الجهل به لا يغيِّر الموازين، ولا يضرّ الحقائق، فجهل الناس بقوانين الكون ـ مثلاً ـ لا يغيِّرها بل هي تعمل عملها بإذن ربِّها، نعم الناس حينما يكتشفونها يستفيدون وينتفعون، لا هي، كذلك الباب الناطق لا يضرّه إعراض الناس عنه، بل إذا عرفوه واتبعوه فهم المستفيدون.

[٦] **(ذاك رسول الله ﷺ ونحن):**

أي ذاك الباب الناطق.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٨٤.

(٢) سورة الزمر: الآية ٢٢.

٨ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ رَزِينٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: كُلُّ مَنْ دَانَ اللَّهَ[١] عَزَّ وَجَلَّ بِعِبَادَةٍ يُجْهِدُ فِيهَا نَفْسَهُ وَلَا إِمَامَ لَهُ مِنَ اللَّهِ[٢] فَسَعْيُهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ[٣]، ....

وفي المرآة(١) توضيح الحديث بالمصداق الجزئي، قال رحمه الله:
فيما هو عليه السلام بصدد بيانه من الحاجة إلى الإمام: «الشيء» حصول النجاة والوصول إلى درجات السعادة الأخروية أو الأعمّ، و«السبب» المعرفة والطاعة، و«الشرح» الشريعة المقدَّسة، و«العلم» بالتحريك أي ما يُعلم من الشرع، أو بالكسر أي سبب العلم، وهو القرآن، و«الباب الناطق» الذي به يوصل إلى القرآن، النبي صلى الله عليه وآله في زمانه والأئمة صلوات الله عليهم بعده). انتهى.
والحاصل: أنَّ الأخذ من الرسول صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام يوجب العلم، والعلم يوجب شرح الصدر وفهم الأمور، والشرح يوجب معرفة الأسباب، ومن الأسباب يصل الإنسان إلى المسبِّبات وهي حقائق الدِّين.

الحديث الثامن:

[١] **(كل من دان الله):**
أي أراد إطاعته والانقياد له.

[٢] **(ولا إمام له من الله):**
أي ولا يعترف بإمام نصبه الله تعالى.

[٣] **(فسعيه غير مقبول):**
لأنَّ الولاية شرط قبول الأعمال، وذلك لأنَّ القبول إنَّما هو تفضُّل من الله تعالى، وإنَّه تعالى اشترط للقبول شروطاً فمن وفّى بها استحقَّ ذاك

---

(١) المرآة: ج٢، ص٣١٢.

وَهُوَ ضَالٌّ مُتَحَيِّرٌ[٤]، **وَاللَّهُ شَانِئٌ لِأَعْمَالِهِ**[٥]. ....

التفضُّل، وإلّا فلا، كمن يصلّي صلاة فيها خشوع ويتمّ ركوعها وسجودها ولكن من غير وضوء، فإنَّ صلاته باطلة ولا يستحقّ عليها شيئاً.

ولذا فالكافر الصالح العامل بالصالحات لا يستحقّ على الله شيئاً لأنَّه تعالى اشترط الإيمان في قبول العمل كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(١)، نعم قد يكون صلاحه أو عمله بالصالحات سبباً لتخفيف العذاب عنه تفضُّلاً من الله سبحانه ـ كما يظهر من بعض الروايات ـ.

وَمَثله كمَثَل من يأتي بعامل بناء ويشترط عليه عملاً بكيفية خاصة ويعيَّن له أجراً، فإن لم يعمل العامل حسب الاتفاق وبنى الدار بطريقة أُخرى، فإنَّه لا يستحق أجراً، بل يتمكَّن صاحب الدار من رفع دعوى قضائية عليه، بل يمكنه جبره على تهديم ما بناه، وتغريمه بدفع تعويضات، كلّ ذلك لأنَّه خالف الشرط والاتفاق المبرم.

[٤] **(ضال متحيِّر):**

لأنَّ الطريق منحصر في الأخذ عنهم عليهم السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»(٢) ومفهومه أنَّ عدم التمسُّك بهما موجب للضلال، وقد ضرب الله مثلاً للضال عن الهداية بقوله تعالى: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا﴾(٣).

[٥] **(شانىء لأعماله):**

أي مبغض لها، لأنَّ أعماله باطلة، وكلّ من ترك العبادة الصحيحة إلى غير ما أمر الله به، فإنَّه يُعاقب على عمله.

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٢) انظر المصادر التالية بألفاظ متقاربة: بصائر الدرجات: ص٤٣٣، الكافي: ج٢، ص٤١٥، سنن النسائي: ج٥، ص٤٥، الحديث: ٨١٤٨، كنز العمال: ج١، ص١٨٦، الحديث: ٩٤٤.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٧١.

وَمَثَلُهُ كَمَثَلِ شَاةٍ[٦] ضَلَّتْ عَنْ رَاعِيهَا وَقَطِيعِهَا، فَهَجَمَتْ[٧] ذَاهِبَةً وَجَائِيَةً يَوْمَهَا، فَلَمَّا جَنَّهَا اللَّيْلُ[٨] بَصُرَتْ بِقَطِيعِ غَنَمٍ مَعَ رَاعِيهَا[٩]، فَحَنَّتْ إِلَيْهَا[١٠] وَاغْتَرَّتْ بِهَا، فَبَاتَتْ مَعَهَا فِي مَرْبِضِهَا، فَلَمَّا أَنْ سَاقَ الرَّاعِي

---

[٦] **(ومثله كمثل شاة):**

حاصل المثل: إنَّه بتركه الإمام المنصوب من الله تعالى، يبقى متحيِّراً فيلتجىء إلى مذاهب أُخرى، فتارة هو ينكرهم لما يجد فيهم من الباطل، وتارة هم ينكروه ـ لتعصُّب أو شكّ به ـ، فيبقى حائراً، فيكون فريسة للشيطان يلعب به كيفما شاء، وهذا على الأغلب، فإنَّ من ينتقل من دينه إلى دين باطل ـ إمَّا يرفضهم بعد فترة ويرتدّ عنهم، وإمَّا أن يرفضوه ويطردوه، فيبقى كالمعلّق لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فيعيش حياة مضطربة وخواء فكري وروحي.

[٧] **(فهجمت):**

الهجوم هو الدخول بغتة أو بغير إذن، فإنَّ المتحيِّر يتخذ قراره فجأة من دون روية ـ عادة ـ.

[٨] **(جنَّها اللَّيل):**

أي أحاطت بها ظلمة اللَّيل، لأنَّ «ج ن ن» بمعنى ستر، واللَّيل لظلمته يستر الأشياء، كذا الضال عن إمامه حين شعوره بالاحتياج إلى جماعة ودين يلتجىء إليهم.

[٩] **(مع راعيها):**

أي مع راعي القطيع الثاني، وفي بعض النسخ (مع غير راعيها) أي مع غير راعي هذه الشاة الضالة.

[١٠] **(فحنَّت إليها):**

أي اشتاقت إليها، وكذا الضال عن الإمام، يشعر بحاجته إلى جماعة يلتحق بهم ويحتمي عندهم، فلما يبقى عندهم فترة ينكرهم لما يرى من باطلهم وباطل إمامهم، والتشبيه لطيف فإنَّه يبقى عندهم فترة يشعر بالراحة

قَطِيعَهُ أَنْكَرَتْ رَاعِيَهَا وَقَطِيعَهَا، فَهَجَمَتْ مُتَحَيِّرَةً تَطْلُبُ رَاعِيَهَا وَقَطِيعَهَا، فَبَصُرَتْ بِغَنَمٍ مَعَ رَاعِيهَا فَحَنَّتْ إِلَيْهَا وَاغْتَرَّتْ بِهَا، فَصَاحَ بِهَا الرَّاعِي[١١]: الْحَقِي بِرَاعِيكِ وَقَطِيعِكِ فَأَنْتِ تَائِهَةٌ مُتَحَيِّرَةٌ عَنْ رَاعِيكِ وَقَطِيعِكِ، فَهَجَمَتْ ذَعِرَةً مُتَحَيِّرَةً تَائِهَةً، لَا رَاعِيَ لَهَا يُرْشِدُهَا إِلَى مَرْعَاهَا أَوْ يَرُدُّهَا، فَبَيْنَا هِيَ كَذَلِكَ إِذَا اغْتَنَمَ الذِّئْبُ ضَيْعَتَهَا[١٢]، فَأَكَلَهَا. وَكَذَلِكَ وَاللَّهِ ـ يَا مُحَمَّدُ ـ مَنْ أَصْبَحَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا إِمَامَ لَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ظَاهِرٌ عَادِلٌ[١٣]، أَصْبَحَ ضَالّاً تَائِهاً، وَإِنْ مَاتَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ مَاتَ مِيتَةَ كُفْرٍ وَنِفَاقٍ[١٤]، وَاعْلَمْ ـ يَا

كالشاة التي تبيت في القطيع ليلة، ثمَّ يرى من رئيس المجموعة وإمامها الباطل فينكره، كما تنكر هذه الشاة الراعي لما يسوقها.

[١١] **(فصاح بها الراعي):**

وكذا الضال عن إمامه، قد يريد الالتحاق بمجموعة لكنَّها ترفضه، إمَّا لعنصريتها أو لشكِّها فيه، أو تطرده بعد الالتحاق بها لعدم انسجامه معهم.

[١٢] **(اغتنم الذئب ضيعتها):**

تشبيه الشيطان بالذئب، فإنَّ هؤلاء المتحيِّرين إنَّما هم فريسة للشيطان، و«الضيعة» بمعنى الضياع.

[١٣] **(ظاهرٌ عادلٌ):**

أي ظاهر الحجَّة والبرهان ـ وإن كان غائباً عن الأنظار ـ، قيل هو «طاهر» بالطاء.

[١٤] **(ميتة كفر ونفاق):**

«الميتة» بكسر الميم مصدر دال على الهيئة والحالة، مثل (جلست جِلسة العبد) أي بهيأته.

وهذا المعنى قد استفاض عند الفريقين عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»(١) والمعنى الموت على

---

(١) راجع بحار الأنوار: ج٢٣، ص٧٦، فما بعد.

مُحَمَّدُ ـ أَنَّ أَئِمَّةَ الْجَوْرِ وَأَتْبَاعَهُمْ لَمَعْزُولُونَ عَنْ دِينِ اللَّهِ[١٥]، قَدْ ضَلُّوا وَأَضَلُّوا، فَأَعْمَالُهُمُ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ[١٦] لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟[١٧] عَلَىٰ شَىْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ[١٨]﴾ [إبراهيم: ١٨].

الحالة التي كانت عليها أهل الجاهلية من الكفر والجهل.

وإنّما عطف «ونفاق» على «الكفر» لأنَّ المنافق كافر باطناً، وكثير ممَّن لا إمام لهم يتشهدون الشهادتين فتكون ميتتهم الجاهلية كميتة المنافقين.

[١٥] **(المعزولون عن دين الله):**

لأنَّ الدِّين كمل بالولاية، كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(١)، ولأنَّ الإسلام هو التسليم لأمر الله تعالى في كلّ شيء، فإنكار أصل من أهم الأُصول يُنافي التسليم، ولأنَّ المعارف منحصرة بهم لذا أمر بالتمسُّك بهم ـ كما في حديث الثقلين وغيره ـ.

و«المعزول»: الممنوع أو المبتعد.

[١٦] **(في يوم عاصف):**

سريع الريح كالعاصفة، فكما أنَّ أحداً لا يتمكَّن من جمع الرماد في هذا اليوم كذلك أعمالهم تذهب هباءً منثوراً كما قال: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾(٢).

وقوله: ﴿يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ هو من الوصف بحال المتعلق أي عاصف ريحه، وذلك للمبالغة.

[١٧] **(لا يقدرون ممَّا كسبوا):**

أي لا يحصلون على ثواب عملهم في الآخرة، وذلك لأنَّ عدم الإيمان يحبط العمل.

[١٨] **(الضلال البعيد):**

أي البعيد عن الحقّ، لأنَّ الضلال قد يكون بالعصيان كالمؤمن الذي

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٢٤.

٩ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ وَاقِدٍ، عَنْ مُقَرِّنٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: جَاءَ ابْنُ الْكَوَّاءِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ﴾[١] [الأعراف: ٤٦] فَقَالَ:

يرتكب معصية فإنّه ضلال لكنّه لا يبتعد عن الحقّ كثيراً لسلامة عقيدته، فقد يغفر الله له، وأما سقيم العقيدة فإنّه يضلّ ضلالاً بعيداً عن الحق.

الحديث التاسع:

[١] (كلاً بسيماهم):

«الأعراف»:

١ ـ إمّا جمع «عُرف» وهو المرتفع من الشيء، ومنه عرف الديك للتاج على رأسه، وعرف الضبع للشعر الذي يعلو على رقبته.

٢ ـ وإمّا جمع «عارف» كأنصار جمع ناصر، وهو الذي له المعرفة بالشيء بأن بعلمه بأوصافه وخصوصياته.

٣ ـ وإمّا جمع «عريف» كأشراف جمع شريف، وهو السيِّد المعروف.

وأمّا الآية الشريفة فقد ورد تفسيرها في الأحاديث ـ ومنها هذا الحديث ـ بالمعاني الثلاثة:

فعلى الأوّل: الأعراف مرتفعات بين الجنّة والنار، ولعلّها نفس السور المذكور في قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾(١)، والرجال الذين هم على الأعراف صنفان: صنف هم أهل البيت عليهم السلام، والصنف الآخر مجموعة من الذين تساوت حسناتهم وسيّئاتهم فهم مرجون لأمر الله تعالى، وهذا ما يظهر من الأخبار، فراجع تفسير البرهان(٢).

وعلى الثاني: ـ أي جمع عارف ـ يكون المقصود أنّ العارفين هم

---

(١) سورة الحديد: الآية ١٣.

(٢) البرهان: ج٤، ص١٤٥ ـ ١٤٥ ذكر حدود ثلاثين حديثاً.

نَحْنُ عَلَى الْأَعْرَافِ نَعْرِفُ أَنْصَارَنَا بِسِيمَاهُمْ[٢]، وَنَحْنُ الْأَعْرَافُ الَّذِي لَا يُعْرَفُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا بِسَبِيلِ مَعْرِفَتِنَا[٣]، وَنَحْنُ الْأَعْرَافُ يُعَرِّفُنَا اللَّهُ عَزَّ

مجموعة من الناس وعلى رأسهم هؤلاء الرجال، كما يُقال «على الناس الأمير»، فالأئمَّة عليهم السلام يعرفون الله وعن طريقهم يعرف الناس الله تعالى، فمن عرفهم عرف الله، فيكون النُّور في سيماه يُعرف به.

فإنَّ المؤمنين يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، والمنافقين لا نور لهم، فيميِّزهم من في المحشر، والأئمة من أهل البيت عليهم السلام على رأس العارفين المكلّفين من قبل الله تعالى لأمر أهل الجنَّة بدخولها وأمر أهل النار بدخولها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾(١).

وعلى الثالث: ـ أي جمع عريف ـ يكون المعنى أنَّهم عليهم السلام المعروفون في يوم القيامة، يعرفهم كلّ من حضر المحشر، وهم يعرفون الكل، فمن عرفوه بالإيمان أدخلوه الجنَّة، ومن أنكروه ـ بمعنى أنَّهم عرفوه بالكفر أو النفاق ـ أدخلوه النار بإذن الله تعالى.

[٢] **(نعرف أنصارنا بسيماهم)**:

من الوسم أو السوم ومعناه العلامة في الوجه، كما قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾(٢)، وقال: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾(٣).

[٣] **(إلّا بسبيل معرفتنا)**:

كما في حديث الثقلين وغيره، حيث إنَّ عدم التمسُّك بهم يوجب الضلال، والتمسُّك بهم يوجب الهداية، فمن أراد الله أخذ معارفه عنهم عليهم السلام فإنَّهم عرَّفوا الله تعالى بالوجه الصحيح، خلافاً لمن أخذ من غيرهم فوقع في التجسيم أو التعطيل ـ والعياذ بالله ـ.

---

(١) سورة الحديد: الآيتان ١٢ ـ ١٣.

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٣) سورة الرحمن: الآية ٤١.

وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الصِّرَاطِ، فَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَنَا وَعَرَفْنَاهُ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَنَا وَأَنْكَرْنَاهُ[٤]. إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى[٥] لَوْ شَاءَ لَعَرَّفَ الْعِبَادَ نَفْسَهُ، وَلَكِنْ جَعَلَنَا أَبْوَابَهُ وَصِرَاطَهُ وَسَبِيلَهُ وَالْوَجْهَ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ[٦]، فَمَنْ عَدَلَ عَنْ وَلَايَتِنَا أَوْ فَضَّلَ عَلَيْنَا غَيْرَنَا فَإِنَّهُمْ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ[٧]؛ فَلَا سَوَاءٌ

---

[٤] **(إلَّا من أنكرنا وأنكرناه):**

وهذا من معاني أنَّ الإمام عليّاً عليه السلام قسيم الجنَّة والنار، وحتَّى صحاح العامَّة دلَّت على أنَّ رجلاً يأمر بزمرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله إلى النار، كما رواه البخاري في الصحيح عند العامَّة في باب الحوض.

[٥] **(إن الله تبارك وتعالى. . .):**

الغرض من هذه الفقرة، هو دفع الاستبعاد عن أنَّه لا يدخل الجنَّة إلَّا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلَّا من أنكرهم وأنكروه، ببيان أنَّ الله بنى أمر الكون في الدُّنيا والآخرة على الأسباب، فلذا في الآخرة يحضر الأشهاد والكتب ونحو ذلك، وكذا تدبير الملائكة لأُمور الكون، فكذلك كلَّف الأئمَّة عليهم السلام بحساب الخلق وأمر أهل الجنَّة بدخولها وأهل النار بدخولها، كلُّ ذلك بإذنه سبحانه وتعالى.

[٦] **(جعلنا أبوابه. . .):**

جعلهم أبواب معرفته، وجعلهم صراطه الذي به يعرف الناس طريق عبادته، وجعلهم سبيله الذي به يعرف الناس الوصول إلى قربه وجنَّته(١)، وجعلهم وجهه بمعنى أنَّ من يريد التوجُّه إليه لا بدَّ من أن يأخذ كيفية عبادته منهم، ولا بدّ أن تكون له الولاية ليقبل الله عمله.

[٧] **(عن الصراط لناكبون):**

أي مائلون منحرفون عن الصراط المستقيم، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ

---

(١) اقتباس من المرآة: ج٢، ص٣١٩.

مَنِ اعْتَصَمَ النَّاسُ بِهِ[٨]، وَلَا سَوَاءٌ حَيْثُ ذَهَبَ النَّاسُ إِلَى عُيُونٍ كَدِرَةٍ يَفْرَغُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ[٩]، وَذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ إِلَيْنَا إِلَى عُيُونٍ صَافِيَةٍ تَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهَا، لَا نَفَادَ لَهَا وَلَا انْقِطَاعَ.

١٠ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ، عَنِ الرَّيَّانِ بْنِ شَبِيبٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْخَزَّازِ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: يَا أَبَا حَمْزَةَ: يَخْرُجُ أَحَدُكُمْ فَرَاسِخَ فَيَطْلُبُ لِنَفْسِهِ دَلِيلاً، وَأَنْتَ بِطُرُقِ السَّمَاءِ[١] أَجْهَلُ مِنْكَ

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾(١) أي منحرفون عنه.

[٨] **(من اعتصم الناس به):**

أي لا يستوي الفريقان: من اعتصم بالناس ومن اعتصم بالأئمّة عليهم السلام، وقُدِّرت الجملة الثانية ـ أي من اعتصم بهم عليهم السلام ـ لوضوحها، ولبيانها بالمعنى في الفقرة التالية (ولا سواء حيث ذهب...) إلخ، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾(٢).

[٩] **(كدرة يفرغ بعضها في بعض):**

أي يصبُّ بعضها في بعض فليس منبعها إلهي، بل أخذ رجال من رجال، ولعلَّ التشبيه بالعين الكدرة للدلالة على اختلاط الحق والباطل عندهم بحيث يغلب الباطل على الحق.

الحديث العاشر:

[١] **(بطرق السَّماء):**

أي الوحي النازل من السَّماء، الذي فيه كلّ ما يحتاج إليه الناس من العلوم، فإنّها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله، فعلّمها الإمام عليّاً عليه السلام وهو

---

(١) سورة المؤمنون، الآية ٧٤.

(٢) سورة الحشر: الآية ٢٠.

بِطُرُقِ الْأَرْضِ[٢]، فَاطْلُبْ لِنَفْسِكَ دَلِيلاً.

١١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ الْحُرِّ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا[١]﴾ [البقرة: ٢٦٩] فَقَالَ: طَاعَةُ اللَّهِ وَمَعْرِفَةُ الْإِمَامِ[٢].

علم يتوارثه الأئمَّة عليهم السلام.

[٢] (بطرق الأرض):

طرق الأرض محسوسة فيمكن المعرفة فيها بالتجربة ومع ذلك يطلبون الدليل، أما طرق السَّماء فلا طريق للوصول إليها إلَّا عبر الوحي.

الحديث الحادي عشر:

[١] (خيراً كثيراً):

«الحكمة» وضع الأشياء في مواضعها، ومن مصاديقها: إصابة الحق بالعلم والعقل.

﴿يُؤْتِي﴾ يعطي الله ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ أي العلم والعمل بالشريعة ﴿مَن يَشَآءُ﴾ ممَّن استعدَّ قبولها، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ لأنَّ الخير ـ دنياً وآخرة ـ في معرفة الشرع والعمل به.

[٢] (طاعة الله ومعرفة الإمام):

تفسير بأبرز المصاديق، فإنَّ رأس الخير هو إطاعة الله تعالى، ولا يمكن معرفة ما يريده الله تعالى إلَّا ببيان الرسول صلى الله عليه وآله ومن بعده الأئمَّة عليهم السلام، كما أنَّ الله تعالى أمر بطاعتهم، فكانت طاعتهم طاعة له تعالى.

وفي حديث آخر: (معرفة الإمام واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار)(١) وهو تفسير لإطاعة الله بأهم المصاديق: وهي اجتناب الكبار.

---

(١) البرهان: ج٢، ص٢٩٩ عن الكافي: ج٢، ص٢١٦.

١٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ أَبَانٍ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: هَلْ عَرَفْتَ إِمَامَكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: إِي وَاللَّهِ، قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ الْكُوفَةِ[١]، فَقَالَ: حَسْبُكَ إِذاً[٢].

والإنسان بالطاعة والمعرفة يجعل نفسه في الموضع الصحيح الذي خُلق لأجله قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١).

الحديث الثاني عشر:

[١] (قبل أن أخرج من الكوفة):

لعلَّ مقصوده: إنِّي أعرفك بالإمامة قبل أن ألقاك، للنصوص الواردة فيك ـ مثلاً ـ.

[٢] (حسبك إذاً):

أي تكفيك هذه المعرفة، لأنَّها طريق الهداية، فمن أراد الوصول إلى رضوان الله تعالى عليه أن يعرف إمام زمانه، وعن طريق هذه المعرفة يصحِّح اعتقاده وقوله وعمله، كي لا يموت ميتة جاهلية، كما قال الرسول صلى الله عليه وآله: «من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية»(٢).

وليس معنى الحديث هو عدم الاحتياج إلى العمل، فإنَّ غير العامل لا معرفة حقيقية له، فإنَّ هناك تلازماً ـ عادة ـ بين المعرفة وبين الالتزام بلوازمها ـ كعقد القلب والإيمان والعمل ـ قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾(٣).

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) بصائر الدرجات: ص٢٧٩، الكافي: ج١، ص٣٧٦، وقريب منه: ابن حبان: ج١٠، ص٤٣٤، المعجم الكبير للطبراني: ج١٩، ص٣٨٨، الحديث: ٩١٠.

(٣) سورة النحل: الآية ٨٣.

١٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ، عَنْ بُرَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] فَقَالَ[١]: «مَيْتٌ» لَا يَعْرِفُ شَيْئاً ﴿نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] إِمَاماً يُؤْتَمُّ بِهِ ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] قَالَ: الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْإِمَامَ.

الحديث الثالث عشر:

[١] **(فقال: . . .)**:

تفسير للآية بأحد المصاديق البارزة، فإنَّ دين الله هو النُّور الذي ينير الدرب، وسائر السُّبُل هي ظلام لا نور فيها، ﴿أَوَمَن﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري أي لا يستوي هذا الذي يمشي بالنُّور وذلك الذي يمشي في الظُّلمات ﴿كَانَ مَيْتًا﴾ جاهلاً، فإنَّ الجاهل كالميت لا خير يرجى منه ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ بالدِّين الحق ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾ منهاجاً في عقيدته وعمله ومن ذلك المنهاج الإمام ﴿يَمْشِى بِهِۦ﴾ أي يتبع ذلك النُّور ﴿فِى ٱلنَّاسِ﴾ أي هو بين الناس لكنَّه على هدى وبصيرة، ﴿كَمَن﴾ أي ليس ذاك المهتدي مثل هذا الضال الذي هو جاهل و﴿مَّثَلُهُۥ﴾ أنَّه ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الناشئة من الجهل ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ فإنَّ الذي لا يعرف الإمام لا يتمكَّن من الخروج من الظُّلمات أبداً.

١٤ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أُورَمَةَ؛ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: دَخَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيُّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ عليه السلام: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَلَا أُخْبِرُكَ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ[١]﴾ [النمل:

الحديث الرابع عشر:

[١] (هل تجزون إلّا ما كنتم تعملون):

﴿مَن جَآءَ﴾ يوم القيامة ﴿بِٱلْحَسَنَةِ﴾ الأمر الحسن ـ وهو الإيمان والعمل الصالح ـ ومن أبرز المصاديق محبَّة الأئمَّة عليهم السلام واتباعهم في القول والعمل ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ أي يُجازى بأكثر منها كما قال تعالى: مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا(١)، ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ﴾ أي الخوف، والفزع في الأصل: النفرة من الشيء المخيف ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿ءَامِنُونَ﴾، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ الأمر السيىء كالكفر وإنكار الولاية ﴿فَكُبَّتْ﴾ أي ألقيت منكوسة ﴿وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ ويُقال لهم: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي هذا جزاء عملكم بلا زيادة.

وفي حديث موثّق عن الإمام الصَّادق عليه السلام: (أنّه من عرف الإمام من آل محمَّد صلى الله عليه وآله وتولّاه، ثمَّ عمل لنفسه بما شاء من عمل الخير، قُبل منه ذلك، وضُوعف له أضعافاً كثيرة، فانتفع بأعمال الخير مع المعرفة ـ فهذا ما عنيت بذلك ـ، وكذلك لا يقبل الله من العباد الأعمال الصالحة التي يعملونها إذا تولوا الإمام الجائر، الذي ليس من الله تعالى.

فقال له عبد الله بن أبي يعفور: أليس الله تعالى قال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ فكيف لا ينفع العمل الصالح من تولّى

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٦٠.

٨٩-٩٠] قَالَ: بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَقَالَ: الْحَسَنَةُ مَعْرِفَةُ الْوَلَايَةِ وَحُبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ[٢]، وَالسَّيِّئَةُ إِنْكَارُ الْوَلَايَةِ وَبُغْضُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ.

أئمّة الجور؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: وهل تدري ما الحسنة التي عناها الله تعالى في هذه الآية؟ هي معرفة الإمام وطاعته، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وإنّما السيِّئة إنكار الإمام الذي هو من الله تعالى.

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: من جاء يوم القيامة بولاية إمام جائر ليس من الله، وجاء منكراً لحقِّنا، جاحداً لولايتنا، أكبَّه الله تعالى يوم القيامة في النار[١].

إن قلت: كيف يكون الثواب خيراً من الإيمان والولاية؟

قلت: الخير هنا ليس أفعل التفضيل، بل هو اسم، فالمعنى: فله - يوم القيامة - خيرٌ ناشئٌ من تلك الحسنة.

ويمكن حمله على معنى أفعل التفضيل فيُراد بالخير: رضوان الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[٢].

[٢] **قوله: (وحبنا أهل البيت):**

عطف الحب على المعرفة، إمَّا للتأكيد، أو لأنَّ بعض الناس يعرفون ولكن مع ذلك يبغضونهم، كما قال: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾[٣]، وقال: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾[٤].

ثمَّ لا يخفى أنَّ «المعرفة» صارت حقيقة متشرعية - لاحقاً - في الاعتقاد بالولاية، وإن كانت لغة بمعنى العلم - سواء عقد القلب أم لا -.

---

(١) البرهان: ج٧، ص٣٠١ عن أمالي الشيخ: ج٢، ص٣١.

(٢) سورة التوبة: الآية ٢١.

(٣) سورة النمل: الآية ١٤.

(٤) سورة النحل: الآية ٨٣.

بَابُ فَرْضِ طَاعَةِ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ حَرِيزٍ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: ذِرْوَةُ الْأَمْرِ وَسَنَامُهُ[١] وَمِفْتَاحُهُ وَبَابُ الْأَشْيَاءِ[٢] وَرِضَا الرَّحْمٰنِ[٣] تَبَارَكَ وَتَعَالَى الطَّاعَةُ لِلْإِمَامِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ[٤]، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللّٰهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ[٥]: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن

الحديث الأوَّل:

[١] **(ذروة الأمر وسنامه):**

«ذروة الأمر» ـ بالكسر والضم ـ أعلاه، و«سنامه» أشرفه وأرفعه، وأصله من سنام البعير، و«الأمر» أي أمر الدِّين.

[٢] **(ومفتاحه وباب الأشياء):**

مفتاح أمر الدِّين: أي ما يكون سبباً لمعرفة سائر أُمور الدِّين، و«باب الأشياء» كلها ـ دينية كانت أم دنيوية ـ فيكون ذكر العام بعد الخاص.

[٣] **(ورضا الرحمن):**

مصدر بمعنى المفعول، أي مَرْضيّ عند الرَّحْمٰن تعالى.

[٤] **(بعد معرفته):**

فلا تكفي الطاعة لوحدها، كمن يطيع الإمام عليه السلام لأنَّه الحاكم مثلاً ـ خوفاً أو طمعاً ـ، بل لا بدَّ من المعرفة والطاعة معاً.

[٥] **(إنَّ الله تبارك وتعالى يقول):**

لعلَّ الاستشهاد بهذه الآية، كي لا يتوهم أحد أنَّ معرفة الإمام وطاعته

تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا[٦]﴾ [النّساء: ٨٠].

٢ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ

أشرف من طاعة الله ومعرفته، بل هي نفس طاعة الله تعالى، فحينما يُقال: إنَّ طاعة الإمام هي الذروة والسنام فلأنَّها طاعة الله تعالى.

وحيث ثبت أنَّ إطاعة الرسول هي إطاعة الله تعالى، يثبت اتحاد إطاعة الإمام مع إطاعة الله، لأنَّ إطاعة الإمام هي إطاعة للرسول صلى الله عليه وآله لاقترانهما بإطاعة واحدة في ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(١).

والحاصل: أنَّ إطاعة الإمام هي إطاعة الرسول، وإطاعة النبي هي إطاعة الله، فثبت أنَّ إطاعة الإمام هي إطاعة الله.

[٦] (فما أرسلناك عليهم حفيظاً):

أي ليست مهمتك حفظ أعمالهم عن المخالفة، كما في قوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾(٢).

وفي هذه تسلية للرسول صلى الله عليه وآله: بأنَّه أدَّى مهمته بأحسن وجه، لأنَّ مهمته هي البلاغ، وليس منها قبول الناس أو عدم قبولهم، فلا يُقاس نجاحه بمدى استجابة الناس له، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾(٣)، وحتَّى في يوم القيامة لا يكون الحساب من مهام الرسول صلى الله عليه وآله، بل يأمر الله الأئمَّة عليهم السلام بالحساب، ويكون للرسول صلى الله عليه وآله تكليف أهم ـ ولعلّنا سنفصّل هذه النقطة لاحقاً ـ.

الحديث الثاني:

الغرض من هذا الحديث بيان أنَّ الأئمَّة عليهم السلام كلّهم طاعتهم مفترضة، وليس وجوب الطاعة مختصّاً بالإمام علي عليه السلام أو أصحاب الكساء عليهم السلام.

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٢) سورة الغاشية: الآيتان ٢٢ ـ ٢٣.

(٣) سورة الرعد: الآية ٤٠.

عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ، عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ قَالَ: أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّ عَلِيّاً إِمَامٌ فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ، وَأَنَّ الْحَسَنَ إِمَامٌ فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ، وَأَنَّ الْحُسَيْنَ إِمَامٌ فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ، وَأَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ إِمَامٌ فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ إِمَامٌ فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ.

٣ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ عُثْمَانَ، عَنْ بَشِيرٍ الْعَطَّارِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: نَحْنُ قَوْمٌ فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَنَا[١]، وَأَنْتُمْ تَأْتَمُّونَ بِمَنْ لَا يُعْذَرُ النَّاسُ بِجَهَالَتِهِ[٢].

الحديث الثالث:

[١] **(فرض الله طاعتنا):**

بقوله: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(١)، وبما تواتر عن الرسول صلى الله عليه وآله بوجوب إطاعة الأئمة عليهم السلام، وهو الذي لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلّا وحيٌ يُوحى.

[٢] **(لا يعذر الناس بجهالته):**

أي «وأنتم» ـ معاشر الشيعة ـ «تأتمّون» أي تقتدون بالأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، ولا عذر للعامّة في عدم معرفتهم وذلك لوضوح أمرهم من جهة النصوص النبويّة، وهي مبثوتة في كتب العامّة أيضاً ـ رغم محاولات الطمس والإخفاء ـ، فالجاهل بها يكون عن تقصير، والمقصّر غير معذور.

وكذا وضوح أمرهم من جهة ورعهم وحسن سيرتهم، وعكس أئمّة الضلال والجور حيث إنّ سوء سيرتهم وعدم تقواهم واضح لكلّ من يبحث عن الحق، والجهل بذلك أيضاً عن تقصير عادة.

نعم الجاهل القاصر ـ وهم قلّة عادة وخاصة في هذا العصر ـ معذور، ويمتحن في الآخرة مرّة أُخرى ـ كما يظهر من بعض الروايات ـ(٢).

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٢) راجع البحار: ج٥، ص٢٨٩، باب الأطفال ومَن لم يتمّ عليهم الحجة في الدنيا.

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُخْتَارِ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا[١]﴾ [النّساء: ٥٤] قَالَ: الطَّاعَةُ الْمَفْرُوضَةُ.

٥ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْقَمَّاطِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْعَطَّارِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: أُشْرِكَ بَيْنَ الْأَوْصِيَاءِ وَالرُّسُلِ فِي الطَّاعَةِ[١].

الحديث الرابع:

[١] **(وآتيناهم ملكاً عظيماً):**

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ﴾ أي بل يحسدون ﴿ٱلنَّاسَ﴾ النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ من النُّبوَّة والإمامة، فما وجه حسدهم؟ وبيت محمَّد صلى الله عليه وآله بيت النُّبوَّة، وليست مستغربة فيه، ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إبراهيم عليه السلام وآله ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ الكتب السَّماويَّة ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ كعلم الشريعة ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ سلطة على الناس دينية ودنيوية.

قيل: الطاعة المفترضة أي الإمامة التي هي رئاسة عامَّة على الناس، وفرض الطاعة من الله على الناس والانقياد لهم، فإنَّه خلافة لا يدانيه شيء من مراتب الملك والسلطنة(١).

الحديث الخامس:

[١] **(في الطاعة):**

أي كما تجب إطاعة الرُّسل، كذلك تجب إطاعة أوصيائهم.

و«أُشرك» مبني للمفعول، والمعنى أنَّ الله تعالى جعل الأوصياء شركاء

---

(١) حاشية الوافي: ج٢، ص٩١، ونظيره في المرآة: ج٢، ص٣٢٥.

٦ ـ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ، عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ الْكِنَانِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: نَحْنُ قَوْمٌ فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ طَاعَتَنَا، لَنَا الْأَنْفَالُ[١]، وَلَنَا صَفْوُ الْمَالِ[٢]، وَنَحْنُ الرَّاسِخُونَ فِي

للرّسل، ونظيره قول موسى عليه السلام: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾(١).

الحديث السادس:

[١] **(لنا الأنفال):**

جمع نَفَل، ومعناه في الأصل: الزيادة، كالنافلة التي هي زيادة على الصلوات المفروضة.

و«الأنفال» في الشرع تُطلق على الزيادة المالية التي جعلها الله للرسول صلى الله عليه وآله خاصّة، دون سائر شركائه في الخمس، ومن بعده للأئمَّة عليهم السلام، وهي أُمور مذكورة في كتب الفقه.

عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «الأنفال: كل ما أُخذ من دار الحرب بغير قتال، وكل أرض انجلى عنها أهلها بغير قتال، والأرضون الموات، والآجام، وبطون الأودية، وقطائع الملوك، وميراث من لا وارث له...» الحديث(٢).

ولعلَّ الحكمة في جعلها للرسول صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام، هي أنَّها أُمور لم يتعب فيها المقاتلون، ولأنَّ بعضها هي المواقع الاستراتيجية التي يلزم أن تكون تحت الإشراف لمسير الجيش والمراقبة ونحو ذلك، وبعضها لدرء النزاع بين المقاتلين لتكون بيد الرسول والإمام يصرفها في الأصلح، ولغير ذلك من الحِكَم.

[٢] **(لنا صفو المال):**

الصفو من الغنيمة هو ما اصطفاه ملوك الكفَّار لأنفسهم فصار غنيمة في يد المسلمين.

---

(١) سورة طه: الآية ٣٢.

(٢) الوسائل: ج٩، ص٥٢٧.

الْعِلْمِ[٣]، وَنَحْنُ الْمَحْسُودُونَ[٤] الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النّساء: ٥٤]

وعن أبي بصير أنَّه سأل الإمام الصادق عليه السلام عن صفو المال فقال عليه السلام: (الإمام يأخذ الجارية الرؤقة، والمركب الفاره، والسيف القاطع، والدرع، قبل أن يقسم الغنيمة فهذا صفو المال)(١).

وفي شرح اللمعة: (وصوافي ملوك أهل الحرب، وقطائعهم، وضابطه: كل ما اصطفاه ملك الكفَّار لنفسه واختصَّ به من الأموال المنقولة وغيرها ـ غير المغصوبة من مسلم أو مسالم ـ)(٢).

[٣] **(ونحن الراسخون في العلم):**

قال تعالى: ﴿...مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾(٣).

والراسخون الذين أقدامهم ثابتة لكثرة علمهم، فلا تعرض عليهم الشُّبهة.

وفي حديث آخر: (فرسول الله أفضل الراسخين في العلم، قد علَّمه الله عزَّ وجلَّ جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله ليُنزل عليه شيئاً لم يعلِّمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كلّه) الحديث(٤) والأحاديث في هذا المعنى مستفيضة.

[٤] **(ونحن المحسودون):**

مرَّ قبل قليل توضيح الآية، وسيأتي «باب أنَّ الأئمَّة عليهم السلام ولاة الأمر وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله عزَّ وجلَّ».

---

(١) الوافي: ج٦، ص٣٠٥، وفيه: «الرؤقة» ـ بالقاف ـ الحسناء، يُقال راقني الشيء إذا أعجبني.

(٢) الروضة البهيَّة في شرح اللمعة الدمشقية: ج٢، ص٨٤ ـ ٨٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٤) البرهان: ج٢، ص٣٦٤ عن الكافي: ج١، ص١٦٦.

٧ ـ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ: ذَكَرْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَوْلَنَا فِي الْأَوْصِيَاءِ إِنَّ طَاعَتَهُمْ مُفْتَرَضَةٌ، قَالَ: فَقَالَ: نَعَمْ، هُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ[١]﴾ [النساء: ٥٩]، وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا[٢]﴾ [المائدة: ٥٥].

الحديث السابع:

[١] **(وأولي الأمر منكم):**

في مجمع البيان: وأمَّا أصحابنا فإنَّهم رووا عن الباقر والصادق عليهما السلام أنَّ أولي الأمر هم الأئمَّة من آل محمَّد صلى الله عليه وآله، أوجب الله طاعتهم بالإطلاق، كما أوجب طاعته وطاعة رسوله، ولا يجوز أن يوجب الله طاعة أحد على الإطلاق إلَّا من ثبتت عصمته، وعُلم أنَّ باطنه كظاهره، وأمن من الغلط والأمر بالقبيح، وليس ذلك بحاصل في الأمراء، ولا العلماء سواهم، جلَّ الله أن يأمر بطاعة من يعصيه، وبالانقياد للمختلفين بالقول والفعل، لأنَّه محال أن يُطاع المختلفون، كما أنَّه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه[١].

[٢] **(ورسوله والذين آمنوا):**

«الولي» هنا بمعنى الذي يتولى الأمر، كما يُقال الأمير ولي أمر الرعية، لأنَّ (إنَّما) تفيد الحصر، والولي بهذا المعنى خاص، ولو أراد سائر المعاني لم يكن وجه للحصر، لأنَّ تلك المعاني ـ كالمحب والناصر ـ عامَّة لجميع المؤمنين.

هذا مضافاً إلى تواتر الأخبار ـ لدى الفريقين ـ واتفاق المفسرين في نزول هذه الآية في الإمام علي عليه السلام حين تصدَّق بخاتمه وهو راكع في الصلاة[٢].

---

(١) مجمع البيان: ج٣، ص١٦٦.

(٢) راجع البحار: ج٣٥، ص١٨٣ ـ ٢٠٢، وفي هامشه نقلاً من مصادر العامَّة الكشاف: ج١، ص٤٢٢، وأنوار التنزيل للبيضاوي: ج١، ص٣٣ والتفسير الكبير للرازي (مفاتيح الغيب): ج٣، ص٤٣١.

٨ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَمَّرِ بْنِ خَلَّادٍ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ فَارِسِيٌّ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام فَقَالَ: طَاعَتُكَ مُفْتَرَضَةٌ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِثْلُ طَاعَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ[١] عليه السلام؟ فَقَالَ: نَعَمْ.

ثمَّ إنَّ الجمع في قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ لإحدى جهتين:

١ ـ للتعظيم، وذلك شائع في العرف واللغة، كما في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾(١)، وقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾(٢).

٢ ـ لتشمل سائر الأئمَّة عليهم السلام، كما يظهر من هذا الحديث الشريف حيث قال الإمام الصادق عليه السلام: وهم الذين قال الله عزَّ وجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، وفي حديث آخر سيأتي: يعني عليّاً وأولاده الأئمَّة عليهم السلام إلى يوم القيامة ـ إلى أن قال ـ فكلّ من بلغ من أولاده مبلغ الإمامة يكون بهذه النعمة مثله، فيتصدقون وهم راكعون(٣).

الحديث الثامن:

[١] **(مثل طاعة علي بن أبي طالب):**

أي مثل طاعته من كلِّ الجهات.

١ ـ في كونهما بالنص، فكما أنَّ النصّ دلَّ على وجوب طاعة الإمام علي عليه السلام كذلك النص دلَّ على وجوب إطاعة الإمام الكاظم عليه السلام، وكذا سائر الأئمَّة.

٢ ـ في السعة، أي تجب إطاعتهم في كلّ شيء.

٣ ـ في العموم، أي تجب على جميع الخلق ـ المعاصرين واللاحقين ـ.

٤ ـ في الآثار التي تترتب على الطاعة وكذا على عدمها كاستحقاق الثواب والعقاب، وغير ذلك.

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٤٧.

(٢) سورة نوح: الآية ١.

(٣) البرهان: ج٣، ص٤١٩ ـ ٤٢٠، عن الكافي: ج١، ص٢٢٨.

٩ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ الْأَئِمَّةِ هَلْ يَجْرُونَ فِي الْأَمْرِ وَالطَّاعَةِ[١] مَجْرَى وَاحِدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ.

١٠ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ مَرْوَكِ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ الطَّبَرِيِّ قَالَ: كُنْتُ قَائِماً عَلَى رَأْسِ الرِّضَا عليه السلام بِخُرَاسَانَ ـ وَعِنْدَهُ عِدَّةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَفِيهِمْ إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيسَى الْعَبَّاسِيُّ ـ فَقَالَ: يَا إِسْحَاقُ بَلَغَنِي أَنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: إِنَّا نَزْعُمُ أَنَّ النَّاسَ عَبِيدٌ لَنَا[١]! لَا وَقَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[٢] مَا قُلْتُهُ قَطُّ، ....

والحاصل أنَّ جميع ما ثبت للإمام علي عليه السلام يثبت لسائر الأئمَّة عليهم السلام، نعم يختلفون في درجات الفضل، فالإمام علي عليه السلام أفضلهم، وهذا أمر مرتبط بذواتهم، ولا ربط له بمناصبهم وصلاحياتهم.

الحديث التاسع:

[١] **(في الأمر والطاعة):**

لعلَّ المراد من (الأمر) هو مناصبهم الإلٰهيَّة.

فالسؤال هل مقاماتهم واحدة؟ ثمَّ هل يجب علينا إطاعتهم جميعهم وبكيفية واحدة؟

فـ«الأمر» يرتبط بهم، و«الطاعة» ترتبط بنا.

الحديث العاشر:

[١] **(إنَّ الناس عبيد لنا):**

بمعنى أن نكون آلهتهم، أو بمعنى أن يكونوا أرقاء لنا يجوز لنا بيعهم!!

[٢] **(لا وقرابتي من رسول الله):**

حلف الإمام بقرابته، إمَّا لأجل تقوية وَقْع الكلام وأنَّ هذا الأمر لم

وَلَا سَمِعْتُهُ مِنْ آبَائِي قَالَهُ[٣]، وَلَا بَلَغَنِي عَنْ أَحَدٍ مِنْ آبَائِي قَالَهُ، وَلَكِنِّي أَقُولُ:

يدّعه الرسول صلى الله عليه وآله لنفسه فكيف ندّعيه نحن!! وإمّا تمهيد لما سيقوله عليه السلام من لزوم طاعتهم، وإمّا تأكيد للقرابة فإنّ الأعداء كانوا - ولا زالوا - يريدون طمس هذه الفضيلة فيهم، فكانوا عليهم السلام يؤكّدونها بمختلف السُّبل، وهنا الإمام يحلف بهذه القرابة للدلالة على أهميتها، أو لغير ذلك.

ثمَّ إنَّه يجوز الحلف بغير الله تعالى، وما ورد من النهي عنه فإنَّما هو محمول على الكراهة، وترتفع الكراهة إذا كان هناك غرض أهم وقد ورد في بعض صحاح العامَّة قسم الرسول صلى الله عليه وآله بقوله: (وأبيك)(١).

[٣] **(ولا سمعته من آبائي قاله):**

«قاله» بدل «سمعته»، أي ولا قاله أحد من آبائي، أو حال أي لا سمعته حال كونه قاله، وعلى كلِّ حال هو للتأكيد.

ثمَّ لا يخفى أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام مكلّفون بظاهر الشريعة كغيرهم ويجري عليهم ما يجري على غيرهم - إلَّا فيما استثني كخصائص الرسول صلى الله عليه وآله من وجوب صلاة اللّيل وجواز الزواج بأكثر من أربع وغير ذلك -.

وقد سُئل الإمام علي عليه السلام عن سبب تغسيل الرسول صلى الله عليه وآله بعد وفاته مع أنَّ بدنه الشريف يبقى طاهراً بعد الموت فقال عليه السلام: وذلك سنّة(٢).

نعم إنَّ الله تعالى أدَّب الرسول بآدابه ففوَّض إليه دينه، وكذا الأئمَّة عليهم السلام، ولكنَّهم كانوا يتحرَّكون ضمن إرادة الرَّبّ تبارك وتعالى وضمن المصلحة، فلما لم يرد تعالى استرقاق الناس لهم ولم يكن في ذلك مصلحة، فجرت ظاهر الشريعة عليهم كما جرت على غيرهم، فتأمَّل.

---

(١) رواه مسلم في الصحيح عندهم، انظر: ج٨، ص٢، الحديث: ٦٦٦، وج٣، ص٩٣، الحديث: ٢٤٣٠.

(٢) التهذيب: ج١، ص٤٦٨، الحديث: ١٥٣٥، مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٨٨.

النَّاسُ عَبِيدٌ لَنَا فِي الطَّاعَةِ[٤]، مَوَالٍ لَنَا فِي الدِّينِ[٥]، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ[٦].

---

[٤] **(الناس عبيد لنا في الطاعة):**

مادة (ع ب د) بمعنى إظهار التذلُّل، ـ كما في مفردات الراغب(١) ـ، ولذلك يطلق العبد على المَسْتَرَق، قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾(٢)، وكذا يُطلق على الملازم لخدمة أو طاعة شيء أو شخص، يُقال: فلان عبد الدُّنيا وفلان عبد الشيطان.

ثمَّ إنَّه لا تجوز إطاعة الباطل وأهله، فلذا كان الرسول ﷺ يغيِّر الأسماء الدالَّة على عبادة الأصنام وطاعتها مثل عبد اللات وعبد العزى ونحوهما، وأما من تجوز إطاعته فلم يغيِّر الرسول ﷺ الاسم، فلذا لم يغيِّر اسم ابن عمّه الصحابي: «عبد المطّلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب» لأنَّ (المطّلب) أخ هاشم كانت إطاعته جائزة، ولعلَّ في هذا دلالة على إيمانه، وفعل النبي ﷺ هذا يدلُّ على جواز الأسماء الدالَّة على إطاعة الأولياء والصالحين مثل (عبد الحسين) ونحوه من الأسماء.

[٥] **(موال لنا في الدِّين):**

«مَوالي» ـ بالفتح ـ جمع مَوْلى، والمولى يُطلق على الذي يلي الأمر ـ كالوارث والحاكم ـ كقوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى﴾(٣)، وكذا يُطلق على العبد كما يُقال زيد بن الحارثة مولى رسول الله أي عبده وتابعه.

في هذا الحديث بمعنى التابعين والخاضعين لنا في مسائل الدِّين، فيجب عليهم أن يأخذوا دينهم منَّا.

[٦] **(فليبلغ الشاهد الغائب):**

في المرآة(٤): أي أنا بذلك راضٍ ولا أرى فيه مفسدة، أو لا بدَّ من ذلك لتصحيح عقائد الشيعة ودفع افتراء المفترين.

---

(١) المفردات: ص٥٤٢.

(٢) سورة النُّور: الآية ٣٢.

(٣) سورة مريم: الآية ٥.

(٤) المرآة: ج٢، ص٣٣٢.

١١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ صَالِحِ بْنِ السِّنْدِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ[١]: نَحْنُ الَّذِينَ

الحديث الحادي عشر:

[١] (قال سمعته يقول):

حاصله تقسيم الناس إلى ثلاثة أصناف:

١ ـ **من يعرفهم**، ـ معرفة تستلزم اتباعهم وإطاعتهم ـ فهو المؤمن، لأنَّه امتثل كل ما أمره الله تعالى من التكاليف العقائدية والعملية، حيث إنَّهم بيَّنوا العقيدة الصحيحة وأمروا بكلّ ما أمر به الله ونهوا عن كلّ ما نهى عنه.

٢ ـ **من ينكرهم**، أي يردّ عليهم ويبغضهم، وقد يكون مع علمه بحقّهم، كما قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(١)، ففي مفردات الراغب(٢): وسبب الإنكار باللِّسان هو الإنكار بالقلب، لكن ربَّما ينكر اللِّسان الشيء، وصورته في القلب حاصلة، ويكون في ذلك كاذباً. انتهى.

وهذا منافق ـ والمنافق كافر باطناً وإن كانت أحكام الإسلام أحياناً تجري عليه ظاهراً ـ، فإنَّ علامة النفاق بغض الإمام علي عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، وسيأتي توضيحه في الحديث اللاحق.

٣ ـ **من لا يعرفهم ولا ينكرهم**، وهؤلاء قسمين:

أ ـ فبعضهم المستضعفون، وهم معذورون إن كان جهلهم عن قصور بحيث لم يكونوا قادرين على معرفة الحق، وأمَّا إذا شاب جهلهم التقصير فأمرهم إلى الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) سورة النحل: ٨٣.

(٢) في مفردات الراغب: ص٨٢٣.

فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَنَا، لَا يَسَعُ النَّاسَ إِلَّا مَعْرِفَتُنَا وَلَا يُعْذَرُ النَّاسُ بِجَهَالَتِنَا، مَنْ عَرَفَنَا كَانَ مُؤْمِناً، وَمَنْ أَنْكَرَنَا كَانَ كَافِراً[٢]، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنَا وَلَمْ يُنْكِرْنَا كَانَ ضَالّاً[٣] حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْهُدَى الَّذِي افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ طَاعَتِنَا الْوَاجِبَةِ، فَإِنْ يَمُتْ عَلَى ضَلَالَتِهِ يَفْعَلِ اللَّهُ بِهِ مَا يَشَاءُ[٤].

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾(١)، وفي التبيين(٢): لأنَّهم قاصرون، وفي هذا دلالة على أنَّ قصورهم مشوب بالتقصير أيضاً.

ب ـ وبعضهم فسّاق الشيعة، ففي المرآة(٣): أو المراد الفساق من الشيعة، فإنَّهم ناقصون في المعرفة، وإلَّا لم يخالفوا إمامهم، فإن ماتوا على ذلك يفعل الله بهم ما شاء من العذاب أو العفو، ويؤيده قوله: «من طاعتنا الواجبة». انتهى.

[٢] (كان كافراً):

أي كافر باطناً وإن جرى عليه أحكام الإسلام ظاهراً، بل قد يكون كافراً باطناً وظاهراً إذا كان خارجياً أو ناصبياً ـ على المشهور ـ(٤).

[٣] (كان ضالاً):

وقد مرَّ تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾(٥).

[٤] (يفعل الله به ما يشاء):

من العفو أو العذاب، كما قال تعالى في آية المستضعفين: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾(٦) وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(٧).

---

(١) سورة النساء: الآيتان ٩٧ ـ ٩٨.

(٢) التبيين: ص١٠٥.

(٣) المرآة: ج٢، ص٣٣٢.

(٤) راجع الفقه: ج٤، ص٢٤٨ ـ ٢٥٢.

(٥) سورة طه: الآية ٨٢.

(٦) سورة النساء: الآية ٩٨.

(٧) سورة النساء: الآية ١١٦.

١٢ ـ عَلِيٌّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ أَفْضَلِ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: أَفْضَلُ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ طَاعَةُ اللَّهِ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ وَطَاعَةُ أُولِي الْأَمْرِ، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: حُبُّنَا إِيمَانٌ[١] وَبُغْضُنَا كُفْرٌ[٢].

الحديث الثاني عشر:

[١] **(حبنا إيمان):**

١ ـ أي حبنا من الإيمان أو شرط الإيمان، فمن لا يحبّهم ليس بمؤمن لفقدان الجزء أو الشرط للإيمان.

٢ ـ أو بمعنى أنَّ حبّنا يدعو إلى الإيمان.

٣ ـ أو بمعنى أنَّ حبّنا سبب للإيمان، لأنَّ الإنسان بسبب حبّهم يتعلّم العقائد الحقّة والعبادات الصحيحة.

٤ ـ وفي المرآة(١): يُطلق حبّهم في الأخبار كثيراً على اعتقاد إمامتهم، فإنَّ من ادَّعى حبّهم وأنكر إمامتهم فهو عدوّ مخلّط، إذ يفضل أعدائهم عليهم.

[٢] **(وبغضنا كفر):**

كفر باطني، أو كفر باطني وظاهري ـ كما مرَّ في الحديث السابق ـ، فبغضهم كفر في حدِّ ذاته كما أنَّه يدعو لمزيد من الكفر.

ثمَّ إنَّه روت الخاصَّة والعامَّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «لا يحبّك إلَّا مؤمن ولا يبغضك إلَّا منافق»(٢) وقد أشكل بعض النواصب على هذا الحديث ـ المتفق على صحَّته بين الفريقين ـ بأنَّ بعض الكفَّار قد أحبّوا علياً عليه السلام فهل هم مؤمنون؟

---

(١) المرآة: ج٢، ص٣٣٣.

(٢) رواه مسلم من العامّة في الصحيح عندهم، عن علي عليه السلام أنّ الرسول صلى الله عليه وآله قال له: «لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق».

١٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ أَبَانٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: أَعْرِضُ عَلَيْكَ دِينِيَ الَّذِي أَدِينُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ؟[١] قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ، قَالَ: فَقُلْتُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَالْإِقْرَارَ[٢] بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ

والجواب من وجوه:

الأول: إنَّ الإيمان هنا في قبال النفاق، ومعناه أنَّ الذي يحبّه ليس بمنافق، ومن المعلوم أنَّ الكافر الذي يحبّ علياً ليس بمنافق، لأنَّ الإيمان قد يكون مقابل الكفر فيُراد به الإسلام بمعناه الأعم كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾(١) وقد يكون مقابل الإسلام كقوله ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾(٢)، وقد يكون مقابل النفاق، كهذا الحديث.

الثاني: إنَّ الحصر إضافي فالمقصود من الحديث المسلمون، أي لا يحبّك من المسلمين إلَّا مؤمن ولا يبغضك من المسلمين إلَّا منافق.

الثالث: إنَّ الحب يُراد به الاعتقاد بإمامته ـ كما مرّ نقل هذا المعنى عن العلَّامة المجلسي ـ.

الحديث الثالث عشر:

[١] **(أدين الله عزَّ وجلَّ به)**:

الدِّين في الأصل بمعنى الطاعة والجزاء، ثم أُطلق على الشريعة أيضاً، فالمعنى هنا: أعرض عليك الدِّين الذي أطيع الله به.

[٢] **(والإقرار)**:

«الإقرار» مفعول معه أي أشهد أنَّ محمداً رسول الله مع الإقرار بما جاء به، وقيل غير ذلك.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٣.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٤.

عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّ عَلِيّاً كَانَ إِمَاماً فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ، ثُمَّ كَانَ بَعْدَهُ الْحَسَنُ إِمَاماً فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ، ثُمَّ كَانَ بَعْدَهُ الْحُسَيْنُ إِمَاماً فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ، ثُمَّ كَانَ بَعْدَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ إِمَاماً فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ، حَتَّى انْتَهَى الْأَمْرُ إِلَيْهِ[٣]، ثُمَّ قُلْتُ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ؟ قَالَ: فَقَالَ: هَذَا دِينُ اللَّهِ وَدِينُ مَلَائِكَتِهِ[٤].

١٤ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: اعْلَمُوا أَنَّ صُحْبَةَ الْعَالِمِ[١]

---

[٣] (حتَّى انتهى الأمر إليه):

هذا ليس حكاية لما قاله، بل بيان لحاله، أي بعد أن شهدت للأئمَّة وصلت إلى الإمام الباقر عليه السلام فقلت: «ثم أنت».

[٤] (دين الله ودين ملائكته):

«دين الله» أي دين ارتضاه الله كما قال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾(١) و«دين ملائكته» أي الدِّين الذي يعتقدونه، أو دين ارتضته الملائكة، أو دين نزلت الملائكة به.

الحديث الرابع عشر:

[١] (صحبة العالم):

المراد به الإمام المعصوم، لأنَّ غير المعصوم قد ينحرف عن النهج القويم فيحرم اتباعه، ولعلَّ هذا المعنى هو الذي فهمه ثقة الإسلام الكليني رضوان الله عليه، ولذا أورد الحديث في هذا الباب دون باب صحبة العلماء.

و«الصحبة» بمعنى الملازمة سواء كانت بالجسم أم بالعناية والهمَّة، ويُراد هنا ملازمة الإمام في الاعتقاد والتعلُّم منه.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

وَاتِّبَاعَهُ دِينٌ يُدَانُ اللَّهُ بِهِ، وَطَاعَتَهُ مَكْسَبَةٌ لِلْحَسَنَاتِ[٢]، مَمْحَاةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَذَخِيرَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ[٣]، وَرِفْعَةٌ فِيهِمْ فِي حَيَاتِهِمْ[٤]، وَجَمِيلٌ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ[٥].

١٥ ـ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ

---

[٢] (مكسبة للحسنات):

«مكسبة» مصدر ميمي أي طاعته كسب للحسنات، وكذا «ممحاة» مصدر ميمي، قيل يُحتمل أيضاً أن يكونا اسم مكان أو اسم آلة، والأوّل أقرب.

[٣] (ذخيرة للمؤمنين):

ليوم الجزاء، لأنَّ الأعمال تحضر كما قال: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾(١) وقد يعبِّر عنه بتجسم الأعمال.

[٤] (رفعة فيهم في حياتهم):

بسبب غيبي، لأنَّ الطاعة توجب العزّ، والمعصية توجب الذلّ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾(٢).

وبسبب ظاهري، لأنَّهم يأمرون بما فيه الخير والصلاح وذلك يوجب الرفعة في الدُّنيا، وذخيرة للآخرة.

[٥] (جميل بعد مماتهم):

أي قول جميل: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾(٣) يقوله لهم الملائكة أو سائر المؤمنين، وكذا ذكر جميل يذكرهم الناس بخير كقوله: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾(٤) أي ذكراً جميلاً.

الحديث الخامس عشر:

قد مرَّ مقطع من هذا الحديث في كتاب التوحيد، ومقطع آخر منه في باب

---

(١) سورة الكهف: الآية ٤٩.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٢.

(٣) سورة الواقعة: الآية ٢٦.

(٤) سورة الشعراء: الآية ٨٤.

يَحْيَى، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ أَجَلُّ وَأَكْرَمُ[١] مِنْ أَنْ يُعْرَفَ بِخَلْقِهِ[٢]، بَلِ الْخَلْقُ يُعْرَفُونَ بِاللَّهِ[٣]، قَالَ: صَدَقْتَ، قُلْتُ إِنَّ مَنْ عَرَفَ أَنَّ لَهُ رَبّاً فَقَدْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ لِذَلِكَ

الاضطرار إلى الحجَّة، وسنشرحه هنا موجزاً، وإن أردت التفصيل فراجع الشرح في البابين.

[١] **(أجلُّ وأكرم):**

أي أرفع وأشرف.

[٢] **(أن يعرف بخلقه):**

في الدُّعاء: (يا من دلَّ على ذاته بذاته)(١)، فكلّ إنسان بفطرته يعرف أنَّ له خالقاً.

أو بمعنى أنَّه لا يمكن معرفة الله بتشبيهه بخلقه، بل بتنزيهه عن مشابهتهم.

[٣] **(بل الخلق يُعرفون بالله):**

أي يُعرف المحق من المبطل عن طريق الله تعالى، فالأنبياء يعرف صدقهم بما أعطاهم الله تعالى من المعاجز.

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: (اعرف الحق تعرف أهله).

إن قلت: دلَّت الأدلَّة على أن الحقّ يُعرف بأمير المؤمنين عليه السلام ففعله وقوله ميزان للحقّ.

قلت: لما عرفنا الحق وهو القرآن والرسول صلى الله عليه وآله ثم علمنا من رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّ الحقّ ملازم لعلي عليه السلام حيث قال: «عليٌّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ»(٢)، فقد علمنا بعدم مفارقته عليه السلام للحقّ، فلذا صار ميزاناً للحق.

---

(١) بحار الأنوار: ج٨٤، ص٣٣٩.

(٢) أمالي الصدوق: ص١٥٠، أمالي الطوسي: ص٥٤٨، الحديث: ١١٦٨، مجمع الزوائد: ج٧، ص٤٧٦، الحديث: ١٢٠٣١، الإمامة والسياسة: ج١، ص٧٣.

الرَّبِّ رِضاً وَسَخَطاً[٤]، وَأَنَّهُ لَا يُعْرَفُ رِضَاهُ وَسَخَطُهُ إِلَّا بِوَحْيٍ أَوْ رَسُولٍ[٥]، فَمَنْ لَمْ يَأْتِهِ الْوَحْيُ فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَطْلُبَ الرُّسُلَ، فَإِذَا لَقِيَهُمْ عَرَفَ أَنَّهُمُ الْحُجَّةُ[٦]، وَأَنَّ لَهُمُ الطَّاعَةَ الْمُفْتَرَضَةَ، فَقُلْتُ لِلنَّاسِ: أَلَيْسَ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ هُوَ الْحُجَّةَ مِنَ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ؟ قَالُوا: بَلَى، قُلْتُ: فَحِينَ مَضَى ﷺ مَنْ كَانَ الْحُجَّةَ؟ قَالُوا: الْقُرْآنُ[٧]، فَنَظَرْتُ فِي الْقُرْآنِ فَإِذَا هُوَ يُخَاصِمُ بِهِ الْمُرْجِئُ وَالْقَدَرِيُّ وَالزِّنْدِيقُ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِهِ حَتَّى يَغْلِبَ الرِّجَالَ بِخُصُومَتِهِ، فَعَرَفْتُ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَكُونُ حُجَّةً إِلَّا بِقَيِّمٍ[٨]، فَمَا قَالَ فِيهِ

---

[٤] **(لذلك الرَّبّ رضاً وسخطاً):**

لأنَّ معرفة الله تعالى لا تتمّ إلَّا بوصفه بالكمالات وتنزيهه عن النقائص، ومن صفاته أنَّه يريد الخير ويكره القبيح، وأنَّه لطيف بعباده يريد فعلهم الخير وتجنبهم الشَّر.

[٥] **(بوحي أو رسول):**

أي إمَّا أن يكون هو نبي يتلقَّى الوحي منه تعالى، أو يعرف الوحي بواسطة رسول.

[٦] **(عرف أنَّهم الحجَّة):**

لقوَّة برهانهم وتأييدهم بالمعجزات.

[٧] **(قالوا القرآن):**

أي وحده، كما قال كبيرهم: حسبنا كتاب الله.

[٨] **(بقيّم):**

أي من يقوم بأمر القرآن تفسيراً وتأويلاً وغير ذلك، وهذا استدلال عقلي، مُضافاً إلى دلالة القرآن على لزوم بيان الرسول ﷺ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(١) دلالة حديث الثقلين على عدم افتراق القرآن وأهل البيت عليهم السلام.

---

(١) سورة النحل: الآية ٤٤.

مِنْ شَيْءٍ كَانَ حَقّاً[٩]، فَقُلْتُ لَهُمْ: مَنْ قَيِّمُ الْقُرْآنِ؟ قَالُوا: ابْنُ مَسْعُودٍ قَدْ كَانَ يَعْلَمُ، وَعُمَرُ يَعْلَمُ وَحُذَيْفَةُ يَعْلَمُ، قُلْتُ: كُلَّهُ؟ قَالُوا: لَا، فَلَمْ أَجِدْ أَحَداً يُقَالُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ إِلَّا عَلِيّاً صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ[١٠]، وَإِذَا كَانَ الشَّيْءُ بَيْنَ الْقَوْمِ، فَقَالَ هَذَا: لَا أَدْرِي، وَقَالَ هَذَا: لَا أَدْرِي، وَقَالَ هَذَا: لَا أَدْرِي، وَقَالَ هَذَا: أَنَا أَدْرِي، فَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيّاً عليه السلام كَانَ قَيِّمَ الْقُرْآنِ، وَكَانَتْ طَاعَتُهُ مُفْتَرَضَةً، وَكَانَ الْحُجَّةَ عَلَى النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَأَنَّ مَا قَالَ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ حَقٌّ، فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ عَلِيّاً عليه السلام لَمْ يَذْهَبْ حَتَّى تَرَكَ حُجَّةً مِنْ بَعْدِهِ كَمَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَأَنَّ الْحُجَّةَ بَعْدَ عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، وَأَشْهَدُ عَلَى الْحَسَنِ عليه السلام أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ حَتَّى تَرَكَ حُجَّةً مِنْ

---

[٩] (من شيء كان حقاً):

لأنَّ جعل من يُخطيء ويقول باطلاً ـ أحياناً ـ قيِّماً على القرآن نقض للغرض، بل لا بدَّ أن تكون للقيّم معرفة تامّة بالقرآن من كلِّ الجهات.

[١٠] (إلّا علياً عليه السلام):

حاصل الدليل ـ كما مرَّ ـ:

١ ـ إنّا نعلم بلزوم القيِّم على القرآن.

٢ ـ ولم يدَّعِ أحدٌ أنَّه يعلم القرآن كلّه، إلّا الإمام علي عليه السلام.

وقد تحقَّق ما قال، فلم يتفق أن سُئل عن شيء من القرآن فقال لا أدري أو قال بخلاف القرآن، عكس الآخرين حيث ثبت أنَّهم سُئلوا فلم يعلموا أو أخطأوا.

٣ ـ فالنتيجة هي انحصار علم الكتاب كلّه ومن كلّ الجهات بالإمام علي عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

٤ ـ وإذا كان كذلك، كان هو الحجَّة، وكانت طاعته مفترضة.

بَعْدِهِ كَمَا تَرَكَ أَبُوهُ وَجَدُّهُ، وَأَنَّ الْحُجَّةَ بَعْدَ الْحَسَنِ الْحُسَيْنُ وَكَانَتْ طَاعَتُهُ مُفْتَرَضَةً، فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ، فَقَبَّلْتُ رَأْسَهُ، وَقُلْتُ: وَأَشْهَدُ عَلَى الْحُسَيْنِ أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ حَتَّى تَرَكَ حُجَّةً مِنْ بَعْدِهِ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ وَكَانَتْ طَاعَتُهُ مُفْتَرَضَةً، فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ، فَقَبَّلْتُ رَأْسَهُ، وَقُلْتُ: وَأَشْهَدُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ حَتَّى تَرَكَ حُجَّةً مِنْ بَعْدِهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ أَبَا جَعْفَرٍ وَكَانَتْ طَاعَتُهُ مُفْتَرَضَةً، فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ، قُلْتُ: أَعْطِنِي رَأْسَكَ حَتَّى أُقَبِّلَهُ، فَضَحِكَ[١١]، قُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَبَاكَ لَمْ يَذْهَبْ حَتَّى تَرَكَ حُجَّةً مِنْ بَعْدِهِ كَمَا تَرَكَ أَبُوهُ، وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ[١٢] أَنَّكَ أَنْتَ الْحُجَّةُ وَأَنَّ طَاعَتَكَ مُفْتَرَضَةٌ، فَقَالَ: كُفَّ رَحِمَكَ اللَّهُ[١٣]، قُلْتُ: أَعْطِنِي رَأْسَكَ أُقَبِّلْهُ فَقَبَّلْتُ

---

[١١] **(فضحك):**

في المرآة: لعلَّ الضحك لتكرار التقبيل واهتمامه بذلك(١).

ولعلّه عليه السلام تبسّم رضاً منه، لما كان يشاهد من نفوذ الاعتقاد الصحيح في قلب الراوي ـ منصور بن حازم ـ.

[١٢] **(أشهد بالله):**

إمّا بفتح الهمزة أي أُقسم به، فهو يجري مجرى القسم، أو بضم الهمزة: ـ من باب الإفعال ـ أي أتخذ الله شاهداً على ما أقول.

[١٣] **(كفّ رحمك الله):**

لعلَّ أمره بالكفّ، لأجل أنَّ هذه هي العقيدة الصحيحة، من اعتقد بها والتزم بلوازمها كان من المفلحين.

وقيل لعلّه كان تقية، فإنَّ الاعتقاد بإمامة حيٍّ تستفز الظلمة أكثر من الاعتقاد بإمام ميت.

---

(١) المرآة: ج٢، ص٣٣٦.

رَأْسَهُ، فَضَحِكَ وَقَالَ: سَلْنِي عَمَّا شِئْتَ، فَلَا أُنْكِرُكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَداً[١٤].

١٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَوْهَرِيِّ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: الْأَوْصِيَاءُ طَاعَتُهُمْ مُفْتَرَضَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ هُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النِّسَاء: ٥٩] وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المَائدة: ٥٥].

١٧ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ أَبْوَابُ الْخَيْرِ[١]، السَّامِعُ الْمُطِيعُ لَا حُجَّةَ عَلَيْهِ،

---

[١٤] (فلا أنكرك بعد اليوم أبداً):

أي فقد عرفتك وعرفت أنَّك موالٍ لنا، فلا أستعمل التقية معك، فاسأل عمَّا شئت سأجيبك بما هو الواقع من غير تقية.

الحديث السادس عشر:

مرَّ هذا الحديث في هذا الباب، الحديث السابع، إلَّا أنَّ الكليني رضوان الله عليه كرَّره لوجود سند آخر، ولتكميل الآية الثانية هنا.

الحديث السابع عشر:

[١] (أبواب الخير):

أي توصل إلى الخير المطلق، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾(١) وقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٦.

وَالسَّامِعُ الْعَاصِي لَا حُجَّةَ لَهُ[٢]، وَإِمَامُ الْمُسْلِمِينَ تَمَّتْ حُجَّتُهُ وَاحْتِجَاجُهُ[٣] يَوْمَ يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ[٤]، ثُمَّ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ[٥]﴾ [الإسراء: ٧١].

﴿وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(١)، وفي أهل النار يقول تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾(٢).

[٢] **(العاصي لا حجَّة له):**

فلا يكفي مجرَّد السمع، بل يحتاج الإنسان لكي يفلح إلى الإطاعة أيضاً، فلو لم يسمع فلا حجَّة له، لأنَّه يُقال له: (أفلا تعلَّمت) ـ كما في رواية(٣) ـ، ولو سمع ولم يطع فالحجَّة عليه أعظم.

[٣] **(تمَّت حجَّته واحتجاجه):**

«واحتجاجه» إمَّا عطف والمعنى لقد كملت حجَّته وهو ينطق بها أي لا يسكت عنها يوم القيامة لأنَّ الله يأمره بأن يشهد على الناس ـ كما سيأتي في الباب التالي ـ، وإمَّا استئناف، فالمعنى تمَّت حجَّته في الدُّنيا ولكن احتجاجه إنَّما يكون في يوم القيامة وذلك لعدم تمكّنه من الاحتجاج على الجميع في الدُّنيا لتقية أو لموانع أُخرى.

[٤] **(يوم يلقى الله عزَّ وجلَّ):**

أي يلقى ثوابه ـ وقد مرَّ شرحه ـ.

[٥] **(يوم ندعوا كل أُناسٍ بإمامهم):**

لهذه الآية تفسيران:

١ ـ أنَّ كل متبوع ـ حقّاً كان أم باطلاً ـ يحضر إلى المحشر ثمَّ يُنادي في أتباعه، فيلتحقون به، فيُدخلهم الجنَّة أو النار، كما قال تعالى في

---

(١) سورة النُّور: الآية ٥١.

(٢) سورة الملك: الآية ١٠.

(٣) أمالي المفيد: ص٢٢٨؛ أمالي الطوسي: ص٩.

فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾[1] وفي هذا المعنى وردت روايات عدَّة تجدها في البرهان، منها: عن أبي عبد الله عليه السلام: (أنتم والله على دين الله ثم تلا ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ ثم قال: عليّ إمامنا ورسول الله صلى الله عليه وآله إمامنا، كم من إمام يجيء يوم القيامة يلعن أصحابه ويلعنونه. . .) الحديث[2].

٢ ـ إنَّه يدعى إلى الحساب كل أهل عصر بإمامهم المنصوب من قبل الله تعالى، بمعنى أن يُدعى ذلك الإمام، ويُدعى ناس عصره، وأكثر الأحاديث المفسرة لهذه الآية تدلُّ على هذا المعنى[3] ومنها هذا الحديث.

ولا تنافي بين المعنين، فإنَّه أوَّلاً يُدعى أهل كلّ عصر إلى الحساب ليشهد عليهم إمام زمانهم، ثمَّ يتقدَّم من ائتمَّ به إلى الجنَّة، وأمَّا من تركه وائتمَّ بأئمَّة الضلال فيؤمر بهم إلى النار مع إمامهم.

(١) سورة هود: الآية ٩٨.

(٢) البرهان: ج٦، ص١٢٠ ـ ١٢١.

(٣) البرهان: ج٦، ص١١٦ ـ ١٢٤.

بَابٌ فِي أَنَّ الْأَئِمَّةَ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ زِيَادٍ الْقَنْدِيِّ، عَنْ سَمَاعَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا[١]﴾ [النِّساء: ٤١] قَالَ: نَزَلَتْ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله خَاصَّةً[٢]، ....

الحديث الأوّل:

[١] **(وجئنا بك على هؤلاء شهيداً):**

أي ﴿فَكَيْفَ﴾ حال الكفرة ـ المذكورين في الآيات السابقة بالبخل والعصيان والكفر ـ ﴿إِذَا جِئْنَا﴾ في يوم القيامة ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد على أعمالهم ـ وهم الأنبياء وأوصيائهم ـ ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا رسول الله ﴿عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ أمّة محمّد ﴿شَهِيدًا﴾.

[٢] **(نزلت في أُمّة محمّد خاصّة):**

لعلّ المراد تفسير هذا المقطع ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ أي هذا القسم من الآية خاص بأُمّة محمّد صلى الله عليه وآله، وكيفية الشهادة هو أنّ إمام كلّ زمان يشهد على من عاصروه، والرسول صلى الله عليه وآله يشهد على الأئمّة بأنّهم أدّوا ما عليهم.

ويمكن حمل كلامه عليه السلام على تأويل كلّ الآية فيكون معنى ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾ كل طائفة من أُمّة الرسول صلى الله عليه وآله عاصرت إماماً، فإنّ معنى «الأُمّة» هو المجموعة من الناس، فتكون الآية هذه خاصّة بأُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وأمّا شهادة الأنبياء على أممهم فتُستفاد من آيات أُخرى.

فِي كُلِّ قَرْنٍ مِنْهُمْ[٣] إِمَامٌ مِنَّا شَاهِدٌ عَلَيْهِمْ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ شَاهِدٌ عَلَيْنَا.

٢ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَائِذٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ[١]﴾ [البقرة: ١٤٣] قَالَ: نَحْنُ الْأُمَّةُ الْوُسْطَى، وَنَحْنُ

---

[٣] (في كلّ قرن منهم):
«القرن» القوم المقترنون في زمن واحد، وجمعه قرون، كما في المفردات(١): قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾(٢).
ثمّ إنّ إطلاق القرن على مائة عام إنّما هو من باب أحد المصاديق ولذا قد يُطلق على عشرين سنة أيضاً، لأنّه مصداق آخر وعلى معاني أخرى ـ كما مرّ.

الحديث الثاني:

[١] (لتكونوا شهداء على الناس):
﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما هديناكم ﴿جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً﴾ جماعة ﴿وَسَطًا﴾ أي وسطاً بين الرسول ﷺ وبين سائر الناس، فأنتم الواسطة التي تبلّغ الأحكام ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ فإنّ الواسطة يتمكّن من معرفة من التزم ومن ترك، ﴿وَيَكُونَ﴾ أي وليكون ﴿ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.
وقد يفسر الوسط بمعنى المعتدل الذي لا إفراط فيه ولا تفريط فالأُمّة أُمّة معتدلة، فيمكنها الشهادة على المنحرف بإفراط أو تفريط، والرسول ﷺ لأنه أعدل الناس فإنّه يشهد على الأُمّة وهي لأنّها عادلة فإنّها تشهد على سائر الناس.
ومعنى الأُمّة الوسط إمّا الأئمّة عليهم السلام لأنّهم أعدل المسلمين بعد

---

(١) المفردات: ص٦٦٧.
(٢) سورة مريم: الآية ٩٨.

شُهَدَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَحُجَجُهُ فِي أَرْضِهِ[٢]، قُلْتُ: قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ[٣]﴾ [الحج: ٧٨] **قَالَ: إِيَّانَا عَنَى خَاصَّةً ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾** [الحج: ٧٨] **مِنْ قَبْلُ فِي الْكُتُبِ الَّتِي مَضَتْ «وَفِي هَذَا» الْقُرْآنِ ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾** [الحج: ٧٨] **فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ الشَّهِيدُ عَلَيْنَا بِمَا**

رسول الله ﷺ، وإمَّا يُراد بها أُمَّة محمَّد ولكن باعتبار وجود الأئمَّة فيهم، بمعنى أنَّ الشاهد هم الأئمَّة فقط ولكن كان التعبير بالأُمَّة لأجل اشتمالها على الأئمَّة، كما يُقال انتصر المسلمون في معركة بدر باعتبار أنَّ المسلمين اشتملوا على المقاتلين المنتصرين.

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام: أفترى أنَّ من لا تجوز شهادته في الدُّنيا على صاع من تمر، يطلب الله شهادته يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟!(١).

والحاصل أنَّ (الأُمَّة الوسط) إمَّا بمعنى الأئمَّة عليهم السلام، أو بمعنى المسلمين لكن باعتبار شهادة الأئمَّة، وعلى كلا المعنيين فالشاهد هم الأئمَّة عليهم السلام فقط.

[٢] **(وحججه على أرضه):**

أي كما هم حجَّة في الدُّنيا كذلك هم شهداء في الآخرة، ولعلَّ المقصود بيان التلازم بين الأمرين.

[٣] **(ملَّة أبيكم إبراهيم):**

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، ﴿وَجَـٰهِدُواْ﴾ النفس والأعداء ﴿فِى ٱللَّهِ﴾ أي في سبيله تعالى ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ أي بما يستحقه الجهاد من الإخلاص وبكلّ قوَّة ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ أي اختاركم لحمل دينه، فاللازم عليكم أداء الأمانة بإطاعته تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي ليس هذه التكاليف تضييق عليكم، بل الجهاد والعبادة وفعل الخير رحمةً بكم وهي

---

(١) البرهان: ج٢، ص١٥ عن تفسير العيَّاشي.

بَلَّغْنَا عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَنَحْنُ الشُّهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ، فَمَنْ صَدَّقَ صَدَّقْنَاهُ[٤] يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَذَّبَ كَذَّبْنَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

دون قدرتكم، ولذا فالزموا واختاروا ﴿مِلَّةَ﴾ طريقة ﴿أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾، ﴿هُوَ﴾ إبراهيم أو الله ﴿سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ أن توجدوا، في دعاء إبراهيم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾(١) أو في الكتب السابقة ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ القرآن سمّاكم المسلمين أيضاً، فما دام اسمكم مسلمين فعليكم التسليم عملاً حتّى يكون اسماً على مُسمّى، ﴿لِيَكُونَ﴾ أي اختاركم وسمّاكم بغرض أن يكون ﴿ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ في أعمالكم ﴿وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بأن بلّغتم أوامر الرسول ﷺ فإنّكم المُوجِّهون للناس.

ثمَّ إنّه وردت روايات متعددة في أنَّ المراد بهذه الآية الأئمّة عليهم السلام(٢)، فإنّهم عليهم السلام الشُّهداء الذين يشهدون على الأُمّة من كلّ الجهات، حيث إنّهم يعلمون الأعمال كما قال تعالى: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(٣) حيث يُراد بالمؤمنين الأئمّة عليهم السلام خاصّة كما تواترت بذلك الروايات، وأمّا سائر الشُّهداء فشهادتهم من بعض الجهات فقط.

وفي المرآة(٤): (ولا يخفى أنَّ الأمر بالجهاد والاجتباء بهم أنسب، وكذا: «ملّة أبيكم» لا يحتاج إلى ما تكلّفوا في تصحيحه، وكذا سائر أجزاء الآية، أو هم المقصودون بالذات بهذا الخطاب وإن دخل غيرهم فيه بالتبع، أو هم العاملون بهذا الخطاب، أو خطاب الأُمّة به لاشتمالهم عليهم السلام فيرجع إلى أنّهم المقصودون بالذات به) انتهى.

[٤] **(فمن صدّق صدّقناه):**

بالتشديد أي من صدّق في هذه الدُّنيا، فنحن نصدِّقه في الآخرة، أو بالتخفيف أي من صَدَق في الآخرة في ادعائه الإيمان فنحن نشهد له

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٨.

(٢) راجع البرهان: ج٦، ص٥٩٤ ـ ٥٩٧.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٥.

(٤) المرآة: ج٢، ص٣٤٠.

٣ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْحَلَّالِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[١] [هود: ١٧] فَقَالَ:

بالصدق، ولكنّا نكذِّب المجرمين الذين يكذبون في القيامة كما قال عنهم: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝٢٣ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾(١).

الحديث الثالث:

[١] **(أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهداً منه):**

﴿أَفَمَن﴾ استفهام تقريري، أي هل من كان على بيِّنة وله شاهد يكون كمن أراد الحياة الدُّنيا وزينتها ـ المذكورة في آية سابقة ـ ﴿كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ أي حجَّة وبرهان ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ من غير شكّ في أمره ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ أي يأتي بعده مؤيداً ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ من الرَّبّ أو من نفسه، فالشاهد إمَّا من الله وإمَّا الشاهد هو ملازم وملاصق للذي على بيِّنة فكأنَّه جزء منه.

والآية بظاهرها عامَّة، وقد تفسر البيِّنة بالفطرة والشاهد بالرسول صلى الله عليه وآله كما في حديث(٢) ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ فهذه براهين ثلاثة.

وقد استفاضت الروايات ـ لدى الفريقين ـ بأنَّ الذي على بيِّنة هو الرسول صلى الله عليه وآله، والشاهد منه هو الإمام علي عليه السلام.

ثمَّ إنَّ (على) في قوله: ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ للدلالة على تمكّنه من البيِّنة من غير تزلزل كالذي يركب على المركب مستقراً عليه.

وقوله: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ في المرآة(٣): ولا يخفى أن «يتلوه» يدلُّ على أنَّه المبلِّغ والخليفة بعده على أُمَّته، و«منه» يدلُّ على غاية

---

(١) سورة الأنعام: الآيتان ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) التقريب: ج٢، ص٥٨٦ عن الكافي.

(٣) المرآة: ج٢، ص٣٤٢.

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللّٰهِ عَلَيْهِ الشَّاهِدُ عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللّٰهِ ﷺ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ.

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: قَوْلَ اللّٰهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا[١]﴾ [البقرة: ١٤٣] قَالَ: نَحْنُ الْأُمَّةُ الْوَسَطُ، وَنَحْنُ شُهَدَاءُ اللّٰهِ

الاختصاص بينهما، كما قال ﷺ: «عليّ منّي وأنا منه»(١) انتهى.

وهذا نظير ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾(٢) أي من زمرتي وملازم لي، وكقول رسول الله ﷺ: «حسين منّي وأنا من حسين»(٣) أراد شدّة الاختصاص والتلازم بينهما فكأنّه جزء من الحسين عليه السلام، وكأنّ الحسين جزء منه.

الحديث الرابع:

[١] **(ويكون الرسول عليكم شهيداً):**

لا بأس بتفسير الآية الكريمة من زاوية أخرى ـ اقتبسناها من كتاب (خواطري عن القرآن) ـ بتصرُّف(٤) ـ.

أوّلاً: الأمّة الوسط هي الأمّة المعتدلة ـ التي لا تطرّف فيها ـ فلا تركز على الالتزامات الرُّوحيَّة أكثر ممَّا تفرض الرُّوح من التزامات، ولا تركّز على الالتزامات الجسدية أكثر ممَّا يفرض الجسد من التزامات، وإنَّما تتوفَّر على كلّ بمقدار ما يفرض، وبشكل يتيح لهما تكافؤ الفرص.

فهي ليست كالأمم البوذية والمسيحية التي تتوفَّر على الرُّوح فقط، ولا

---

(١) دعائم الإسلام: ج١، ص١٩؛ أمالي الصدوق: ص٥٨؛ سنن ابن ماجه: ج١، ص٤٤، الحديث: ١١٩؛ سنن الترمذي: ج٥، ص٦٣٦، الحديث: ٣٧١٩.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٦.

(٣) كامل الزيارات: ص١١٦، باب ١٤، الحديث: ١١ و١٢.

(٤) خواطري عن القرآن: ج١، ص١٣٩ ـ ١٤٨.

تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ، وَحُجَجُهُ فِي أَرْضِهِ، قُلْتُ: قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ[٢]﴾ [الحج: ٧٧-٧٨] قَالَ: إِيَّانَا عَنَى

كالأمم اليهودية والوجودية التي تتوفَّر على الجسد فقط.

ولا تركز على الجشع الفردي حتَّى الرأسمالية، ولا تغمط الوازع الفردي حتَّى الاشتراكية، ولا تطغي الجنس ولا تكبته، ولا تستهتر بالدماء كالطغاة، ولا تتقشَّف كالدعاة إلى الرأفة بالحيوان ـ كذباً ورياءً ـ، . . . إلخ، فهي تقف ـ دائماً ـ الحدّ الوسط العادل، بين التطرُّفات المختلفة.

إنَّها أُمَّة طبيعية، ومواقفها طبيعية، لأنَّ دينها طبيعي، منبثق من الواقع ومنسجم معه.

فلذا كانت المقياس الذي يُقاس به كل منحرف، ليكشف مدى انحرافه.

وهذه الأُمَّة من الطبيعي أن تكون الأُمَّة الموجهة للبشرية جمعاء، لأنَّها تلقي الضوء على كلّ منحرف وكل زائغ، وتقدر مدى انحرافه، ومقدار زيغه.

ثانياً: شهادتها على الناس، إنَّما يتولَّد من كونها وسطاً، حيث إنَّ وسطيتها تستدعي كونها في موقع القيادة، لأنَّ سائر الأُمم تعاني التطرُّف، ومن يعاني التطرُّف لا يصلح لتحمُّل القيادة ولا الرسالة.

فالقمة: يشكِّلها الرسول الأعظم ﷺ، فهو أقوى البشر وأقربهم إلى الله تعالى، وقد خوَّله الله تعالى القيادة العليا للبشرية وأعظم رسالات السَّماء، فكما أنَّه قائد لأُمَّته، كذلك بعثه الله رحمة للعالمين وللناس كافَّة.

والواسطة: هم الأئمَّة عليهم السلام حيث إنَّهم امتداد للرسول ﷺ، يقومون مقامه من بعده، ويواصلون مهمته إلَّا أنَّهم لا يُوحى إليهم.

والقاعدة: هم سائر الناس ـ من مسلمين وغيرهم ـ.

[٢] **(حق جهاده هو اجتباكم):**

الآية فسِّرت بأهل البيت عليهم السلام، مع أنَّ سياق الآيات يدلُّ على ذلك، والآية

بتمامها في سورة الحج[١]: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾، هذا في التوحيد، وأمّا النُّبوَّة فـ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[٢]، ثم ينتقل إلى الأئمَّة عليهم السلام وأنّه تعالى هو الذي اختارهم فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وكل آية صُدِّرت بهذا الخطاب فإنَّ الإمام عليّاً عليه السلام هو سيِّدها وما ذكره الله إلّا بخير ـ كما روي عن ابن عبّاس[٣] ـ: ﴿ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ أي أقيموا الصلاة فإنّها الرابط بينكم وبين الله تعالى، ﴿وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ بسائر العبادات، وذُكرت الصلاة بالخصوص لأنّها عمود الدِّين، ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ جميع أنواع البرّ ـ ويشمل غير العبادات ـ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي تفوزون، وكلمة (لعلَّ) من الله حتم، لاستحالة الترجي عليه ـ وقد ذكرنا تفصيله في كتاب التفكُّر في القرآن ـ ﴿وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ﴾ فإنَّ الجهاد قد يكون في الله، وقد يكون في سبيله تعالى، ولعلَّهما بمعنى واحد، ويمكن الفرق بينهما بأن يُقال إنَّ الأوَّل: جهاد لإعلاء كلمة الله أو للإيمان به أو لتحطيم عبادة غيره أو أي شيء من متعلقات التوحيد، والثاني: جهاد بإذن الله للدفاع عن غير الله كالدفاع عن المسلمين أو لإقامة شعائر الإسلام ونحوها[٤].

أو الأوَّل: هدف الجهاد ودافعه هو الله تعالى، والثاني: هدفه مصلحة مشروعة بإذن الله ـ كالدفاع عن العرض مثلاً ـ.

﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ أي بالكيفية التي يستحقها الجهاد في الله، بأن يكون خالصاً وبكلّ قوَّة، وبعبارة أُخرى: بكلّ الطاقات في كلّ مكان وزمان خالصاً من كل شوب ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ أي اختاركم لدينه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾

(١) سورة الحج: الآية ٧٤ .

(٢) سورة الحج: الآية ٧٦.

(٣) تفسير العياشي: ج٢، ص٣٥٢، تفسير سورة الكهف، الحديث: ٩١؛ روضة الواعظين: ص١٠٤؛ شواهد التنزيل، للحسكاني: ج١، ص٣٠، الفصل الأول، الحديث: ١٣؛ الصواعق المحرقة: ج٢، ص٣٧٢.

(٤) خواطري عن القرآن: ج٢، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨ ـ بتصرف ـ وقد ذكر احتمالات أخرى أنها إلى خمسة فراجع.

وَنَحْنُ الْمُجْتَبَوْنَ[٣]، وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الدِّينِ «مِنْ حَرَجٍ» فَالْحَرَجُ أَشَدُّ مِنَ الضِّيقِ[٤]، ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إِيَّانَا عَنَى خَاصَّةً، وَ﴿سَمَّىٰكُمُ

أشد الضيق، فالجهاد الذي أُمرتم به وكذا العبادات وفعل الخير أقل من طاقاتكم وإمكانياتكم، فالزموا ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ فهذا الدِّين ليس غريباً عنكم، بل تراثكم ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا﴾ وحينئذٍ فالرسول القائد الأعلى وأنتم ـ أهل بيته ـ الواسطة بينه وبين الناس، وهو معنى ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾.

[٣] **(ونحن المجتبون):**

في المفردات[١]: واجتباء الله العبد: تخصيصه إيَّاه بفيض إلٰهي يتحصَّل له منه أنواع من النِّعم بلا سعي من العبد، وذلك للأنبياء وبعض من يُقاربهم من الصدِّيقين والشُّهداء، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾[٢]، و﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٣]، و﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٤] و﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[٥]، و﴿يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[٦]، انتهى.

وهذا يؤيد تخصيص الآية بأهل البيت عليهم السلام خاصَّة، وقد مرَّ في الآية السابقة أنَّ الآية قد تكون عامَّة ولكن باعتبار وجود جماعة مخصوصة، فإن كان المخاطب في آية الاجتباء عموم المؤمنين فإنَّما هو باعتبار وجود أهل البيت عليهم السلام في ضمنهم، حيث إنّهم عليهم السلام المقصودون.

[٤] **(فالحرج أشدّ من الضيق):**

فالمعنى أنَّه لم يرفع كل ضيق ـ فإنَّ بعض التكاليف فيها تقييد للشهوات وقد تكون فيها صعوبة ـ بل المرفوع هو الضيق الشديد، فلا توجد في

---

(١) المفردات: ص١٨٦.

(٢) سورة يوسف: الآية ٦.

(٣) سورة القلم: الآية ٥٠.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٨٧.

(٥) سورة طه: الآية ١٢٢.

(٦) سورة الشورى: الآية ١٣.

ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ اللَّهُ سَمَّانَا الْمُسْلِمِينَ ﴿مِن قَبْلُ﴾ فِي الْكُتُبِ الَّتِي مَضَتْ، وَفِي ﴿هَٰذَا﴾ الْقُرْآنِ ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾. فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ الشَّهِيدُ عَلَيْنَا بِمَا بَلَّغَنَا عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَنَحْنُ الشُّهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ، فَمَنْ صَدَّقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَّقْنَاهُ وَمَنْ كَذَّبَ كَذَّبْنَاهُ.

٥ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ الْيَمَانِيِّ، عَنْ سُلَيْمِ بْنِ قَيْسٍ الْهِلَالِيِّ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى طَهَّرَنَا، وَعَصَمَنَا[١]، وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى

التكاليف ما فيها صعوبة شديدة.

وأمَّا قول الرسول ﷺ: «بعثني بالحنيفية السهلة السمحة»(١) فالمراد به أنَّ نظام الشريعة وإطارها العام لا صعوبة فيه ولا يخالف مصالح العباد، فالتكاليف الإسلامية لا تعقيد فيها ويمكن للجميع التعرُّف عليها فهي سهلة، كما أنَّها تترك مجالاً كبيراً للإنسان في التحرُّك فيما يُريد فلذا كانت الواجبات والمحرَّمات قليلة فهذه الشريعة سمحاء، كما أنَّ باب التوبة والإصلاح مفتوح أمام الجميع، وتتعامل مع غير المسلمين برحمة، نعم ما فيه المفسدة منعت عنه لأنَّه يوجب اختلال نظام المجتمع، فتحمّل صعوبة ترك المحرَّمات يوجب السهولة والسماح في النظام العام، وأما السماح لما فيه المفسدة فإنَّه يوجب الضيق الأكثر لاختلال نظام الحياة وكما قال الإمام علي عليه السلام: (من ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق)(٢).

الحديث الخامس:

[١] (طهرنا وعصمنا):

إشارة إلى مرحلتين، فخلقهم طاهرين مطهَّرين من طينة علِّيين، فلم تمرَّ

---

(١) الكافي: ج٥، ص٤٩٤؛ بحار الأنوار: ج٢٢، ص٢٦٤.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٥.

خَلْقِهِ، وَحُجَّتَهُ فِي أَرْضِهِ[٢]، وَجَعَلَنَا مَعَ الْقُرْآنِ، وَجَعَلَ الْقُرْآنَ مَعَنا[٣]، لَا نُفَارِقُهُ وَلَا يُفَارِقُنَا.

أنوارهم في أصلاب الكافرين ولا في أرحام غير طاهرة كما في الزيارة (أشهد أنَّك كنت نوراً في الأصلاب الشَّامخة والأرحام المطهَّرة لم تنجِّسك الجاهلية بأنجاسها ولم تُلبسك من مدلهِمَّات ثيابها)(١)، ثمَّ جاء بهم إلى هذا العالم معصومين من الذُّنوب والخطأ والسهو وكل قذارة ونقص، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٢).

[٢] **(وحجَّته في أرضه):**

وهذا نتيجة طهارتهم وعصمتهم، فالطاهرون المعصومون يتمكَّنون من الشهادة الصحيحة التي لا خطأ فيها، كما يكونون الميزان الذي يميِّز بين الحقّ والباطل فيكونون حجَّة الله في أرضه، يحتجّ بهم على العباد.

ثمَّ إنَّ الشهادة في الآخرة والحجَّة في الدُّنيا.

[٣] **(وجعل القرآن معنا):**

كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾(٣) وقال رسول الله ﷺ: «علي مع القرآن والقرآن مع علي لم يفترقا حتَّى يردا عليَّ الحوض»(٤)، وحديث الثقلين متواتر لدى الفريقين.

ثمَّ إنَّ الفقرات الأربع: (جعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا، لا نفارقه، ولا يفارقنا) إمَّا تأكيد، وفي التكرار بألفاظ مختلفة تأكيد شديد، أو (جعلنا مع القرآن) بمعنى أنَّنا نعمل بكلّ ما فيه،

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٦، ص١١٤.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٣) سورة فاطر: الآية ٣٢.

(٤) الأمالي: ص٤٦٠.

(وجعل القرآن معنا) لدلالته عليهم وعلى فضلهم وولايتهم وأمثال ذلك، (لا نفارقه) للدلالة على استمرارهم مع القرآن كما في حديث الثقلين «حتى يردا عليَّ الحوض»، (ولا يفارقنا) فالإمامة مستمرَّة فيهم إلى القيامة، فالقرآن يدلُّ عليهم أبداً.

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ عليهم السلام هُمُ الْهُدَاةُ

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، وَفَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ مُوسَى بْنِ بَكْرٍ، عَنِ الْفُضَيْلِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ[١]﴾ [الرّعد: ٧] فَقَالَ: كُلُّ إِمَامٍ هَادٍ لِلْقَرْنِ الَّذِي هُوَ فِيهِمْ[٢].

الحديث الأوّل:

[١] **(ولكل قوم هاد):**

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ليس محمَّد رسولاً، إذ لو كان رسولاً لاستجاب لاقتراحنا المعاجز، كتفجير الأرض ينبوعاً، وكإسقاط السَّماء كسفاً، وكالإتيان بالله وغيرها من اقتراحاتهم ـ وقد أشار الله إليها في سورة الإسراء(١): ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ﴾ أي لماذا لم تنزل ﴿عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾، ولكن ليست المعاجز أُلعوبة بيد هؤلاء حتَّى يأتي الله بها متى طلبوا، فقد شاهدوا معجزات رسوله محمَّد صلى الله عليه وآله وأعظمها القرآن، وهي تكفي لغير المعاند ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ كسائر الأنبياء فما عليك إلَّا الإتيان بمعجزة واحدة وأن تنذرهم، فطلبهم لآية جديدة إنَّما هو تعنّت ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فكما الأنبياء السابقون هداة لقومهم كذلك أنت عليك هدايتهم، ومن بعدك أيضاً هداة، وأبرزهم الإمام علي عليه السلام.

[٢] **(هاد للقرن الذي هو فيهم):**

القرن: القوم المقترنون في زمان واحد(٢) مرّ ـ.

---

(١) سورة الإسراء، الآيات ٩٠ ـ ٩٣ .

(٢) راجع المفردات: ص٦٦٧.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرّعد: ٧] فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الْمُنْذِرُ، وَلِكُلِّ زَمَانٍ مِنَّا هَادٍ يَهْدِيهِمْ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[١]، ثُمَّ الْهُدَاةُ مِنْ بَعْدِهِ[٢] عَلِيٌّ، ثُمَّ الْأَوْصِيَاءُ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾(١) وقال سبحانه: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾(٢).

ثمَّ إنَّ كونه هادياً لقرنه بمعنى المرشد والدليل والقائد الذي يرجعون إليه في كل ما احتاجوا إليه من أُمور دينهم ودُنياهم، وهذا لا ينافي كون المتوفَّى منهم هادياً لمن بعده أيضاً بسيرته وأقواله، مع فرق أنَّ الميت ليست له ممارسة ظاهرية في الموضوعات وفي المستجدات.

الحديث الثاني:

[١] **(إلى ما جاء به النبي):**

فليست هدايتهم إلى دين جديد أو تشريع من عندهم، بل كل علومهم مأخوذة من رسول الله صلى الله عليه وآله، ويهدون الناس إليها كما قال عليه السلام: (حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدّي... وحديث علي حديث رسول الله)(٣).

[٢] **(ثمَّ الهداة من بعده):**

إشارة إلى أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله أيضاً هادٍ، ثمَّ الهادي بعد الرسول صلى الله عليه وآله الإمام علي عليه السلام حيث يهدي الناس إلى ما جاء به النبي، مقابل تحريف المحرّفين، وانتحال المبطلين، وبعده سائر الأئمّة عليهم السلام واحداً بعد واحد.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٣١.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٧.

(٣) الكافي: ج١، ص٥٣.

٣ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ سَعْدَانَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الْمُنْذِرُ، وَعَلِيٌّ الْهَادِي، يَا أَبَا مُحَمَّدٍ هَلْ مِنْ هَادٍ الْيَوْمَ؟ قُلْتُ: بَلَى جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا زَالَ مِنْكُمْ هَادٍ بَعْدَ هَادٍ حَتَّى دُفِعَتْ إِلَيْكَ، فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، لَوْ كَانَتْ إِذَا نَزَلَتْ آيَةٌ[١] عَلَى رَجُلٍ ثُمَّ مَاتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مَاتَتِ الْآيَةُ، مَاتَ الْكِتَابُ[٢]، وَلَكِنَّهُ حَيٌّ[٣]، يَجْرِي

الحديث الثالث:

[١] **(لو كانت إذا نزلت آية):**

بيان لعلّة جعل الله الهادي لكل قوم، وهي أنَّ الآيات بحاجة إلى مُبيِّن في كلّ زمان، لأنَّ اللاحقين مكلّفون كالمعاصرين للنبي صلى الله عليه وآله، فلو لم يُبيِّن لهم أحد معنى الآيات لصار الكتاب مجملاً مبهماً، فلا يمكن العمل به، فلذا احتاج الناس إلى من يدلُّهم على معاني الآيات في كلّ وقت وزمان، وهذا علّة جعل الهادي لكلّ قوم.

[٢] **(ماتت الآية، مات الكتاب):**

«مات الكتاب» جزاء (لو) في قوله «لو كانت»، و«ماتت الآية» جزاء «إذا نزلت».

وحاصل اللفظ إذا مات الرسول الذي نزلت عليه الآية فماتت تلك الآية، إذن لو كان كذلك لمات الكتاب، لكن الكتاب لا يموت فلا تموت الآيات بموت الرسول، بل تبقى جارية ومبيَّنة بواسطة الإمام الهادي.

[٣] **(ولكنّه حيّ):**

لكن الكتاب حيّ لا يجوز موته لأنّه الحجّة.

وبتعبير آخر: لكن التالي ـ وهو موت الكتاب ـ باطل، فالمقدّم ـ وهو موت الآية بموت الرسول ـ مثله في البطلان.

فِيمَنْ بَقِيَ[٤] كَمَا جَرَى فِيمَنْ مَضَى.

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ صَفْوَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْقَصِيرِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الْمُنْذِرُ، وَعَلِيٌّ الْهَادِي، أَمَا وَاللَّهِ مَا ذَهَبَتْ مِنَّا[١]، وَمَا زَالَتْ فِينَا إِلَى السَّاعَةِ[٢].

---

[٤] (يجرى فيمن بقي):
أي أحكامه باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كما كان الماضين ـ المعاصرين للرسول صلى الله عليه وآله ـ مكلَّفون بالعمل به.

الحديث الرابع:

[١] (ما ذهبت منّا):
أي ما ذهبت هذه الآية منّا إلى غيرنا، بأن يكون الهادي غيرنا.

[٢] (إلى الساعة):
إلى الآن، أو إلى قيام القيامة.

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ عليهم السلام وُلَاةُ أَمْرِ اللَّهِ وَخَزَنَةُ عِلْمِهِ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي زَاهِرٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: نَحْنُ وُلَاةُ أَمْرِ اللَّهِ[١]، وَخَزَنَةُ عِلْمِ اللَّهِ، وَعَيْبَةُ وَحْيِ اللَّهِ[٢].

الحديث الأوّل:

[١] **(ولاة أمر الله):**

«الأمر» الشأن، وهو لفظ عام يُطلق على الأفعال والأقوال، و«أمر الله» هو الشأن المرتبط بالله كالإمامة في الدِّين والدُّنيا.

[٢] **(وخزنة علم الله وعيبة وحي الله):**

«الخزنة» جمع خازن، والمراد أنَّ صدورهم مستودع العلوم التي أنزلها الله تعالى على الناس عليهم السلام و«العيبة» ما يُستر فيه الشيء، والمعنى أنَّ كلّ وحي نزل على الأنبياء عليهم السلام فهو عندهم عليهم السلام، علَّمهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولعلَّ الفرق بين الفقرتين: ـ مع احتمال الترادف وكون التكرار للتأكيد ـ

١ ـ أنَّ الأوَّل هو العلوم التي يُراد بيانها ولذا قال «خزنة»، والثاني هي الأسرار التي يُراد كتمانها، ولذا قال «عيبة».

٢ ـ أو العلم أعمّ من الوحي، فكلّ علم وحي منه تعالى وليس كلّ وحي علم.

٣ ـ أو بالعكس فالوحي أعمّ من العلم. إذ أُوحي إلى الأنبياء العلم وغيره.

٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ، عَنْ أَبِيهِ أَسْبَاطٍ، عَنْ سَوْرَةَ بْنِ كُلَيْبٍ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: وَاللَّهِ إِنَّا لَخُزَّانُ اللَّهِ[١] فِي سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ، لَا عَلَى ذَهَبٍ وَلَا عَلَى فِضَّةٍ[٢] إِلَّا عَلَى عِلْمِهِ[٣].

الحديث الثاني:

[١] **(لخزان الله):**

أي خزان من طرف الله تعالى.

والعلوم التي في السَّماء يُراد بها ما لم تنزل إلى الأرض، كالعلوم التي في لوح المحو والإثبات.

وما في الأرض هي العلوم التي أنزلها على أنبيائه.

فهم الخزان يعطون من علمه مَنْ شاؤوا ويمنعون منه مَنْ شاؤوا ـ لمصلحة في الإعطاء أو المنع ـ.

[٢] **(ولا على فضة):**

المراد أنَّه ليس من شأنهم اكتناز الذهب والفضَّة، ولذا لم تجتمع عندهم، وكان الإمام علي عليه السلام يقسم ما في بيت المال ولا يدخره.

[٣] **(إلّا على علمه):**

استثناء منقطع من (لا على ذهب ولا فضَّة)، أي لسنا خزان الذهب والفضَّة إلّا أنّنا خزّان العلم.

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ؛ وَمُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ ـ رَفَعَهُ ـ، عَنْ سَدِيرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا أَنْتُمْ؟[١] قَالَ: نَحْنُ خُزَّانُ عِلْمِ اللَّهِ، وَنَحْنُ تَرَاجِمَةُ وَحْيِ اللَّهِ[٢]، وَنَحْنُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلَى مَنْ دُونَ السَّمَاءِ[٣] وَمَنْ فَوْقَ الْأَرْضِ.

الحديث الثالث:

[١] (ما أنتم):

أي ما حقيقة وجودكم، أو ما هي فضيلتكم على غيركم.

[٢] (تراجمة وحي الله):

«تراجمة» جمع تَرجُمان، في المرآة(١): وهو من يفسِّر الكلام بلسان آخر. . . والمراد هنا، مفسّر جميع ما أوحى الله تعالى إلى الأنبياء ومبيِّنها، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾(٢).

[٣] (من دون السَّماء):

المراد بهذه العبارة: أنَّهم عليهم السلام حجَّة الله تعالى على جميع من في الأرض ـ الذين تظلهم السَّماء وتُقلّهم الأرض ـ، وهنا لا ينافي كونهم حجَّة على أهل السَّماء أيضاً، لكن لمّا لم يكن المقصود بالذكر في هذا الحديث إلَّا أهل الأرض، سكت الإمام عليه السلام عن أهل السَّماء.

---

(١) المرآة: ج١، ص٣٤٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧.

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: اسْتِكْمَالُ حُجَّتِي[١] عَلَى الْأَشْقِيَاءِ[٢] مِنْ أُمَّتِكَ مِنْ تَرْكِ وَلَايَةِ عَلِيٍّ وَالْأَوْصِيَاءِ مِنْ بَعْدِكَ، فَإِنَّ فِيهِمْ[٣]

الحديث الرابع:

[١] **(استكمال حجَّتي):**

أي الكمال، بمعنى حصول الشيء أو حصول الغرض منه كاملاً غير منقوص، فالغرض من إقامة الحجَّة هو عمل المؤمن ليُثاب، وعقاب غير المؤمن ـ حتَّى لا يكون عقاباً بلا بيان وهو قبيح ـ.

وجاء بصيغة الاستفعال للمبالغة ـ لأنَّ زيادة المباني تدلُّ على زيادة المعاني ـ.

ثم إنَّ «استكمال» مبتدأ، خبره «مِن ترك...»، و(مِن) حرف جر، وفي إعراب الجملة احتمالات أخرى أيضاً.

[٢] **(الأشقياء):**

وهم المنافقون ومن حذا حذوهم، فإنَّهم بتركهم الولاية، اشتروا لأنفسهم التعب والنصب الدائم بالطرد من رحمة الله تعالى.

وفي الحديث دلالة على أنَّ ترك الولاية موجب للشقاء حتَّى إذا لم يبغضهم، أمَّا المبغض فهو منافق وهم في الدرك الأسفل من النار، حيث لا شقاوة أسوأ من ذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ولا يبغضك إلَّا منافق»(١) وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾(٢).

[٣] **(فإنَّ فيهم):**

أي في علي والأوصياء عليهم السلام، وهذا تعليل لقوله: (استكمال

---

(١) رواه مسلم في الصحيح عندهم، الحديث: رقم ١١٣.

(٢) سورة النساء: الآية ١٤٥.

سُنَّتَكَ وَسُنَّةَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ، وَهُمْ خُزَّانِي عَلَى عِلْمِي مِنْ بَعْدِكَ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ أَنْبَأَنِي جَبْرَئِيلُ عليه السلام بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ».

٥ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَعْفُورٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١]: يَا ابْنَ أَبِي يَعْفُورٍ إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ[٢]، مُتَوَحِّدٌ بِالْوَحْدَانِيَّةِ،

حجَّتي...) إلخ، أي إنَّما كانوا حجج الله تعالى، وهو سبحانه أتمَّ حجَّته بهم، لأنَّهم حفظة طريقة الأنبياء في قولهم وعملهم، كما أنَّ عندهم العلم الذي أنزله الله تعالى، ومن المعلوم أنَّ من كان عنده علم الله وطريقة الأنبياء ـ في قول وعمل ـ، يلزم اتباعه، ويكون الميزان والحجَّة على غيره، ومن يترك اتباعه فإنَّه تارك لطريقة الأنبياء وتارك لعلم الله، وهذا شقي.

الحديث الخامس:

[١] **(قال أبو عبد الله عليه السلام):**

يبدأ الإمام عليه السلام بمقدِّمة في أنَّ الأُمور كلّها مرتبطة بالله تعالى وأنَّ الأئمَّة عليهم السلام مخلوقون، وأنَّ مقاماتهم هي بتقدير من الله تعالى، ولعلَّ هذه المقدِّمة لأجل أمرين:

١ ـ لدفع الغلو، حتَّى لا يتوهم أحد فيهم الربوبية، بل هم مخلوقون.

٢ ـ لدفع التقصير، كي لا يُنزِّلهم أحد عن مقاماتهم، حيث إنَّ الله على كلِّ شيءٍ قدير، ومن قدرته أن خلق خلقاً بهذه المواصفات.

[٢] **(الله واحدٌ):**

واحدٌ في ذاته، واحدٌ في أفعاله، فلا شبيه له في ذاته أو في فعله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(١) ثمَّ بيَّن الإمام عليه السلام معنى كونه واحداً بقوله: «متوحِّد

---

(١) سورة الشورى: الآية ١١.

مُتَفَرِّدٌ بِأَمْرِهِ، فَخَلَقَ خَلْقاً فَقَدَّرَهُمْ لِذَلِكَ الأَمْرِ[٣]، فَنَحْنُ هُمْ[٤]. يَا ابْنَ أَبِي يَعْفُورٍ فَنَحْنُ حُجَجُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ، وَخُزَّانُهُ عَلَى عِلْمِهِ، وَالْقَائِمُونَ بِذَلِكَ[٥].

بالوحدانية. أي متوحّد في ذاته، فإنَّه الواحد الحقيقي، فليس مركباً وصفاته الذاتية عين ذاته، «متفرِّد بأمره» الأمر هنا بمعنى الفعل، أي لا شريك له في أفعاله، ومنها تعيين الأئمَّة كما قال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾(١).

[٣] (فقدرهم لذلك الأمر):

أي ليكونوا قائمين على ذلك الأمر، فجعل الولاية فيهم، ثم إنَّ قوله: (فخلق خلقاً فقدرهم لذلك الأمر) للدلالة على أنَّه تعالى خلقهم بأحسن شكل لتكون لهم القابلية لحمل ذلك الأمر، كما قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾(٢) فإنَّ الاصطفاء جعلهم المحل القابل لوراثة الكتاب.

[٤] (فنحن هم):

أي: نحن ـ الأئمَّة من أهل البيت ـ أولئك الذين خلقهم وقدَّرهم لذلك الأمر. وهذا لا ينافي اصطفاء الأنبياء عليهم السلام من قبل، لأنَّ مراد الإمام عليه السلام فيما يرتبط بهذه الأُمَّة. ويمكن أن يكون «الأمر» الذي قدَّر الله أهل البيت لذلك الأمر، هو خصوصية خاصة تختصّ بهم وبجدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله لا يشاركهم فيها أحد من الأوَّلين والآخرين، ولعلَّها الولاية التكوينية العامَّة ـ بإذن الله ـ.

[٥] (والقائمون بذلك):

و«القائمون» من القيام بمعنى الحفظ والمراعاة، «بذلك» الأمر.

---

(١) سورة القصص: الآية ٦٨.

(٢) سورة فاطر: الآية ٣٢.

٦ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنِ الْعَمْرَكِيِّ بْنِ عَلِيٍّ ـ جَمِيعاً ـ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَنَا فَأَحْسَنَ خَلْقَنَا[١]، وَصَوَّرَنَا فَأَحْسَنَ صُوَرَنَا[٢]، وَجَعَلَنَا خُزَّانَهُ فِي سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ[٣]، وَلَنَا نَطَقَتِ الشَّجَرَةُ[٤]، وَبِعِبَادَتِنَا عُبِدَ اللَّهُ عَزَّ

الحديث السادس:

[١] **(فأحسن خلقنا):**

خلقهم من طينة علّيّين ـ قلوبهم وأبدانهم ـ كما سيأتي في أحاديث الطينة، وكذلك خلقهم معصومين من كل دنس وخطأ وسهو.

[٢] **(فأحسن صورنا):**

الصورة الظاهرية التي هي شكل الوجه والجسم، والصورة الباطنية التي هي الأخلاق.

[٣] **(خزانه في سمائه وأرضه):**

أي خزّان علمه الذي في السَّماء ـ كالذي في اللوح ـ، وخزّان علمه الذي في الأرض ـ كالذي أنزل على رسله ـ.

[٤] **(ولنا نطقت الشجرة):**

في مفردات الراغب: وقد يُقال «الناطق» لما يدلُّ على شيء، وعلى هذا قيل لحكيم: ما الناطق الصامت؟ فقال: الدلائل المخبرة، والعبر الواعظة... وقوله: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾[١]، فإنَّ الكتاب ناطق، ولكن نطقه تدركه العين[٢].

أقول: لعلَّ قوله عليه السلام: (ولنا نطقت الشجرة) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ

---

(١) سورة الجاثية: الآية ٢٩.

(٢) مفردات الراغب: ص٨١١.

وَجلّ[٥]، وَلَوْلَانَا مَا عُبِدَ اللَّهُ[٦].

﴿أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾(١) وقد روي في الاحتجاج عن الإمام الهادي عليه السلام أنّه قال: ونحن الكلمات التي لا تُدرك فضائلنا ولا تُستقصى(٢).

وفي مرآة العقول: ولنا نطقت الشجرة، أي يمكننا استنطاقها بكلّ ما نريد بالإعجاز ـ كما ورد في معجزات كلّ من النبي والأئمّة صلوات الله عليهم كثير منها ـ، أو المعنى: إنّا نستنبط من الأشجار وأوراقها علوماً جمّة لا يعلمها غيرنا ـ وهذا أيضاً وارد في بعض الأخبار ـ(٣).

[٥] **(بعبادتنا عُبد الله عزّ وجلّ):**

أي كيفية العبادة الصحيحة أُخذت منهم، لأنّهم تعلّموها عن جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلّموها للناس.

[٦] **(ولولانا ما عبد الله):**

إذ التوحيد الصحيح مأخوذ منهم، وأما سائر الناس فهم بين مجسّم ومعطّل، يرسمون بأذهانهم إلهاً وهمياً ثم يعبدونه.

كما أنّ العبادة بلا شروطها باطلة، وهي ليست عبادة ـ حقيقية ـ، وهم عليهم السلام علّموا الناس العبادة الصحيحة، ولولاهم لم تكن عبادة صحيحة.

---

(١) سورة لقمان: الآية ٢٧.

(٢) البرهان: ج٧، ص٤٨٨ ـ ٤٨٩.

(٣) مرآة العقول: ج٢، ص٣٥٠.

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ ﷺ خُلَفَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَرْضِهِ وَأَبْوَابُهُ الَّتِي مِنْهَا يُؤْتَى

١ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، عَنِ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا ﷺ يَقُولُ: الْأَئِمَّةُ خُلَفَاءُ اللَّهِ[١] عَزَّ وَجَلَّ فِي أَرْضِهِ.

٢ ـ عَنْهُ، عَنْ مُعَلَّى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ سَمَاعَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: الْأَوْصِيَاءُ هُمْ أَبْوَابُ اللَّهِ[١] عَزَّ وَجَلَّ الَّتِي يُؤْتَى مِنْهَا، وَلَوْلَاهُمْ مَا عُرِفَ

الحديث الأوّل:

[١] (خلفاء الله):

أي نوّابه في الأرض ـ تشريفاً ـ، فهم يقومون بتبليغ رسالات الله، وهم الواسطة بين الله ـ عبر رسوله ـ وبين الخلق، وقد فرض الله طاعتهم، وجعل أمرهم أمره ونهيهم نهيه.

وهذه الخلافة كانت للأنبياء السابقين كما قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾(١)، وقوله: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(٢).

الحديث الثاني:

[١] (هم أبواب الله):

فلا يمكن معرفة الله إلّا عبر الأخذ منهم، فهم بيّنوا التوحيد الصحيح،

---

(١) سورة ص: الآية ٢٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٠.

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ[٢]، وَبِهِمُ احْتَجَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ.

أخذوه من رسول الله صلى الله عليه وآله وبيّنوه للناس.

كما لا يمكن معرفة العبادة الصحيحة إلّا عبر الأخذ منهم أيضاً، فهم بيّنوا حدودها وشرائطها وموانعها، كما لا تصحّ عبادة إلّا بولايتهم.

[٢] **(ولولاهم ما عُرف الله عزَّ وجلَّ)**:

عطف تفسيري، وقد مرَّ أنَّ «المعرفة» هي العلم بالشيء عن طريق أوصافه، فمعرفة الله لا تحصل إلّا عبر التعلّم منهم، فهم فسّروا الآيات بشكل صحيح، وأرجعوا متشابهها إلى محكمها، حيث إنّهم الراسخون في العلم، أخذوه عن جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعن الفاضل الاسترآبادي: فيه تصريح بأنّه لا يمكن معرفة الله حقّ معرفته في صفاته وأفعاله إلّا عن طريق أصحاب العصمة عليهم السلام، فعلم أنَّ فن الكلام المبني عليَّ مجرَّد الأحكام العقلية غير نافع(١).

وفيه: أنَّ المتكلّمين من الإمامية أخذوا العقيدة الصحيحة من الأئمَّة عليهم السلام ثم أقاموا البراهين العقلية لبيان صحتها، وذلك للجدل مع أصحاب المذاهب الفاسدة، وأيضاً تقوية لتلك الروايات، حيث إنّها مطابقة للدليل العقلي، عكس معتقدات غيرهم حيث تصطدم بالعقل، مع وضوح أنَّ العقل حجَّة باطنة.

والحاصل أنَّ هناك ثلاثة مناهج:

الأوّل: المنهج الفلسفي، حيث تُقام الأدلّة الخطابية أو الشعرية لإثبات صحة معتقدات اليونانيين، ثم يقومون بتأويل ما ورد في القرآن والحديث لينسجم مع تلك المعتقدات الفاسدة.

الثاني: منهج المتكلّمين من علماء الإمامية، حيث أخذوا المعتقد من الكتاب والسُّنَّة، ثم حاولوا إقامة البراهين العقلية تأييداً لها.

نعم قد يكون بعض المتكلمين اتبع المنهج الأوّل في بعض المسائل ولكن

---

(١) نقله عنه في المرآة: ج٢، ص٣٥١.

٣ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ[١]﴾ [النّور: ٥٥] ....

لا يحمل ذلك على كلّهم، فدقّق.

الثالث: الاقتصار على الأدلّة العقلية التي استدلّ بها الأئمّة عليهم السلام من دون اختراع أدلّة أخرى.

وهذا المنهج يشترك مع المنهج الثاني في أخذ العقيدة منهم عليهم السلام، وهو أحسن من جهة عدم احتمال الخطأ في الأدلّة المستدلّ بها، ولعلّ أفضل كتاب في هذا المجال (كفاية الموحّدين)(١) للمحقّق السيّد إسماعيل الطبرسي النوري رضوان الله عليه، وقد استفدت منه كثيراً في شرح أحاديث كتاب التوحيد.

الحديث الثالث:

[١] **(كما استخلف الذين من قبلهم):**

زعم بعض العامّة أنّ الآية إشارة إلى الفتوحات التي حدثت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وأنّ الأرض هي بلاد فارس والروم ونحوهما.

ولكن إن كان المراد منه الصحابة، ومن الأرض بعضها لا كلّها، فحملها على فتح مكة أولى ـ كما قاله بعض مفسّريهم حسب نقل الطبري في تفسيره(٢) ـ، وذلك لأنّ مكّة أهم من بلاد فارس والروم ونحوها، والجيش الذي كان بقيادة الرسول صلى الله عليه وآله أفضل من الجيوش التي فتحت تلك البلدان، فحيث لم يوجد عندهم حديث عن الرسول صلى الله عليه وآله في تفسير هذه الآية، فتفسيرها بغير فتح مكّة، تفسير تحكّمت فيه الأهواء.

---

(١) الكتاب باللغة الفارسية ومن أربعة مجلدات، ـ ولو طُبع طباعة حديثة لعلّه سيبلغ ثمانية ـ وعسى الله أن يقيّض من يترجمه ويرتّبه على أسلوب جديد، ليعمّ نفعه.

(٢) تفسير الطبري: ج١٩، ص٢٠٩، ط: مؤسسة الرسالة.

قَالَ: هُمُ الأَئِمَّةُ[٢].

وأما حسب تفسير أهل البيت عليهم السلام، فإنَّ أبرز مصاديق الآية هو عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام حيث إنَّ الأرض كلّها يرثها عباد الله الصالحون.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ من للتبعيض، فليس كل المؤمنين يستخلفون في الأرض بل بعضهم، وأظهر المصاديق هم الأئمَّة من أهل البيت عليهم السلام ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ومن جملة الأعمال الصالحة هو الجهاد كما قال: مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ(١) ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ ويُراد به الحكومة في الأرض، لأنَّ النيابة في التبليغ والأمر والنهي حاصلة، ولكن لم تحصل لحدِّ الآن النيابة في حكم كلّ الأرض ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كآدم عليه السلام حيث كان خليفة الله في الأرض ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ﴾ من التمكين وهو السيطرة على المكان ﴿لَهُمْ دِينَهُمُ﴾ أي الإسلام يأخذ بمجاري الأُمور ﴿ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ﴾ اختاره، ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ من الأعداء ﴿ءَامْنًا﴾ أي أماناً، ﴿يَعْبُدُونَنِى﴾ أولئك المؤمنون ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ لا يجعلون شريكاً لله ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد ذلك الوعد أو بعد الاستخلاف ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

ولا يخفى أنَّ الآية عامَّة تشمل الشيعة، لكن الأئمَّة عليهم السلام هم أظهر المصاديق، وتشمل بقاع الأرض المختلفة، لكن كلّ الأرض هو أبرزها(٢).

[٢] (قال: هم الأئمَّة عليهم السلام):

قوله (الأئمة) بالجمع، مع أنَّ ذلك يكون حين ظهور الإمام المهدي عليه السلام إمَّا لأجل أنَّ المراد حكومة أهل البيت عليهم السلام، وهي تتحقَّق بحكومة أحدهم، وإمَّا باعتبار رجعة كلّ واحد منهم ـ كما تدلُّ عليه روايات كثيرة ـ.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٥٤.

(٢) راجع تفسير البرهان: ج٧، ص١١٢ ـ ١٢٤.

بَابُ أَنَّ الأَئِمَّةَ عليهم السلام نُورُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

١ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مِرْدَاسٍ قَالَ: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ يَحْيَى؛ وَالْحَسَنُ بْنُ مَحْبُوبٍ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْكَابُلِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾[١] [التغابن: ٨] فَقَالَ: ـ يَا أَبَا خَالِدٍ ـ

الحديث الأوَّل:

[١] (والنُّور الذي أنزلنا):

النُّور الذي أنزله الله تعالى له ثلاثة مصاديق: القرآن، والرسول، وأهل البيت، وقد أطلق النُّور عليهم جميعاً:

فقد أطلق على القرآن في قوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾(١).

وقد أطلق على الرسول صلى الله عليه وآله، في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾(٢).

وقد أطلق على أهل البيت عليهم السلام باعتبارهم امتداداً لرسول الله صلى الله عليه وآله، وملازمتهم للقرآن بحيث لا يفترقون عنه، كما في حديث الثقلين: (وأنَّهما لن يفترقا حتَّى يردا عليَّ الحوض).

وإنَّما كان القرآن والرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام نوراً، لأنَّ النُّور هو الظاهر بنفسه والمُظهِر لغيره، وهكذا القرآن والرسول وأهل البيت، هم حقائق، وآياتهم ظاهرة، كما أنَّهم يهدون إلى التي هي أقوم.

---

(١) سورة الشورى: الآية ٥٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ١٥.

النُّورُ وَاللَّهِ الْأَئِمَّةُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ[٢]، وَهُمْ وَاللَّهِ نُورُ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ[٣]، وَهُمْ وَاللَّهِ نُورُ اللَّهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ[٤]،

ثمَّ إنَّ النُّور يُطلق على عدَّة أشياء: ـ على ما في المرآة ـ(١):

١ ـ على الوجود، لأنَّه يصير سبباً لظهور الحقائق في الخارج.

٢ ـ وعلى العلم، لأنَّه سبب ظهور الأشياء عند العقل.

٣ ـ وعلى الكمال، لأنَّه سبب لبروز صاحب الكمال.

٤ ـ وعلى الشمس والقمر والكواكب، لكونهما أسباباً لرؤية الأجسام.

٥ ـ ثمَّ إنَّ إطلاق النُّور على الله تعالى، لأنَّه منبع كلّ وجود وعلم وكمال.

٦ ـ ويطلق على الأنبياء والأئمَّة عليهم السلام، لأنَّهم أسباب لعلم الناس وكمالهم وهدايتهم، بل وجودهم ـ لأنَّهم العلل الغائية لوجود جميع الأشياء ـ. انتهى بتصرُّف.

[٢] **(إلى يوم القيامة):**

أي هذا النُّور مستمر إلى يوم القيامة، لأنَّ هدايتهم للناس مستمرة، وفي حديث الثقلين: (وإنَّهما لن يفترقا) فما دام القرآن موجوداً فأهل البيت عليهم السلام مستمرون في الوجود، ـ وفيه دلالة على حياة الإمام المهدي عليه السلام ـ، وكذلك كما أنَّ هداية القرآن مستمرة، فهدايتهم كذلك.

[٣] **(نور الله الذي أنزل):**

لأنَّهم كانوا أشباح نور حول العرش، فأنزلهم الله في صلب آدم عليه السلام(٢). والإضافة في (نور الله) تشريفية مثل (بيت الله).

[٤] **(في السَّموات وفي الأرض):**

فهدايتهم لا تنحصر بأهل الأرض، بل هدايتهم شملت الملائكة أيضاً ـ بأمر من الله تعالى ـ.

---

(١) مرآة العقول: ج٢، ص٣٥٣ ـ بتصرُّف ـ

(٢) انظر: خصال الصدوق: ص٤٨٢؛ وعلل الشرائع: ج١، ص٢٠٩.

وَاللَّهِ يَا أَبَا خَالِدٍ لَنُورُ الْإِمَامِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ[٥] أَنْوَرُ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ بِالنَّهَارِ، وَهُمْ وَاللَّهِ يُنَوِّرُونَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَحْجُبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نُورَهُمْ عَمَّنْ يَشَاءُ فَتُظْلَمُ قُلُوبُهُمْ[٦]، وَاللَّهِ يَا أَبَا خَالِدٍ لَا يُحِبُّنَا عَبْدٌ وَيَتَوَلَّانَا حَتَّى يُطَهِّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ[٧]، ....

وفي الحديث: (سبَّحنا فسبَّحت الملائكة)(١).

وفي حديث آخر: (كنَّا أشباح نور نعلِّم الملائكة التسبيح والتهليل)(٢).

[٥] **(لنور الإمام في قلوب المؤمنين):**

أي حقيقته وهدايته، فالمؤمنون يعرفون الإمام ويهتدون بهداه، قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾(٣).

[٦] **(فتظلم قلوبهم):**

كما قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾(٤) وذلك لأنَّ المؤمن بُحسن اختياره جعل لنفسه القابلية، فلذا نوَّر الله قلبه، أما غير المؤمن فبسوء اختياره يخرج نفسه عن تلك القابلية.

[٧] **(يطهِّر الله قلبه):**

من الكفر والنفاق.

والحاصل: أنَّ حبّهم ينتج التسليم والسلم، وهما سبب طهارة القلب، والطهارة سبب النجاة في الآخرة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٥)، فهؤلاء منافقون لم يرد الله

---

(١) نور البراهين: ج١، ص٣٨٦.
(٢) مجموعة الرسائل: ج٢، ص١٥١.
(٣) سورة الزمر: الآية ٢٢.
(٤) سورة النُّور: الآية ٤٠.
(٥) سورة المائدة: الآية ٤١.

وَلَا يُطَهِّرُ اللَّهُ قَلْبَ عَبْدٍ[٨] حَتَّى يُسَلِّمَ لَنَا[٩] وَيَكُونَ سِلْماً لَنَا[١٠]، فَإِذَا كَانَ سِلْماً لَنَا سَلَّمَهُ اللَّهُ[١١] مِنْ شَدِيدِ الْحِسَابِ[١٢]، وَآمَنَهُ مِنْ فَزَعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

تطهيرهم، ومن المعلوم أنَّ حب الإمام علي عليه السلام علامة الإيمان، وبغضه علامة النفاق، كما قال عليه السلام: وذلك أنَّه قُضي فانقضى على لسان النبي الأُمّي صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «يا علي لا يبغضك مؤمن ولا يحبّك منافق»(١).

[٨] **(ولا يطهِّر الله قلب عبد):**

لما كان حبّهم سبباً لتطهير القلب، بيَّن الإمام عليه السلام معنى الحبّ، وأنَّه لا يكون إلَّا بالتسليم والسلم، فمن لا يكون لهم سلماً ولا يسلِّم لهم فليس بمحب حقيقي ـ حتى إذا ادّعى الحب ـ.

[٩] **(يسلِّم لنا):**

أي يسلِّم لأوامرنا، بأن يطيعها، نظير قوله تعالى: ﴿وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾(٢)، وفي هذا المعنى ورد: (إنَّ المحب لمن يحب مطيع).

[١٠] **(يكون سلماً لنا):**

«السِلم»: الصلح وهو ضد الحرب، والمراد أن لا يصل أذاه إليهم، بل يصل منه نفع.

[١١] **(سلَّمه الله):**

لأنَّ سِلمه لهم عليهم السلام يكون سبباً لطهارة قلبه، وطاهر القلب مصيره الجنَّة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(٣).

[١٢] **(شديد الحساب):**

بمعنى أن تناله الشفاعة وأن يغفر الله تعالى له، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾(٤).

---

(١) نهج البلاغة: قصار الحكم ٤٥.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

(٣) سورة الشعراء: الآيتان ٨٨ ـ ٨٩.

(٤) سورة الانشقاق: الآيتان ٧ ـ ٨.

الْأَكْبَرِ[١٣].

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ ـ إِلَى قَوْلِهِ ـ ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[١]﴾ [الأعراف: ١٥٧] قَالَ: النُّورُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَئِمَّةُ عليهم السلام.

---

[١٣] **(فزع يوم القيامة الأكبر):**

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾(١) أي الخوف الأكبر الذي هو خوف القيامة، كما قال: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾(٢)، وقد استفاضت الروايات بأنَّ الحسنة هذه هي الولاية(٣).

الحديث الثاني:

[١] **(أولئك هم المفلحون):**

نزلت في من آمن من أهل الكتاب ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ﴾ إلى الناس ﴿النَّبِيَّ﴾ من الله، وقد مرَّ أنَّ كل رسول نبي، وبعض الأنبياء رسل.

ثمَّ إنَّ علامة صدق هذا النبي متعدِّدة:

١ ـ إنَّه أُمِّي، ومع ذلك جاء بأعظم كتاب وأعظم تشريع.

٢ ـ إنَّ به بشارات الأنبياء السابقين.

---

(١) سورة الأنبياء: الآيات ١٠١ ـ ١٠٣.

(٢) سورة النمل: الآيات ٨٧ ـ ٨٩.

(٣) راجع تفسير البرهان: ج٧، ص٢٩٩ ـ ٣٠٥.

٣ ـ إنَّ سيرته العملية طوال حياته تدلُّ على نبوَّته فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ـ عكس أدعياء النُّبوَّة ـ.

٤ ـ إنَّ تحليله وتحريمه للمأكولات لا يرتبط بالشهوات بل يرتبط بالمصلحة ـ عكس طلّاب السلطة ـ.

فكلّ هذه علامات صدقه وأنَّه رسول إلى الناس ونبي من قبل الله تعالى.

﴿ٱلْأُمِّىَّ﴾ منسوب إلى الأمّ، لأنَّه صلى الله عليه وآله لم يتعلَّم الكتابة والقراءة عند أحد ولم يستعملهما طيلة حياته، بل إنَّ الله بالإعجاز علَّمه الكتابة والقراءة ـ كما في بعض الروايات ـ[1] كما علَّمه سائر العلوم من غير تعلُّم عند أحد، وإنَّ سبب عدم استعماله لهما هو ما أشار إليه تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[2].

أو الأمّي منسوب إلى أمّ القرى كما روي ذلك عن الإمام الباقر عليه السلام، وهي نسبة على غير قياس، لأنَّ القياس هو النسبة إلى المضاف إليه في المركب من أب وأم، ولكن كثرت النسبة على غير قياس في لغة العرب[3] وهذا أحدها.

وأما ما قيل من عدم معرفته للكتابة والقراءة، فهو قول باطل، لأنَّهما كمال، ولا يصحّ أن يكون أحد أفضل من النبي صلى الله عليه وآله في أية جهة من الجهات.

﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ﴾ ذلك الرسول ﴿مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ قبل التحريف، وحتى بعد التحريف توجد فيهما إشارات إلى رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله.

ففي مجمع البيان: (وفيها ـ أي التوراة ـ مكتوب: وأما ابن الأمة فقد باركت عليه جداً جداً، وسيلد اثنا عشر عظيماً وأؤخره لأمَّة عظيمة)، (وفي الإنجيل بشارة بالفارقليط... قول المسيح للحواريين: أنا سأذهب وسيأتيكم الفارقليط، روح الحق الذي لا يتكلَّم من قِبَلِ نفسه، إنَّه نذيركم

(١) علل الشرائع: ص١٢٤.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٨.

(٣) منها (عبشمي) نسبة إلى عبد الشمس، و(عبدري) نسبة إلى عبد الدار، و(راميَّة هرمزية) نسبة إلى رام هرمز، ونحوها.

بجميع الحق ويخبركم بالأُمور المزمعة ويمدحني ويشهد لي)[١] ومعنى فارقليط هو المحمود ـ كما قيل ـ[٢].

﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ والمعروف هو يقبله عرف العقلاء ويرتضيه ﴿وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وهو ما يرفضه العقلاء وينكرونه، فأمره ونهيه إنَّما هو حسب الموازين العقلائية، لأنَّ العقل حجَّة باطنة والرسول حجَّة ظاهرة، وكلاهما يدلَّان على شيء واحد.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ المستلذَّات الحسنة ـ في المأكل والمشرب والمنكح ونحوها، ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ أي القبائح التي تعافها النُّفوس المستقيمة، فتحليله وتحريمه ليسا اعتباطيين، بل لشيء في ذات الحلال والحرام، بخلاف تحليل وتحريم سائر الناس، فإنَّهم قد يحرِّمون الطيب ـ كتحريمهم لتعدُّد الزوجات ـ، وقد يحلِّلون الخبيث ـ كتحليلهم للخمر والخنزير ـ[٣].

ثمَّ إنَّ الفرق بين الأمر بالمعروف وتحليل الطيِّبات، وكذا بين النهي عن المنكر وتحريم الخبائث، إمَّا بالعموم والخصوص، فكل طيِّب معروف، وكل خبيث منكر، ولا عكس، وإنَّما أفرد الطيِّبات والخبائث بالذكر لأجل اهتمام الناس بها أكثر من غيرها فالمأكل والمشرب والمنكح والمسكن. . .إلخ هي أهم الأُمور عند غالب الناس، وإمَّا لأجل أنَّ الأمر بالمعروف خاص بالواجبات ـ عادة ـ، وتحليل الطيِّبات شامل للمباحات، أو لغير ذلك.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ هو الحمل الثقيل ﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ أي ما يقيِّد حركتهم، والفرق بينهما: أنَّ «الإصر» هو ما كانوا يلزمون به أنفسهم من الأفعال، فكأنَّه حمل ثقيل على أكتافهم، و«الأغلال» ما كانوا يحرِّمونه على أنفسهم، فكأنَّه أغلال تقيِّد حركتهم، وهذا ما يُشاهد في المجتمع البعيد عن النظم الإسلامية حيث هناك عادات تفرض على الناس

(١) مجمع البيان: ج٤، ص٥٢٨، ط انتشارات أسوة.
(٢) بحار الأنوار: ج١٥، ص١٧٨.
(٣) اقتباس ـ بتصرُّف ـ من تقريب القرآن: ج٢، ص٢٥٥.

٣ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: لَقَدْ آتَى اللَّهُ أَهْلَ الْكِتَابِ خَيْراً كَثِيراً، قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ ـ إِلَى قَوْلِهِ ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا[١]﴾ [القصص: ٥٤] قَالَ: فَقَالَ: قَدْ آتَاكُمُ اللَّهُ كَمَا

فعل أُمور أو ترك أُمور وتلك العادات تصعّب حياتهم وتقيِّدهم.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ﴾ أي نصروه ووقّروه، ولا يخفى أنَّ الضرب تعزيراً يرجع إلى نفس هذا المعنى، لأنَّه للتأديب وهو نوع نصرة للمضروب، فتعزير المؤمن هو نصره بإبعاد ما يضرّه عنه، وتعزير المجرم هو نصره بإبعاده عمَّا يضرّه، حيث يخاف من ارتكاب المحرَّم مرَّة أخرى.

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ﴾ القرآن ـ تفسيراً ـ، وأهل البيت عليهم السلام ـ تأويلاً ـ، ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ أي أنزل النُّور عليه، أو باعتبار أنَّ القرآن والرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام كلّهم أنزلوا من السَّماء إلى الأرض، أمَّا القرآن فواضح، وأمَّا الرسول وآله فقد كانوا أشباح نور حول العرش فأنزلهم الله في صلب آدم إلى الأرض ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

الحديث الثالث:

[١] **(أجرهم مرتين بما صبروا):**

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ﴾ قبل القرآن، وهم الذين آمنوا بموسى عليه السلام ثم آمنوا برسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله ﴿هُم بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ لأنَّهم ليسوا بمعاندين فيعلمون الحقائق ويعملون بها، ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ﴾ القرآن ﴿عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ﴾ قبل نزول القرآن ﴿مُسْلِمِينَ﴾ حيث بشّرت به الأنبياء ورأينا ذكره في الكتب السماوية، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ مرَّة لإيمانهم بكتابهم، وأخرى لإيمانهم بالقرآن ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ لأنَّ إيمانهم بكتابهم سبب أذى المشركين، ثم إيمانهم برسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله صار سبباً لإيذاء أهل الكتاب لهم.

آتاهم[٢]، ثُمَّ تَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ[٣]﴾ [الحديد: ٢٨] يَعْنِي إِمَاماً تَأْتَمُّونَ بِهِ.

٤ ـ أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ، عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ؛ وَالْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْكَابُلِيِّ قَالَ:

---

[٢] (كما آتاهم):
أي الأجر مرّتين

[٣] (يجعل لكم نوراً تمشون به):
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بألسنتهم، هذا الخطاب يقصد به المسلمين الذين تشهّدوا الشهادتين ـ ويشمل حتّى المنافقين ـ في قبال اليهود والنصارى الذين يخاطبهم بـ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في أعمالكم أي خافوا عذابه، وذلك بترك المعاصي ﴿وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ إيماناً حقيقياً كما في قوله: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ(١) ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ والكفل هو النصيب الذي فيه الكفاية، كأنّه تكفّل بأمره، نصيب لأجل الإيمان بالله، ونصيب آخر لأجل الإيمان بالرسول ﷺ أو أحدهما بسبب الإيمان بالرُّسل السابقة والآخر بسبب الإيمان بالرسول، ﴿مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ في الآخرة، أو في الدُّنيا والآخرة كقوله: ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً(٢) ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ في الناس حال كونكم سالكين طريق السعادة، فإنَّ المهتدي يرى الطريق الصحيحة فيسير باطمئنان بلا خوف التعثُّر، كالذي له نور في الظلمة.

الحديث الرابع:

مرَّ هذا الحديث بتفصيل أكثر في الحديث الأوّل من هذا الباب وإنّما كرّره لتعدُّد السند ولاختصار المتن.

---

(١) سورة النساء: الآية ١٣٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٠١.

سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨] فَقَالَ: يَا أَبَا خَالِدٍ: النُّورُ وَاللَّهِ الأَئِمَّةُ عليهم السلام، يَا أَبَا خَالِدٍ لَنُورُ الإِمَامِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْوَرُ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ بِالنَّهَارِ، وَهُمُ الَّذِينَ يُنَوِّرُونَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَحْجُبُ اللَّهُ نُورَهُمْ عَمَّنْ يَشَاءُ فَتُظْلَمُ قُلُوبُهُمْ وَيَغْشَاهُمْ بِهَا[١].

٥ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَمُّونٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَصَمِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ صَالِحِ بْنِ سَهْلٍ الْهَمْدَانِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ[١]﴾ [النور: ٣٥] فَاطِمَةُ عليها السلام،

---

[١] (ويغشاهم بها):

بالظلمة، فهي تحيط بهم، فليس قلوبهم فقط مظلمة بل كل وجودهم مغطّى بالظلمة، كقوله: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾(١)، وقال: ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾(٢).

الحديث الخامس:

[١] (مثل نوره كمشكاة):

فلنذكر أولاً تفسير الآية ثمّ بيان تأويلها.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النُّور ظاهر بنفسه مُظهر لغيره، وهو تعالى كذلك لأنّه منبع كلّ نور وعلم وكمال ـ كما مرَّ ـ وهو هادٍ لأهل السّماء وهادٍ لأهل الأرض، ثمَّ تقريباً للذهن ذكر الله مثلاً من المحسوسات التي يدركها الإنسان، وذلك المثل هو الضياء في الليالي، وبعبارة التقريب(٣): لقد كان الناس في الماضي يخرجون كوّة في الحائط، ثمَّ يجعلون على تلك الكوّة

---

(١) سورة يس: الآية ٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٧.

(٣) تقريب القرآن: ج٣، ص٧٠٤.

لوحاً من زجاج، ثم يجعلون المصباح ـ وهو محل الزيت والفتيلة ـ في زجاجة تُسمَّى الفانوس، ثمَّ يجعلون الزجاجة في الكوَّة، وإنَّما يجعلونها في الكوَّة ليشعّ من المصباح الضياء في الداخل والخارج، ومن المعلوم أنَّ نور المصباح إذا أشرق على الزجاج، وكان منحصراً في كوَّة لا ينتشر، كان ضياؤه قوياً جداً، وبالأخص إذا كان الزيت نقياً جداً، انتهى.

وحتَّى الآن الأضواء القوية يغلق خلفها وفوقها وتحتها ليشعّ النُّور من جهة واحدة فيكون مركزاً قوياً.

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ الكوَّة ـ وهي الثقب غير النافذ في الجدار ـ ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ السراج وهو يتكوَّن من مخزن الوقود والفتيلة، ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ وهي ما توضع على الفتيلة من ألواح الزجاج ﴿ٱلزُّجَاجَةُ﴾ لصفائها وعدم وجود كدر فيها ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ منسوب إلى الدُّرّ، وقيل هو من الدرء على وزن فُعّيل، أي يطرد الظلام بسرعة، ﴿يُوقَدُ﴾ ذلك المصباح ﴿مِن﴾ زيت الزيتون المأخوذ من ﴿شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ كثيرة الخير ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ ـ التاء للوحدة ـ وهذا الزيت أنقى الزيوت وهو أحسن الوقود ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أي تلك الشجرة تُشرق عليها الشمس دائماً، فلا هي من المرتفعات الشرقية بحيث لا تلوحها الشمس عند الصباح، ولا هي تقع في المرتفعات الغربية فلا تصيبها الشمس عصراً، بل هي في وسط أرض مسطحة، ومن المعلوم أنَّ الشمس إذا أشرقت عليها طوال النهار كان ثمرها أحسن وزيتها أجود، قيل: المراد إنَّها في أرض الشام فإنَّها أوسط الأراضي وزيتونها أجود أنواع الزيتون، وهذا الزيت لنقائه يتلألأ كأنَّه يسطع منه النُّور ف﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾، فإذا مسّها النار فهو ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ أي نور هذا الصباح ﴿مَن يَشَآءُ﴾ فإنَّ الناس لو شاهدوا هذا النُّور اهتدوا به في ظلمات اللَّيل، ويمكن إرجاع ضمير «لنوره» إلى الله، ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

(١) سورة النُّور: الآية ٣٥.

وأمّا تأويل الآية:

فقد استفاضت الروايات في تأويلها[١]، وهي إمّا من باب تأويل الآية ببطونها المتعدِّدة، أو بيان لمصاديق معانيها، فلا تنافي بين تلك الروايات، لأنَّ ذكر مصداق لا ينافي ذكر مصداق آخر، كما نُسأل عن معنى «الحاكم العادل» فنقول الإمام علي عليه السلام، ونُسأل عن معنى «الظالم» فنقول فرعون ـ مثلاً ـ فهذا بيان للمعنى بذكر مصداق، فلو ذكرنا مصاديق متعدِّدة لم يكن منافاة بينها، فلنجمع مضمون هذه الروايات في التقسيم التالي:

١ ـ هو مَثَلٌ ضربه للمؤمن: ﴿نُورِهِۦ﴾: الهداية في قلب المؤمن، ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾: جوف المؤمن ـ يعني قلبه ـ ﴿ٱلْمِصْبَاحُ﴾: النُّور الذي في قلبه، ﴿شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾: المؤمن، ﴿يُضِىٓءُ﴾: النُّور في قلبه، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾: فريضة بعد أخرى، وسُنَّة بعد سُنَّة، ﴿لِنُورِهِۦ﴾: فرائضه وسُننه.

٢ ـ هو مثل ضربه للرسول صلى الله عليه وآله: ﴿لِنُورِهِۦ﴾: رسول الله صلى الله عليه وآله، أو العلم الذي أعطي، ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾: قلب الرسول صلى الله عليه وآله، ﴿مِصْبَاحٌ﴾: نور العلم، ﴿زُجَاجَةٍ﴾: قلب علي عليه السلام، ﴿شَجَرَةٌ﴾: إبراهيم عليه السلام، ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ﴾: لا يهودية، ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: لا نصرانية، ﴿يُضِىٓءُ﴾: العلم ينفجر منه، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾: إمام بعد إمام، ﴿لِنُورِهِۦ﴾: الأئمَّة عليهم السلام.

٣ ـ هو مَثَلٌ ضربه لأهل البيت عليهم السلام: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾: أهل البيت عليهم السلام، ﴿مِصْبَاحٌ﴾: رسول الله صلى الله عليه وآله، ﴿زُجَاجَةٍ﴾: عنصر الرسول الطاهر أو أهل البيت، ﴿مُّبَٰرَكَةٍ﴾: علي عليه السلام، ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ﴾: لا دَعِيّة، ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: لا منكرة، ﴿يُضِىٓءُ﴾: القرآن الكريم، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾: إمام بعد آخر، ﴿لِنُورِهِۦ﴾: الهداية للولاية.

٤ ـ التأويل المذكور في هذا الحديث الشريف:

وكما ذكرنا فلا منافاة بين هذه التأويلات ـ لتعدُّد بطون القرآن الكريم ـ، أو

---

(١) راجع تفسير البرهان: ج٧، ص٧٩ ـ ٨٨، وبحار الأنوار: ج٢٣، ص٣٠٤ ـ ٣٢٥.

﴿فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ﴾ الْحَسَنُ، ﴿ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ﴾ الْحُسَيْنُ[٢]، ....

لتعدد المصاديق لانطباق هذه الألفاظ على مختلف المصاديق المذكورة.

«فالنُّور»: من مصاديقه الرسول، ومن مصاديقه علمه، ومن مصاديقه الهداية في قلب المؤمن.

و«المشكاة»: ـ باعتبارها ظرفاً للمصباح، فلها مصاديق: فقلب الرسول يحتوي على العلم، وفاطمة عليها السلام احتوت نور الأئمَّة عليهم السلام، وأهل البيت عليهم السلام احتووا على العلم، وقلب المؤمن محل للهداية.

و«المصباح»: ـ باعتباره منشأ النُّور ـ له مصاديق منها: الرسول، ونور العلم، والحسن والحسين عليهما السلام.

و«الزجاجة»: ـ باعتبار صفائها ـ من مصاديقها: الرسول صلى الله عليه وآله، وعنصره الطاهر، وقلب أمير المؤمنين عليه السلام، وعلمه، والحسين عليه السلام، وأهل البيت عليهم السلام.

و«الشجرة المباركة»: ـ باعتبارها أصل الخير ـ، فمن مصاديقها: إبراهيم عليه السلام، والإمام علي عليه السلام، والمؤمن.

و«لا شرقية ولا غربية»: أي ليس فيها انحراف، كاليهودية والنصرانية، وكالدعية والمنكرة.

و«يضيء»: ـ باعتبار إشعاع النُّور ـ فمن مصاديقه: القرآن، والعلم، والنُّور في قلب المؤمن.

و«نور على نور»: الأئمة نور فكلّ إمام بعد آخر هو نور بعد نور، وكذا كلّ حكم نور فكلّ فريضة بعد أخرى وسُنَّة بعد أخرى هي نور بعد نور.

و«يهدي الله لنوره»: الأئمَّة نور، وولايتهم نور، والفرائض والسُّنن نور، فيهدي الله لها من يشاء(١).

[٢] **(المصباح في زجاجة: الحسين):**

«الحسين» إمَّا بيان لمعنى المصباح، فـ«مصباح» الإمام الحسن عليه السلام

---

(١) وفي مجمع البيان: ج٧، ص٣٨٠ ـ ٣٨٢، بيان لطيف فراجعه، ونقله عنه ـ باختصار ـ في المرآة أيضاً: ج٢، ص٣٦١ ـ ٣٦٣.

﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا[٣] كَوْكَبٞ دُرِّيّٞ﴾ فاطمةُ كوكبٌ دُرّيٌّ بين نساءِ أهلِ الدُّنيا، ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ﴾ إبراهيم عليه السلام، ﴿زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾ لا يهوديّةٍ ولا نصرانيّةٍ[٤]، ﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ﴾ يكادُ العِلْمُ ينفجرُ بها ﴿وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ﴾ إمامٌ منها بعدَ إمامٍ، ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ يهدي اللهُ للأئمّةِ مَنْ يشاءُ، ﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ﴾.

قلتُ: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ[٥]﴾ [النّور: ٤٠] قال: الأوّلُ وصاحبُه، ﴿يَغۡشَىٰهُ

و«المصباح» الإمام الحسين عليه السلام، فيكون إشارة إلى وحدة نوريهما ـ كما في المرآة(١) ـ، ويؤيد هذا المعنى ما ورد في روايات أخرى.

وإمّا بيان لتأويل الزجاجة، فلعلّه إشارة إلى اجتماع نورهما في الأئمّة عليهم السلام، حيث إنَّ فاطمة بنت الحسن زوجة الإمام زين العابدين عليه السلام وأمّ الإمام الباقر عليه السلام.

[٣] (كأنّها):

بناءً على التأويل الثاني، ضمير «كأنّها» يرجع إلى المشكاة، وبناءً على التأويل الأوّل فالضمير راجع إلى الزجاجة.

[٤] (لا يهودية ولا نصرانية):

قيل لأنَّ اليهود كانوا يصلّون إلى المشرق، والنصارى إلى المغرب فلذا كان (لا شرقية) بمعنى لا يهودية، (ولا غربية) بمعنى لا نصرانية.

[٥] (قلت: أو كظلمات):

ثم مثّل الله للكفّار مثلين:

الأوّل: الشخص حال العطش وهو يريد الارتواء، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾.

---

(١) المرآة: ج٢، ص٣٥٨.

مَوۡجٞ﴾ الثَّالِثُ. ﴿مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ[٦]﴾، ....

الثاني: وله تفسير وتأويل.

أما التأويل فما ذكر في هذا الحديث وغيره(١).

وأمّا التفسير، فهو الشخص الضالّ الذي أحدقت به مخاطر الغرق في البحر فيلتمس نوراً ليهتدي به، فلا يجده، فقال تعالى: ﴿أَوۡ﴾ أي إنَّ أعمالهم ﴿كَظُلُمَٰتٖ﴾ لا يهتدون بها، عكس المؤمن التي أعماله نور تهديه إلى الطريق السوي كما قال: يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم(٢)، ﴿فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ﴾ أي عميق تتوارد عليه الأمواج، وأصله من «اللّج» وهو معظم الماء ـ لأنَّ المكان العميق يجتمع فيه المعظم ـ. ﴿يَغۡشَىٰهُ﴾ أي يعلو ذلك البحر اللُّجي ﴿مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ﴾ فوق الموج الأوّل ﴿مَوۡجٞ﴾ ثانٍ ﴿مِّن فَوۡقِهِۦ﴾ أي فوق الموج الثاني ﴿سَحَابٞۚ﴾ فلا يرى راكب السفينة ضوءاً من القمر أو النُّجوم أصلاً ليهتدي بها إلى الطريق، وهو مع ذلك معرَّض للغرق ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ ظلمة اللّيل، وظلمة السحاب، وظلمة الموج الفوقاني، وظلمة الموج التحتاني، وظلمة البحر. ثمَّ إنَّ الظلمة شديدة بحيث ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ﴾ الإنسان ﴿يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾ أي لا يقرب من رؤيتها، فمثل الكافر كمثل هذا الشخص، فالكافر لا يهتدي إلى طريق الحق لأنَّه بسوء اختياره منع عن نفسه لطف الله ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا﴾ يهتدي به إلى السعادة ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ إذ لا يوجد نور آخر قبال نور الله تعالى.

[٦] **(من فوقه موج)**:

وفي رواية أخرى تأويل ﴿مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ﴾ بأصحاب الجمل وصفين والنهروان(٣).

---

(١) راجع تفسير البرهان: ج٧، ص٩٨ ـ ٩٩.

(٢) سورة الحديد: الآية ١٣.

(٣) البرهان: ج٧، ص٩٩.

ظُلُمَاتُ الثَّانِي[٧] ﴿بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ مُعَاوِيَةُ وَفِتَنُ بَنِي أُمَيَّةَ، ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ﴾ الْمُؤْمِنُ فِي ظُلْمَةِ فِتْنَتِهِمْ ﴿لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾[٨] ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ إِمَاماً مِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ عليها السلام ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ إِمَامٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[٩].

وَقَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢] أَئِمَّةُ الْمُؤْمِنِينَ[١٠] يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَسْعَى بَيْنَ يَدَيِ الْمُؤْمِنِينَ وَبِأَيْمَانِهِمْ حَتَّى يُنْزِلُوهُمْ مَنَازِلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

---

[٧] **(ظلمات الثاني):**

الظاهر أنَّ المراد: أنَّ الثاني هو سبب سيطرة بني أميَّة، لأنَّه ولَّى معاوية على الشام، وأيضاً رتَّب الشورى بكيفية لتصل الخلافة إلى عثمان، فالمعنى: الظُّلمات التي سبَّبها الثاني بعضها فوق بعض، وهي معاوية وفتن بني أمية.

[٨] **(لم يكد يراها):**

وفي رواية أخرى بيان مصداق آخر للمؤمن، فعن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ قال: بنو أمية، ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام في ظلماتهم ﴿لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾ أي إذا نطق بالحكمة بينهم، لم يقبلها منهم أحد، إلَّا من أقرَّ بولايته، ثم بإمامته(١).

[٩] **(إمام يوم القيامة):**

أي ليس له إمام يهديه إلى الجنَّة، بل إمامه يهديه إلى سواء الجحيم، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا﴾(٢).

[١٠] **(أئمَّة المؤمنين):**

أي تأويل النُّور الذي يسعى هو بالأئمَّة عليهم السلام، فهم يتقدَّمون المؤمنين، والمؤمنون خلفهم وعن أيمانهم يتبعونهم حتى يدخلونهم الجنَّة.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧١.

عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ مُوسَى بْنِ الْقَاسِمِ الْبَجَلِيِّ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنِ الْعَمْرَكِيِّ بْنِ عَلِيٍّ ـ جَمِيعاً ـ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام، عَنْ أَخِيهِ مُوسَى عليه السلام مِثْلَهُ.

٦ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ؛ وَمُوسَى بْنِ عُمَرَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام، قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ[١]﴾؟ قَالَ: يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا وَلَايَةَ أَمِيرِ

الحديث السادس:

[١] (نور الله بأفواههم):

في سورة الصف ﴿يُرِيدُونَ﴾ الكفّار والمنافقون ﴿لِيُطْفِئُوا﴾ يخمدوا ﴿نُورَ اللَّهِ﴾ حجّته، ومن مصاديقها الرسالة والولاية وعامة أحكام الإسلام ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ الطاعنة في الإسلام من التكذيب وإلقاء الشُّبهات ونحوها، كمن يريد إطفاء نور الشمس بالنفخ عليها ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ أي يظهره بالإعلان والتأييد والنشر ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(١) كرهوا إتمامه.

وفي سورة التوبة ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(٢) ثم أتبع الله تعالى الآيتين في سورة الصف وسورة التوبة بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

وهذه الآية الثانية كالتعليل، فإنَّ الهداية والطريق الحق لا بدَّ أن يغلب على الباطل، وهذا من سُنن الله التكوينية والتشريعيَّة حيث جعل من طبيعة الحق الغلبة على الباطل، كما قال: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ

---

(١) سورة الصف، الآية ٨.

(٢) سورة التوبة: الآية ٣٢.

الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِأَفْوَاهِهِمْ. قُلْتُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ [الصَّف: ٨]؟ قَالَ: يَقُولُ: وَاللَّهُ مُتِمُّ الْإِمَامَةِ وَالْإِمَامَةُ، هِيَ النُّورُ وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨] قَالَ: النُّورُ هُوَ الْإِمَامُ.

فِى ٱلْأَرْضِ﴾(١)، وقـال: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾(٢)، وقـال: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾(٣)، ولـئـن تـمـكـن الباطل من تأخير غلبة الحق، لكنَّه لا يتمكن من منع تلك الغلبة ولو بعد حين.

---

(١) سورة الرعد: الآية ١٧.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨١.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٨.

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ هُمْ أَرْكَانُ الْأَرْضِ

١ ـ أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ ـ جَمِيعاً ـ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَا جَاءَ بِهِ عَلِيٌّ عليه السلام أُخِذَ بِهِ[١]، وَمَا نَهَى عَنْهُ أُنْتُهِيَ عَنْهُ، جَرَى لَهُ مِنَ الْفَضْلِ[٢] مِثْلُ مَا جَرَى لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وَلِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله

الحديث الأوّل:

[١] **(أُخذ به):**

«أُخِذ» على المجهول، وكذا «انتهي»، وهذه جملة خبرية بمعنى الأمر، أي يجب الأخذ به، والانتهاء عنه، وذلك لأنَّه عليه السلام بيَّن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وما نهى عنه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(١).

[٢] **(جرى له من الفضل):**

هذا كالعلَّة للجملة السابقة، أي إنَّما لزم الأخذ بما جاء به والانتهاء عمَّا نهى عنه، لأنَّه شريك في هذه الفضيلة مع الرسول صلى الله عليه وآله، وذلك لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(٢) فكما تجب إطاعة الرسول صلى الله عليه وآله كذلك تجب إطاعة الإمام علي عليه السلام، ولأنَّ الأمير عليه السلام نفس الرسول صلى الله عليه وآله كما قال تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾(٣).

---

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦١.

الْفَضْلُ[٣] عَلَى جَمِيعِ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ[٤]، الْمُتَعَقِّبُ عَلَيْهِ[٥] فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِهِ كَالْمُتَعَقِّبِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ، وَالرَّادُّ عَلَيْهِ فِي صَغِيرَةٍ أَوْ

---

[٣] **(ولمحمّد ﷺ الفضل)**:

أي اشتراكهما في الفضيلة، لا يعني تساويهما درجة وفضلاً، إذ إنَّ رسول الله ﷺ أفضل الخلق أجمعين، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: (أنا عبد من عبيد محمَّد)(١).

[٤] **(من خلق الله عزَّ وجلَّ)**:

خلافاً للعامَّة، حيث زعموا أن يونس وموسى عليهما السلام أفضل من رسول الله ﷺ ـ كما روى ذلك البخاري ـ(٢).

وخلافاً للمعتزلة حيث زعموا أفضلية الملائكة ـ كلّهم ـ على جميع البشر حتّى الأنبياء.

فقد دلَّت الأدلَّة الكثيرة ـ ومنها هذا الحديث ـ أنَّ رسول الله ﷺ أفضل الخلق أجمعين، وأنّه الغاية، وفي الحديث القدسي: (لولاك لما خلقت الأفلاك)(٣) ولولا خلقه كانت الخلقة عبثاً، وتعالى الله عن ذلك(٤).

[٥] **(المتعقب عليه)**:

أي الطاعن على الإمام علي عليه السلام، كالذي يتتبع عثرة ـ مزعومة ـ، أو بمعنى (المعقِّب) أي الرادّ على حكمه كالذي يحاول الردّ على حكم الله كما قال: ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾(٥)، فحكمه التكويني لا يتمكَّن أحد من ردّه، وحكمه التشريعي لا يتغيَّر بالردّ، أو بمعنى شكٍّ في حكمه.

---

(١) الكافي: ج١، ص٩٠؛ وتوحيد الصدوق: ص١٧٤.

(٢) البخاري: ج٣، ص١٢٥٤، الحديث رقم: ٣٢٣٣.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب: ج١، ص١٨٦؛ بحار الأنوار: ج١٦، ص٤٠٦.

(٤) للتفصيل راجع (من فقه الزّهراء عليها السلام): ج١.

(٥) سورة الرعد: الآية ٤١.

كَبِيرَةٍ[٦] عَلَى حَدِّ الشِّرْكِ بِاللَّهِ[٧]. كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بَابَ اللَّهِ الَّذِي لَا يُؤْتَى إِلَّا مِنْهُ، وَسَبِيلَهُ الَّذِي مَنْ سَلَكَ بِغَيْرِهِ هَلَكَ[٨]، وَكَذَلِكَ يَجْرِي[٩] الْأَئِمَّةُ الْهُدَى وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ أَرْكَانَ الْأَرْضِ أَنْ تَمِيدَ

---

[٦] **(في صغيرة أو كبيرة):**

صفتان لموصوف محذوف، كالمسألة ـ مثلاً ـ.

[٧] **(على حدّ الشرك بالله):**

لأنَّ كلامه عليه السلام هو من كلام الرسول صلى الله عليه وآله، وكلام الرسول من الله تعالى، فالرادّ عليه رادّ لكلام الله تعالى، ومن ردَّ كلامه تعالى عليه السلام فكأنَّه جعل نفسه شريكاً لله ـ حيث أخذ من نفسه ولم يأخذ من الله ـ.

وكذا إذا ردَّ عليه وأخذ من غيره، فكأنَّه جعل ذلك الغير شريكاً لله.

قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾(١)، قال الإمام الصادق عليه السلام: والله ما صلّوا لهم ولا صاموا، ولكن أحلّوا لهم حراماً، وحرّموا عليهم حلالاً، فاتبعوهم(٢).

كما أنَّ من تركوا عليّاً عليه السلام أخذوا عقيدتهم في التوحيد من غير أهل البيت عليهم السلام، فصاروا مجسِّمة أو قالوا بالصفات الزائدة على الذات أو نحو ذلك، وهذه المعتقدات هي شرك واقعاً ـ كما مرَّ تفصيله في كتاب التوحيد ـ.

[٨] **(هلك):**

أي ضلَّ فاستوجب العقاب الأخروي.

[٩] **(وكذلك يجري):**

أي وكذلك يجري الفضل، وعدم جواز التعقُّب والردّ، وأنَّهم بابه تعالى وسبيله.

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣١.

(٢) البرهان: ج٤، ص٤٣٩ عن المحاسن وغيره.

بِأَهْلِهَا[١٠]، وَحُجَّتَهُ الْبَالِغَةَ عَلَى مَنْ فَوْقَ الْأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الثَّرَى[١١]، وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام كَثِيراً مَا يَقُولُ: أَنَا قَسِيمُ اللَّهِ[١٢] بَيْنَ الْجَنَّةِ

---

[١٠] **(أن تميد بأهلها):**

أي لئلّا تميد بهم، أو كراهية أن تميد بهم، والمراد زوال نظامها لأنَّ «الميد» هو الاضطراب العظيم.

وكما هناك أسباب مادية لحفظ نظام الأرض كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾(١)، كذلك أسباب واقعية جعلها الله وهم الأئمَّة عليهم السلام ولولاهم لساخت ـ كما مرَّ في باب أنَّ الأرض لا تخلو من حجَّة ـ.

[١١] **(ومن تحت الثرى):**

أي هم حجَّة على الأحياء والأموات، أو بمعنى أنَّهم حجَّة على المخلوقات التي تعيش على ظهر الأرض، والتي تعيش في بطنه ـ كالجن ـ.

[١٢] **(أنا قسيم الله):**

الإضافة بمعنى من، أي قسيم من طرف الله، وذلك من جهات:

١ ـ إنَّ حبّه سبب دخول الجنَّة وبغضه علامة النفاق فهو سبب لدخول النار.

٢ ـ إنَّه مع الحق، فمن كان معه كان مع الحق فيكون من أهل الجنَّة، ومن خالفه فقد خالف الحق، ومن خالف الحق كان من أهل النار.

٣ ـ إنَّه على الحوض يذود أهل النار عنه، وقد روت العامة عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: (أنا فرطكم على الحوض. . . فقام رجل بيني وبينهم وقال هلم إلى النار، أقول: يا رب أصحابي، يُقال: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول: سحقاً لمن أحدث بعدي)(٢) وهذا الذي يأمر بهم إلى النار ليس من الملائكة بل هو رجل، ولا يكون ذلك الرجل إلَّا الإمام علي عليه السلام لأنَّه العالم بمن أحدث بعد النبي صلى الله عليه وآله بالتفصيل.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٣١.

(٢) رواه البخاري ـ في الصحيح عندهم: ج٥، ص٢٤٠٦، الحديث رقم: ٦٢١٢.

وَالنَّارِ، وَأَنَا الْفَارُوقُ الْأَكْبَرُ[١٣]، وَأَنَا صَاحِبُ الْعَصَا[١٤] وَالْمِيسَمِ[١٥]، وَلَقَدْ أَقَرَّتْ لِي جَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحُ وَالرُّسُلُ بِمِثْلِ مَا أَقَرُّوا بِهِ

---

٤ ـ إنَّه على الأعراف يأمر أهل الجنَّة بدخولها، ويأمر أهل النار بدخولها ـ كما مرَّت روايات الأعراف ـ.

٥ ـ إنَّه يحمل لواء الحمد يتقدَّم أهل الجنَّة إليها ـ كما في بعض الروايات(١) ـ ولغير ذلك.

[١٣] (أنا الفاروق الأكبر):

أي به يفرّق بين الحق والباطل، وبين أهل الحق وأهل الباطل، وروت العامَّة عن علي عليه السلام أنَّه قال: (أنا الصديق الأعظم والفاروق الأكبر لا يقولها أحد بعدي إلَّا كاذب)(٢).

[١٤] (صاحب العصا):

أي عصا موسى عليه السلام وصلت إليه عليه السلام، وفي الوافي: يعني هي عندي أقدر بها على ما قدر عليه موسى(٣) وسيأتي ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام: (خرج أمير المؤمنين صلوات الله عليه ذات ليلة بعد عتمة وهو يقول: همهمة همهمة، وليلة مظلمة، خرج عليكم الإمام عليه قميص آدم، وفي يده خاتم سليمان وعصى موسى)(٤).

[١٥] (الميسم):

أي المكواة، يضع بها علامة على الجباه.

قيل: هذا مجاز، أي لما كان بحبّه وبغضه عليه السلام يتميَّز المؤمن من

---

(١) بصائر الدرجات: ص٤٣٧؛ أمالي الصدوق: ص١٧٨، ومن العامة: فضائل الصحابة، لأحمد بن حنبل: ج٢، ص٦٦٣، الحديث: ١١٣١.

(٢) انظر نحوه: سنن ابن ماجه: ج١، ص٤٤، الحديث: ١٢؛ كنز العمّال: ج١٣، ص١٢٢، الحديث: ٣٦٣٨٩؛ السيرة النبوية، لابن كثير: ج١، ص٤٣١.

(٣) الوافي: ج٣، ص٥١٤.

(٤) الكافي: ج١، ص٢٣١. وعنه الوافي: ج٣، ص٥٦٦.

لِمُحَمَّدٍ ﷺ[١٦]، وَلَقَدْ حُمِّلْتُ عَلَى مِثْلِ حُمُولَتِهِ[١٧] وَهِيَ حَمُولَةُ الرَّبِّ[١٨]. وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُدْعَى فَيُكْسَى[١٩]، وَأُدْعَى فَأُكْسَى،

المنافق، فكأنّه كان يَسِم على جبين المنافق بكيّ النفاق(١).

والأظهر أنه على معناه الحقيقي، فراجع مرآة العقول(٢).

[١٦] (بمثل ما أقرّوا به لمحمّد):

أي أقرّوا بفضلي وولايتي كما أقرّوا بفضل وولاية الرسول محمّد ﷺ.

[١٧] (مثل حمولته):

«حُمِّلتُ» أي كلّفني الله بالتبليغ والهداية كما كلّف الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾(٣)، وكما قال: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»(٤) وفي القرآن الكريم: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾(٥).

و«حُمولة» بضم الحاء، الأحمال، فكأنّ التكليف حمل وضع على الظهر.

[١٨] (وهي حمولة الرّبّ):

أي ذلك الحمل من طرف الله تعالى كما قال: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾(٦).

[١٩] (يدعى فيكسى):

أي يدعى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾(٧) وأوّل من يدعى للخروج هو الرسول يليه أمير المؤمنين عليه السلام(٨).

---

(١) الوافي: ج٣، ص٥١٤.

(٢) مرآة العقول: ج٢، ص٣٦٨ ـ ٣٦٩.

(٣) سورة النّور: ص٥٤.

(٤) الكافي: ج٨، ص١٠٧، ومن العامة رواه البخاري: ج٤، ص١٦٠٢، الحديث رقم: ٤١٥٤؛ ومسلم: ج٧، ص١١٩، الحديث رقم: ٦٣٧٠.

(٥) سورة طٰه: الآيات ٢٩ ـ ٣٢.

(٦) سورة المزمل: الآية ٥.

(٧) سورة الروم: الآية ٢٥.

(٨) خصال الصدوق: ص٣١٤؛ أمالي الطوسي: ص٣٥١، الحديث: ٧٢٦.

وَيُسْتَنْطَقُ وَأُسْتَنْطَقُ[٢٠] فَأَنْطِقُ عَلَى حَدِّ مَنْطِقِهِ. وَلَقَدْ أُعْطِيتُ[٢١] خِصَالاً مَا سَبَقَنِي إِلَيْهَا أَحَدٌ قَبْلِي، عُلِّمْتُ الْمَنَايَا وَالْبَلَايَا[٢٢] ....

ولعلَّه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾(١) فيدعى الرسول والأمير أوّلاً ثم يُدعى كل من تبعهما.

أو هو إشارة إلى أنَّه يُدعى إلى الشهادة كما قال: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٢).

«فيُكسى» من ثياب الجنَّة أو بمعنى يجلِّله النُّور.

[٢٠] (ويستنطق واستنطق):

أي للشهادة على الخلق، وشهادتهما متطابقة تماماً ولذا قال: (على حدّ منطقه)، أو نطقهما يشمل الشهادة والشفاعة والاحتجاج ونحوهما، قال تعالى: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾(٣).

[٢١] (ولقد أعطيت):

المعطي هو الرسول ﷺ بإذن الله تعالى، فالرسول ﷺ له هذه الخصال، ولكنَّه لم يعطها إلَّا لأمير المؤمنين عليه السلام، ولم تكن هذه الأُمور في أحد من الأوَّلين، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (علَّمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم يفتح لي كل باب ألف باب)(٤).

[٢٢] (المنايا والبلايا):

«المنايا» آجال الناس، و«البلايا» المصائب، ولعلَّها تشمل النِّعم أيضاً كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾(٥).

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧١.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٣) سورة النبأ: الآية ٣٨.

(٤) الكافي: ج١، ص٢٣٩؛ ومن العامة: كنز العمال: ج١٣، ص١١٤، الحديث: ٣٦٣٧٢.

(٥) سورة الأنبياء: الآية ٣٥.

وَالْأَنْسَابَ[٢٣] وَفَصْلَ الْخِطَابِ[٢٤]، فَلَمْ يَفُتْنِي مَا سَبَقَنِي[٢٥]، وَلَمْ يَعْزُبْ عَنِّي مَا غَابَ عَنِّي[٢٦]، أُبَشِّرُ بِإِذْنِ اللَّهِ[٢٧] ....

---

[٢٣] **(والأنساب):**

في المرآة(١): أي أعلم والد كلّ شخص، فأميِّز بين أولاد الحلال والحرام.

[٢٤] **(فصل الخطاب):**

من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي الخطاب الفاصل بين الحق والباطل في كلّ شيء ـ في القضاء وغيره ـ.

وأمّا داود عليه السلام حيث قال الله تعالى عنه: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾(٢)، فالمراد فصله في القضاء، وأمّا الفصل في كلّ شيء، فهو خصلة خاصّة بأمير المؤمنين عليه السلام علّمه رسول الله صلى الله عليه وآله، ولذا فرّع عليه (فلم يفتني ما سبقني...) الخ.

وروي أنّ فصل الخطاب هو معرفة اللغات كلّها(٣)، ولعلّه من باب المصداق.

[٢٥] **(ما سبقني):**

أي العلوم الماضية.

[٢٦] **(ما غاب عنّي):**

أي العلوم الآتية.

[٢٧] **(أبشر بإذن الله):**

هذا إمّا تفريع على ما سبق، أي حيث له علم البلايا والمنايا والأنساب وفصل الخطاب، فقد يخبر بعض أوليائه فيبشِّرهم بطيب خلقهم وبمستقبل زاهر وبالنجاة في الآخرة.

---

(١) المرآة: ج٢، ص٣٧١.

(٢) سورة ص: الآية ٢٠.

(٣) البرهان: ج٨، ص٢٧٨ عن العيون.

وَأُؤَدِّي عَنْهُ[٢٨]، كُلُّ ذَلِكَ[٢٩] مِنَ اللَّهِ مَكَّنَنِي فِيهِ بِعِلْمِهِ.

الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ الْعَمِّيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُفَضَّلُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ الْأَوَّلَ.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ،

وإمَّا بيان مطلب جديد، وهو معنى قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾(١)، حيث استفاضت الروايات بأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام يبشِّران المؤمن بالجنَّة حين موته(٢).

[٢٨] **(أؤدي عنه):**

عن الله تعالى، فكلّ ما يقوله إنَّما هو من الله تعالى، حيث علَّمه رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك.

[٢٩] **(كل ذلك):**

قال عليه السلام ذلك، درءاً للغلو، فكلّ ما عنده من الفضائل والخصائص إنَّما هي من الله سبحانه وتعالى، «من الله» من فضله، «بعلمه» أي بعلمه الذي أعطاني، لأنَّ كلّ ما سبق كان مرتبطاً بما يعلمه عليه السلام، وما يخبر من ذلك العلم فقد مكّنه الله تعالى من كلّ ذلك العلم.

الحديث الثاني:

هذا الحديث هو نفس الحديث الأوَّل، وإنَّما كرَّره لتعدُّد السند، ولتفاوت جزئي في بعض الألفاظ، فلعلّ راوي الحديث السابق ـ وهو المفضّل ـ كان حاضراً في هذه الجلسة، أو أن الإمام الصادق عليه السلام كرَّر هذا الكلام لأصحابه، وكذا قاله الإمام الباقر عليه السلام ـ كما يأتي في الحديث اللاحق.

---

(١) سورة يونس: الآية ٦٤.

(٢) البرهان: ج٥، ص٤٤ ـ ٤٩؛ والبحار: ج٣٩، ص٢٣٧.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَلِيدِ شَبَابٍ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ الْأَعْرَجُ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَسُلَيْمَانُ بْنُ خَالِدٍ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فَابْتَدَأَنَا فَقَالَ: يَا سُلَيْمَانُ مَا جَاءَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يُؤْخَذُ بِهِ، وَمَا نَهَى عَنْهُ يُنْتَهَى عَنْهُ، جَرَى لَهُ مِنَ الْفَضْلِ مَا جَرَى لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَلِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الْفَضْلُ عَلَى جَمِيعِ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ، الْمُعَيِّبُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِهِ كَالْمُعَيِّبِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلَى رَسُولِهِ صلى الله عليه وآله، وَالرَّادُّ عَلَيْهِ فِي صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ عَلَى حَدِّ الشِّرْكِ بِاللَّهِ، كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صلوات الله عليه بَابَ اللَّهِ الَّذِي لَا يُؤْتَى إِلَّا مِنْهُ، وَسَبِيلَهُ الَّذِي مَنْ سَلَكَ بِغَيْرِهِ هَلَكَ، وَبِذَلِكَ جَرَتِ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ أَرْكَانَ الْأَرْضِ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ، وَالْحُجَّةَ الْبَالِغَةَ عَلَى مَنْ فَوْقَ الْأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الثَّرَى.

وَقَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَنَا قَسِيمُ اللَّهِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَنَا الْفَارُوقُ الْأَكْبَرُ، وَأَنَا صَاحِبُ الْعَصَا وَالْمِيسَمِ، وَلَقَدْ أَقَرَّتْ لِي جَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحُ بِمِثْلِ مَا أَقَرَّتْ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وَلَقَدْ حُمِّلْتُ عَلَى مِثْلِ حُمُولَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَهِيَ حُمُولَةُ الرَّبِّ، وَإِنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله يُدْعَى فَيُكْسَى وَيُسْتَنْطَقُ، وَأُدْعَى فَأُكْسَى وَأُسْتَنْطَقُ فَأَنْطِقُ عَلَى حَدِّ مَنْطِقِهِ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ خِصَالاً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، عُلِّمْتُ عِلْمَ الْمَنَايَا وَالْبَلَايَا وَالْأَنْسَابَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ، فَلَمْ يَفُتْنِي مَا سَبَقَنِي، وَلَمْ يَعْزُبْ عَنِّي مَا غَابَ عَنِّي، أُبَشِّرُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُؤَدِّي عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كُلُّ ذَلِكَ مَكَّنَنِيَ اللَّهُ فِيهِ بِإِذْنِهِ.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى؛ وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ـ جَمِيعاً ـ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرِّيَاحِيُّ، عَنْ أَبِي الصَّامِتِ الْحُلْوَانِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: فَضْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[١]: مَا جَاءَ بِهِ أُخِذَ بِهِ وَمَا نَهَى عَنْهُ أُنْتُهِيَ عَنْهُ، جَرَى لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[٢] مَا لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[٣]، وَالْفَضْلُ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، الْمُتَقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالْمُتَقَدِّمِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ[٤]، ....

الحديث الثالث:

[١] (فضل أمير المؤمنين):

«فَضْل» مصدر، خبره الجملة التي بعده، والمعنى إنَّ فضل أمير المؤمنين هو مشاركته مع الرسول صلى الله عليه وآله في هذه الفضائل إلَّا أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله أفضل منه.

أو «فُضّل» فعل أي فضَّله الله على جميع الخلق سوى الرسول صلى الله عليه وآله، ثم يبتدىء بقوله: ﴿الَّذِى جَآءَ بِهِۦ﴾ لبيان بعض تلك الفضائل.

[٢] (من الطاعة بعد رسول الله):

أي بعد زمان الرسول صلى الله عليه وآله، أو بعده في الرتبة كما قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(١).

[٣] (ما لرسول الله):

في الدِّين والدُّنيا، كذلك تجب طاعة أمير المؤمنين عليه السلام في مسائل الدِّين وفي القضايا الدنيوية.

[٤] (كالمتقدِّم بين يدي الله ورسوله):

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾(٢)، أي لا

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١.

وَالْمُتَفَضِّلُ عَلَيْهِ[٥] كَالْمُتَفَضِّلِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالرَّادُّ عَلَيْهِ فِي صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ عَلَى حَدِّ الشِّرْكِ بِاللَّهِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَابُ اللَّهِ الَّذِي لَا يُؤْتَى إِلَّا مِنْهُ، وَسَبِيلُهُ الَّذِي مَنْ سَلَكَهُ وَصَلَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[٦]، وَكَذَلِكَ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مِنْ بَعْدِهِ، وَجَرَى لِلْأَئِمَّةِ عليهم السلام وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْكَانَ الْأَرْضِ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا، وَعُمُدَ الْإِسْلَامِ[٧]، وَرَابِطَةً عَلَى سَبِيلِ هُدَاهُ[٨]، ....

تعجلوا في أمر ـ من قول أو فعل ـ قبل إذنهما فيه، وقدَّم بمعنى تقدَّم، ولذا جاء في هذا الحديث (المتقدِّم) من التفعُّل، وفي الآية ﴿تُقَدِّمُوا﴾ من التفعيل، والمعنى واحد.

[٥] **(المتفضل عليه):**

أي الذي يترأس عليه، نظيره ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾(١) أي يريد أن يسودكم ويصبح رئيساً عليكم، فمن جعل نفسه أميراً على الإمام عليه السلام وأزاحه عن منصبه كالذي يعتبر نفسه رئيساً لرسول الله ﷺ!!

[٦] **(وصل إلى الله عزَّ وجلَّ):**

أي إلى معرفته تعالى، وإلى طاعته.

[٧] **(عمد الإسلام):**

«عمد» جمع عمود، بضمتين وبفتحتين كقوله: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةِۭ﴾(٢).

والمقصود أنَّهم عليهم السلام أركان النظام التكويني والتشريعي، أمَّا التكويني فـ(أركان الأرض)، وأمَّا التشريعي فـ(عمد الإسلام).

[٨] **(رابطة على سبيل هداه):**

«رابطة» أي الجماعة الرابطة، وهم الذين يرابطون على الثغور لئلا ينفذ

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٢٤.

(٢) سورة الهمزة: الآية ٦.

لَا يَهْتَدِي هَادٍ إِلَّا بِهُدَاهُمْ[٩]، وَلَا يَضِلُّ خَارِجٌ مِنَ الْهُدَى إِلَّا بِتَقْصِيرٍ عَنْ حَقِّهِمْ[١٠]، أُمَنَاءُ اللَّهِ[١١] عَلَى مَا أَهْبَطَ مِنْ عِلْمٍ[١٢] ....

العدو، فرسول الله ﷺ وأهل البيت عليهم السلام هم المرابطون على حدود الدِّين لئلا تنفذ إليه البدع والتحريفات.

والفرق بين (عمد الإسلام) وبين (المرابطة على سبيل الهداية)، أنَّ الأوَّل ما يقوم به الدِّين، والثاني ما يمنع انحرافه وتهديمه، مثلاً الدار لها أعمدة تقوم عليها، ولها سور يمنع دخول اللصوص والحيوانات المفترسة ـ مثلاً ـ.

[٩] **(لا يهتدي هاد إلَّا بهداهم):**

كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾(١).

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه قال: فأمَّا «من يهدي إلى الحق» فهم محمَّد ﷺ وآل محمَّد عليهم السلام من بعده، وأمَّا «من لا يهدي إلَّا أن يهدى» فهو من خالف ـ من قريش وغيرهم ـ أهلَ بيته من بعده(٢).

[١٠] **(إلَّا بتقصير عن حقِّهم):**

أي عدم اتباعهم وعدم إطاعتهم.

[١١] **(أُمناء الله):**

هذا كالتعليل لما قبله، أي إنَّما يهتدي الناس بهم ويضلّون بتركهم لأنَّهم أُمناء الله على ما أنزله وهم حججه.

[١٢] **(ما أهبط من علم):**

كما قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾(٣)، وهم عليهم السلام أبرز مصاديق أهل الذِّكر، كما سيأتي في باب (أنَّ أهل الذِّكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمَّة عليهم السلام).

---

(١) سورة يونس: الآية ٣٥.

(٢) البرهان: ج٥، ص٣٥.

(٣) سورة النحل: الآية ٤٤.

أَوْ عُذْرٍ أَوْ نُذُرٍ[١٣]، وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلَى مَنْ فِي الْأَرْضِ[١٤] يَجْرِي لِآخِرِهِمْ مِنَ اللَّهِ مِثْلُ الَّذِي جَرَى لِأَوَّلِهِمْ، وَلَا يَصِلُ[١٥] أَحَدٌ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ.

وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَنَا قَسِيمُ اللَّهِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، لَا يَدْخُلُهَا[١٦] ....

---

[١٣] **(أو عذر أو نذر):**

قال تعالى: ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾(١) أي: هم عليهم السلام أُمناء على ما أنزل من العذر والنذر، و«العذر» إمحاء الإساءة، و«النذر» التخويف على فعل.

[١٤] **(والحجّة البالغة على من في الأرض):**

وترتيب هذه المقاطع، أنَّهم أركان التكوين، وهم عمد التشريع، وهم الحافظون على الحدود، وهم الهداة لا هادي سواهم إلَّا باتباعهم، ولا ضلال إلَّا بتركهم، كلّ ذلك لأنَّهم أُمناء الله على العلوم التي أنزلها، ويحتجّ الله بهم يوم القيامة.

[١٥] **(لا يصل):**

لعلَّ الغرض هو دفع الغلو، فكل ما عندهم إنَّما هو بفضل من الله عليهم. أو المقصود هو أنَّه لا يصل أحد إلى معرفة حقّهم ومعرفة فضائلهم إلَّا بتوفيق من الله، فإنَّ كثيراً من الناس ـ لسوء اختيارهم ـ سلبهم الله توفيق معرفتهم، فتراهم يشكِّكون في كثير من فضائلهم، وخاصَّة إذا لم تكن تنسجم مع معتقدات العامَّة!!

[١٦] **(لا يدخلها):**

أي لا يدخل كلّ واحدة من الجنَّة أو النار، وفي بعض النسخ (لا يدخلهما) ـ الجنَّة والنار ـ.

---

(١) سورة المرسلات: الآيتان ٥ ـ ٦.

دَاخِلٌ إِلَّا عَلَى حَدِّ قَسْمِي[١٧]، وَأَنَا الْفَارُوقُ الْأَكْبَرُ، وَأَنَا الْإِمَامُ لِمَنْ بَعْدِي، وَالْمُؤَدِّي عَمَّنْ كَانَ قَبْلِي[١٨]، لَا يَتَقَدَّمُنِي أَحَدٌ إِلَّا أَحْمَدُ ﷺ[١٩]، وَإِنِّي وَإِيَّاهُ لَعَلَى سَبِيلٍ وَاحِدٍ[٢٠]، إِلَّا أَنَّهُ هُوَ الْمَدْعُوُّ بِاسْمِهِ[٢١]. وَلَقَدْ

---

[١٧] **(حدّ قسمي):**
«القَسْم»: التقسيم، أي على طبق تقسيمي، وإنَّما قال: «حدّ» باعتبار الحاجز بينهما الذي يمنعهما من الاختلاط، كما قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾(١).

[١٨] **(عمَّن كان قبلي):**
أي المؤدِّي عن جميع الأنبياء والأوصياء، وخاصَّة رسول الله ﷺ، فقد أدَّى عنه كلّ مهامه في التبليغ، بل حتَّى في أُموره الخاصَّة، كأداء دينه، وإنجاز مواعيده ونحوهما.

[١٩] **(إلَّا أحمد):**
لما ذكر عليه السلام أنَّه المؤدِّي عمَّن كان قبله، ناسب أن يذكر الاسم المعروف لرسول الله ﷺ بينهم ـ وهو أحمد ـ.

[٢٠] **(لعلى سبيل واحد):**
كما قال تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾(٢)، فالأمير عليه السلام هو نفس النبي ﷺ، ويشاركه في كلّ الفضائل، إلَّا أنَّ محمَّداً ﷺ نبي، وعليّاً عليه السلام ليس بنبي، وقد قال عنه: «أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّه لا نبي بعدي»، وهارون شارك موسى في كلّ شيء كما قال: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي﴾(٣).

[٢١] **(المدعو باسمه):**
لعلَّ المراد أنَّه لا فرق بيني وبينه إلَّا أنَّ اسمه محمَّد، واسمي علي، فهما نور واحد أنزله الله في صلب آدم عليه السلام فجعل يتقلَّب من أب ساجد إلى

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٤٦.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٦١.
(٣) سورة طٰه: الآية ٣٢.

أُعْطِيتُ السِّتَّ[٢٢]: عِلْمَ الْمَنَايَا وَالْبَلَايَا؛ وَالْوَصَايَا[٢٣]، وَفَصْلَ الْخِطَابِ؛ وَإِنِّي لَصَاحِبُ الْكَرَّاتِ[٢٤] ....

آخر، حتّى انتقل إلى صلب عبد المطّلب، فافترق قسمين، قسم في صلب عبد الله، وقسم في صلب أبي طالب ـ كما في الروايات ـ(١).

أو المعنى أنّه هو النبي دوني.

[٢٢] **(أعطيت الست):**

أي الخصال الست وهي:

١ ـ العلم البلايا والمنايا ـ.

٢ ـ الوصايا.

٣ ـ فصل الخطاب.

٤ ـ صاحب الكرّات.

٥ ـ صاحب دولة الدول.

٦ ـ صاحب العصا والميسم ودابة الأرض.

ويمكن عدّ الست بطريقة أُخرى.

[٢٣] **(الوصايا):**

أي ما أوصى الأنبياء به، خاصّة وصايا رسول الله محمّد ﷺ، حيث إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان وصيّه.

أو المعنى ما وصّى به الله تعالى، قال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾(٢).

[٢٤] **(لصاحب الكرّات):**

«الكرّ» هو الرجوع إلى الشيء، فقد كان عليه السلام الكرّار في غزوات الرسول ﷺ وقال عنه عليه السلام رسول الله ﷺ في غزوة خيبر (كرّار غير فرّار)(٣).

---

(١) انظر: خصال الصدوق: ص٦٤٠.

(٢) سورة الشورى: الآية ١٣.

(٣) إرشاد المفيد: ص٥٦؛ ومن العامة رواه في تاريخ دمشق: ج٤١، ص٢١٩؛ السيرة الحلبية: ج٢، ص٧٣٧.

وَدَوْلَةِ الدُّوَلِ[٢٥]؛ وَإِنِّي لَصَاحِبُ الْعَصَا وَالْمِيسَمِ؛ وَالدَّابَّةُ الَّتِي تُكَلِّمُ النَّاسَ[٢٦].

ويمكن أن يريد بالكرّات: الرجعات إلى الدُّنيا.

[٢٥] (دولة الدول):

«دَولة»: الفتح في الحرب، فكان الفتح في غزوات الرسول ﷺ على يديه عليه السلام، فقتل في غزوة بدر نصف قتلى المشركين، وفي غزوة أُحد لم يُهزم وقتل الكثير منهم، وفي الخندق قتل عمرو بن عبد ودّ فكانت هزيمة المشركين، وهكذا في سائر الغزوات.

ويمكن أن يريد دولته بعد الرجعة.

[٢٦] (والدابّة التي تكلّم الناس):

أي وإنّي صاحب الدابّة التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾(١).

وقد ورد في بعض الروايات أنّه عليه السلام المراد بدابّة الأرض(٢).

أقول: الدبّ هو المشي الخفيف، والدابّة ـ في أصل اللغة ـ هي لكلّ موجود يمشي على وجه الأرض ـ إنساناً كان أو غيره ـ ولا يُطلق على الطائر أو السمك.

وبهذا المعنى استُعمل في القرآن ـ بما يشمل الإنسان ـ، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾(٣)، والإنسان ممَّن يمشي على رجلين، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾(٤)، وفي مفردات الراغب: (قال أبو عبيدة: عنى الإنسان

---

(١) سورة النمل: الآية ٨٢.

(٢) راجع الروايات في تفسير البرهان: ج٧، ص٢٩٢ ـ ٢٩٧.

(٣) سورة النُّور: الآية ٤٥.

(٤) سورة فاطر: الآية ٤٥.

خاصَّة، والأولى إجراؤها على العموم)[١]، وقال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[٢].

نعم قد شاع استعمال الدابَّة في الفَرَس خاصَّة ـ كما قال الراغب ـ، ولكن لا تُحمل الألفاظ القرآنية على الاصطلاحات المتأخرة، بل على ما كان عليه العرب وقت النزول لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾[٣].

(١) المفردات: ص٣٠٦.

(٢) سورة النحل: الآية ٦١.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٤.

بَابٌ نَادِرٌ جَامِعٌ فِي فَضْلِ الْإِمَامِ وَصِفَاتِهِ

١ - أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ الْعَلَاءِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -، رَفَعَهُ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ الرِّضَا عليه السلام بِمَرْوَ، فَاجْتَمَعْنَا فِي الْجَامِعِ

الحديث الأوّل:

خلاصة الحديث:

يحتوي هذا الحديث الشريف على عيون الأدلّة والمطالب حول الإمام والإمامة، ذكرها الإمام الرِّضا عليه السلام بنحو متناسق جاعلاً القرآن الكريم المحور وقطب الرحى في الاستدلال.

فبدأ أوّلاً بإقامة البرهان من القرآن والعقل على أنَّ الإمام لا يكون باختيار الناس، وإنَّما هو اصطفاء من الله تعالى.

ثم بيان منزلة الإمامة وجملة من المطالب الهامَّة المتعلقة بالإمام.

ثم بيَّن ضلال من ترك اختيار الله إلى اختياره.

وواصل الحديث عن أنَّ الأئمَّة الذين عيَّنهم الله هم آل محمَّد صلى الله عليه وآله مجمع الفضائل المبرئون من كلّ عيب ونقص.

وختم الكلام بأنَّ كلّ فضائلهم إنَّما هي بفضل من الله ورحمته حيث اختارهم لذلك، وأنَّه لا يمكن لأي أحد مهما حاول أن يصل إلى مرتبتهم.

ونحن قد شرحنا هذا الحديث بشكل مختصر مكتفين بتوضيح مراد الإمام عليه السلام مع فرز المطالب في ستة فصول ومقدِّمة وخاتمة، وإلَّا فالتعمُّق في مطالب هذا الحديث بحاجة إلى مجلدات، وقد كتب علماء الإمامية أعلى الله شأنهم وكلمتهم في هذا المجال كتباً متعدِّدة كالشافي في الإمامة للشريف المرتضى علم الهدى رضوان الله عليه، وشيخ الطائفة

يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِي بَدْءِ مَقْدَمِنَا[١]، فَأَدَارُوا أَمْرَ الْإِمَامَةِ وَذَكَرُوا كَثْرَةَ اخْتِلَافِ النَّاسِ فِيهَا، فَدَخَلْتُ عَلَى سَيِّدِي عليه السلام فَأَعْلَمْتُهُ خَوْضَ النَّاسِ فِيهِ[٢]، فَتَبَسَّمَ عليه السلام[٣]، ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ: جَهِلَ الْقَوْمُ وَخُدِعُوا عَنْ

الطوسي رحمه الله، والعلامة الحلي أعلى الله مقامه، وغيرهم.

وهذا الحديث ـ مع قطع النظر عن صحة مضامينه ومطابقته للعقل وللكتاب والسُّنَّة ـ رواه الصدوق أيضاً بإسناد أخرى في عدَّة من كتبه مسنداً، كما رواه النعماني في غيبته، وابن شعبة في تحف العقول، والطبرسي في الاحتجاج رضوان الله عليهم جميعاً.

وينبغي زيادة الاهتمام بهذا الحديث الشريف، ونشره بين الناس ـ مخالفهم وموافقهم ـ ليعمّ نفعه وليهدي الله به من كان قابلاً للهداية.

ولذا رجّحت طبع هذا الحديث ـ بشرحه مع بعض التغيير والإضافات ـ في كُتيب مستقل أيضاً ليسهل اقتنائه ونشره مضافاً إلى طبعه في المجلد الثالث من شرح أُصول الكافي.

أسأل الله القبول والتوفيق والهداية إنَّه وليّ ذلك وهو المستعان.

[١] **(بدء مقدمنا):**

مصدر ميمي، أي أول قدومنا، وكأنَّ عبد العزيز كان مرافقاً للإمام الرِّضا عليه السلام في سفره إلى خراسان.

[٢] **(خوض الناس فيه):**

في أمر الإمامة، و«الخوض» ـ في الأصل ـ المرور في الماء، ثم استعير في التكلُّم حول أمر ما.

[٣] **(فتبسَّم):**

في المرآة(١): وتبسُّمه عليه السلام للتعجُّب عن ضلالتهم وغفلتهم عن أوضح الأمور ـ بحسب الكتاب والسُّنَّة ـ، أو عن استبدادهم بالرأي فيما لا مدخل للعقل فيه.

---

(١) المرآة: ج٢، ص٣٧٦.

آرَائِهِمْ[٤]، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ[٥] ....

[٤] **(خدعوا عن آرائهم):**
«عن» بمعنى باء السببيَّة، أي خدعوا بسبب آرائهم، والخادع هو إبليس وأعوانه، «جهل القوم» بالجهل البسيط، «خدعوا» الجهل المركب، فلم يكونوا يعلمون أوّلاً، ثم زعموا العلم.

الفصل الأول
الاستدلال على أنَّ الإمامة بالتعيين

ثمَّ إنَّ الإمام عليه السلام استدلّ بأمرين على أنَّ الإمامة بتعيين من الله تعالى، وليس للناس فيها اختيار.

الدليل الأول

[٥] **(إنَّ الله عزَّ وجلَّ):**
هذا الدليل الأوَّل، وحاصله:
أنَّ الله تعالى بيَّن كلّ الأُمور ـ صغيرها وكبيرها ـ في القرآن الكريم، وعلى لسان رسوله الأمين صلى الله عليه وآله، ومن المعلوم أنَّ أمر الإمامة من أهم الأُمور، فكيف يصح القول بأنَّه تعالى لم يُبيِّنها؟
وحتَّى العامَّة أقرَّوا بأهمية موضوع الإمامة، ورووا أنَّ من مات وليس في عنقه بيعة لإمام مات ميتة جاهلية(١)، واعتذروا للصحابة ـ حيث اجتمعوا في السقيفة قبل دفن رسول الله صلى الله عليه وآله ـ بأنَّ تعيين الإمام أهم من تجهيز الرسول!! بل إنَّ بعض متأخيرهم ـ لما لم يتمكنوا من دفع الأدلة القوية على لزوم تعيين الإمام ـ لمَّحوا بأنَّ الرسول صلى الله عليه وآله أشار إلى أبي بكر لمَّا عيَّنه بزعمهم للصلاة مكانه في مرضه، وافتروا عليه بأنَّه قال: (ويأبى الله والمؤمنون إلَّا أبا بكر).
مع وضوح أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله أزاح أبا بكر من المحراب، ولذا اضطربت

(١) المحلّى، ابن حزم: ج١، ص٤٥، المسألة ٨٧.

لَمْ يَقْبِضْ نَبِيَّهُ ﷺ حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ الدِّينَ[٦]، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ[٧] الْقُرْآنَ فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ[٨]، ....

رواياتهم، وأنَّه عزله عن تبليغ البراءة ونصب بدله عليّاً عليه السلام ـ إتماماً للحجَّة ـ وبأنَّه لا يؤدِّي عنه ﷺ إلَّا هو أو رجل من أهل بيته(١)، ووضوح الوضع والافتراء في (ويأبى الله...).

[٦] **(حتَّى أكمل له الدِّين):**

لأنَّه لا تشريع بعد رسول الله ﷺ، ولا يصح إبقاء الدِّين ناقصاً وهو خاتم الأديان، فثبت عقلاً كمال الدِّين قبل وفاة الرسول ﷺ، مضافاً إلى الأدلة النقلية الدالة على كمال الدِّين ـ كما ستأتي ـ.

[٧] **(وأنزل عليه):**

عطف تفسيري لبيان أنَّ كمال الدِّين كان عبر بيان كلّ شيء في القرآن الكريم.

[٨] **(فيه تبيان كلّ شيء):**

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾(٢) أي ما يحتاج إليه الإنسان في سبيل الهداية، ومن الواضح أنَّ أكبر الضلال حصل بسبب الاختلاف في أمر الإمامة، فهل يعقل أن يبيِّن الله كلّ أمر من أُمور الهداية، ويترك أهم الأُمور فيها؟!

سؤال: تقولون بأنَّ الله عيَّن الإمام، فلماذا لم يرتفع هذا الاختلاف؟

والجواب: إنَّ ذلك بسبب تقصير الناس، وخذلانهم للإمام، وليس بسبب عدم بيان من الله تعالى.

كما أنَّ الله أرسل الرُّسل لهداية الناس، ومع ذلك بقي أكثر الناس على ضلالهم، فعدم هدايتهم بسبب أنفسهم، وإلَّا فإنَّ الحجَّة تامَّة، كما قال

---

(١) انظر كمثال: تفسير الطبري: ج١٠، ص٦٤ في تفسير الآية ١ من سورة التوبة.

(٢) سورة النحل: الآية ٨٩.

بَيَّنَ فِيهِ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، وَالْحُدُودَ وَالأَحْكَامَ[٩]، وَجَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ كَمَلاً[١٠]، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ[١١]﴾ [الأنعام:

تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾(١).

[٩] (والحدود والأحكام):

قوله عليه السلام: «بيَّن فيه...» تفسير لقوله تعالى: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾، «فالحلال والحرام»: كما قال: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾(٢)، والحلال: ما يجوز فعله، والحرام: ما لا يجوز فعله.

و«الحدود»: ما لا يجوز تعديه إلى غيره، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾(٣)، وحدود الله على أقسام، منها:

١ ـ ما لا يجوز الزيادة ولا النقيصة فيه، كأعداد ركعات الصلاة.

٢ ـ ما لا يجوز النقصان وتجوز الزيادة، كالزكاة.

٣ ـ ما لا تجوز الزيادة ويجوز الأقل، كالزواج بأربع(٤).

و«الأحكام» هي التكاليف من الوجوب والحرمة والاستحباب والكراهة والإباحة.

ولا يخفى أن بين الحلال والحرام وبين الحدود وبين الأحكام عموماً من وجه.

[١٠] (كملاً):

أي كلّه.

[١١] (ما فرطنا في الكتاب من شيء):

أي فقد ذكرنا في القرآن كلّ شيء يحتاج الإنسان إليه في معرفة أُمور دينه.

---

(١) سورة النساء: الآية ١٥٦.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٢٩.

(٤) عن المفردات: ص٢٢١ ـ بتصرُّف ـ

٣٨]، وَأَنْزَلَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ - وَهِيَ آخِرُ عُمُرِهِ ﷺ -: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا[١٢]﴾ [المائدة: ٣]، وَأَمْرُ الْإِمَامَةِ مِنْ تَمَامِ الدِّينِ[١٣]، وَلَمْ يَمْضِ ﷺ[١٤] حَتَّى بَيَّنَ لِأُمَّتِهِ مَعَالِمَ

---

[١٢] (رضيت لكم الإسلام ديناً):

في التقريب(١): ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ أي يوم الغدير ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بنصب علي عليه السلام خليفة من بعد الرسول ﷺ، ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ فإنَّ نعمة الإسلام دون نعمة الإيمان بالولاية ناقصة، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ فإنَّ الإسلام ذو درجات، واليوم رقِّيتم الدرجة القصوى، فرضي الله عن المسلمين بالحال التي وصلوا إليها، والرضى: هنا ليس في مقابل السخط، بل في مقابل النقص الأثري، كما أنَّ من يريد بناء دار إذا بلغ منتصفها يقول: لم أرض بعد، أي لم يكمل رضاي، وإنَّما يقول: رضيت الآن، إذا تمَّ بناء الدار. انتهى.

وقد تواترت الروايات من الخاصَّة والعامَّة على أنَّ الآية نزلت في يوم الغدير(٢).

[١٣] (من تمام الدِّين):

أي وصول الدِّين إلى حدّ لا يحتاج معه إلى شيء آخر، ويقابل التمام: النقصان وهو الاحتياج إلى تكميل، ومن المعلوم استحالة نقصان الدِّين، لأنَّه نقض للغرض، والدِّين تام لا يحتاج إلى الأخذ من غيره، قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾(٣).

[١٤] (ولم يمض ﷺ):

أي كما بيَّن الله الدِّين، كذلك بيَّنه الرسول ﷺ امتثالاً لقوله تعالى:

---

(١) تقريب القرآن: ج١، ص٦٠٣.

(٢) كمثال انظر: الدرّ المنثور: ج٢، ص٢٩٣، ط: مصر.

(٣) سورة الفتح: الآية ٢٨.

دِينِهِمْ، وَأَوْضَحَ لَهُمْ سَبِيلَهُمْ، وَتَرَكَهُمْ عَلَى قَصْدِ سَبِيلِ الْحَقِّ[١٥]، وَأَقَامَ لَهُمْ عَلِيّاً عليه السلام عَلَماً[١٦] وَإِمَاماً، وَمَا تَرَكَ لَهُمْ شَيْئاً يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ إِلَّا بَيَّنَهُ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ[١٧] لَمْ يُكْمِلْ دِينَهُ فَقَدْ رَدَّ كِتَابَ اللَّهِ، وَمَنْ رَدَّ كِتَابَ اللَّهِ فَهُوَ كَافِرٌ بِهِ.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(١)، لقوله: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾(٢).

[١٥] **(قصد سبيل الحق):**

«المعالم» جمع مَعْلَم، وهو الأثر الذي يُعلم به الشيء، كبيان الحلال والحرام والآداب والوصية... الخ.

و«السبيل»: الطريق، والمراد هنا طريق الحق، كقوله: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾(٣).

و«القصد»: استقامة الطريق، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾(٤) أي على الله بيان الطريق المستقيمة.

[١٦] **(وأقام لهم علياً علماً):**

«العَلَم» علامة الشيء وما يدلُّ عليه، كعَلَم الجيش، وعلائم الطريق ونحوهما، فالإمام علي عليه السلام هو علامة لطريق الحق، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «علي مع الحق والحق مع علي»(٥)، فصار عليه السلام علامة الحق في كلّ شيء من أُموره.

[١٧] **(فمن زعم أنَّ الله...):**

هذا كالنتيجة، فإنّه قد استدلّ الإمام بأنَّ الدِّين كامل، ومن أهم أُمور

---

(١) سورة النحل: الآية ٤٤.

(٢) سورة النحل: الآية ٦٤.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ١٢.

(٤) سورة النحل: الآية ٩.

(٥) المسائل الصاغانية: ص١٠٩.

هَلْ يَعْرِفُونَ[١٨] قَدْرَ الْإِمَامَةِ وَمَحَلَّهَا مِنَ الْأُمَّةِ[١٩] فَيَجُوزَ فِيهَا اخْتِيَارُهُمْ؟ إِنَّ الْإِمَامَةَ أَجَلُّ قَدْراً، وَأَعْظَمُ شَأْناً، وَأَعْلَى مَكَاناً، وَأَمْنَعُ

الدِّين خلافة الرسول ﷺ، ولولا بيانها كان الدِّين ناقصاً، ولا يمكن لمسلم أن يقول بنقصان الدِّين، وإلَّا كان كافراً، لأنَّه ردَّ القرآن حيث يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

الدليل الثاني

[١٨] **(هل يعرفون)**:

هذا هو الدليل الثاني على أنَّ الإمامة بتعيين من الله تعالى لا باختيار من الناس.

وذلك لأنَّ الإمام يلزم أن يتحلَّى بصفات ـ كالعصمة ـ، ولا طريق لمعرفة تلك الصفات إلَّا اختيار الله تعالى وتعيينه، فكثيراً ما يختلط الأمر على عامَّة الناس فلا يتمكنون من التمييز بين من توجد فيه تلك الصفات وبين من لا توجد.

كما أنَّه لا يمكن لأحد أن يصل بجهده إلى تلك الصفات مهما حاول، لأنَّها اصطفاء منه تعالى.

وإنَّ موسى عليه السلام ـ مع أنَّه نبيّ ـ اختار من قومه سبعين رجلاً، ثم تبيَّن أنَّهم منافقون استحقوا الهلاك بعذاب الله تعالى، فكيف يُؤمّن على اختيار الناس ـ وهم ليسوا بأنبياء وقد ينخدعون بالظاهر ولا علم لهم بالبواطن ـ.

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾(١)

وقال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾(٢).

[١٩] **(ومحلها من الأمَّة)**:

«هل» للاستفهام الإنكاري، «قدر الإمامة» أي شأنها وما يليق بها، «محلها» أي منزلتها، والمعنى هؤلاء لا يعرفون قدر الإمامة فلذا يزعمون أنَّها باختيارهم، مع أنَّها عهد الله، وعهده تعالى إليه لا إلى غيره، كما يشترط فيها شروط ـ كالعصمة ـ لا يعلمها إلَّا الله تعالى.

---

(١) سورة القصص: الآية ٦٨.

(٢) سورة فاطر: الآية ٣٢.

جَانِباً، وَأَبْعَدُ غَوْراً[٢٠] مِنْ أَنْ يَبْلُغَهَا النَّاسُ بِعُقُولِهِمْ، أَوْ يَنَالُوهَا بِآرَائِهِمْ، أَوْ يُقِيمُوا إِمَاماً بِاخْتِيَارِهِمْ[٢١]، إِنَّ الْإِمَامَةَ خَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عليه السلام ـ بَعْدَ النُّبُوَّةِ وَالْخُلَّةِ ـ مَرْتَبَةً ثَالِثَةً[٢٢]، وَفَضِيلَةً شَرَّفَهُ بِهَا،

---

[٢٠] **(أجلّ قدراً... وأبعد غوراً):**

عبارات متقاربة المعنى، للدلالة على شأن الإمامة، «الجلال»: التناهي في العظمة، «الشأن»: الحال، ويُراد به الأمر العظيم، «المكان» ـ هنا ـ: المنزلة، «أمنع جانباً» أي الطريق الموصل إلى الإمامة أبعد من أن يصل إليها أحد، «الغور» العمق.

والحاصل: أنَّ الإمامة لا يمكن الوصول إليها من أية جهة من الجهات، لا في الارتفاع ولا في العمق ولا عن الأطراف، فهي مرتفعة بحيث لا تنالها الأيدي، وهي بعيدة بحيث لا يمكن السير إليها، وهي عميقة بحيث لا يمكن الغوص إليها.

[٢١] **(أن يبلغها... يقيموا إماماً باختيارهم):**

هنا مراحل ثلاث:

١ ـ أن يصبح الإنسان إماماً، وأشار عليه السلام إليه بقوله: (يبلغها الناس بعقولهم)، لزعمهم أنَّ قوّة العقل في إنسان تجعله صالحاً للإمامة.

٢ ـ أن يعرفوا منزلة الإمامة، وأشار إليه بقوله: (أو ينالوها بآرائهم)، لزعمهم أنَّهم يتمكنون من معرفتها بسبب القواعد التي وضعوها من عند أنفسهم.

٣ ـ أن يختاروا الإمام بانتخابهم، كما قال: (أو يقيموا إماماً...).

[٢٢] **(مرتبة ثالثة):**

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾(١).

إنَّ إبراهيم عليه السلام كان يائساً عن الذرّية إلى أن بلغ من الكبر عتياً، كما قال

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

وَأَشَادَ بِهَا ذِكْرَهُ، فَقَالَ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، فَقَالَ الْخَلِيلُ عليه السلام سُرُوراً بِهَا[٢٣]: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي[٢٤]﴾؟ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَا يَنَالُ

تعالى: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾(١)، وأمّا نبوّته فكانت في أوائل عمره الشريف حيث دعا أباه ـ أي عمّه آذر ـ إلى الإيمان، فكان طلبه عليه السلام الإمامة لذرّيته في وقت يعلم بأنّه له ذرّية، أي في كبره، وهذا يدلُّ على أنَّ الإمامة ليست بمعنى النُّبوّة، بل منزلة أعظم منها بحيث استحقّها إبراهيم عليه السلام بعد نبوّته وبعد أن نجح في الابتلاء، مضافاً إلى أنَّ قوله: ﴿ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ دليل على أنَّ إمامته كانت بعد اجتيازه لكلّ الامتحانات، والتي من أعظمها أمره بذبح ولده.

والحاصل: أنَّ المرتبة الأولى: كانت النُّبوّة ـ وكانت في شبابه ـ، والمرتبة الثانية: الخُلّة كما قال: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾(٢)، والثالثة: كانت الإمامة، وقد مرَّ بعض الكلام في ذلك.

[٢٣] (سروراً بها):

«السرور»: ما ينكتم من الفَرَح ـ كما في المفردات(٣) ـ، لأنَّ المؤمن يفرح بنعم الله تعالى كما قال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾(٤).

[٢٤] (ومن ذرّيتي):

لأنَّ الإنسان بطبعه يريد الخير لنسله، لأنّهم الامتداد له كما يجرّون إليه النفع في الدُّنيا والآخرة، كما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾(٥)، ولعلَّ في هذا نوع تحفيز لتحسين تربيتهم.

---

(١) سورة الحجر: الآيتان ٥٤ ـ ٥٥.

(٢) سورة النساء: الآية ١٢٥.

(٣) المفردات: ص٤٠٤.

(٤) سورة يونس: الآية ٥٨.

(٥) سورة الفرقان: الآية ٧٤.

عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٢٤]. فَأَبْطَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِمَامَةَ كُلِّ ظَالِمٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ[٢٥]، وَصَارَتْ فِي الصَّفْوَةِ[٢٦]، ثُمَّ أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ جَعَلَهَا فِي ذُرِّيَّتِهِ[٢٧] ....

والحاصل: أنَّ إبراهيم عليه السلام لما حباه الله بالإمامة، وقد كان يعلم بأنَّ النُّبوَّة والإمامة مستمرة إلى يوم القيامة، رغب في أن تكون تلك الإمامة في ذرِّيته.

[٢٥] **(إلى يوم القيامة):**

حيث قال تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى﴾، وهذا إخبار منه تعالى بأنَّ الإمامة عهد منه تعالى لا من الناس، وبأنَّها لا تصل إلى الظالمين، وكلّ من يرتكب ذنباً فهو ظالم لنفسه، فلا يصلح للإمامة.

والناس لا يعرفون بواطن الأشخاص، فلعلَّ من هو ظاهر الصلاح في حقيقته لا يتورّع عن المعاصي، فكيف يعلم الناس بعدم ظلمه؟

كما دلَّت الآية على عصمة الإمام من الذُّنوب بحيث لا يرتكب أي ذنب أصلاً ـ في جميع حياته ـ، وإلَّا كان ظالماً في لحظة ارتكابه فلا يكون صالحاً لها.

[٢٦] **(وصارت في الصفوة):**

لأنَّ من لا يحتمل الذنب في حقِّه أصلاً، لا يكون إلَّا مختاراً من قبل الله تعالى، ولا يكون إلَّا وارث علم الكتاب، كما قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾(١).

[٢٧] **(بأن جعلها الله في ذرِّيته):**

لأنَّ في قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ كان بياناً للقاعدة العامَّة في الإمامة، ولم يكن وعد لإبراهيم عليه السلام في جعلها في ذرِّيته.

أو معنى (ثمَّ أكرمه الله...) هو أنَّ الله وفّى بوعده بجعلها في ذرِّيته، بناءً على استفادة الوعد من قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى﴾.

---

(١) سورة فاطر: الآية ٣٢.

أَهْلِ الصَّفْوَةِ وَالطَّهَارَةِ[٢٨]، فَقَالَ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ۝٧٢ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ[٢٩]﴾ [الأنبياء: ٧٢-٧٣].

---

[٢٨] (أهل الصفوة والطهارة):

«الأهل» ـ هنا ـ بمعنى الخليق والجدير، أي هؤلاء كانوا جديرين بالاصطفاء.

أمّا أنّهم أهل الصفوة فلقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١)، ونتيجة الاصطفاء هي الطهارة من كل دنس ـ معنوي ومادي ـ لعدم تناسب الدنس مع اختياره تعالى.

[٢٩] (وكانوا لنا عابدين):

﴿وَوَهَبْنَا﴾ عطية ﴿لَهُۥٓ﴾ لإبراهيم ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي تفضلاً زائداً، إذ النافلة بمعنى الزيادة، فإنَّ دعاء إبراهيم كان للولد ولم يكن للحفيد، فكان يعقوب لطفاً زائداً، ﴿وَكُلًّا﴾ من إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ صلاحاً خاصاً بحيث كانت لهم القابلية للنُّبوَّة والإمامة وسائر الفضائل ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ إبراهيم وابنه وحفيده ﴿أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾ إلى الحق ﴿بِأَمْرِنَا﴾ حسب مشيئتنا لا بتعيين من الناس، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي أن افعلوا الخيرات ﴿وَإِقَامَ﴾ إقامة ﴿ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ﴾ إعطاء ﴿ٱلزَّكَوٰةِ﴾ والصلاة والزكاة من الخيرات وإنَّما ذكرا بالخصوص لأهميتهما، هذه في الجانب العملي، وأمَّا في جانب العقيدة فقد ﴿وَكَانُوا۟﴾ في جانب العقيدة ﴿لَنَا عَٰبِدِينَ﴾.

ولا يخفى أنَّ الصلاح المراد في هذه الآية هي درجة عالية جداً بحيث رغب فيها يوسف عليه السلام ودعا لينالها، حيث قال: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٢).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٣.

(٢) سورة يوسف: الآية ١٠١.

فَلَمْ تَزَلْ فِي ذُرِّيَّتِهِ يَرِثُهَا بَعْضٌ عَنْ بَعْضٍ[٣٠] قَرْناً فَقَرْناً[٣١]، حَتَّى وَرَّثَهَا اللَّهُ تَعَالَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ جَلَّ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ[٣٢]﴾ [آل عِمرَان: ٦٨]، فَكَانَتْ لَهُ خَاصَّةً،

وفي التقريب(١): ولم يذكر إسماعيل عليه السلام، لعلّه لكونه على مجرى الطبيعة، إذ (سارة) كانت كبيرة وعقيمة، أمّا (هاجر) فلم تكن كذلك، وإنّما هي شابة ولودة.

[٣٠] **(يرثها بعض عن بعض):**

إرثاً معنوياً، بأمر من الله واصطفائه، كما قال: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾(٢) وإنّما عبّر بالإرث، لأنَّ الإمامة كانت في أسرة واحدة ـ هي آل إبراهيم ـ ولم تخرج منهم، فشبّهت بما يتوارث، أو لأنَّ السابق يتركه للاحق كالإرث.

[٣١] **(قرناً فقرناً):**

في هذه دلالة على استمرار الإمامة من إبراهيم عليه السلام إلى آل محمَّد ﷺ، و«القرن»: الجماعة المقترنون في زمان واحد.

[٣٢] **(وليّ المؤمنين):**

لعلَّ وجه الاستدلال بالآية أنَّ إبراهيم عليه السلام كانت له جوانب متعدِّدة، ومنها الإمامة، وهذه الإمامة وصلت إلى الرسول ﷺ، ومن بعده للإمام علي عليه السلام، للاتفاق على عدم إمامة غيره، فالنبيّ ﷺ والأئمَّة عليهم السلام أولى بإبراهيم عليه السلام من كلِّ الجهات ـ ومنها الإمامة ـ، أمَّا سائر المؤمنين فهم أولى بإبراهيم عليه السلام من بعض الجهات، وفي مجمع البيان: نعم سائر المؤمنين يتولون نصرة إبراهيم عليه السلام بالحجَّة لما كان عليه من الحق، وتبرئة كل عيب عنه، أي هم الذين ينبغي أن يقولوا إنَّا على دين إبراهيم

---

(١) تقريب القرآن: ج٣، ص٥٥٧.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٤.

فَقَلَّدَهَا ﷺ عَلِيّاً عليه السلام[٣٣] بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، عَلَى رَسْمِ مَا فَرَضَ اللَّهُ[٣٤]، فَصَارَتْ[٣٥] فِي ذُرِّيَّتِهِ الْأَصْفِيَاءِ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللَّهُ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ، بِقَوْلِهِ

ولهم ولايته(١).

وفي الوافي: ﴿أَوْلَى النَّاسِ﴾ أخصّهم به وأقربهم ـ من الولي وهو القرب ـ ﴿لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ في زمانه وبعده، ﴿وَهَٰذَا النَّبِيُّ﴾ خصوصاً ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أُمّته(٢).

[٣٣] (فكانت له خاصة فقلّدها علياً عليه السلام):

«فكانت» الإمامة، «له» للرسول ﷺ، «خاصة» في زمانه لا يشاركه فيها أحد، «فقلدها» أي ألزمها علياً عليه السلام، والتقليد في الأصل بمعنى جعل الشيء طوقاً على العنق، كالقلادة.

[٣٤] (فصارت):

تلك الإمامة بعد الإمام علي عليه السلام، في ذرّيته لأنّهم الذين اصطفاهم الله تعالى.

وفي الكلام دليلان على اختصاصهم بالإمامة.

١ ـ اصطفاء الله تعالى لهم، كما دلّت عليه آية التطهير، ولم يدع أحد من المخالفين اصطفاء خلفائهم، فثبت بالإجماع عدم اصطفاء غيرهم.

٢ ـ إنّهم أوتوا العلم والإيمان، باعتراف الجميع بأنّ الإمام علياً عليه السلام كان الأقضىٰ والأعلم، وكذا الأئمّة من بعده.

[٣٥] (رسم ما فرض الله):

«الرسم» الطريقة، والمعنى:

إمّا بأنّ الرسول ﷺ نفذ أمر الله تعالى وجعل الإمامة في الإمام علي عليه السلام بنفس الطريقة التي أرادها سبحانه وتعالى، قال: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾(٣).

---

(١) مجمع البيان: ج٢، ص٤٧٦.

(٢) الوافي: ج٣، ص٤٨٦.

(٣) سورة المائدة: الآية ٦٧.

تـعـالـى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ[٣٦]﴾ [الرّوم: ٥٦]، فَهِيَ فِي وُلْدِ عَلِيٍّ عليه السلام خَاصَّةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِذْ لَا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله[٣٧]، فَمِنْ أَيْنَ يَخْتَارُ هٰؤُلَاءِ الْجُهَّالُ؟!

وإمَّا بمعنى: على الطريقة التي فرضها الله تعالى في السابقين بأن ينصب كلّ إمام، بعدَه إماماً، لئلا يخلو زمان من حجّة ـ كما في المرآة[(١)] ـ.

[٣٦] **(إلى يوم البعث):**

تفسير للآية بالمصداق الأكمل، فإنَّ الأئمّة عليهم السلام أفضل من أوتوا العلم والإيمان ـ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ـ.

والآية: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ يحلف الذين أجرموا بالشرك والعصيان ﴿مَا لَبِثُوا۟﴾ في الدُّنيا وفي القبر ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ وهي الوقت القليل من الزمان، إنّما قالوا ذلك استقلالاً لمدّة لبثهم في الدُّنيا أو في القبر مقابل الخلود في نار جهنّم، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل هذا الصرف من الصدق إلى الكذب ﴿كَانُوا۟﴾ في الدُّنيا ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ أي يصرفون عن الحق إلى الباطل، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ﴾ مدّة طويلة ﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي فيما قدّره الله لكم من اللبث في الدُّنيا وفي القبر ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾ وليس لبثكم ساعة، ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ الذي كنتم تكذبون به، ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي تنكرونه.

[٣٧] **(إذ لا نبي بعد محمّد):**

أي لم يبعث نبي بعد محمّد صلى الله عليه وآله ليكون إماماً، فلا بدَّ أن يكون الأئمّة غير أنبياء، وهذا متحقّق في آل محمّد صلى الله عليه وآله.

أو المقصود دفع توهم، وهو أنَّ الأنبياء أولى بالإمامة، فيكون الجواب أنّه لا نبي بعد محمّد صلى الله عليه وآله، فلا بّد من أن يكون الأئمّة غير أنبياء.

ويحتمل أن يكون معنى «خاصة» أنَّ المنصب الذي في ولد علي عليه السلام هو الإمامة خاصّة دون النُّبوّة إذ لا نبي بعد محمّد صلى الله عليه وآله.

---

(١) المرآة: ج٢، ص٣٨١.

إِنَّ الْإِمَامَةَ هِيَ مَنْزِلَةُ الْأَنْبِيَاءِ[٣٨]، وَإِرْثُ الْأَوْصِيَاءِ[٣٩]، إِنَّ الْإِمَامَةَ خِلَافَةُ اللَّهِ[٤٠]، وَخِلَافَةُ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَقَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَمِيرَاثُ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهما السلام.

الفصل الثاني
أُمور مرتبطة بالإمامة والإمام

ثمَّ إنَّ الإمام الرِّضا عليه السلام ـ بعد الاستدلال على أنَّ تعيين الإمام من الله تعالى ـ بيَّن جملة من الأُمور ترتبط بالإمامة كمنصب إلهي، وبالإمام كشخص اختاره الله، كما بيَّن نسبة الإمام إلى الله وإلى الناس، نذكرها في ضمن اثني عشر مطلباً:

أولاً: منزلة الإمامة

[٣٨] **(منزلة الأنبياء):**

أي مقام الأنبياء، ومرتبة لهم، ثم من بعدهم ورثها أوصياءهم، وما كان للأنبياء ولأوصيائهم خاصة لا يكون لغيرهم قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾(١).

[٣٩] **(إرث الأوصياء):**

«الإرث» ـ هنا ـ بمعنى الموروث، وفي المفردات(٢): «يُقال لكلّ من حصل له شيء من غير تعب: قد ورث كذا، ويُقال لمن خُوّل شيئاً مُهنّأً: أورث». انتهى.

قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّٰلِمِينَ﴾(٣).

[٤٠] **(خلافة الله):**

أي يؤدّي ما أراده الله تعالى في كلّ شيء، كما قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

(٢) المفردات: ص٨٦٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

إِنَّ الْإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّينِ[٤١]، وَنِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَصَلَاحُ الدُّنْيَا، وَعِزُّ الْمُؤْمِنِينَ.

ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١] وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٢] وفي المرآة[٣] خليفة الرجل: من يقوم مقامه، فلا بدَّ أن يكون عالماً بما أراد المستخلف، عاملاً بجميع أوامره، مناسباً له في الجملة.

ثانياً: فائدة الإمامة

جمع الإمام عليه السلام في هذا المطلب، الفائدة الأخروية والدنيوية للإمامة.

١ ـ فهي زمام الدِّين، تمنع الانحراف فيه ـ وهذا يرتبط بالآخرة ـ.

٢ ـ وهي صلاح الدُّنيا، لأنَّ الإمام أفضل قائد يعمل طبقاً لما هو الصلاح.

٣ ـ نظام للمسلمين، تمنع انفراط أُمورهم، فكلّ مسلم ـ حتَّى وإن كان منافقاً ـ يعيش في حياة كريمة منتظمة.

٤ ـ عزّ المؤمنين، لأنَّها توجب غلبتهم على غيرهم، ولشعورهم النفسي برعاية الله تعالى لهم، كما أنَّهم باعتقادهم بها والتزامهم بأوامر الإمام يدخلون الجنَّة ـ وهي العِزَّة الكاملة التامَّة ـ.

[٤١] **(زمام الدِّين):**

«الزمام» المِقْوَد واللجام، ومعناه في الأصل: الحبل الذي يوضع في المقود لضبط حركة الدابَّة، والمقصود من هذا التشبيه هو أنَّ الإمامة سبب لضبط أُمور الدِّين، ومانع عن الانحراف فيه.

ثالثاً: محل الإمامة من الدِّين

بيَّن الإمام عليه السلام أنَّ الإمامة هي من أُصول الدِّين وفروعه، وأنَّها شرط

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٢) سورة ص: الآية٢٦.

(٣) المرآة: ج٢، ص٣٨٣.

إِنَّ الْإِمَامَةَ أُسُّ الْإِسْلَامِ النَّامِي[٤٢]، وَفَرْعُهُ السَّامِي[٤٣].

بِالْإِمَامِ تَمَامُ الصَّلَاةِ[٤٤] وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ، وَتَوْفِيرُ

قبول العبادات، وأنّها سبب ضبط الأمور المالية، وبها تُجرىٰ الحدود كاملة، ويتمّ بها الدفاع عن الدِّين.

[٤٢] **(أسّ الإسلام النامي):**

«الأس» القاعدة التي يُبنى عليها الشيء، و«النامي» صفة لـ(أُسّ) كجذور الأشجار، ونمو الجذور يتسبَّب في صلابة الشجر وزيادة ثمره، كذلك الأساس النامي للإسلام هو الإمامة، حيث يُبيّن الإمام معالم الإسلام بشكل صحيح ويدفع الشُّبهات عنه، ويطبقه بشكل صحيح ممَّا يوجب انشداد عموم الناس إليه، وانتشاره.

مضافاً إلى أنَّ الإمامة من أُصول الدِّين، لا يُقبل الدِّين إلَّا بها.

[٤٣] **(وفرعه السامي):**

لعلَّ المراد أنَّ النظام الأكمل لا يكون إلَّا بإمام، فتطبيق الإسلام وغلبته على سائر النُّظم لا يكون إلَّا بإمام من الله، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾(١).

رابعاً: دور الإمام

[٤٤] **(بالإمام تمام الصلاة...):**

لعلَّ هذا المقطع شرح لقوله: (وفرعه السامي)، فصحّة هذه العبادات بالاعتقاد بالإمام، ومن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ـ كما عن رسول الله ﷺ ـ(٢).

كما أنَّ بيان هذه العبادات بشكل صحيح هو عن طريق الإمام، وقد

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣٣.

(٢) إكمال الدين وإتمام النّعمة: باب ٣٨، ص٤٠٩.

الْفَيْءِ وَالصَّدَقَاتِ[٤٥]، وَإِمْضَاءُ الْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ[٤٦]، وَمَنْعُ الثُّغُورِ وَالْأَطْرَافِ[٤٧].

الْإِمَامُ يُحِلُّ حَلَالَ اللَّهِ[٤٨]، وَيُحَرِّمُ حَرَامَ اللَّهِ، وَيُقِيمُ حُدُودَ

انحرف الذين لا يأخذون من الأئمَّة في عباداتهم أيّما انحراف، وقد قال أحد الصحابة ـ وهو أنس بن مالك ـ: (لا أعرف شيئاً ممّا أدركت إلَّا هذه الصلاة وقد ضُيّعت)[١].

[٤٥] **(توفير الفيء والصدقات):**

«الفيء»: الغنيمة، وفي المرآة[٢]: لأنَّها كانت في الأصل للمسلمين، لأنَّ [الله] خلقها لهم وغصبها الكفَّار ففاءت ـ ورجعت ـ إليهم.

و«التوفير» القسمة على قانون الشرع، عكس حكَّام الجور حيث يقسمون الأموال باستئثار، وقد عمَّ الفساد المالي كلّ حكَّام الجور.

و«الصدقات» تُطلق على الزكاة، وعلى عامَّة المال الذي يُتبرع به، وإنما سُمّيت (صدقة) لأنَّ صاحبها يتحرى الصدق في فعله.

[٤٦] **(إمضاء الحدود والأحكام):**

أي إجرائها وإنفاذها، «الحدود» هنا بمعنى العقوبات الشرعية، و«الأحكام» القرارات الحكومية ـ التي هي قضايا إدارية ـ.

[٤٧] **(ومنع الثغور والأطراف):**

أي الحدود بين بلاد الإسلام والكفر، ولعلَّ الفرق بينها هو أنَّ «الثغر» نقاط الضعف التي يقوى احتمال الهجوم منها، و«الأطراف» أعم بحيث تشمل كلّ الحدود.

[٤٨] **(يحلّ حلال الله...):**

أي يبيِّن ما هو الحلال والحرام، كما أنَّه يطبق هذه الأحكام عملاً.

---

(١) رواه البخاري ـ في الصحيح عندهم ـ باب تضييع الصلاة عن وقتها: ج٢، ص٤٠١، الحديث: ٥٣٠.

(٢) المرآة: ج٢، ص٣٨٣.

اللَّهِ[٤٩]، وَيَذُبُّ عَنْ دِينِ اللَّهِ[٥٠]، وَيَدْعُو إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ، وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ[٥١] وَالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ.

---

[٤٩] **(يقيم حدود الله):**

الفرق بين هذا المقطع وبين قوله: (وإمضاء الحدود. . .)، أنَّ ذاك في جانب القرار، أي الإمام يصدر القرارات في الحدود أو يمضي قرارات قضائه، وهذا في جانب التطبيق، أي يطبق الحدود خارجاً، فلا يكون القرار مجرَّد حبر على ورق.

أو أنَّ «الحدود» هناك خاصة بالعقوبات، وهنا أعمّ بحيث تشمل كلّ الأحكام.

[٥٠] **(يذبّ عن دين الله):**

«الذبّ»: المنع، أي يدافع عن الدِّين بدفع الشُّبهات.

ومراحل بيان الدِّين تبدأ من دفع الشُّبهات، مروراً بالدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وانتهاءً بإقامة الحجَّة البالغة بالجدال بالتي هي أحسن.

[٥١] **(الموعظة الحسنة):**

كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(١).

في المفردات(٢): «الوعظ: زجر مقترن بتخويف، قال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرقّ له القلب» انتهى.

و«الموعظة الحسنة»: البراهين القاطعة، أو بمعنى أن تكون بطريقة مناسبة، حتى تكون مقبولة، لا بالطرق الاستفزازية.

خامساً: تشبيه الإمام بالنُّور

بما أنَّ النُّور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره، فكان تشبيه الإمام به، وكذا شُبِّه به كلّ ما يوجب الهداية من الأنبياء والكتب السَّماويَّة وأمثال ذلك

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٢) المفردات: ص٨٧٦.

الْإِمَامُ كَالشَّمْسِ الطَّالِعَةِ الْمُجَلِّلَةِ بِنُورِهَا[٥٢] لِلْعَالَمِ، وَهِيَ فِي الْأُفُقِ بِحَيْثُ لَا تَنَالُهَا الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارُ، الْإِمَامُ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ، وَالسِّرَاجُ الزَّاهِرُ، وَالنُّورُ السَّاطِعُ[٥٣]، وَالنَّجْمُ الْهَادِي[٥٤] فِي غَيَاهِبِ الدُّجَى[٥٥]، وَأَجْوَازِ

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾(١)، وقال: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾(٢).

[٥٢] **(المجلِّلة بنورها)**:

من جلَّل تجليلاً بمعنى عمَّ، أي التي تعمُّ العالم بنورها، فنفعها عام ولكن لا يمكن تناولها باليد ولا امتلاء العين منها، وكذا الإمام نفعه عام ولكن لا يمكن معرفة حقيقته لارتفاع قدره بحيث تقصر العقول عنه.

[٥٣] **(النُّور الساطع)**:

«البدر» هو القمر ليلة تمامه وكماله، «الزاهر» المضيء المشرق، «الساطع» المرتفع.

والحاصل: هو تشبيهه بمختلف الأنوار التي تضيء المكان والدرب للإنسان، فالشمس في النهار، والبدر في الليالي المقمرة، والسراج حين غياب الشمس والقمر، كما أنَّ هذا النُّور ساطع لا ينحصر في مكان خاص بل هو مرتفع، وكل نور مرتفع يعمُّ نوره فيعمّ نفعه.

[٥٤] **(النجم الهادي)**:

هذا تشبيه، للنُّور الذي لا يضيء الأشياء، ولكنَّه منشأ للاهتداء، فتمَّ تشبيه الإمام بمختلف الأنوار التي يستفيد منها الإنسان، قال تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾(٣).

[٥٥] **(غياهب الدجى)**:

«الغيهب» الظلمة وشدَّة السواد، و«الدجى» ظلمة اللَّيل، وإضافة الغياهب

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣٢.

(٢) سورة التغابن: الآية ٨.

(٣) سورة النحل: الآية ١٦.

الْبُلْدَانِ وَالْقِفَارِ[٥٦]، وَلُجَجِ الْبِحَارِ[٥٧].

الْإِمَامُ الْمَاءُ الْعَذْبُ عَلَى الظَّمَإِ، وَالدَّالُّ عَلَى الْهُدَى، وَالْمُنْجِي مِنَ الرَّدَى[٥٨]، ....

إلى الدجى ـ مع تقارب معنييهما ـ إضافة بيانية، للدلالة على المبالغة.

[٥٦] **(أجواز البلدان والقفار):**

«أجواز» جمع جَوْز أي وسط الشيء، «البلدان» يُراد بها الصحراء، ففي مفردات الراغب(١): وسُمِّيت المفازة بلداً لكونها موطن الوحشيات، و«القفار» جمع قفر أي الصحراء التي لا ماء فيها ولا كلأ.

ففي الصحارى الوسيعة الخالية عن الماء والكلأ يكون احتمال الضلال في الطريق كبيراً لعدم وجود علامات ـ عادة ـ فيكون الاهتداء بالنُّجوم، وكذلك تكون الهداية بالإمام حين خلوّ الحياة منها.

[٥٧] **(ولجج البحار):**

«اللجة» الماء العميق ـ لاجتماع معظم الماء هناك ـ، والمياه الضحلة تقع عادة قرب السواحل، أمَّا المياه العميقة فهي بعيدة عن الساحل ولا دليل للبحارة ـ عادة ـ إلَّا النُّجوم.

سادساً: النجاة باتباع الإمام

كما أنَّ الظامىء يموت إذا لم يجد الماء العذب، ومن ضلَّ طريقه يهلك إذا لم يجد الطريق، والمُبتلى بالعواصف الثلجية الباردة يتجمَّد إن لم يجد وسيلة للتدفئة، كذلك من لا يَتبع الإمام يهلك، وأما من اتبعه فينجو.

[٥٨] **(المنجي من الردى):**

أي الهلاك، قال سبحانه: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾(٢).

---

(١) مفردات الراغب: ص١٤٣.

(٢) سورة طه: الآية ١٦.

الْإِمَامُ النَّارُ عَلَى الْيَفَاعِ[٥٩]، الْحَارُّ لِمَنِ اصْطَلَى بِهِ[٦٠]، وَالدَّلِيلُ فِي الْمَهَالِكِ.

مَنْ فَارَقَهُ فَهَالِكٌ، الْإِمَامُ السَّحَابُ الْمَاطِرُ، وَالْغَيْثُ الْهَاطِلُ[٦١]، وَالشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ، وَالسَّمَاءُ الظَّلِيلَةُ[٦٢]، ....

---

[٥٩] **(النار على اليفاع)**:

«اليفاع» ما ارتفع من الأرض، يوقد فيه النار في اللَّيالي الظلماء ليكون دليلاً للمسافرين والبحّارة، كما يُقال (نار على منار).

[٦٠] **(الحار لمن اصطلى به)**:

أي يوجب الدّفء في البرد الشديد، كقوله: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾(١).

سابعاً: عموم خير الإمام

بيَّن الإمام الرِّضا عليه السلام في هذا المطلب عموم نفع الإمام للجميع، فهو رحمة الله الواسعة يشمل خيره الجميع، كالمطر والشمس والسَّماء والأرض... الخ.

[٦١] **(الغيث الهاطل)**:

«السحاب» الغيم سواء كان فيه ماء أم لم يكن، ولذا قيّده بالماطر، و«الغيث» المطر لأنَّه يغيث الناس والأرض على العطش، و«الهاطل» المطر المتتابع كالسيل.

[٦٢] **(السَّماء الظليلة)**:

كقوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾(٢) كناية عن الرفاهية، أو أنَّ السَّماء ـ وهي جهة العلو ـ تمنع وصول الأجرام السَّماويَّة المضرّة إلى الأرض، فتكون عامَّة النفع، أو السَّماء بمعنى السقف ونحوه يحمي الإنسان من الحرّ والبرد.

---

(١) سورة النمل: الآية ٧.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٧.

وَالْأَرْضُ الْبَسِيطَةُ[٦٣]، وَالْعَيْنُ الْغَزِيرَةُ، وَالْغَدِيرُ، وَالرَّوْضَةُ[٦٤].

الْإِمَامُ الْأَنِيسُ الرَّفِيقُ[٦٥]، وَالْوَالِدُ الشَّفِيقُ، وَالْأَخُ الشَّقِيقُ[٦٦]،

---

[٦٣] **(والأرض البسيطة):**

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾(١)، فإنَّ الأرض المبسوطة أكثر نفعاً.

[٦٤] **(والروضة):**

«الغزيرة» كثيرة الماء، و«الغدير» ما يتجمع من ماء المطر في الأماكن المنخفضة في الصحارى ونحوها، و«الروضة» الأرض فيها ماء ونبات حسن.

والحاصل: كلّ هذه أُمور مفيدة للإنسان في حالاته المختلفة، فكما أنَّ الإنسان بحاجة إلى المطر كذلك بحاجة إلى الشمس، وكما يحتاج إلى الظلّ كذلك يحتاج إلى الأرض البسيطة للزراعة ونحوها، وكما يحتاج إلى المياه الجارية كذلك يحتاج إلى المتجمعة منها، فكذلك الإمام يحتاج الإنسان إليه في مختلف الحالات، وخيره شامل في كلّها.

ثامناً: نسبة الإمام إلى الناس

ثم إنَّ الإمام يريد خير الناس، ويؤلمه ضلالهم، ويحاول إيصال النفع إليهم، فلذا تمَّ تشبيهه بالأنيس والأخ والوالد. . .الخ.

[٦٥] **(الأنيس الرفيق):**

«الأنيس» ما يأنس به الإنسان من أصدقائه، و«الرفيق» من الرفق وهو ضدّ الخرق، أي أنيس يتعامل مع صديقه بلطف ومداراة.

[٦٦] **(والوالد الشفيق والأخ الشقيق):**

«الشفيق» من الشفقة بمعنى الحب المختلط بالخوف على المحبوب و«الشقيق» الأخ النسبي، وكثيراً ما يُستعمل في الأخ من الأبوين، كأنَّه انشق الشيء نصفين لشبه أحدهما بالآخر.

---

(١) سورة نوح: الآيتان ١٩ ـ ٢٠.

وَالْأُمُّ الْبَرَّةُ بِالْوَلَدِ الصَّغِيرِ، وَمَفْزَعُ الْعِبَادِ فِي الدَّاهِيَةِ النَّآدِ[٦٧].

الْإِمَامُ أَمِينُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ[٦٨]، وَحُجَّتُهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَخَلِيفَتُهُ فِي بِلَادِهِ، وَالدَّاعِي إِلَى اللَّهِ، وَالذَّابُّ عَنْ حُرَمِ اللَّهِ[٦٩].

الْإِمَامُ الْمُطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ[٧٠]، ....

[٦٧] (الداهية النّآد):

«المفزع» الملجأ، و«الداهية» الأمر العظيم الفادح، «النّآد» بنفس معنى الداهية، فيكون وصف الداهية بالنّآد للمبالغة، مثل سواد حالك، وأصفر فاقع ونحوها.

والحاصل: أنَّ الإمام رؤوف رحيم حريص على الناس وعلى خيرهم.

تاسعاً: نسبة الإمام إلى الله تعالى

[٦٨] (أمين الله في خلقه):

فهو يبلّغ ما أراده الله بلا تغيير، ويعمل بما يريده تعالى بلا تبديل.

[٦٩] (الذابّ عن حرم الله):

«حُرَم» جمع حُرمة، وهي ما لا يجوز انتهاكه، و«حرم الله» هي ما أمر الله بتعظيمها كأحكامه وأوليائه وبقاعه المقدّسة ونحوها.

عاشراً: صفات الإمام

الإمام يلزم أن يكون معصوماً من الذُّنوب، خالياً من العيوب في الخلقة والأخلاق، ذا الكمالات، . . . الخ، وبعض أهم هذه الأُمور تكفّل الإمام الرِّضا عليه السلام ببيانها في هذا المقطع.

[٧٠] (المطهّر من الذُّنوب):

لأنّها رجس، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(١).

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

وَالْمُبَرَّأُ عَنِ الْعُيُوبِ[٧١]، الْمَخْصُوصُ بِالْعِلْمِ[٧٢]، الْمَوْسُومُ بِالْحِلْمِ[٧٣]، نِظَامُ الدِّينِ، وَعِزُّ الْمُسْلِمِينَ[٧٤]، وَغَيْظُ الْمُنَافِقِينَ، وَبَوَارُ الْكَافِرِينَ[٧٥].

---

[٧١] **(المبّرأ من العيوب):**

سواء عيوب في الجسم، فلا نقص فيه أصلاً.

وقد مرَّ أنَّ الأنبياء والأئمَّة عليهم السلام لم يكن في أجسامهم عيب أصلاً لتكمل الحجَّة على الناس، وما ورد في ابتلائهم فمؤوّل بما لا يكون عيباً في الخلقة.

كما أنّهم مُبَرَّؤون عن العيوب في الأخلاق فهم منزَّهون من الحسد والجبن ونحوها، لما دلَّ على لزوم كونهم أفضل الناس، ولأدلة أخرى سيأتي بعضها.

[٧٢] **(المخصوص بالعلم):**

أي خصَّه الله بالعلم ـ الذي أنزله ـ كلّه، في حين أنَّ سائر الناس لهم بعض جوانب العلم، أو المعنى أنَّ علمهم لدني لا يحتاج إلى كسب فخصَّهم الله بذلك، عكس سائر الناس.

[٧٣] **(الموسوم بالحلم):**

تخصيص الحِلم بالذِّكر ـ مع تحلِّيهم بسائر الفضائل أيضاً ـ لأهمية الحِلم، ولكثرة ابتلائهم بجهل الجاهلين.

[٧٤] **(نظام الدِّين وعزّ المسلمين):**

مرَّ في المطلب الثاني «الإمامة نظام المسلمين وعزّ المؤمنين»، وهنا «الإمام نظام الدِّين وعزّ المسلمين».

والفرق أنَّ هناك كان الكلام حول الإمامة كمنصب، وهنا حول الإمام كشخص، فالإمامة نظام والإمام هو المنفِّذ لهذا النظام، كما أنَّ عزّ المسلمين كما يكون بتشريع الإمامة، كذلك يكون عزّهم بوجود الإمام، فتأمَّل.

[٧٥] **(بوار الكافرين):**

لأنَّ المنافقين يغتاظون من المؤمنين، فكيف بإمام المؤمنين! قال تعالى:

الْإِمَامُ وَاحِدُ دَهْرِهِ، لَا يُدَانِيهِ أَحَدٌ، وَلَا يُعَادِلُهُ عَالِمٌ، وَلَا يُوجَدُ مِنْهُ بَدَلٌ[٧٦]، وَلَا لَهُ مِثْلٌ وَلَا نَظِيرٌ[٧٧]، مَخْصُوصٌ بِالْفَضْلِ كُلِّهِ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ

﴿وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ﴾(١)، و«البوار» الهلاك، فإنّه بالإمام تعمُّ الهداية فيموت الكفر، أو بمعنى أنّه يقاتل الكفّار فيُهلكهم.

حادي عشر: فضل الإمام على الناس

إنَّ الله خصَّ الإمام بالفضائل كلّها، فلذا لا نظير له في كلّ الخلق ـ إلّا إمام مثله صامت ـ.

ولعلَّ في الحديث دلالة على ترتُّب الأئمّة في الفضل على حسب ترتيبهم في الإمامة، فكلّ إمام سابق أفضل من الإمام اللاحق وسيأتي إن شاء الله نقل كلام ابن شهرآشوب حول تفضيل الأئمة بعضهم على بعض.

أو يُقال إنَّ الإمام الصامت أيضاً إمام فهو يشارك الإمام اللاحق في كلّ هذه الصفات فكلاهما واحد دهره لا يدانيهما أحد. . .الخ، والمقصود بالإمام الصامت ـ كما مرَّ ـ الإمام اللاحق في زمن الإمام السابق كالإمام الحسين عليه السلام في زمان الإمام الحسن عليه السلام.

[٧٦] **(ولا يوجد منه بدل):**

أي في زمان حياته، نعم بعد وفاته يخلفه إمام بعده، وهكذا إلى انقضاء الدهر، لئلا تخلو الأرض من حجّة.

[٧٧] **(مثل ولا نظير):**

الفرق بين المثل والنظير، أنَّ «المثلين»: ما تكافآ في الذات و«النظير»: ما قابل نظيره في جنس أفعاله وهو متمكن منها، كالنحوي نظير النحوي ـ وإن لم يكن له مثل كلامه في النحو أو كتبه فيه ـ(٢).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٩.

(٢) راجع معجم الفروق اللغوية: ص٤٨٠ ـ ٤٨١، الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري، وجزء من كتاب السيِّد نور الدِّين الجزائري.

مِنْهُ لَهُ وَلَا اكْتِسَابٍ، بَلِ اخْتِصَاصٌ مِنَ الْمُفْضِلِ الْوَهَّابِ.

فَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْلُغُ مَعْرِفَةَ الْإِمَامِ، أَوْ يُمْكِنُهُ اخْتِيَارُهُ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ[٧٨]، ضَلَّتِ الْعُقُولُ، وَتَاهَتِ الْحُلُومُ، وَحَارَتِ الْأَلْبَابُ[٧٩]، وَخَسَأَتِ الْعُيُونُ[٨٠]، وَتَصَاغَرَتِ الْعُظَمَاءُ[٨١]، وَتَحَيَّرَتِ الْحُكَمَاءُ، وَتَقَاصَرَتِ الْحُلَمَاءُ، وَحَصِرَتِ الْخُطَبَاءُ، وَجَهِلَتِ الْأَلِبَّاءُ، وَكَلَّتِ الشُّعَرَاءُ،

ثاني عشر: عدم معرفة كنه الإمام

ثمَّ بيَّن الإمام الرِّضا عليه السلام عدم معرفة أحد بحقيقة الإمام لقصورهم عن إدراكه بكنهه، فلذا لا يكون اختياره إلَّا من الله تعالى العالم بحقائق كلّ الأشياء.

ففي البداية يتمّ إجمالاً بيان عدم معرفة أحد بالإمام، ثم بيان تفصيلي أنَّ العقول والحواس وكلّ أصناف الناس لا يتمكنون من معرفته.

[٧٨] **(هيهات هيهات):**

التكرار إمَّا للتأكيد، أو إشارة إلى عدم إمكان كلا الأمرين: المعرفة والاختيار.

[٧٩] **(حارت الألباب):**

بيان بُعد معرفته عن العقول، والألباب والحلوم والعقول متقاربة المعنى.

[٨٠] **(خسأت العيون):**

بيان بُعد معرفته عن الحواس، وأقرب الأعضاء للمعرفة هي العين، لسعة إحاطتها بالأشياء أكثر من سائر الحواس، ولذا خصَّها بالذِّكر.

[٨١] **(تصاغرت العظماء...):**

بيان بُعد معرفته عن كل أصناف الناس، وخصَّ بالذِّكر أهم تلك الأصناف.

وَعَجَزَتِ الْأُدَبَاءُ، وَعَيِيَتِ الْبُلَغَاءُ[٨٢] عَنْ وَصْفِ شَأْنٍ مِنْ شَأْنِهِ[٨٣]، أَوْ فَضِيلَةٍ مِنْ فَضَائِلِهِ، وَأَقَرَّتْ بِالْعَجْزِ وَالتَّقْصِيرِ[٨٤]، وَكَيْفَ يُوصَفُ بِكُلِّهِ[٨٥]،

---

[٨٢] **(تصاغرت . . . عييت البلغاء):**

«تصاغرت العظماء» فمهما كانوا عظماء يتصاغرون أمام عظمة الإمام وشؤونه وأوصافه.

«تحيَّرت الحكماء» الحكيم يضع الشيء في موضعه، وذلك لا يكون إلَّا بعد المعرفة، فلذا يتحيَّر عندما يصل إلى الإمام لعدم معرفته بكنهه فلا يدري أين يضع شأنه.

«تقاصرت الحلماء» الحليم راجح العقل فلذا له الطّول على الأشياء، لكنَّه حينما يصل إلى معرفة الإمام فإنَّه يتقزَّم ويقصر عقله من بلوغ شأنه.

«حصرت الخطباء» أي امتنع عليهم الكلام.

«الألبّاء» جمع لبيب وهو العاقل.

«عييت البلغاء» أي عجزت، وهو جمع (بليغ) من البلاغة وهي الكلام حسب مقتضى الحال مع حسن اختيار الكلمات.

[٨٣] **(شأن من شأنه):**

أي حالة من حالاته، كحالاته مع ربّه، أو مع نفسه، أو مع سائر الناس، فكلّها حالات في أقصى درجات الكمال، بحيث تُدرك ولا تُوصف وهؤلاء الأصناف حيث لم يدركوها فإنَّهم يعجزون عن وصفها بكنهها.

[٨٤] **(أقرَّت بالعجز والتقصير):**

المؤمن أو المنصف منهم يقرّ باللِّسان، وغيرهما يقرّ بالأفعال أي فعله يدلُّ على عدم تمكنه من ذلك.

[٨٥] **(كيف يوصف بكلّه):**

استفهام إنكاري، «بكلّه» بأوصافه، «بكنهه» بحقيقة ذاته، «شيء من أمره» أفعاله أو ما يرتبط به.

أَوْ يُنْعَتُ بِكُنْهِهِ، أَوْ يُفْهَمُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ، أَوْ يُوجَدُ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ وَيُغْنِي غِنَاهُ[٨٦]، لَا، كَيْفَ؟ وَأَنَّى؟[٨٧] وَهُوَ بِحَيْثُ النَّجْمِ مِنْ يَدِ الْمُتَنَاوِلِينَ[٨٨]، وَوَصْفِ الْوَاصِفِينَ، فَأَيْنَ الِاخْتِيَارُ مِنْ هَذَا؟[٨٩] وَأَيْنَ الْعُقُولُ عَنْ هَذَا؟ وَأَيْنَ يُوجَدُ مِثْلُ هَذَا[٩٠]؟!

أَتَظُنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ يُوجَدُ فِي غَيْرِ آلِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَذَبَتْهُمْ وَاللَّهِ

---

[٨٦] **(يغني غناه):**

أي يؤدِّي نفعه، وأصله بمعنى الكفاية.

[٨٧] **(لا، كيف، وأنّىٰ):**

«لا» جواب عن الاستفهام الإنكاري، أي لا يمكن أن يوصف بكلّه... الخ.

«كيف» تكرار الاستفهام الإنكاري للتأكيد.

«أنّىٰ» تأكيد للاستفهام الإنكاري بالاستفهام عن المكان، بمعنى أيّ مكان يوجد وصفه ونعته وفهم أمره... الخ.

[٨٨] **(من يد المتناولين):**

«وهو» الواو للحال، أي كيف يمكن وصفه والحال أنَّه بحيث... الخ «بحيث» أي في مكان النجم، وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس.

[٨٩] **(الاختيار من هذا):**

أي كيف يمكن اختيار هذا الإمام الذي لا يمكن لأحد معرفة حقيقته، بل لا بدَّ من تعيين من الله تعالى العالم بحقائق كلّ الأشياء.

[٩٠] **(أين يوجد مثل هذا):**

أي المتصف بهذه الصفات ليس متعدِّد حتى يختار الناس أحدهم، بل هو منحصر في شخص واحد فيكون هو الإمام المعيَّن من قِبل الله تعالى.

أَنْفُسُهُمْ[٩١]، وَمَنَّتْهُمُ الْأَبَاطِيلُ[٩٢]، فَارْتَقَوْا مُرْتَقاً صَعْباً دَحْضاً[٩٣]، تَزِلُّ عَنْهُ إِلَى الْحَضِيضِ أَقْدَامُهُمْ، رَامُوا إِقَامَةَ الْإِمَامِ بِعُقُولٍ حَائِرَةٍ بَائِرَةٍ نَاقِصَةٍ، وَآرَاءٍ مُضِلَّةٍ[٩٤]، ....

الفصل الثالث
مخالفتهم لاختيار الله تعالى

ثمَّ بيَّن الإمام الرِّضا عليه السلام، أنَّ المخالفين ضلّوا حينما تركوا ما اختاره الله تعالى، وأرادوا إقامة الإمام بعقولهم، فضلّوا، ولم يزدادوا من الحق إلّا بُعداً، مع إتمام الحجَّة عليهم بالآيات الصريحة الدالة على أنَّ الاختيار لله تعالى لا للناس.

[٩١] **(كذبتهم والله أنفسهم):**

أي شهدت لهم أنفسهم بكذب مقالتهم، بمعنى أنَّهم حين يراجعون أنفسهم لا يجدون الإمامة في غير آل محمَّد صلى الله عليه وآله، فنفسهم تكذب ما يظهرون من قول، نظير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾(١).

[٩٢] **(منّتهم الأباطيل):**

أي الأباطيل صوَّرت لهم ما لا حقيقة له، بجعل الإمامة في غير آل محمَّد صلى الله عليه وآله، قيل: هو بمعنى أضعفتهم وأعجزتهم.

[٩٣] **(صعباً دحضاً):**

أي صعدوا مكاناً منيعاً، والمراد أنَّ الإمامة منصب رفيع لا يمكن الوصول إليه، ومن حاول احتلال موقع الإمام بغير أمر من الله فإنَّ قدمه تزلّ به إلى نار جهنَّم، «مرتقى» مكان عال، «صعباً» صعب المنال بمعنى استحالة الوصول إليه، «دحضاً» زلقاً تزلّ الأقدام دونه.

[٩٤] **(آراء مضلَّةٍ):**

«بائرة» أي هالكة، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾(٢)،

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٦٥.

(٢) سورة الفرقان: الآية ١٨.

فَلَمْ يَزْدَادُوا مِنْهُ إِلَّا بُعْداً، ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ[٩٥]﴾ [المنَافِقون: ٤]. وَلَقَدْ رَامُوا صَعْباً، وَقَالُوا إِفْكاً، وَضَلُّوا ضَلَالاً بَعِيداً[٩٦]، وَوَقَعُوا فِي الْحَيْرَةِ، إِذْ تَرَكُوا الْإِمَامَ عَنْ بَصِيرَةٍ[٩٧]، وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ.

«آراء مضلّة» أي آراء أضلتهم، أو آراء أضلّها الشيطان، «فلم يزدادوا منه» أي من الإمام الحق.

[٩٥] (أنّىٰ يؤفكون):

نزلت في اليهود والنصارى وفي المنافقين قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ دعاء عليهم بالهلاك ﴿أَنَّىٰ﴾ أي كيف ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يُصرفون من الحق إلى الباطل(١).

[٩٦] (ضلالاً بعيداً):

«راموا صعباً» قصدوا أمراً لا يمكنهم الوصول إليه، «قالوا إفكاً» أي كذباً لأنَّهم صرفوا الإمامة عن أهلها وجعلوها في غيرهم، «ضلالاً بعيداً»، أي الضلال الذي يصعب الرجوع منه إلى الهدى، تشبيهاً بمن ضلَّ عن مَحَجَّة الطريق بعداً متناهياً فلا يكاد يُرجى له العود إليها ـ كذا في المفردات(٢) ـ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾(٣).

[٩٧] (إذ تركوا الإمام عن بصيرة):

أي كانوا يعلمون أنّه الإمام، وقد أقام رسول الله ﷺ عليهم البراهين

---

(١) سورة المنافقون، الآية ٤، وفي اليهود والنصارى سورة التوبة، الآية ٣٠.

(٢) المفردات: ص١٣٣.

(٣) سورة النساء: الآيتان ٦٠ ـ ٦١.

رَغِبُوا عَنِ اخْتِيَارِ اللَّهِ وَاخْتِيَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلِ بَيْتِهِ[٩٨] إِلَى اخْتِيَارِهِمْ، وَالْقُرْآنُ يُنَادِيهِمْ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ[٩٩]﴾ [القَصص: ٦٨]، **وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا**

الواضحة وأخذ منهم البيعة، ومع ذلك خالفوا أمر الله وأمر رسوله، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي رأوها حسنة ﴿فَصَدَّهُمْ﴾ أي منعهم الشيطان ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المستقيم وهو طريق الحق ﴿وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ أي كانوا يميِّزون بين الحق والباطل، ومع ذلك خالفوا فأهلكهم الله تعالى، والمراد أنَّهم قد تمَّت عليهم الحجَّة. أو بمعنى أنَّهم كانوا متمكنين من النظر ولكنَّهم لم ينظروا فأهلكهم الله بذنوبهم.

[٩٨] (واختيار رسول الله ﷺ وأهل بيته):

إنَّ ذلك كان اختيار الرسول وأهل البيت لأنَّهم عليهم السلام رضوا باختيار الله وبلَّغوه، كما مرَّ في قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾(١).

[٩٩] (عمَّا يشركون):

في تقريب القرآن(٢): إنَّ اختيار القادة بيد الله تعالى، وبأمره تنصب الرؤساء للدِّين والدُّنيا، كما أنَّ جميع النِّعم منه، فله كلّ الحمد، ﴿وَرَبُّكَ﴾ يا رسول الله ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ وهذا تمهيد لقوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾ فإنَّ من له الخلق هو الذي له الاختيار، إذ كيف يمكن أن يخلق ويملك شخص، ويكون الاختيار بيد غيره؟ ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ أي ليس للكفَّار أن يختاروا لأنفسهم ـ كما كانوا يختارون الكفر خوفاً من الاختطاف ـ، «والخيرة» اسم من الاختيار، أُقيم مقام المصدر، ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي أنزّه الله تنزيهاً عن أن يكون أعطى الاختيار بيد الناس ـ حتَّى يعملوا كيفما يشاؤون ـ ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾ أي ترفَّع، والمعنى أنه أرفع ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. انتهى.

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٠.

(٢) تقريب القرآن: ج٤، ص١٧١ ـ ١٧٢.

كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ[١٠٠]﴾ [الأحزاب: ٣٦] الْآيَةَ، وَقَالَ: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ[١٠١]﴾ [القلم: ٣٦-٤١].

---

[١٠٠] (الخيرة من أمرهم):

﴿وَمَا كَانَ﴾ لا يجوز ﴿لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى﴾ أي حكم ﴿ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾ أي حكماً سواء كان أمراً أم نهياً ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ الاختيار بخلاف أمر الله والرسول ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ أي من جهة أمر أنفسهم ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بمخالفة أوامرهما ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ واضحاً.

[١٠١] (إن كانوا صادقين):

أي لا مستند لهم في دعواهم بأنَّ الاختيار بيدهم، لأنَّ المستند أحد أمور خمسة: إمَّا عقل أو نقل أو وعد أو تقليد أو شركاء، والثلاثة الأولى لا توجد، والأخيران باطلان.

١ ـ ﴿مَا لَكُمْ﴾ استفهام إنكاري ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ حكماً باطلاً لا يرتضيه عقل.

٢ ـ ﴿أَمْ﴾ ـ منقطعة للإضراب وتتضمن معنى الاستفهام الإنكاري ـ ﴿لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾ سماوي نزل على الأنبياء السابقين ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ أي تقرأون: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ﴾ في الكتاب ﴿لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ أي لكم ما تختارونه.

٣ ـ ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ﴾ أي عهود ومواثيق مؤكَّدة بالأيمان ﴿بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي مؤكَّدة توكيداً شديداً، أو بمعنى أنَّ العهود لكم جيلاً بعد جيل حتى قيام الساعة، وتلك العهود: ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ به لأنفسكم.

٤ ـ ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ﴾ أي بأنَّ لهم ما يتخيَّرون وما يحكمون ﴿زَعِيمٌ﴾ كفيل، فهم في ذلك يتبعونه.

٥ ـ ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ﴾ في هذا القول، أو آلهة وعدوهم هذا الوعد

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ[١٠٢]﴾ [محمد: ٢٤]، أَمْ طَبَعَ اللَّهُ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ[١٠٣]﴾ [التوبة: ٨٧]، أَمْ ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا

﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ في يوم القيامة - وهذا استهزاء بهم - ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ في ما ادَّعوه.

الفصل الرابع
سبب تركهم للإمام الحق

ثمَّ بيَّن الإمام الرِّضا عليه السلام، أنَّ سبب ترك المخالفين للإمام الحق، ليس هو عدم الاستبصار ولا لنقصان الحجَّة ولا عدم بلوغها، بل السبب هو قفل القلوب، والطبع عليها، وعدم السماع، وعدم استعمال العقول، والعصيان.

[١٠٢] (أم على قلوب أقفالها):

في تقريب القرآن(١): ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ هؤلاء المنافقون ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ ليفهموا أنَّ الله جازى المخالفين في الأُمم السابقة بعقاب الدُّنيا وعذاب الآخرة، لعلَّهم يرتدعون عن غيّهم، ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ﴾ قلوبهم ﴿أَقْفَالُهَآ﴾ فلا يمكنهم التدبُّر؟ أي: يقدرون فلا يتدبَّرون، أم لا يقدرون؟ وهذه عبارة بلاغية تُقال في مورد كناية عن أنَّ الطرف معاند لا ينفع معه الوعظ والإرشاد، كما يُقال لمن سقط في البئر: «هل غمضت عينيك أم أنت أعمى»، ولعلَّ تنكير «قلوب» لأجل إفادة ابتعادها حتَّى كأنَّها نكرة، وإضافة الأقفال إليها: لبيان أنَّ للقلوب أقفالاً خاصَّة، هي التعامي والعناد، ممَّا يُسبِّب عدم نفاذ العلم والفضيلة فيها.

[١٠٣] (فهم لا يفقهون):

هذا الكلام من الإمام عليه السلام اقتباس من آيات القرآن، كقوله تعالى:

---

(١) تقريب القرآن: ج٥، ص١٦٥.

وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ[١٠٤]﴾ [الأنفال: ٢١-٢٣]،

﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١]، وقوله: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[٢]، وإنَّما طبع الله على قلوبهم لتعديهم حدود الله بسوء اختيارهم، كما قال: ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[٣].

[١٠٤] (وهم معرضون):

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ حيث إنَّ المؤمنين هم المنتفعون بهذا الخطاب فلذا خصَّه بهم، مع أنَّ الإطاعة واجبة على الجميع، ﴿وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾ أي لا تُعرضوا عن الرسول ﷺ ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ أوامره ونواهيه، ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ كاليهود والمنافقين ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي لا يعملون بما سمعوا، فمع أنَّ الكلام قرع أسماعهم لكنَّهم تركوه عمداً، فإنَّ هؤلاء أسوأ من الحيوانات إذ ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ﴾ العالِم بكلّ الموجودات، هم الكفَّار الذين هم ﴿ٱلصُّمُّ﴾ الذين لا يسمعون سماع تفهُّم ﴿ٱلْبُكْمُ﴾ الذين لا ينطقون بالحق ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي لا يستعملون عقولهم، ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ أي أزال الأغشية عن قلوبهم لكي يقبلوا الحق، لكنَّ الله علم أنَّ لا خير فيهم بسوء اختيارهم فهم معاندون حتَّى وإن زالت أغشية قلوبهم، ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ بإزالة الأغشية ﴿لَتَوَلَّوا۟﴾ أي أعرضوا عن الحق بأجسامهم ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ بقلوبهم.

والحاصل: أنَّ هناك:

١ ـ سماعاً بمعنى قرع الكلام للآذان، وهذا حاصل للكل ـ من المؤمنين والمنافقين ـ.

---

(١) سورة التوبة: الآية ٩٣.

(٢) سورة التوبة: الآية ٨٧.

(٣) سورة يونس: الآية ٧٤.

أَمْ ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا[١٠٥]﴾ [البَقَرَة: ٩٣]، بَلْ هُوَ ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ[١٠٦] يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

فَكَيْفَ لَهُمْ بِاخْتِيَارِ الْإِمَامِ؟! وَالْإِمَامُ عَالِمٌ لَا يَجْهَلُ، وَرَاعٍ لَا

---

٢ ـ وسماعاً بمعنى إزالة الغشاوة عن القلوب، وهذا خاص بالمؤمنين.

٣ ـ طهارة القلوب ذاتاً ـ بسبب حسن الاختيار ـ.

فمن كان قلبه طاهراً أزال الله عنه الأغشية، فينتفع بما يقرع سمعه، ومن كان قلبه رجساً ـ بسوء اختياره ـ فلا ينفعه إزالة الغشاوة، بل حتَّى لو أزال الله غشاوة قلبه فإنَّه يبقى على رجسه، ولا ينتفع بما يقرع سمعه.

[١٠٥] (سمعنا وعصينا):

أي سمعوا كلام الله ورسوله في تعيين الإمام لكنَّهم عصوه، قلنا: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ من الأحكام ﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي بتأكيد وشدَّة، ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ سماع طاعة وانقياد، لكنَّهم ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك.

[١٠٦] (بل هو فضل الله):

أي بل الإمامة فضل من الله، وليست اختياراً من الناس.

الفصل الخامس
اختصاص آل محمَّد بالإمامة

بعد أن بيَّن الإمام الرِّضا عليه السلام جملة من الأُمور المرتبطة بالإمام والإمامة بشكل كلّي، أراد عليه السلام أن يبيِّن أشخاص الأئمَّة عليهم السلام، وأنَّ الإمامة ـ بعد الرسول صلى الله عليه وآله ـ خصَّها الله تعالى بآل محمَّد عليهم السلام.

وكان الإمام الرضا عليه السلام قد بيَّن ذلك إجمالاً في قوله: (أتظنون أنَّ ذلك يوجد في غير آل الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله)، وهنا أراد عليه السلام التفصيل في الأوصاف ـ في العلم والعبادة والعمل والنسب والحسب وغيرها ـ بحيث لا تنطبق الإمامة إلَّا على أئمَّة الهدى من آل محمَّد عليهم السلام.

يَنْكُلُ[١٠٧]**، مَعْدِنُ**[١٠٨] **الْقُدْسِ وَالطَّهَارَةِ**[١٠٩]**، وَالنُّسُكِ وَالزَّهَادَةِ**[١١٠]**،**

---

[١٠٧] (راع لا ينكل):

«عالم لا يجهل» هذا في الجانب العلمي، فهو يعلم كلّ ما تحتاج إليه الأُمَّة، و«راع لا ينكل» هذا في الجانب الإداري أي يقود الأُمَّة بلا ضعف وجبن.

[١٠٨] (معدن):

أي كما أنّه مُتَحَلٍّ بالعلم والرعاية كذلك هو منشأ للخيرات كالعبادة والعلم ونحوها.

[١٠٩] (القدس والطهارة):

في المرآة(١): «القدس» ـ بالضم وبضمتين ـ وهو البراءة من العيوب، و«الطهارة» وهي البراءة من الذُّنوب، ويمكن أن يكون القدس في المعنويات والطهارة في الأعم.

[١١٠] (النسك والزهادة):

لعلَّ المراد بالنسك ـ هنا ـ: صفاء النفس وخلوصها(٢)، و«الزهادة» عدم تعلُّق القلب بالدُّنيا والرغبة عنها.

ولا يخفى التناسب في اقتران هذه الفقرات، فـ (القدس والطهارة) للدلالة على الابتعاد عن الرجس، و(النسك والزهادة) للدلالة على عدم التعلُّق بالدُّنيا، و(العلم والعبادة) متلازمان فالعلم الحق يدعو إلى العبادة كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾(٣).

---

(١) المرآة: ج٢، ص٣٩٤.

(٢) «النُسُك» يطلق على العبادة والطاعة، كما أنّه جمع النسيكة أي الذبيحة، وقيل: هو مأخوذ من النسيكة بمعنى سبيكة الذهب المصفاة كأنّه صفى لله نفسه، وقد شرحناه حسب المعنى الأخير وهو الأنسب ـ لكي لا يكون تكرار في العبارة ـ

(٣) سورة فاطر: الآية ٢٨.

وَالْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ، مَخْصُوصٌ بِدِعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ[١١١]، وَنَسْلِ الْمُطَهَّرَةِ الْبَتُولِ[١١٢]، لَا مَغْمَزَ فِيهِ فِي نَسَبٍ[١١٣]، وَلَا يُدَانِيهِ ذُو حَسَبٍ[١١٤]، فِي

[١١١] (مخصوص بدعوة الرسول ﷺ):

«الدِّعوة» ـ بكسر الدال ـ بمعنى ادعاء النسبة ـ كما في المفردات(١) ـ، فلا أحد يدعي النسب إلى رسول الله ﷺ إلّا ذرّية فاطمة عليها السلام، وقد قال ﷺ: «كلّ حسب ونسب منقطع يوم القيامة إلّا حسبي ونسبي»(٢). أو هو من الدعوة بفتح الدال لأنه عليه السلام خصّهم بأدعية خاصّة كقوله: (انصر مَن نصره واخذل مَن خذله)(٣)

[١١٢] (المطهَّرة البتول):

«البتول» من التبتل، بمعنى الانقطاع في العبادة وإخلاص النيَّة، كما قال تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾(٤)، وكذا الانقطاع عمَّا تراه النساء من الدم.

[١١٣] (لا مغمز فيه في نسب):

«الغمز» الإشارة بالجفن أو اليد طلباً للعيب، والمغمز: اسم مكان أو مصدر، وآباء الرسول ﷺ والأئمَّة وكذا أُمَّهاتهم طاهرو المولد مبرئون من العهر إلى آدم عليه السلام، عكس بعض خلفاء الجور، كما عرّض أمير المؤمنين عليه السلام بمعاوية حين كتب إليه: (ولا الصريح كاللصيق)(٥).

[١١٤] (ولا يدانيه ذو حسب):

الحسب: هو ما يحسب للإنسان من فضائله ومكارمه، فالنسب غير اختياري والحسب اختياري.

(١) المفردات: ص٣١٥.
(٢) بحار الأنوار: ج٦، ص٣١٩.
(٣) بحار الأنوار: ج٣٧، ص١٤٩.
(٤) سورة المزمل: الآية ٨.
(٥) نهج البلاغة: الكتاب ١٧.

الْبَيْتِ مِنْ قُرَيْشٍ[١١٥]، وَالذِّرْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ[١١٦]، وَالْعِتْرَةِ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ[١١٧]، وَالرِّضَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١١٨]، شَرَفُ الْأَشْرَافِ، وَالْفَرْعُ مِنْ عَبْدِ مَنَافٍ[١١٩]، ....

[١١٥] **(في البيت من قريش)**:

كما روت العامَّة ذلك أيضاً في صحاحهم عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش»(١).

[١١٦] **(الذروة من هاشم)**:

«الذروة» ـ بالضم والكسر ـ: أعلى الشيء، أي أفضل ذرّية هاشم، فعبد المطّلب أفضل من إخوته، وعبد الله وأبو طالب أفضل من سائر إخوتهم، والإمام علي عليه السلام أفضل من إخوته، وهكذا.

وفي المرآة(٢): «قيل: المراد أن يكون من فاطمة المخزومية، أُمّ عبد الله وأبي طالب والزبير».

[١١٧] **(العترة من الرسول ﷺ)**:

«العترة»: أخصّ أقارب الرجل، وعترة النبي ﷺ هم فاطمة عليها السلام، والإمام علي عليه السلام وأولادهما عليهم السلام.

[١١٨] **(الرِّضا من الله عزَّ وجلَّ)**:

أي المرضي منه تعالى، ولعلَّ ذكر هذا المقطع ـ هنا ـ لأنَّه لما ذكر نسبه إلى الرسول، أراد ذكر ارتباطه بالله تعالى، فأقرب ما يكون الرجل إلى الرسول ﷺ حينما يكون من عترته، وأقرب ما يكون إلى الله حين مرضاة الله عنه.

[١١٩] **(الفرع من عبد مناف)**:

«شرف الأشراف» أي أعلى من كلّ شريف ـ وهو عالي النسب أو الحسب ـ، «الفرع من عبد مناف» فرع كلّ شيء أعلاه.

---

(١) رواه البخاري ـ في الصحيح عندهم ـ ج٨، ص١٢٧.

(٢) المرآة: ج٢، ص٣٩٥.

نَامِي الْعِلْمِ، كَامِلُ الْحِلْمِ[١٢٠]، مُضْطَلِعٌ بِالْإِمَامَةِ[١٢١]، عَالِمٌ

ثمَّ اعلم لعلَّ التأكيد على هذه الأوصاف لإخراج خلفاء الجور أو من أدَّعِي لهم الإمامة، فالذروة من هاشم لإخراج بني عبَّاس، والفرع من عبد مناف لإخراج يني أمية لأنَّهم ينتسبون إلى عبد شمس بن عبد مناف، والعترة من الرسول لإخراج غير أقربائه، ونسل المطهَّرة البتول لإخراج مثل محمَّد ابن الحنفية حيث ادَّعت الكيسانية إمامته.

كما أنَّ ترتيب الأوصاف هذه لرعاية السجع ليكون أبلغ، وأمَّا لو أريد ترتيب هذه الأوصاف خارجاً فيكون: البيت من قريش ثمَّ الفرع من عبد مناف ثمَّ الذروة من هاشم، ثم دِعوة الرسول ـ أي ادعاء النسبة إليه ـ، ثمَّ عترته، ثمَّ نسل المطهَّرة البتول، بدءاً من الوصف الأعم وانتهاءً بالأخص.

وفي نهج البلاغة[١] في كتاب له إلى معاوية: «وأما قولك: إنَّا بنو عبد مناف، فكذلك نحن، ولكن ليس أميَّة كهاشم، ولا حرب كعبد المطّلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق، ولا المُحِقّ كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل، ولبئس الخلف خلفٌ يتبع سلفاً هوى في نار جهنَّم...).

[١٢٠] **(نامي العلم كامل الحلم):**

أي علمه في زيادة باستمرار، وستأتي أحاديث أنَّهم يزدادون وأنَّهم محدثون وغيرها، «كامل الحلم» أي العقل، فالمراد أنَّ عقلهم كامل لا يتصوَّر فوقه شيء، وأمَّا علمهم فهو في ازدياد بفضل الله تعالى عليهم، وهذا لا ينافي علمهم بما كان وما يكون وما هو كائن، وذلك لأنَّ العلم لا ينحصر فيها بل هو أعمّ، وأيضاً لاحتمال البداء فيها.

[١٢١] **(مضطلع بالإمامة):**

أي يقوى عليها، فيقوم بأعبائها بأتمّ وجه.

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ١٧.

بِالسِّيَاسَةِ[١٢٢]، مَفْرُوضُ الطَّاعَةِ، قَائِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١٢٣]، نَاصِحٌ لِعِبَادِ اللَّهِ، حَافِظٌ لِدِينِ اللَّهِ[١٢٤].

إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَئِمَّةَ ـ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِم ـ يُوَفِّقُهُمُ اللَّهُ[١٢٥] وَيُؤْتِيهِمْ

---

[١٢٢] (عالم بالسياسة):

أي بقيادة الأُمَّة، من ساس الدابة إذا قام بما يُصلح شأنها.

[١٢٣] (قائم بأمر الله):

أي المتكفل بتنفيذ إرادة الله تعالى، أو بمعنى مراعاته لكلّ ما يرتبط بالله عزَّ وجلَّ من أُمور العباد والبلاد.

[١٢٤] (حافظ لدين الله):

هذا المقطع من قوله: (نامي العلم...) فيه إشارة إلى ثلاثة أُمور:

١ ـ إنَّه جدير بالإمامة، لعلمه وعقله وحسن إدارته، وهذا يرتبط بالإمام بشخصه.

٢ ـ إنَّ طاعته واجبة، وهذا يرتبط بوظيفة الناس تجاهه.

٣ ـ إنَّه متكفل لما يرتبط بالله تعالى من أمره ودينه وعباده.

الفصل السادس

فضائل الإمام بفضل من الله تعالى

ثمَّ أكَّد الإمام الرِّضا عليه السلام على أنَّ ما يتحلَّى به الإمام من صفات ـ تجعله قابلاً للإمامة ـ إنَّما هو بفضل من الله تعالى، وهذا الفضل خصَّه الله بمن اختارهم واصطفاهم من خلقه، وكذلك الأنبياء عليهم السلام، اصطفاهم الله وخصَّهم بالعلم والحكمة ونحوها.

[١٢٥] (يوفِّقهم الله):

«التوفيق» تجمع الأسباب وصيرورة بعضها وفق بعض لتحقُّق الأمر الحسن كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾(١).

---

(١) سورة هود: الآية ٨٨.

مِنْ مَخْزُونِ عِلْمِهِ وَحِكَمِهِ مَا لَا يُؤْتِيهِ غَيْرَهُمْ[١٢٦]، فَيَكُونُ عِلْمُهُمْ فَوْقَ عِلْمِ أَهْلِ الزَّمَانِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى[١٢٧]: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ[١٢٨]﴾ [يُونس: ٣٥]، وَقَوْلِهِ تَبَارَكَ

---

[١٢٦] (ما لا يؤتيه غيرهم):

«مِن» إمَّا نشوية فالمعنى يؤتيهم الله ما لا يؤتي غيرهم ومنشأ ذلك علم الله وتقديره، فهو لعلمه بالأصلح وتقديره وقضائه آتاهم ما لم يعطه لغيرهم.

وإمَّا تبعيضية فتكون «من مخزون علمه وحكمه» مفعول، أي يعطيهم الله بعضاً من علمه المخزون وحكمه، ف «حكمه» على الأوَّل: بمعنى التقدير والقضاء، وعلى الثاني: بمعنى الحكمة أو بمعنى الولاية كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(١).

و«المخزون» أي المحفوظ عنده لم يطلع عليه إلَّا من يشاء الله تعالى.

[١٢٧] (في قوله تعالى):

أي هذا المطلب ـ وهو أنَّهم فوق أهل زمانهم علماً وحكمة ـ مذكور في هذه الآيات.

والآية الأولى: في العلم، لأنَّ الهداية لا تكون إلَّا من العالم بالرشد من الغي.

والثانية: في الحكمة، وأنَّها عطاء من الله تعالى لهم عليهم السلام.

والثالثة: للدلالة على أنَّ الله يصطفي الأفضل، ولا شكَّ أنَّ من له العلم والحكمة هو أفضل من غيره، فيكون أحق بالاصطفاء.

والرابعة: في فضل الله تعالى على الرسول صلى الله عليه وآله وإنزال العلم والحكمة عليه.

والخامسة: في فضله تعالى على الإمام علي والأئمَّة عليهم السلام.

[١٢٨] (كيف تحكمون):

قال العلَّامة المجلسي رضوان الله عليه: الآية صريحة في أنَّ المتبوع يجب أن يكون أعلم من التابع، وأنَّه لا بدَّ أن يكون الإمام غير محتاج

---

(١) سورة يوسف: الآية ٢٢.

وَتَعَالَى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا[١٢٩]﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وَقَوْلِهِ فِي طَالُوتَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ[١٣٠]﴾ [البقرة: ٢٤٧]،

إلى الرعية في علمه، ولا ريب أنَّ غير أمير المؤمنين عليه السلام من الصحابة لم يكونوا كذلك(١).

﴿قُلْ هَلْ﴾ استفهام إنكاري ﴿مِن شُرَكَآئِكُم﴾ كالأصنام ﴿مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾؟ وحيث يعجزون عن الجواب ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾، ثم بيَّن الله تعالى القاعدة العقلية العامَّة ـ التي يعرفها كلّ إنسان بفطرته ـ ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ﴾ أولى ﴿أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ﴾ أي لا يهتدي ﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ أي بأن يهديه غيره، فالعالم الذي يرشد إلى الحق أولى بالاتباع أم الجاهل الذي يحتاج إلى الهداية؟ ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ حكماً خلاف عقولكم؟

و«يَهِدّي» من اهتدى يهتدي من باب الافتعال، قُلبت التاء دالاً للتخفيف ـ جوازاً ـ وأُدغمت الدالان، ثمَّ حرّكت الهاء دفعاً لالتقاء الساكنين، وفي الفعل الماضي استغني عن همزة الوصل ـ لحركة الهاء ـ فقيل: هِدّىٰ، يَهِدّي.

[١٢٩] (خيراً كثيراً):

قال تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(٢) ولعلَّ وجه الاستدلال أنَّ الذي آتاه الله الحكمة هو فوق أهل زمانه. فالآية السابقة حول أنَّهم فوق أهل زمانهم من جهة العلم، وهذه الآية حول أنَّهم فوق أهل زمانهم حكمةً.

[١٣٠] (واسعٌ عليم):

﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾ للملأ من بني إسرائيل بعد موسى ﴿نَبِيُّهُمْ﴾ إشموئيل ـ بالعبرية وإسماعيل بالعربية ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ﴾ أي عيَّن عليكم ﴿طَالُوتَ﴾ من ذرِّية «بنيامين» ﴿مَلِكًا قَالُوٓاْ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لَهُ

---

(١) مرآة العقول: ج٢، ص٣٩٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٩.

وَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا[١٣١]﴾ [النساء: ١١٣]، وَقَالَ فِي الْأَئِمَّةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ

﴿ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ لأنّا أسباط النُّبوَّة والمملكة، فقد كانت النُّبوَّة في ذرِّية لاوي بن يعقوب، والملك في ذرِّية يهوذا بن يعقوب، ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ﴾ فهو فقير والمملكة بحاجة إلى مال، ﴿قَالَ﴾ إشموئيل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾ وهذا جواب تعبُّدي، أي عليكم أن تقبلوا بما اختاره الله أيّاً كان، ثُمَّ إنَّ هنا جواباً آخر وهو جواب تعليلي ـ لبيان علَّة اصطفائه دونهم ـ، فقال: ﴿وَزَادَهُۥ﴾ الله ﴿بَسْطَةً﴾ أي سعة ﴿فِى ٱلْعِلْمِ﴾ والمَلِك يحتاج إلى علم ليتمكَّن من إدارة المملكة ﴿وَٱلْجِسْمِۖ﴾ لتكون له هيبة وشجاعة، وهذان ـ سعة العلم والجسم ـ من مقوِّمات المُلك، لا المال، فإنَّهما يأتيان بالمال وليس العكس، ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ﴾ فليس كونه من ذرِّية بنيامين نقصاً، إذ كما أتى الله الملك في سبط يهوذا وأتى النُّبوَّة في سبط لاوي، كذلك يؤتي الملك حالاً في سبط بنيامين، ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ عطاءً فيهب الملك لمن يشاء ويغني الفقير ﴿عَلِيمٌ﴾ بمصالح العباد فلا يأمر بشيء اعتباطاً بل عن علم وحكمة.

في المرآة(١): فدلَّت الآية على أنَّ الاصطفاء وإيتاء الملك الحق إنَّما يكون من الله وتعيينه، وأنَّ مناط الاصطفاء شيئان: العلم والجسم، ومعلوم أنَّ الجسم غير مقصود بنفسه، بل لكونه ملزوماً للشجاعة والمهابة عند العدو، فدلَّت على أنَّ الإمام لا بدَّ أن يكون أعلم وأشجع من جميع الأُمَّة، ولا ريب أنَّ كلّاً من أئمَّتنا ﵈ كانوا أعلم وأشجع ممَّن كان في زمانهم من المدّعين للخلافة.

[١٣١] (فضل الله عليك عظيماً):

﴿وَ﴾ كيف يحاولون إضلالك يا رسول الله، والحال أنَّه ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ

---

(١) المرآة: ج٢، ص٣٩٧.

نَبِيِّهِ وَعِتْرَتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ ـ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِم ـ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا[١٣٢]﴾ [النساء: ٥٤-٥٥].

عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ فتعلم أحكام الشرع كاملاً، ﴿وَعَلَّمَكَ﴾ من أحوال الناس وأمورهم ﴿مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ﴾ لولا تعليمه تعالى إيَّاك، ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾، حيث تعلم الأحكام، وتعلم القضايا الخارجية، فحفظك الله من أن تُخدع وتُضلّ.

[١٣٢] (بجهنّم سعيراً):

سيأتي في الباب التالي أنَّ المحسودين في هذه الآية رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام.

﴿أَمْ﴾ منقطعة ـ بمعنى بل ـ، ﴿يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ محمَّداً وآله عليه وعليهم الصلاة والسلام، ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۖ﴾ النُّبوَّة في محمَّد ﷺ والإمامة في علي وذرِّيته عليهم السلام، فما وجه الحسد؟ مع أنَّ بيت محمَّد ﷺ وعلي عليه السلام هو بيت النُّبوَّة والملك ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي إبراهيم وآله عليهم السلام ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي الكتب السّماويَّة ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي علم الشريعة ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ أي سلطة دينية ودنيوية ﴿فَمِنْهُم﴾ من أهل الكتاب أو عامَّة الناس ﴿مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ بإبراهيم أو بمحمَّد ﷺ ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ﴾ عن إبراهيم أو محمَّد أو عن الإيمان به ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ ناراً مشتعلة، بل سيُلاقون أشدّ المجازاة.

خلاصة الكلام

ثمَّ إنَّ الإمام الرِّضا عليه السلام لخَّص ما ذكره، وأكَّد أنَّ الإمام:

١ ـ اختيار من الله تعالى.

٢ ـ أنَّ الله يصطفيه ويتفضَّل عليه بالعلم والحكمة والعصمة. . .الخ.

٣ ـ أنَّ هذا الفضل لا يمكن لأحد أن يكسبه، ولا أحد ممَّا يختاره

وَإِنَّ الْعَبْدَ[١٣٣] إِذَا اخْتَارَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأُمُورِ عِبَادِهِ[١٣٤]، شَرَحَ صَدْرَهُ لِذَلِكَ[١٣٥]، وَأَوْدَعَ قَلْبَهُ يَنَابِيعَ الْحِكْمَةِ، وَأَلْهَمَهُ الْعِلْمَ إِلْهَاماً[١٣٦]، فَلَمْ يَعْيَ بَعْدَهُ[١٣٧] بِجَوَابٍ، وَلَا يُحَيَّرُ فِيهِ عَنِ الصَّوَابِ[١٣٨]، فَهُوَ مَعْصُومٌ مُؤَيَّدٌ[١٣٩]،

الناس ـ دون إرادة الله تعالى ـ يتحلّى بهذه الأوصاف.

٤ ـ أنّهم بتركهم ما اختاره الله، قد ضلّوا ونبذوا الكتاب، وأنّه تعالى غضب عليهم.

[١٣٣] (إنّ العبد):

تأكيد على أنّ الأئمّة عليهم السلام عبيد لله تعالى، وكل ما لهم فهو من فضله عليهم.

[١٣٤] (لأمور عباده):

أُمورهم الدينية بتبليغ الأحكام وبيانها، والدنيوية بالحكم عليهم، فإنَّ الإمامة رئاسة في الدِّين والدُّنيا.

[١٣٥] (شرح صدره لذلك):

أي جعل له القابلية «لذلك» أي لأُمور عباده، فإنَّ كثيراً من العلوم لا يتحمَّلها الناس، وكثير من القضايا تصعب عليهم.

[١٣٦] (إلهاماً):

«الإلهام» الإلقاء في الروع.

[١٣٧] (فلم يعي بعده):

«العَيّ»: العجز، «بعده» بعد الشرح والإيداع والإلهام، أو بعد الاختيار.

[١٣٨] (عن الصواب):

أي لا يتحيَّر «فيه» في الجواب.

[١٣٩] (مؤيّد):

«التأييد» بمعنى التقوية.

مُوَفَّقٌ مُسَدَّدٌ[١٤٠]، قَدْ أَمِنَ مِنَ الْخَطَايَا وَالزَّلَلِ وَالْعِثَارِ[١٤١]، يَخُصُّهُ اللَّهُ بِذَلِكَ[١٤٢]، لِيَكُونَ حُجَّتَهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَشَاهِدَهُ عَلَى خَلْقِهِ، و﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

فَهَلْ يَقْدِرُونَ عَلَى مِثْلِ هَذَا[١٤٣] فَيَخْتَارُونَهُ؟! أَوْ يَكُونُ مُخْتَارُهُمْ بِهَذِهِ

---

[١٤٠] (مسدَّد):

«التسديد» الاستقامة، وهو في الأصل بمعنى ما يُسدُّ به الثغر.

[١٤١] (والعثار):

«الخطايا»: الذُّنوب، و«الزلل»: الذنب من غير قصد، و«العثرة»: الخطأ، فهو معصوم من تعمُّد الذنب، ومن الخطأ في الذنب، ومن الخطأ في سائر الأمور.

[١٤٢] (يخصّه الله بذلك):

أي بالعصمة والتأييد. . .الخ، إنَّما يخصّه بذلك لجهتين:

الأولى: إنَّه الحجَّة على العباد، يقتدون ويتأسون به، وكيف يمكن التأسي بمن يُذنب، أو الاقتداء بمن يُخطىء؟

الثانية: إنَّه شاهد على الخلق كما قال تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾(١)، ولا بدَّ من أمن الشاهد عن الخطأ وإلَّا أمكن ردّ شهادته أو الاحتجاج بأنَّه يُخطىء فكيف تُقبل شهادته!! مع أنَّه لله الحجَّة البالغة.

[١٤٣] (على مثل هذا):

أي هل يمكنهم أن يوجدوا في أنفسهم العصمة والتأييد. . .الخ ليستحقوا الإمامة، والاستفهام إنكاري، أي لا يقدرون على ذلك، «فيختارونه» أي فيختارون من أوجد هذه الصفات في نفسه.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

الصِّفَةِ فَيُقَدِّمُونَهُ[١٤٤]!! تَعَدَّوْا ـ وَبَيْتِ اللَّهِ ـ الْحَقَّ[١٤٥]، وَنَبَذُوا كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ[١٤٦]، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ الْهُدَى وَالشِّفَاءُ[١٤٧]، فَنَبَذُوهُ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ، فَذَمَّهُمُ اللَّهُ وَمَقَّتَهُمْ وَأَتْعَسَهُمْ[١٤٨] فَقَالَ جَلَّ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ

---

[١٤٤] (فيقدّمونه):

أي وهل يتعدَّد من توجد فيه هذه الصفات حتى يتركوا من اختاره الله إلى ذلك الشخص؟

[١٤٥] (تعدوا ـ وبيت الله ـ الحق):

أي تجاوزوا عن الحق إلى الباطل، «وبيت الله» قسماً بالكعبة.

[١٤٦] (كأنَّهم لا يعلمون):

تضمين لقوله تعالى: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١)، والنبذ وراء الظهر كناية على عدم الاعتناء.

[١٤٧] (الهدى والشفاء):

أي والحال أنَّ في كتاب الله الهدى والشفاء، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾(٢).

[١٤٨] (وأتعسهم):

«الذم»: اللوم، و«المقت»: البغض الشديد، «التعس»: الانحطاط والهلاك، وفي المفردات(٣): أن لا ينتعش من العثرة وأن ينكسر في سفال.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٩٩.

(٢) سورة فصلت: الآية ٤٤.

(٣) المفردات: ص١٦٦.

أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ[١٤٩]﴾ [القَصَص: ٥٠]، وَقَالَ: ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ[١٥٠]﴾ [محمَّد: ٨]، وَقَالَ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ[١٥١]﴾ [غافر: ٣٥].

---

[١٤٩] (القوم الظالمين):

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ﴾ استفهام إنكاري ﴿أَضَلُّ﴾ أكثر ضلالاً ﴿مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ قيل: التقييد بقوله: (بغير هدى) لأنَّ هوى النفس قد يوافق الحق، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالعناد واتباع الهوى فلم تكن لهم القابلية للهداية ـ بسوء اختيارهم ـ.

[١٥٠] (وأضلَّ أعمالهم):

﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ في الدُّنيا، وهذا دعاء عليهم بالانحطاط والهلاك، ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي ضيَّع أعمالهم الصالحة لأنها تُحبط ولا فائدة فيها، أو بمعنى الدُّعاء عليهم بأن لا يصلوا إلى مقصودهم من أعمالهم، وهؤلاء وإن كانوا يصلون إلى بعض أهدافهم في الدُّنيا، لكن لا يصلون إلى مرادهم الأصلي، وأمَّا في الآخرة فيتحوَّل عملهم إلى هباء منثور.

[١٥١] (متكبِّر جبَّار):

في تبيين القرآن(١): ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ أسرف على نفسه بأن تعدَّى بها عن الطريق الوسط ﴿مُّرْتَابٌ﴾ شاكٌ في دينه، ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ﴾ دفع وإبطال ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أدلَّته وأحكامه ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْۖ﴾ بغير حجَّة جاءتهم في دفع الآيات، بل عناداً، ﴿كَبُرَ﴾ عملهم ﴿مَقْتًا﴾ وغضباً ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ فإنَّ الله يمقتهم مقتاً شديداً ﴿وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ﴾، هكذا ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾ ومعنى الطبع: كونه مطبوعاً ومختوماً ـ بسوء

---

(١) تبيين القرآن: ص٤٨٤.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ غَالِبٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي خُطْبَةٍ لَهُ يَذْكُرُ فِيهَا حَالَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام وَصِفَاتِهِمْ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْضَحَ بِأَئِمَّةِ الْهُدَى مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا عَنْ دِينِهِ[١]، ....

تصرُّفه وعناده ـ على الكفر، ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ﴾ عن قبول الحق ﴿جَبَّارٍ﴾ يجبر الناس ويظلمهم.

الحديث الثاني:

خلاصة الحديث:

يتكوَّن هذا الحديث الشريف عن عشرة فصول، تتحدَّث عن جوانب مختلفة من الإمامة والإمام.

تبدأ الخطبة بأنَّ الله أوضح الدِّين بالإمام، وإيمان لمن لم يعرف الإمام فلذا لا يذوق حلاوة الإيمان، وأنَّ الإمام عالم بالأُمور، وأنّه من ذرِّية الإمام الحسين عليه السلام، وأنَّ الله يهدي الناس بالإمام، وأنّه لا يكون أحد إماماً إلَّا باصطفاء الله تعالى، فيتحلَّى الإمام بصفات الكمال، ولا نقص في خَلقه ولا في خُلقه، إذ هو في رعاية الله تعالى، فإذا تقلَّد الإمامة أفاض الله عليه من العلم وفصل البيان وأسراره ما شاء، وقلَّده مناصب الدِّين كلّها، وأنّ الإمام يقوم بالمهمة المكلَّف بها خير قيام على النهج الذي سار فيه الأئمَّة السابقون عليهم السلام، وأنّ فيه الآيات الواضحات لا يجهله إلَّا الشقي ولا يعارضه إلَّا الجريء على الله تعالى.

أوّلاً: إيضاح الدِّين بالإمام

[١] **(عن دينه):**

«الإيضاح» بمعنى الكشف، أي كشف عن دينه، والباء في «بأئمة الهدى»

وَأَبْلَجَ بِهِمْ عَنْ سَبِيلِ مِنْهَاجِهِ[٢]، وَفَتَحَ بِهِمْ عَنْ بَاطِنِ يَنَابِيعِ عِلْمِهِ[٣]، فَمَنْ عَرَفَ[٤] مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَاجِبَ حَقِّ إِمَامِهِ[٥]، وَجَدَ طَعْمَ حَلَاوَةِ إِيمَانِهِ[٦]، ....

سببيّة، أي بواسطتهم.

[٢] **(سبيل منهاجه):**
«أبلج»: بمعنى أوضح، و«السبيل»: الطريق الذي فيه سهولة، و«المنهاج»: الطريق الواضح، وإضافة السبيل إلى المنهاج إضافة بيانية.
ولعلَّ الفرق بين الفقرتين: أنَّ (أوضح عن دينه...) بعلمهم وقولهم، و(أبلج...) بعملهم، فقولهم وفعلهم دليل إلى دين الله ومنهاجه.

[٣] **(ينابيع علمه):**
أي أظهر الله تعالى ما خفي عن علوم الدِّين بواسطة أئمَّة الهدى عليهم السلام، وفي بعض النسخ (منح)، وفي بعضها (ميّح) ومعناه في الأصل: نزول البئر وملء الدلو ماءً.

ثانياً: لا إيمان إلَّا بمعرفة حقّ الإمام

[٤] **(فمن عرف...):**
هذا نتيجة لما سبق، والمعنى: أنَّهم عليهم السلام الطريق إلى معرفة الدِّين، فمن عرف حقَّهم ـ ومن حقّهم إطاعتهم ـ فإنَّه يصل إلى الإيمان الحقيقي، فيجد حلاوته.

[٥] **(واجب حقّ إمامه):**
هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي حقّ إمامه الواجب، والمعنى: من عرف الحقوق الواجبة للإمام ـ كوجوب طاعته وولايته ونحو ذلك ـ.

[٦] **(حلاوة إيمانه):**
لأنَّ للإيمان حلاوة معنوية، لا يشعر بها إلَّا من استكمل إيمانه، وأمَّا من

وَعَلِمَ فَضْلَ طُلَاوَةِ إِسْلَامِهِ[٧]، لِأَنَّ اللَّهَ[٨] تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَصَبَ الْإِمَامَ عَلَماً لِخَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ حُجَّةً عَلَى أَهْلِ مَوَادِّهِ وَعَالَمِهِ[٩]، ....

لم يكمل إيمانه فبينه وبين الشعور بتلك اللذَّة المعنوية حاجب من نفسه.

ولعلَّ المعنى: رضا العبد بذلك الإيمان، بحيث لا يشعر بلذَّةٍ وحلاوةٍ فوقه، وفائدة الشعور بهذه الحلاوة هي مواصلة العبادة ورسوخ الإيمان.

[٧] **(طلاوة إسلامه):**

«الطلاوة» ـ مثلثة الطاء بالضم والكسر والفتح ـ: هي الحسن والبهجة، لأنَّ الإنسان قد لا يعلم قيمة ما يملك!! وهذا قد يفرِّط أو يضجر، وقد يعلم بفضل ما يملك فهذا يحافظ عليه ويبتهج به، والإسلام له حسن وبهجة، ومن عرف حقَّ الإمام يشعر بفضل ذلك الحسن وأهميته، فيترسَّخ فيه الإسلام ولا يتركه لأيِّ شيء آخر.

ثالثاً: بيان العلَّة

[٨] **(لأنَّ الله...):**

تعليل لقوله: (أوضح بأئمة...) وقوله: (وأبلج بهم...)، والمعنى: إنَّ الله جعل الإمام علماً وحجَّة و... وهذا هو سبب ربط بيان الدِّين والحق به عليه السلام.

أو تعليل لقوله: (وجد طعم حلاوة...) فالمعنى: جعل الإمام طريق الإيمان، ولا إيمان بدون معرفة حقِّه، ومن ذلك الحق إطاعته والاهتداء به، وحين ذاك يكون الإنسان مؤمناً، فيشعر بلذَّة الإيمان.

[٩] **(أهل موادّه وعالمه):**

«المواد» جمع مادة، وهي الزيادة المتصلة، والمراد الذين يصل إليهم فضل الله تعالى، و«عالمه» عطف تفسيري لأهل الموادّ، أو تعميم بعد تخصيص، بأن يكون المراد بأهل موادّه: المؤمنين الذين تصل إليهم الفيوضات المعنوية، وبعالمه: عامة العوالم.

وَأَلْبَسَهُ اللَّهُ[١٠] تَاجَ الْوَقَارِ، وَغَشَّاهُ مِنْ نُورِ الْجَبَّارِ[١١]، يَمُدُّ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ[١٢]، لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ مَوَادُّهُ[١٣]، وَلَا يُنَالُ[١٤] مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِجِهَةِ

---

[١٠] **(وألبسه الله تاج الوقار):**

«الوقار» مفارقة الطيش عند الغضب، وهو نتيجة للحِلم، وحجَّة الله قِمّة في الفضائل، ولأنَّه يُبتلى بجهل الجاهلين فلذا أحوج ما يكون إلى الحلم وما يرتبط به، ولذا ذكر الإمام الصادق عليه السلام الوقار من بين سائر الفضائل، وحينما يذكر القرآن الكريم إبراهيم عليه السلام يصفه بالحلم من بين كل الفضائل ـ ويقرب بين الحلم وبين التعبُّد لله تعالى ـ كقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾(١).

[١١] **(وغشّاه من نور الجبَّار):**

أي غمره بنوره، و«الجبَّار» من الجبر إمَّا بمعنى الإصلاح كجبر الكسر، وإمَّا بمعنى القهر والغلبة، فلعلَّ مناسبة هذه الصفة بالكلام هو أنَّ الله تعالى أصلح أُمور الناس بالإمام، أو أنَّه فرض عليهم إطاعته بلا اختيار منهم.

[١٢] **(يمدُّ بسبب إلى السَّماء):**

أي له وسيلة ارتباط بالسَّماء، فالله تعالى عصمه وألهمه ويحفظه وينصره. . .الخ، «يُمَدُّ» أي يوصل أو يُعان، أو «يَمُدُّ» أي يصل.

[١٣] **(لا ينقطع عنه مواده):**

أي لا ينقطع عن الإمام الفضل الإلهي، «مواده» مواد الإمام وهي الزيادات في التوفيق والعلم والإلهام ونحوها التي خصَّه الله تعالى بها.

[١٤] **(ولا ينال. . .):**

هذا كالنتيجة لما سبق، أي حيث كان الإمام عَلماً وحجَّة و. . .، فلذا لا

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١٤.

أَسْبَابِهِ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ إِلَّا بِمَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ عَالِمٌ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ مُلْتَبِسَاتِ الدُّجَى[١٥]، وَمُعَمِّيَاتِ السُّنَنِ[١٦]، وَمُشَبِّهَاتِ الْفِتَنِ[١٧]، فَلَمْ يَزَلِ

يمكن الوصول إلى ما أراده الله وإلى قربه تعالى إلّا عن طريق الإمام عليه السلام، فالتشريع عن طريقه، والوصول إلى الجنَّة كذلك عن طريقه، «أسبابه» أسباب الإمام، أي ما يبيِّنه الإمام ويوضِّحه.

رابعاً: علم الإمام عليه السلام

حيث إنَّ الله نصب الإمام عَلَماً، وحجَّة، وجعله السبب بينه وبين الناس، فلا بدَّ أن يكون عالماً بكلّ ما يحتاج إليه الناس حتَّى يوضِّح لهم الحقّ ويزيل الباطل.

[١٥] **(ملتبسات الدجى):**

«الالتباس» اختلاط الأمور، وشُبِّه الضلال بالظُّلمة، فالمعنى الإمام يعرف الباطل المختلط بالحقّ، فيميِّز بينهما، ويبيِّنه للناس.

[١٦] **(معمِّيات السُّنن):**

«المعمَّى» ما خفي من الأُمور، من العَمى بمعنى عدم الرؤية، فالسُّنن التي أخفاها الظالمون أو خفيت بسبب ترك العمل بها يعرفها الإمام ويبيِّنها للناس فهو محيي السُّنن.

[١٧] **(مشبهات الفتن):**

أي الفتن التي تشبِّه الباطل بالحقّ.

خامساً: إنَّهم من ذرِّية الإمام الحسين عليه السلام

ثمَّ بيَّن الإمام الصَّادق عليه السلام أنَّ هؤلاء الأئمَّة من ذرِّية الإمام الحسين عليه السلام، وأنَّ ذلك لم يكن باختيار الناس بل باختياره تعالى، ولذا فهو تعالى خلقهم مؤهلين للإمامة، متَّصفين بأوصافها بإرادة منه تعالى.

اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَخْتَارُهُمْ لِخَلْقِهِ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ عليه السلام[١٨] مِنْ عَقِبِ كُلِّ إِمَامٍ، يَصْطَفِيهِمْ لِذَلِكَ وَيَجْتَبِيهِمْ[١٩]، وَيَرْضَى بِهِمْ لِخَلْقِهِ وَيَرْتَضِيهِمْ، كُلَّ مَا مَضَى مِنْهُمْ إِمَامٌ[٢٠] نَصَبَ لِخَلْقِهِ مِنْ عَقِبِهِ إِمَاماً، عَلَماً بَيِّناً، وَهَادِياً نَيِّراً، وَإِمَاماً قَيِّماً[٢١]، وَحُجَّةً عَالِماً، أَئِمَّةً مِنَ اللَّهِ، يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ

---

[١٨] **(من ولد الحسين):**

لعلَّ الإمام الصَّادق عليه السلام خصَّ (ولد الحسين) بالذِّكر، مع أنَّ الإمامة في الإمام عليّ عليه السلام وأولاده، لأنَّه لا خلاف بين الأُمَّة في أنَّه لو كان إمام منصوب من الله فهو الإمام عليٌّ ثمَّ الإمام الحسن ثمَّ الإمام الحسين عليهما السلام، ولكن هناك من ادَّعيت الإمامة في ذرِّية الإمام الحسن عليه السلام، فأراد الإمام الصَّادق عليه السلام نفي هذا الادعاء وبيان بطلانه.

[١٩] **(يصطفيهم لذلك ويجتبيهم):**

الفرق أنَّ «الاصطفاء» هو إيجاده تعالى للشخص صافياً عن الشوب الموجود في غيره، و«الاجتباء» تخصيصه الشخص بفيض يتحصَّل له منه أنواع النِّعم بلا سعي من العبد(١).

[٢٠] **(كلَّما مضى منهم إمام):**

«منهم» أي من الأئمَّة من ذرِّية الحسين عليه السلام، فإنَّه لا تجتمع الإمامة ـ بعد الحسن والحسين عليهما السلام ـ في أخوين أبداً، ولتعدُّد أولاد الأئمَّة عليهم السلام ولادعاء بعض الناس إمامة بعضهم كإسماعيل، وعبد الله الأفطح وغيرهما، بيَّن الإمام الصَّادق عليه السلام الأوصاف التي لا تنطبق إلَّا على الإمام الحق في قوله: (علماً بيِّناً...الخ).

[٢١] **(عَلَماً... قيِّماً):**

١ ـ فالإمام (عَلَم) فيه من الأوصاف ما يدلُّ على أنَّها أثر الإمامة، فإنَّ (العَلَم): الأثر الذي يُعلم به الشيء.

---

(١) راجع مفردات الراغب: ص١٨٦، وص٤٨٨.

يَعْدِلُونَ[٢٢]، حُجَجُ اللَّهِ وَدُعَاتُهُ وَرُعَاتُهُ عَلَى خَلْقِهِ[٢٣]، يَدِينُ بِهَدْيِهِمُ

---

٢ ـ وهو عليه السلام (هادي) للحقّ، وهذه الهداية واضحة بيِّنة.

٣ ـ وهو (قيِّم) أي يتحرَّك حسب مصالح الدِّين فيراعيها، لأنَّ (القيِّم) هو المتولى على الشيء الذي يقوم بإصلاح أُموره.

٤ ـ وهو (عالم) لا يعجز عن جواب مسألة.

ولا يخفى المناسبة بين الصفة والموصوف في هذه الفقرات، فالعَلَم بيِّن، والهادي نيِّر لا يخفى، والإمام قيِّم، والحجَّة عالم إذ لا يكون الجاهل حجَّة.

[٢٢] **(وبه يعدلون):**

قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾(١) أي بالحقّ يعدلون، بمعنى يحكمون بالعدل بين الناس.

[٢٣] **(ودعاته ورعاته على خلقه):**

أي يحتجّ الله به على خلقه كما قال: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾(٢)، و«الدعاة» جمع داعي كما قال: ﴿أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾(٣)، و«الرعاة» جمع راعي أي القائم برعاية الشيء، فهم عليهم السلام حجج الله، ويدعون إليه، ويراعون أُمور خلقه لئلا ينحرفوا.

سادساً: أثر الإمام وفائدته

بعد أن بيَّن الإمام الصَّادق عليه السلام أوصاف الإمام، بيَّن فائدته عليه السلام وأنَّ ذلك من القضاء المحتوم الذي لا تبديل فيه ولا تغيير.

١ ـ عبادة الله تعالى عن طريقهم حصراً، فهم عليهم السلام الأدلَّاء على الله سبحانه.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨١.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٤٩.

(٣) سورة الأحقاف: الآية ٣١.

الْعِبَادُ[٢٤] وَتَسْتَهِلُّ بِنُورِهِمُ الْبِلَادُ[٢٥]، وَيَنْمُو بِبَرَكَتِهِمُ التِّلَادُ[٢٦]، جَعَلَهُمُ

٢ ـ عمران البلاد بهم.
٣ ـ نمو الأموال عن طريقهم.
٤ ـ الحياة المادية والمعنوية للعباد ترتبط بهم.
٥ ـ في ظلمات الفتن هم النُّور.
٦ ـ العلوم الإلٰهيَّة تنتشر عن طريقهم.
٧ ـ الإسلام يقوم بهم، ولولاهم لما بقي من الإسلام شيء.

ولا يخفى أنَّ هذه الأوصاف قد ترتبط بالأُمور الغيبيَّة، فكلّ ما نُشاهد من خيرات فقد أجراها الله تعالى عن طريقهم، وقد ترتبط بالسُّنن الطبيعيَّة بمعنى أنَّ طريقهم في الحياة سبب لهذه الأُمور، وكلَّما شاهدنا خللاً في بعض هذه الجهات فهي بسبب إقصائهم عن مراتبهم التي رتَّبهم الله فيها، كما أنَّ بين بعض هذه الصفات عموماً من وجه أو تلازماً.

[٢٤] **(يدين بهديهم العباد):**

«يدين» الانقياد لله تعالى، و«هديهم» إمَّا من (الهَدي) بمعنى الطريقة الحسنة ـ وهي السيرة ـ، وإمّا من (الهُدى) من الهداية.

[٢٥] **(وتستهل بنورهم البلاد):**

«الاستهلال» ـ هنا ـ بمعنى التلألؤ، ولعلَّ المراد أنَّهم سبب عمران البلاد، فإنَّهم يبيِّنون المنهج الصحيح، ومن سار على الطريقة الصحيحة فاز بعمران دياره، إذ بالحقّ تعمّر البلدان وبالجور تخرب.

[٢٦] **(ببركتهم التّلاد):**

«التلاد»: المال القديم، والمراد أنَّ بركتهم عامَّة جداً بحيث ينمو بها ما لا يرجى نموه، وفي المرآة[١]: ويحتمل أن يكون كناية عن تجديد الآثار القديمة المندرسة، انتهى. فيكون المعنى أنَّه تتجدَّد بهم السُّنن المنسيَّة

(١) المرآة: ج٢، ص٤٠٢.

اللَّهُ حَيَاةً لِلْأَنَامِ، وَمَصَابِيحَ لِلظَّلَامِ، وَمَفَاتِيحَ لِلْكَلَامِ[٢٧]، وَدَعَائِمَ لِلْإِسْلَامِ[٢٨]، جَرَتْ بِذَلِكَ فِيهِمْ مَقَادِيرُ اللَّهِ عَلَى مَحْتُومِهَا[٢٩].

فَالْإِمَامُ هُوَ الْمُنْتَجَبُ الْمُرْتَضَى[٣٠]، وَالْهَادِي الْمُنْتَجَى[٣١]، وَالْقَائِمُ الْمُرْتَجَى[٣٢]، ....

التي أعرض عنها الناس، فهم عليهم السلام يعيدون الحياة إليها وينشرونها بين الناس.

[٢٧] **(مفاتيح للكلام)**:

لعلَّ المراد أنَّ تفسير القرآن وبيان سُنَّة الرسول صلى الله عليه وآله، وكذا طريقة الاستدلال بهما على الأمور، إنَّما ينشأ عنهم عليهم السلام.

[٢٨] **(دعائم للإسلام)**:

أي أساس الإسلام، والمراد أنَّهم حفظة الإسلام عن الانحراف، ولولاهم لم يبقَ منه شيء بسبب الظالمين.

[٢٩] **(على محتومها)**:

أي التقدير المحتوم ـ الذي لا بداء فيه ـ هو أن يكون الأئمَّة عليهم السلام على هذه الطريقة المذكورة.

[٣٠] **(المنتجب المرتضى)**:

أي هو طيِّب الأصل وقد ارتضاه الله تعالى للمهمة، إذ لا يصلح لها إلَّا من طاب أصله.

[٣١] **(الهادي المنتجى)**:

أي هو يهدي الناس، وقد اختاره الله لمناجاته بأن ألهمه العلم إلهاماً، فلا يكون أحد هادياً إلَّا إذا انتجاه الله تعالى.

[٣٢] **(القائم المرتجى)**:

أي هو يقوم بأعباء الإمامة خير قيام، ويكون الرجاء فيه للخير والصلاح وتبليغ الدِّين الحنيف.

اصْطَفَاهُ اللَّهُ بِذَلِكَ، وَاصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ[٣٣]، فِي الذَّرِّ حِينَ ذَرَأَهُ[٣٤]، وَفِي الْبَرِيَّةِ حِينَ بَرَأَهُ[٣٥]، ....

سابعاً: التميُّز في خَلْق الإمام وفي صفاته

ثمَّ بيَّن الإمام الصَّادق عليه السلام، أنَّ الله تعالى خلق الأئمَّة خِلقة متميِّزة عن غيرهم، وحباهم بصفات لم يجعلها في سواهم، ولذا كانوا مؤهلين لمنصب الإمامة وسائر ما يتفرع عنها، حيث إنَّ الله تعالى حكيم فيضع الأشياء في مواضعها، ومن الحكمة كون الإمام متميِّزاً خَلقاً ووصفاً.

[٣٣] (اصطنعه على عينه):

أي اختاره على معرفة بحاله، و«الصنع» إجادة الفعل، و«الاصطناع»: إصلاح الشيء نهاية في الإصلاح، قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾(١)، أي تُربَّى برعايتي، وقال سبحانه: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾(٢)، أي صنعتك لتقوم بالمهمة التي أريدها، فأنت مصنوع لأجل العمل لله وحده، فلا شيء منك لغيره تعالى.

[٣٤] (في الذرّ حين ذرأه):

أي في عالم الذرّ، حين أخرج الله تعالى ذرِّية آدم من صلبه، و«الذرّ»: صغار النمل، شُبِّه به الأشياء الصغيرة جداً، لأنَّ الأجسام كانت متناهية في الصغر في ذلك العالم، و«ذرأه» بمعنى خلقه.

[٣٥] (في البريَّة حين برأه):

لعلَّ المراد: عالم الأرواح قبل تعلُّقها في الذرّ بالأجساد، و«البَريَّة»: المخلوقون، و«برأه» بمعنى خلقه، من (البَرْأ) بمعنى الخلق، أو من (البَرْي) بمعنى نحت العود فيكون كناية عن الخلق أيضاً.

---

(١) سورة طه: الآية ٣٩.

(٢) سورة طه: الآية ٤١.

ظِلّاً قَبْلَ خَلْقِ نَسَمَةٍ[٣٦]، عَنْ يَمِينِ عَرْشِهِ[٣٧]، مَحْبُوّاً بِالْحِكْمَةِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ[٣٨]، اخْتَارَهُ بِعِلْمِهِ[٣٩]، وَانْتَجَبَهُ لِطُهْرِهِ[٤٠]، بَقِيَّةً مِنْ آدَمَ عليه السلام،

---

[٣٦] **(ظلاً قبل خلق نسمة):**

أي اصطفاه واصطنعه حين براه حال كونه ظلاً، و«الظل»: الرُّوح قبل تعلُّقه بالبدن ـ على ما في المرآة(١) ـ لأنَّ أرواحهم عليهم السلام خُلقت قبل أجسادهم وقبل خلق سائر الناس، حيث خلقهم الله تعالى أنواراً فجعلهم بعرشه محدقين.

وفي هذه الفقرات احتمالات أُخرى، فراجع مرآة العقول(٢).

(قبل خلق نسمة):

أي قبل خلق أيِّ إنسان، أو (نَسَمِهِ) ـ بالضمير ـ أي قبل خلق جسده.

[٣٧] **(يمين عرشه):**

أي أشرف مواضع العرش، إذ قبل خلق الأشياء لم يكن يمين أو يسار، بل هما أمران انتزاعيان، وإنَّما ينتزعان من تقابل جسمين ـ كذا قيل ـ فتأمَّل.

[٣٨] **(في علم الغيب عنده):**

لعلَّ المعنى أنَّ الله كان يعلم مِن الأزل بأنَّه يعطي الإمام الحكمة.

أو معنى علم الغيب: اللوح المحفوظ.

ويمكن إرجاع ضمير (عنده) إلى الإمام فيكون المعنى: كانت الحكمة في ضمن علم الغيب الذي أطلع الله تعالى الإمام عليه.

[٣٩] **(اختاره بعلمه):**

أي اختار الله الإمام بسبب علم الإمام، ويمكن إرجاع الضمير إلى الله أي اختاره بسبب علم الله بأنَّه يستحقّ هذا الاختيار.

[٤٠] **(انتجبه لطهره):**

أي لأنَّه كان طاهراً معصوماً انتخبه الله.

---

(١) المرآة: ج٢، ص٤٠٣.

(٢) مرآة العقول: ج٢، ص٤٠٣.

وَخِيَرَةٌ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ عليه السلام، وَمُصْطَفًى مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَسُلَالَةٌ مِنْ إِسْمَاعِيلَ، وَصَفْوَةٌ مِنْ عِتْرَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله[٤١]، لَمْ يَزَلْ مَرْعِيّاً بِعَيْنِ اللَّهِ[٤٢]،

---

[٤١] **(بقية... عترة محمَّد صلى الله عليه وآله)**:

فالإمام وارث هؤلاء في المهمَّات التي كلّفوا بها، فهو الوارث الوحيد لآدم عليه السلام في الخلافة كما قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(١) ولأنَّه الوارث الوحيد كان بقية آدم، و«الخيرة»: المختار من ذرِّية نوح، و«السلالة» الصفو الذي يُنتزع من الشيء برفق، والمراد هنا الذرِّيَّة، و«العترة» أقرب الأقرباء.

ثامناً: رعاية الله للإمام

ثمَّ بيَّن الإمام الصَّادق عليه السلام: أنَّ الإمام يرعاه الله، فلا ينفذ فيه شياطين الجن والإنس، ولا نقص في خَلقه، ولا في خُلقه، بعيد عن المعاصي والزلل والخطأ، معصوم متّصف بالمحاسن من أوَّل عمره إلى آخرها.

والحاصل: أنَّ الله يرعاه، ونتيجة تلك الرعاية عدَّة أُمور:

١ ـ عدم تأثير كيد الشيطان فيه، ولا شرور الظُّلمات، ولا يتأثر بالسحر، ويحفظه الله من كلّ سوء يُعاب به، كهتك العِرض في زوجاته مثلاً.

٢ ـ لا تشويه في خلقه، ولا يُبتلى بأمراض معدية كالجذام مثلاً.

٣ ـ لا نقص في أفعاله فهو معصوم عن الخطأ والذنب.

٤ ـ يتحلَّى بالفضائل من أوَّل عمره إلى آخره.

٥ ـ يكون وصياً لوالده، لكنَّه يراعي كامل الاحترام له، فيكون صامتاً مطيعاً منقاداً للوالد.

[٤٢] **(بعين الله)**:

أي بحفظه ورعايته، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾(٢)، و«يكلؤه» من

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٢) سورة الطور: الآية ٤٨.

يَحفَظُهُ وَيَكْلَؤُهُ بِسِتْرِهِ، مَطْرُوداً عَنْهُ حَبَائِلُ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ[٤٣]، مَدْفُوعاً عَنْهُ وُقُوبُ الْغَوَاسِقِ[٤٤]، وَنُفُوثُ كُلِّ فَاسِقٍ[٤٥]، مَصْرُوفاً عَنْهُ قَوَارِفُ

الكلاءة أي الحراسة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾(١).

والمعنى أنَّ الله تعالى يمنع عنه الشياطين والنقائص فكأنَّه ستره عنها.

(١)

[٤٣] **(حبائل إبليس وجنوده):**

«الحبائل» جمع حِبالة بمعنى حبل الصيد، أي لا تؤثِّر فيه مكائد الشيطان، و«جنود إبليس»: أعوانه، قال تعالى: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾(٢).

[٤٤] **(وقوب الغواسق):**

الغواسق المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾(٣)، و«الغاسق» ظلمة اللَّيل في أشدّها، و«وقب» بمعنى دخل، فإنَّ اللَّيل مَعْرَض للبلاء، أو المراد ـ كما في المرآة(٤) ـ عدم دخول مظلمات الشكوك والشُّبه والجهالات عليه.

[٤٥] **(نفوت كلّ فاسق):**

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾(٥)، أي لا يؤثِّر فيه سحر الساحرين، و«النفث»: هو النفخ الذي فيه قليل من الريق. وأمَّا ما روته العامَّة من تأثير سحر لبيد اليهودي في رسول الله ﷺ بحيث إنَّه كان يظنُّ أنَّه فعل شيئاً والحال أنَّه لم يكن فعله(٦) فمن الموضوعات

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٤٢.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٩٥.

(٣) سورة الفلق: الآية ٣.

(٤) المرآة: ج٢، ص٤٠٤.

(٥) سورة الفلق: الآية ٤.

(٦) راجع البخاري: ج٣، ص١١٩٢، الحديث: ٣٠٩٥؛ صحيح مسلم: ج٧، ص١٤، الحديث: ٥٨٣٢.

السُّوءِ[٤٦]، مُبْرَأً مِنَ الْعَاهَاتِ، مَحْجُوباً عَنِ الآفَاتِ[٤٧]، مَعْصُوماً مِنَ الزَّلَّاتِ[٤٨]، مَصُوناً عَنِ الْفَوَاحِشِ كُلِّهَا، مَعْرُوفاً بِالْحِلْمِ وَالْبِرِّ فِي

التي تتعارض مع قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝ ٨ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾[١].

[٤٦] (قوارف السوء):

من الاقتراف، ويُستعمل ـ على الأكثر ـ في اكتساب السوء، كقوله: ﴿سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾[٢]، ولعلَّ المراد أنّه لا يجري عليه ما يُعاب به كتلوث عرضه، وكذا الأنبياء زوجاتهن محفوظات عن الزنا، ولو كانت لهنّ خيانة ـ كامرأة نوح ولوط ـ فإنّما خيانتهن في الدِّين لا في العرض.

(٢)

[٤٧] (العاهات... الآفات):

«العاهة»: التشويه في الخَلْق، كالعمى والعرج ونحوهما، و«الآفات»: الأمراض المسرية كالسل والجذام وأمثالهما.

ويحتمل أن تكون العاهات في الجسم، والآفات في النفس أي لا يُبتلى بالأمراض النفسية كالحسد مثلاً.

(٣)

[٤٨] (معصوماً من الزلّات):

«الزلّة» الخطأ، ويُقال أيضاً للذنب من غير قصد، كقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾[٣].

و«الفواحش» جمع فاحشة وهي الأفعال أو الأقوال التي يعظم قبحها.

أو «الزلّات» بمعنى ترك الأولى، و«الفواحش» بمعنى الذنوب.

---

(١) سورة الفرقان: الآيتان ٨ ـ ٩.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣٦.

يَفَاعِهِ[٤٩]، مَنْسُوباً إِلَى الْعَفَافِ وَالْعِلْمِ وَالْفَضْلِ عِنْدَ انْتِهَائِهِ[٥٠]، مُسْنَداً إِلَيْهِ أَمْرُ وَالِدِهِ[٥١]، صَامِتاً عَنِ الْمَنْطِقِ فِي حَيَاتِهِ[٥٢].

---

(٤)

[٤٩] **(في يفاعه):**

المراد أنَّه متصف بالفضائل ومكارم الأخلاق منذ بدوه، وذكر الإمام الصَّادق عليه السلام أهم فضيلتين، ففي الصفات النفسانية: الحِلم، وفي الأفعال: البِرّ، وهذان وصفان يقلّان في الشباب عادة، و«يفاعه» في أوائل عمره، يُقال شاب يافع، إذا راهق.

[٥٠] **(عند انتهائه):**

أي في أواخر حياته أو بمعنى عند بلوغه، وقد بيَّن الإمام الصَّادق عليه السلام أهم ثلاث صفات يتحلّى بها الكبير ـ كمثال لفضائل الإمام عند كبره ـ.

١ ـ ما يرتبط بالجسد، ومثاله العفَّة في البطن والفرج.

٢ ـ ما يرتبط بالرُّوح والعقل، ومثاله العلم.

٣ ـ ما يرتبط بتعامله مع الناس، ومثاله الفضل، بأن يعطي الآخرين من ماله وعلمه وغيرهما ما لا يلزمه ذلك وإنَّما يفعله تفضُّلاً.

(٥)

[٥١] **(مسنداً إليه أمر والده):**

لعلَّ المراد أنَّه وصيّ لوالده، يكلِّفه ـ بأمر من الله تعالى ـ بالقيام بالمهام في حياته، وبأمر الإمامة بعد وفاته.

[٥٢] **(عن المنطق في حياته):**

أي لا يدَّعي الإمامة قبال والده ـ مع أنَّه أهلٌ لها ـ، بل يكون منقاداً ومطيعاً له في كلّ شيء، وهذا المقطع كالنتيجة لما سبق، أي حيث إنَّ الله حفظه من كلّ سوء ونقص وحيث حلّاه بالفضائل في كلّ حياته

فَإِذَا انْقَضَتْ مُدَّةُ وَالِدِهِ[٥٣] ـ إِلَى أَنِ انْتَهَتْ بِهِ مَقَادِيرُ اللَّهِ إِلَى مَشِيئَتِهِ[٥٤]، وَجَاءَتِ الْإِرَادَةُ مِنَ اللَّهِ فِيهِ إِلَى مَحَبَّتِهِ[٥٥]، وَبَلَغَ مُنْتَهَى مُدَّةِ

ـ صغيراً وكبيراً ـ، فكان جديراً بالإمامة ولذا أوصاها أبوه له ـ بأمر من الله تعالى ـ.

تاسعاً: نهوضه بأعباء الإمامة

ثمَّ بيَّن الإمام الصَّادق عليه السلام أنَّ الإمام يقوم بأعباء الإمامة بعد وفاة الإمام السابق مباشرة، ويتفضَّل الله عليه بجملة من الصفات والمقامات التي بها يكون أهلاً لتبوّء منصب الإمامة، وقد ذكر عشرين أمراً ممَّا يعطيه الله تعالى، ويُتراءى التكرار في ثمانية منها، فلعلَّ هناك بعض الفروق بالاعتبارات، وسنشير إلى بعضها في شرح هذه الأوصاف.

ثمَّ إنَّ التأكيد في نسبة كل تلك الأُمور إلى الله تعالى، لبيان أنَّ كلّ ما للإمام عليه السلام فهو بفضل الله تعالى، درءاً للغلو.

[٥٣] **(فإذا انقضت مدّة والده):**

جزاء «إذا»: قوله: (فقضى وصار...).

[٥٤] **(إلى مشيئته):**

أي انقضت مدَّة الوالد، منتهياً الوالد إلى حيث شاء الله تعالى ـ من اختياره تعالى إلى جواره ـ، فمعنى «إلى» في قوله: (إلى أن انتهت...) هو انتهاء الغاية الزمانية، كما يُقال: (انقضت المدَّة إلى ما شاء الله).

[٥٥] **(إلى محبَّته):**

أي إلى ما أحبَّ الله تعالى، فالمعنى تعلَّقت إرادة الله في الابن إلى ما أحبَّه الله ـ من اختياره للإمامة ـ، فالفرق بين الفقرتين: أنَّ الأولى: (انتهت به...) ترتبط بالوالد، والثانية: (وجاءت الإرادة...) ترتبط بالابن، ولو أرجعنا كلا الضميرين (به، فيه) إلى أحدهما كانت الفقرتان تكراراً للتأكيد.

وَالِدِهِ عليه السلام[٥٦] ـ، فَقَضَى وَصَارَ أَمْرُ اللَّهِ إِلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَقَلَّدَهُ دِينَهُ[٥٧]، وَجَعَلَهُ الْحُجَّةَ عَلَى عِبَادِهِ، وَقَيِّمَهُ فِي بِلَادِهِ[٥٨]، وَأَيَّدَهُ بِرُوحِهِ[٥٩]، وَآتَاهُ عِلْمَهُ، وَأَنْبَأَهُ فَصْلَ بَيَانِهِ[٦٠]، وَاسْتَوْدَعَهُ سِرَّهُ[٦١]، ....

---

[٥٦] **(وبلغ منتهى مدَّة والده):**

فاعل «بلغ» هو الابن، أي بلغ الابن منتهى مدَّة الوالد، ولعلَّ المراد أنَّه كان حاضراً حين انتهاء المدَّة، لأنَّه لا تخلو الأرض من حجَّة، فانتهاء مدَّة الوالد هي شروع مدَّة الابن، ويمكن أن يكون «منتهى» هو فاعل بلغ، فالمعنى حان وقت انتهاء المدَّة.

[٥٧] **(قلَّده دينه):**

أي ألزمه القيام بمهام الدين حفظاً ورعاية، يُقال: قلَّدته عملاً: إذا ألزمته.

[٥٨] **(قيِّمه في بلاده):**

حيث إنَّ الإمامة: الرئاسة في الدِّين والدُّنيا، فقوله: (حجّته على عباده) يرتبط بالدُّين حيث يلزمهم الاهتداء بهديه، و(قيِّمه في بلاده) يرتبط بالدُّنيا أي جعله الحاكم.

[٥٩] **(أيَّده بروحه):**

أي قوَّاه بروح القدس، وهو جبرائيل أو ملك آخر ـ كما مرَّ ـ.

[٦٠] **(فصل بيانه):**

أي البيان الفصل، لأنَّه يفصل الحقّ عن الباطل ببيان قاطع، كقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾(١).

[٦١] **(استودعه سرّه):**

لعلَّ المراد: العلوم التي لم يرد الله تعالى إظهارها للناس.

---

(١) سورة ص: الآية ٢٠.

وَانْتَدَبَهُ لِعَظِيمِ أَمْرِهِ[٦٢]، وَأَنْبَأَهُ فَضْلَ بَيَانِ عِلْمِهِ[٦٣]، وَنَصَبَهُ عَلَماً لِخَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ حُجَّةً عَلَى أَهْلِ عَالَمِهِ[٦٤]، وَضِيَاءً لِأَهْلِ دِينِهِ، وَالْقَيِّمَ عَلَى عِبَادِهِ[٦٥]، رَضِيَ اللَّهُ بِهِ إِمَاماً لَهُمْ. اسْتَوْدَعَهُ سِرَّهُ[٦٦]، وَاسْتَحْفَظَهُ

---

[٦٢] **(انتدبه لعظيم أمره):**

«الانتداب»: الاختيار، و«عظيم أمره» لعلَّ المراد به ما يتعلَّق بمنصب الإمامة تشريعاً وتكويناً.

[٦٣] **(فضل بيان علمه):**

أي أخبره بفضيلة نشر العلم بين الناس.

[٦٤] **(حجّة على أهل عالمه):**

لعلَّ الفرق بين هذا المقطع وبين قوله: «وجعله حجة على عباده» أنَّ الإمام حجَّة من جهتين: فهو حجَّة على من يعاصرونه وإليه يشير (أهل عالمه)، كما أنَّه حجَّة على جميع الخلق ـ عاصروه أم لم يعاصروه ـ وإليه يشير (عباده).

[٦٥] **(القيِّم على عباده):**

الفرق بين هذا وبين قوله: (قيِّمه في بلاده) أنَّ الإمام قيِّم على البلاد كما أنَّه قيِّم على العباد، فهو يتولَّى أمر الناس وأمر الأماكن.

[٦٦] **(استودعه سرّه):**

لعلَّ هذا المقطع وما بعده هو كالمقدِّمة لبيان قيام الإمام بالحقّ والعدل حين جهل وتحيَّر الناس، ولذا لم يعطفها بالواو، فكأنَّه شروع في مطلب آخر.

وبعبارة أخرى: قبل هذا المقطع تمَّ بيان أنَّ الله تعالى جعل تلك الأوصاف في الإمام، ومن هذا المقطع بيان أنَّ الإمام استفاد من هذه الأوصاف لأجل القيام بالعدل والحقّ.

فليس في الكلام تكرار، بل اختلفت جهة البيان، كما نقول: (إنَّ الله

عِلْمَهُ[٦٧]، وَاسْتَخْبَأَهُ حِكْمَتَهُ[٦٨]، وَاسْتَرْعَاهُ لِدِينِهِ[٦٩]، وَانْتَدَبَهُ لِعَظِيمِ أَمْرِهِ، وَأَحْيَا بِهِ مَنَاهِجَ سَبِيلِهِ، وَفَرَائِضَهُ وَحُدُودَهُ[٧٠]، فَقَامَ بِالْعَدْلِ[٧١] عِنْدَ

كريم، وحيث إنَّه كريم فقد رزق الكافر والمنافق...) فلا يوجد في العبارة تكرار بل وصفه بالكرم أولاً لبيان حقيقة، ثم وصفه بالكرم ثانياً مقدِّمة لبيان أمر آخر وتعليل.

[٦٧] **(استحفظه علمه):**

«استحفظه علمه» أي طلب منه حفظ ذلك العلم، أو بمعنى جعل ذلك العلم في حفظه من غير أن ينسى، نظير قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾(١).

[٦٨] **(استخبأه حكمته):**

أي أودعها عنده، فهو يعلم متى يتكلَّم ومتى يصمت، وأيّ وقت هو وقت التقية أو عدمها، وهكذا.

[٦٩] **(استرعاه لدينه):**

أي طلب منه رعاية أُمور الدِّين والاعتناء بشأنه، أو بمعنى أنَّ الله يرعى الإمام لأجل أن يحفظ الدِّين، نظير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾(٢).

[٧٠] **(وفرائضه وحدوده):**

عطف على (مناهج)، أي أحيا المناهج والفرائض والحدود، وعطف الحدود والفرائض على المناهج من عطف الخاص على العام، لأنَّ الفرائض والحدود هي من مناهج سبيل الله تعالى، و«الفرائض» الواجبات، و«الحدود» ما لا يجوز تعديه، وقد مرَّت الإشارة إلى أقسام الحدود.

[٧١] **(فقام بالعدل):**

هذا كالنتيجة لما مرَّ في قوله: (استودعه لسرّه، واستحفظه علمه...) الخ.

---

(١) سورة الأعلى: الآية ٦.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٧.

تَحَيُّرِ أَهْلِ الْجَهْلِ، وَتَحْيِيرِ أَهْلِ الْجَدَلِ[٧٢]، بِالنُّورِ السَّاطِعِ[٧٣]، وَالشِّفَاءِ النَّافِعِ، بِالْحَقِّ الْأَبْلَجِ[٧٤]، وَالْبَيَانِ اللَّائِحِ مِنْ كُلِّ مَخْرَجٍ[٧٥]، عَلَى طَرِيقِ الْمَنْهَجِ، الَّذِي مَضَى عَلَيْهِ الصَّادِقُونَ مِنْ آبَائِهِ ﷺ، فَلَيْسَ يَجْهَلُ حَقَّ هَذَا

---

[٧٢] **(تحيير أهل الجدل):**

(تحيير) أي عندما أهل الجهل يحيِّرون الناس بجدلهم، وفي بعض النسخ (تحبير) ـ بالباء ـ أي عندما يزيّن أهلُ الجدل الباطلَ.

[٧٣] **(بالنُّور الساطع):**

الباء في (بالنُّور) سببيَّة أي قام بالعدل بسبب النُّور الساطع الذي معه، «الساطع» المرتفع الذي يعمُّ، وقوله: (والشفاء النافع) عطف على (النُّور الساطع).

[٧٤] **(بالحق الأبلج):**

(بالحق) إمَّا متعلق بـ(النافع) أي الشفاء الذي ينفع لكونه الحق الأبلج، وإمَّا بدل أو عطف بيان عن (بالعدل)، و«الأبلج»: الأوضح.

[٧٥] **(من كلّ مخرج):**

أي هذا البيان يصل من كل طريق ممكن، فإنَّ لله الحجَّة البالغة، و«اللائح» أي الذي يُرى، وأصله من (لاح البرق): إذا أومض، و«المخرج» أي كل طريق أمكن وصول النُّور عبر ذلك الطريق، وفي الحديث دلالة على أنَّ نور الأئمَّة يصل إلى الجميع، فالقاصرون من المخالفين يكون قصورهم مشوباً بتقصير، كما مرَّ نظيره في آية المستضعفين حيث قال تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ﴾(١) بأنَّ الإتيان بـ(عسى) للدلالة على أنَّ قصورهم مشوب بتقصير.

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٨.

الْعَالِمِ إِلَّا شَقِيٌّ[٧٦]، وَلَا يَجْحَدُهُ إِلَّا غَوِيٌّ[٧٧]، وَلَا يَصُدُّ عَنْهُ إِلَّا جَرِيٌّ عَلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

عاشراً: من لا يعرفهم!!

ثمَّ ختم الإمام الصَّادق عليه السلام هذا الحديث الشريف، ببيان أنَّ هذا النُّور الساطع وهذا البيان اللائح من كل مخرج، لا يمكن عدم معرفته إلَّا من شقي أو غوي أو متجري على الله تعالى.

[٧٦] **(إلَّا شقي)**:

أي سَيِّئ الحظ، لأنَّه لم يلاحظ هذا النُّور الساطع، وقد مرَّ في كتاب التوحيد أنَّ الشقاء يكون بسبب بعض أفعال الإنسان.

[٧٧] **(ولا يجحده إلَّا غوي)**:

أي لا ينكره إلَّا من كان ضالاً في أقصى درجات الضلال، والجحد ـ غالباً ـ يكون مع معرفة كما قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾(١).

والحمد لله الذي هدانا لولايتهم، وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله تعالى.

---

(١) سورة النحل: الآية ٨٣.

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ عليهم السلام وُلَاةُ الْأَمْرِ، وَهُمُ النَّاسُ الْمَحْسُودُونَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

١ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْوَشَّاءُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَائِذٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ[١]﴾ [النساء: ٥٩]، ....

الحديث الأوّل:

[١] (وأولي الأمر منكم):

في مرآة العقول(١) نقلاً عن مناقب ابن شهرآشوب: «والذي يدلُّ على أنَّها في أئمَّتنا صلوات الله عليهم: أنَّ ظاهرها يقتضي عموم طاعة أولي الأمر:

١ ـ من حيث عطف الله تعالى الأمر بطاعتهم على الأمر بطاعته وطاعة رسوله.

٢ ـ ومن حيث أطلق الأمر بطاعتهم ولم يخصّ شيئاً من شيء، لأنَّه سبحانه لو أراد خاصاً لبيَّنه، وفي فقد البيان منه تعالى دليل على إرادة الكل.

وإذا ثبت ذلك ثبتت إمامتهم، لأنَّه لا أحد تجب طاعته على ذلك الوجه بعد النبي صلى الله عليه وآله إلَّا الإمام.

وإذا اقتضت وجوب طاعة أولي الأمر على العموم لم يكن بدَّ من

---

(١) مرآة العقول: ج٢، ص٤٠٧.

فَكَانَ جَوَابُهُ[٢]: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ

عصمتهم، وإلّا أدّى إلى أن يكون قد أمر بالقبيح، لأنَّ من ليس بمعصوم لا يؤمن منه وقوع القبيح، فإذا وقع كان الاقتداء به قبيحاً...».

[٢] **(فكان جوابه):**

آية: ﴿أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ هي الآية ٥٩ من سورة النساء، عندما أراد الإمام تفسيرها بدأ في تفسير الآية ٥١ واستمر إلى الآية ٥٩، لكن ثقة الإسلام الكليني رضوان الله عليه أورد من الرواية إلى تفسير الآية ٥٦، ولم يذكر الباقي، لأنَّ هذا الباب لم يعقده لتفسير آية أولي الأمر بل لبيان معنى الآية ٥٤ وهي قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾.

وقد أورد العياشي الرواية كاملة في تفسيره، وسنذكرها في نهاية توضيح هذا الحديث إن شاء الله تعالى.

وأما معنى الآيات:

فقد كانت اليهود تُفضِّل المشركين على المسلمين، وقال بعضهم لأبي سفيان: أنتم والله أهدى سبيلاً ممَّا عليه محمَّد، فنزلت الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام للتعجُّب ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ حيث بقي قِسم من التوراة في يدهم، ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ هما صنمان سجد لهما بعض أهل الكتاب استمالة لقلوب المشركين، وقيل: (الجبت) هو اسم لكلّ صنم و(الطاغوت) صيغة مبالغة من الطغيان، وهو كلّ طاغ يُطاع من دون الله، كالشيطان وسلاطين الجور.

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي لأبي سفيان وأصحابه: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي أنتم الكفَّار، وهذا إلفات بتغيير الخطاب من المخاطب إلى غيره ﴿أَهْدَىٰ﴾ أي أقوم ديناً وأرشد طريقاً ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾، وهذا الكلام كان من حسدهم حيث فضَّلوا الكفَّار الذين لا يعترفون بموسى عليه السلام على المسلمين الذين يشتركون معهم في كثير من الأُمور.

وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ يَقُولُونَ لِأَئِمَّةِ الضَّلالَةِ وَالدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ: هؤُلاءِ أَهْدى مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ سَبِيلاً، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ ـ يَعْنِي الإِمَامَةَ وَالْخِلافَةَ ـ ﴿فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾ نَحْنُ النَّاسُ الَّذِينَ عَنَى اللّهُ، وَالنَّقِيرُ النُّقْطَةُ الَّتِي فِي وَسَطِ النَّوَاةِ ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ﴾ نَحْنُ النَّاسُ الْمَحْسُودُونَ عَلَى مَا آتَانَا اللّهُ مِنَ الإِمَامَةِ دُونَ خَلْقِ اللّهِ أَجْمَعِينَ، ﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾﴾ يَقُولُ: جَعَلْنَا مِنْهُمُ الرُّسُلَ وَالأَنْبِيَاءَ

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ اليهود هم ﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي طردهم عن رحمته ﴿وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ يدفع عنه اللعنة وينجيه من عذاب الله.

ثمَّ بيَّن الله تعالى أنَّ كلام هؤلاء اليهود لا يغيِّر من الحقيقة شيئاً، فهم لا يملكون التفضيل، بل لو كان لهم أتفه الأشياء لمنعوا الناس منه، فكيف بالنُّبوَّة؟ ﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ هذا للإنكار، أي هم لا يملكون التفاضل، ولو كان لهم ذلك فإن ملكوا شيئاً ﴿فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ وهي النقرة في ظهر النواة.

ثمَّ إنَّ تفضيلهم للكفَّار على المؤمنين ليس إلَّا بسبب حسدهم ﴿أَمۡ﴾ أي بل ﴿يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ الرسول وآله ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ الرسالة للرسول، والإمامة في آله، وحيث إنَّ هذا من اختيار الله تعالى فلا موقع للحسد، فكما اختار الله إبراهيم وآله كذلك يختار محمَّداً وآله (عليه وعليهم الصلاة والسلام) ﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أي إبراهيم وآله ﷺ ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي النُّبوَّة ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا﴾.

والحاصل: أنَّ الآية نزلت في الرسول ﷺ وآله حيث إنَّ آل الرسول يقومون مقامه في كلّ شيء إلَّا في النُّبوَّة، فمعنى الآية يجري فيهم كما جرى في جدّه ﷺ.

وَالْأَئِمَّةَ، فَكَيْفَ يُقِرُّونَ بِهِ فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وَيُنْكِرُونَهُ فِي آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله[٣]، ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ[٤] وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا[٥] ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا[٦] لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا[٧] ﴿٥٦﴾﴾ [النّساء: ٥١-٥٦].

---

[٣] (وينكرونه في آل محمَّد):

مع أنَّ آل محمَّد هم من آل إبراهيم، مضافاً إلى أنَّ رسول الله محمَّداً صلى الله عليه وآله أفضل من إبراهيم عليه السلام، فلا مانع في أن يجري في آله عليهم السلام ما جرى في آل إبراهيم عليهم السلام.

[٤] (من صدَّ عنه):

أي أعرض عنه، ومنع الناس عن اتباعه.

[٥] (سعيراً):

أي النار المشتعلة.

[٦] (جلوداً غيرها):

﴿نَضِجَتْ﴾ أي احترقت، وليس بمعنى ﴿جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ أنها غيرها في الذات، بل بمعنى جلود غيرها في الصفة، والمراد أرجعنا تلك الجلود على حالتها السابقة.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ فلأنَّ الجلد إذا احترق كاملاً بحيث وصل الحرق إلى العصب بعد ذلك لا يشعر الإنسان بالألم ـ لانقطاع الاتصال بمناطق الشعور بالألم في المخ ـ.

وهذه الآية تدلُّ على المعاد الجسماني بكلّ وضوح.

[٧] (عزيزاً حكيماً):

وأمَّا تكملة الحديث حسب ما رواه العياشي في تفسيره ونقله في البرهان(١):

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ

---

(١) البرهان: ج٣، ص١٤٥.

٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ ﷺ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤] قَالَ: نَحْنُ الْمَحْسُودُونَ.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنْ مُحَمَّدٍ الأَحْوَلِ، عَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَعْيَنَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فَقَالَ: النُّبُوَّةَ، قُلْتُ: ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾؟ قَالَ: الْفَهْمَ وَالْقَضَاءَ[١]، ....

فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ قال: [أي بريد العجلي] قلت: قوله في آل إبراهيم: وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ما الملك العظيم؟ قال: أن جعل منهم أئمَّة من أطاعهم أطاع الله، ومن عصاهم عصى الله، فهو الملك العظيم.

قال [بريد]: ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ قال: إيَّانا عنى، أن يؤدِّي الأوَّل منَّا إلى الإمام الذي بعده الكتب والعلم والسلاح، وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ الذي في أيديكم، ثم قال للناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ فجمع المؤمنين إلى يوم القيامة ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ إيَّانا عنى خاصَّة... الحديث.

الحديث الثالث:

[١] **(الفهم والقضاء):**

(الفهم) في العلم، و(القضاء) في العمل.

وحيث إنَّ الحكمة هي وضع الأشياء في مواضعها، فيلازمها العلم إذ لا يمكن وضع الشيء في موضعه إلَّا بعد العلم بالتفاصيل التي قد تخفى على

قُلْتُ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤] فَقَالَ: الطَّاعَةَ[٢].

٤ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾؟ فَقَالَ: يَا أَبَا الصَّبَّاحِ نَحْنُ وَاللَّهِ النَّاسُ الْمَحْسُودُونَ.

٥ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ قَالَ: جَعَلَ مِنْهُمُ الرُّسُلَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَالْأَئِمَّةَ، فَكَيْفَ يُقِرُّونَ فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وَيُنْكِرُونَهُ فِي آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله؟! قَالَ: قُلْتُ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ قَالَ: الْمُلْكُ الْعَظِيمُ أَنْ جَعَلَ فِيهِمْ أَئِمَّةً؛ مَنْ أَطَاعَهُمْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَاهُمْ عَصَى اللَّهَ، فَهُوَ الْمُلْكُ الْعَظِيمُ.

الناس ولذا عبَّر بالفهم ـ الذي هو العلم بدقائق الأُمور ـ، ومن أهم المواقع التي تتبيَّن فيها الحكمة: القضاء حيث يحتاج القاضي إلى معرفة تامة لكي يتمكَّن من تمييز الحقّ بين المتخاصمين، قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾(١).

[٢] (فقال: الطاعة):

أي جعلهم أئمَّة ـ والإمامة رئاسة في الدِّين والدُّنيا ـ، ويلازمها وجوب طاعتهم، كما سيُبيّن في الحديث الخامس، فهذا هو الملك العظيم، وإنَّما كان عظيماً لأنَّه جامع بين رئاسة الدِّين والدُّنيا ومنشؤه أمر الله وحكمه، لا السلطة الظاهرية التي هي قوَّة مادية زائلة، والتي يبقى وبالها على أصحابها غالباً.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧٩.

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ عليهم السلام هُمُ الْعَلَامَاتُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ

١ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ الْمُسْتَرِقِّ قَالَ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ الْجَصَّاصُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ[١]﴾ [النحل: ١٦]، قَالَ: النَّجْمُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَالْعَلَامَاتُ هُمُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام.

الحديث الأوّل:

[١] **(وبالنجم هم يهتدون):**

﴿وَأَلۡقَىٰ﴾ الله تعالى ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ جبال ثابتة، وإنَّما عبَّر بالإلقاء للإشارة إلى ثقلها وشدَّة وطئتها، ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ أي مخافة أن تميد، من (مادَ، يَميدُ) بمعنى الميلان والاضطراب، ﴿وَ﴾ جعل في الأرض ﴿أَنۡهَٰرٗا﴾ لزراعتكم وسقيكم، ﴿وَسُبُلٗا﴾ أي طرقاً، ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ إلى مقاصدكم أو إلى وجود خالق حيث الآثار تدلُّ عليه.

﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ﴾ أي وجعل معالم يُهتدى بها، ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ إلى الطريق، فالعلامات يُهتدى بها نهاراً، والنجم يُهتدى به ليلاً، وروي أنَّ النجم هو الجدي(١) ـ أي النجم القطبي ـ حيث إنَّه لوقوعه في طرف القطب لا يتغيَّر مكانه طوال اللَّيل رغم حركة الأرض.

وتأويل النجم برسول الله صلى الله عليه وآله لأنَّ هداية الناس أجمعين به قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾(٢)، وتأويل العلامات بالأئمَّة عليهم السلام لأنَّهم

---

(١) البرهان: ج٥، ص٥٤٢ عن تفسير العياشي.

(٢) سورة الشورى: الآية ٥٢.

٢ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ أَسْبَاطِ بْنِ سَالِمٍ قَالَ: سَأَلَ الْهَيْثَمُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام ـ وَأَنَا عِنْدَهُ ـ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله النَّجْمُ وَالْعَلَامَاتُ هُمُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام.

٣ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ قَالَ سَأَلْتُ الرِّضَا عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾؟ قَالَ: نَحْنُ الْعَلَامَاتُ، وَالنَّجْمُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله.

يبيّنون دين جدّهم صلى الله عليه وآله، فهم العلامة له وللحق. فيكون الضمير في ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ راجع إلى العلامات أي الأئمّة علامات وهم يهتدون برسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي المرآة[1]: وهذه المعاني بطون للآيات لا تنافي كون ظواهرها أيضاً مرادة، فإنّه كما أنّ لأهل الأرض جبالاً وأنهاراً ونجوماً وعلامات يهتدون بها إلى طرقهم الظاهرة، وبها تصلح أُمور معاشهم، فكذا لهم رواسي من الأنبياء والأوصياء والعلماء بهم تستقر الأرض وتبقى، ومنابع للعلوم والمعارف بها يحيون الحياة المعنوية، وشمس وقمر ونجوم من الأنبياء والأئمّة عليهم السلام بهم يهتدون إلى مصالحهم الدنيوية والأخروية، وقد تضمنت الآيات ظهراً وبطناً، الوجهين جميعاً. انتهى.

---

(١) المرآة: ج٢، ص٤١٣.

بَابُ أَنَّ الْآيَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ هُمُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام

١ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ أُمَيَّةَ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ دَاوُدَ الرَّقِّيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ[١]﴾؟ [يونس: ١٠١] قَالَ: الْآيَاتُ هُمُ الْأَئِمَّةُ، وَالنُّذُرُ هُمُ الْأَنْبِيَاءُ عليهم السلام.

الحديث الأوّل:

[١] (عن قوم لا يؤمنون):
﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حتى ترون دلائل وجوده وحكمته، لكن ﴿وَمَا تُغْنِي﴾ أي لا تفيد ﴿ٱلْآيَٰتُ﴾ أي العلامات الدالة عليه تعالى ـ ومن أجلاها وأظهرها الأئمَّة عليهم السلام ـ ﴿وَٱلنُّذُرُ﴾ جمع نذير أي الرُّسل المنذورن ﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لا تفيد في دفع العذاب عنهم، وضُمّن «تغني» معنى تدفع لذلك عُدّي بـ«عن».

٢ ـ أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ، عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ، عَنْ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْعِجْلِيِّ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ ـ رَفَعَهُ ـ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا[١]﴾ [القمر: ٤٢] يَعْنِي الْأَوْصِيَاءَ كُلَّهُمْ.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ؛ أَوْ غَيْرِهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّ الشِّيعَةَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ[١]﴾؟ [النبأ: ١ ـ ٢] قَالَ: ذَلِكَ إِلَيَّ

الحديث الثاني:

[١] (كذبوا بآياتنا كلها):

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ﴾ أي فرعون وآله ﴿النُّذُرُ﴾ أي المنذرون، ورد في بعض الأحاديث أنَّ موسى عليه السلام حجَّ مع سبعين نبياً(١) ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ كالعصا واليد البيضاء ونحوهما ومن أعظم الآيات كان أوصياء موسى عليه السلام، ولعلَّ المجيء بدون الواو لإفادة فورية التكذيب بلا تروّ ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ بالغرق ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ له الغلبة ﴿مُقْتَدِرٍ﴾ له القدرة، لأنَّ القدرة لله تعالى هي مع العزَّة، أمَّا غيره تعالى فقد تكون قدرته مع ذلَّة عند الناس.

الحديث الثالث:

[١] (عن النبأ العظيم):

﴿عَمَّ﴾ أي عن ما ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي يسأل بعضهم بعضاً، والاستفهام هنا لتفخيم شأن المسؤول عنه، ثمَّ جاء جواب الاستفهام بقوله تعالى: ﴿عَنِ النَّبَإِ﴾ أي الخبر ﴿الْعَظِيمِ ۝٢ الَّذِي هُمْ﴾ أي الناس ﴿فِيهِ﴾ في النبأ

---

(١) تقريب القرآن: ج٥، ص٢٨٨.

إِنْ شِئْتُ أَخْبَرْتُهُمْ، وَإِنْ شِئْتُ لَمْ أُخْبِرْهُمْ[٢]، ثُمَّ قَالَ: لَكِنِّي أُخْبِرُكَ بِتَفْسِيرِهَا، قُلْتُ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾؟ قَالَ: فَقَالَ: هِيَ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقُولُ: مَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ آيَةٌ هِيَ أَكْبَرُ مِنِّي، وَلَا لِلَّهِ مِنْ نَبَإٍ أَعْظَمُ مِنِّي[٣].

﴿مُخْتَلِفُونَ﴾ فبعضهم يقرّ ويذعن، وبعضهم ينكر ويجحد.

ثم ردعهم الله تعالى فقال: ﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر كما زعم المنكرون ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ في قبرهم حيث ينكشف عنهم الغطاء ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ إمّا للتأكيد أو لبيان مرحلة أخرى هي يوم القيامة، فهؤلاء سيعلمون في القبر وسيعلمون يوم القيامة(١)، والمعنى أنّهم سيعلمون صدق ما قاله لهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا النوع من الخطاب يُراد به تهديدهم.

ثمّ اعلم أنّ المراد بالنبأ إن كان خصوص يوم القيامة، فأمير المؤمنين عليه السلام تأويل للآية، وإن أريد بالنبأ الأعم، فهو عليه السلام المصداق البارز للآية.

[٢] (وإن شئت لم أخبرهم):

لأنّه عليه السلام يعرف المصلحة في الجواب أو السكوت، لتقية أو لعدم استيعاب السامع من باب (أُمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم) أو لجهة أخرى.

[٣] (أعظم منّي):

أي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، أو لأنّ كلامه هذا كان في عهده ـ أي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ـ، أو هو تفسير للآية حيث قال تعالى: ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ ورسول الله صلى الله عليه وآله لا اختلاف فيه بين المسلمين، وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: هو علي بن أبي طالب عليه السلام، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ليس فيه خلاف(٢).

---

(١) روي ﴿كَلَّا﴾ وهو ردّ عليهم ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ سيعرفون خلافته إذ يُسألون عنها في قبورهم.
وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ حين أقف بين الجنّة والنار، وأقول: هذا لي، وهذا لك.
راجع البرهان: ج١٠، ص١٥٩.

(٢) البرهان: ج١٠، ص١٥٨.

بَابُ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ ﷺ مِنَ الْكَوْنِ مَعَ الأَئِمَّةِ عليهم السلام

١ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَائِذٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْعِجْلِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ[١]﴾؟ [التوبة: ١١٩] قَالَ: إِيَّانَا عَنَى.

الحديث الأوّل:

[١] (وكونوا مع الصادقين):

«المعيَّة» هنا بمعنى الاتباع في كلّ شيء من العقائد والأقوال والأفعال، وليس المراد المعيَّة في المكان كما هو واضح.

ثمَّ إنَّ الله لا يأمر ـ بشكل عام ـ باتباع من يحتمل صدور المعصية عنه، بل إذا أمر باتباعه فإنَّما يأمر ما دام على طاعة الله، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

فإذا أمر الله تعالى بإطاعة شخص أو جماعة بشكل عام وفي كلِّ الحالات دلَّ ذلك على عصمتهم وعدم احتمال صدور المعصية عنهم أبداً.

وفي هذه الآية الأمر بالكون مع الصادقين عام شامل لكلِّ الحالات والأزمنة، فدلَّت الآية على عصمة هؤلاء الصادقين.

وقد اتفقت الأُمَّة على عدم عصمة خلفاء العامَّة، فلا تشملهم الآية، ولم يدّعِ أحد من الأُمَّة عصمة أحد إلَّا الأئمَّة عليهم السلام من أهل البيت عليهم السلام، فتنطبق الآية عليهم، ولولا ذلك لم يكن مصداق للصادقين المذكورين في الآية.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام، قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] قَالَ: الصَّادِقُونَ هُمُ الْأَئِمَّةُ وَالصِّدِّيقُونَ بِطَاعَتِهِمْ[١].

وقد ذكر المحقّق الطوسي في كتاب التجريد: ووجه الاستدلال بها أنَّ الله أمر كافة المؤمنين بالكون مع الصادقين، وظاهر أنَّ ليس المراد به الكون معهم بأجسادهم، بل المعنى لزوم طرائقهم، ومتابعتهم في عقائدهم وأقوالهم وأفعالهم، ومعلوم أنَّ الله تعالى لا يأمر عموماً بمتابعة من يعلم صدور الفسق والمعاصي عنه ـ مع نهيه عنها ـ، فلا بدَّ أن يكونوا معصومين، لا يخطئون في شيء، حتى تجب متابعتهم في جميع الأُمور.

وأيضاً اجتمعت الأُمّة على أنَّ خطاب القرآن عام لجميع الأزمنة لا يختص بزمان دون زمان، فلا بدَّ من وجود معصوم في كلّ زمان ليصحّ أمر مؤمني كلّ زمان بمتابعتهم. انتهى(١).

الحديث الثاني:

[١] **(والصدّيقون بطاعتهم):**

أي الأئمّة عليهم السلام هم الصادقون، وهم الصدّيقون بسبب طاعتهم إذ الصدّيق هو: من حقّق صدقه بفعله، قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾(٢)، ولعلَّ الإمام الرِّضا عليه السلام أراد بيان معنى الصدّيقين في هذه الآية، ففسّر أولاً آية ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ثمّ فسّر آية الصدّيقين.

---

(١) المرآة: ج٢، ص٤١٧، عن التجريد.

(٢) سورة النساء: الآية ٦٩.

٣ ـ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ طَرِيفٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْيَا حَيَاةً تُشْبِهُ حَيَاةَ الْأَنْبِيَاءِ[١]، وَيَمُوتَ مِيتَةً تُشْبِهُ مِيتَةَ الشُّهَدَاءِ[٢]، وَيَسْكُنَ الْجِنَانَ الَّتِي غَرَسَهَا الرَّحْمَنُ[٣] فَلْيَتَوَلَّ عَلِيّاً[٤]، ....

الحديث الثالث:

[١] (تشبه حياة الأنبياء):

في كونها بطاعة الله تعالى، قال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾(١)، وقال: ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾(٢).

[٢] (تشبه ميتة الشُّهداء):

في كونها ميتة بحسن عاقبة، يتبعها المغفرة والرضوان والرِّزق الكريم، قال تعالى: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾(٣).

[٣] (التي غرسها الرَّحمٰن):

أي أمر الرَّحمٰن بغرسها، أو غرسها بقدرته ورحمته من غير توسط غارس، وفيه دلالة على جلالتها حيث خلقها مباشرة بلا أسباب، نظير قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾(٤) تشريفاً لآدم عليه السلام.

[٤] (فليتولَّ علياً):

من «التولي» أي اتخاذه ولياً وإماماً، أو بمعنى فليحبّه.

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٧.
(٢) سورة الأنفال: الآية ٤٢.
(٣) سورة الحديد: الآية ١٩.
(٤) سورة ص: الآية ٥٧.

وَلْيُوَالِ وَلِيَّهُ[٥]، وَلْيَقْتَدِ بِالْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ، فَإِنَّهُمْ عِتْرَتِي، خُلِقُوا مِنْ طِينَتِي[٦]، اللَّهُمَّ ارْزُقْهُمْ فَهْمِي وَعِلْمِي[٧]، وَوَيْلٌ لِلْمُخَالِفِينَ لَهُمْ مِنْ أُمَّتِي، اللَّهُمَّ لَا تُنِلْهُمْ شَفَاعَتِي[٨].

---

[٥] **(ليوال وليّه):**

من «الموالاة» أي المحبَّة والنصرة.

[٦] **(خلقوا من طينتي):**

سيأتي إن شاء الله تعالى ـ في كتاب الإيمان والكفر، باب طينة المؤمن والكافر ـ تفصيل الخلق والطينة.

[٧] **(فهمي وعلمي):**

قد مرَّ أنَّ (الفهم) وهو ما احتاج إلى دقَّة نظر ومعرفة ببواطن الأُمور، فهو أخصّ من (العلم).

[٨] **(اللّهمَّ لا تنلهم شفاعتي):**

لعلَّ المقصود اللّهمَّ لا ترض عنهم أبداً، لأنَّ الله يأذن لرسوله ﷺ بالشفاعة لمن ارتضاه الله تعالى كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾(١)، فيكون عدم الشفاعة دليل على عدم ارتضائه.

أو بمعنى أنَّه ﷺ يشفع شفاعات عامَّة، فيريد بهذا الدُّعاء أن لا تشملهم تلك الشفاعات.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٨.

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِنَّ اللَّهَ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ يَقُولُ: اسْتِكْمَالُ حُجَّتِي عَلَى الْأَشْقِيَاءِ مِنْ أُمَّتِكَ[١]، مَنْ تَرَكَ وَلَايَةَ[٢] عَلِيٍّ، وَوَالَى أَعْدَاءَهُ، وَأَنْكَرَ فَضْلَهُ وَفَضْلَ الْأَوْصِيَاءِ مِنْ بَعْدِهِ، فَإِنَّ فَضْلَكَ[٣] فَضْلُهُمْ، وَطَاعَتَكَ

الحديث الرابع:

[١] (الأشقياء من أُمَّتك):

«استكمال» مبتدأ، «على الأشقياء» خبر، أي الحجَّة كاملة على الأشقياء من الأُمَّة.

[٢] (من ترك ولاية...):

«مَن» بفتح الميم، والجملة عطف بيان أو بدل على (الأشقياء).

و«الولاية» بكسر الواو بمعنى الطاعة والمحبَّة، وبفتح الواو بمعنى الإمارة والسلطة.

[٣] (فإنَّ فضلك...):

دليل على أنَّ ترك الولاية هي شقاء، للتلازم بين الرسول وأهل بيته (عليه وعليهم الصلاة والسلام)، فمعاداتهم وإنكار فضلهم يرجع إلى معاداته وإنكار فضله صلى الله عليه وآله.

بل الذين عادوا الرسول ثم دخلوا الإسلام غير راغبين؛ لمّا لم يتمكنوا من إظهار معاداتهم له صلى الله عليه وآله، أظهروها في الإمام علي عليه السلام، وكلَّما كان بغضهم للرسول أكثر كانت معاداتهم للوصي أشدّ.

ثمَّ إنَّ في الكلام قلباً أي فضلهم فضلك، وطاعتهم طاعتك... الخ، وذلك للتأكيد على ثبوت هذه الأُمور لهم عليهم السلام، والمعنى إنَّ فضلهم مأخوذ من فضلك، وطاعتهم فرع طاعتك، ومعصيتهم مثل معصيتك وحقّهم من حقّك.

طَاعَتُهُمْ، وَحَقَّكَ حَقُّهُمْ، وَمَعْصِيَتَكَ مَعْصِيَتُهُمْ، وَهُمُ الْأَئِمَّةُ الْهُدَاةُ مِنْ بَعْدِكَ، جَرَى فِيهِمْ رُوحُكَ، وَرُوحُكَ مَا جَرَى فِيكَ مِنْ رَبِّكَ[٤]، وَهُمْ عِتْرَتُكَ مِنْ طِينَتِكَ وَلَحْمِكَ وَدَمِكَ[٥]، وَقَدْ أَجْرَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ سُنَّتَكَ وَسُنَّةَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَكَ[٦]، وَهُمْ خُزَّانِي عَلَى عِلْمِي مِنْ بَعْدِكَ[٧]، ....

---

[٤] (ما جرى فيك من ربّك):

أي روحك تجري فيهم، ثمَّ فسَّر روحه ﷺ بقوله: (وروحك ما جرى فيك من ربّك).

ولعلَّ المقصود أنَّهم من نور واحد، فلم يزل هذا النُّور ينتقل من صلب شامخ إلى رحم طاهر، إلى أن انقسم نصفين: نصف انتقل إلى عبد الله، ونصف إلى أبي طالب(١)، وهذا المعنى أقرب إلى ظاهر العبارة، وكذا يؤيده قوله بعد ذلك: (من طينتك ولحمك...) الخ.

فنورك ونورهم واحد، وطينتك وطينتهم واحدة، وهكذا.

[٥] (ولحمك ودمك):

للدلالة على غاية القرب، نظير قوله ﷺ: «فاطمة بضعة منّي».

[٦] (وسُنَّة الأنبياء قبلك):

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾(٢) والمعنى أنَّ نفس الطريقة التي جرت في الأنبياء السابقين عليهم السلام أجراها الله تعالى في رسول الله محمَّد ﷺ وأهل بيته عليهم السلام.

[٧] (على علمي من بعدك):

فإنَّ العلم الذي أنزله الله تعالى إلى الأرض لم يُرفع، بل باقٍ لا يزول ما دام الإمام موجوداً، فهم حفظة هذا العلم ويبيِّنون منه للناس ما شاؤوا.

---

(١) انظر: خصال الصدوق: ص٦٤٠.

(٢) سورة الإسراء: الآيتان ٧٦ ـ ٧٧.

حَقٌّ عَلَيَّ[٨] لَقَدِ اصْطَفَيْتُهُمْ وَانْتَجَبْتُهُمْ وَأَخْلَصْتُهُمْ[٩] وَارْتَضَيْتُهُمْ، وَنَجا مَنْ أَحَبَّهُمْ وَوَالاهُمْ وَسَلَّمَ لِفَضْلِهِمْ.

وَلَقَدْ أَتَانِي[١٠] جَبْرَائِيلُ عليه السلام بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَأَحِبَّائِهِمْ وَالْمُسَلِّمِينَ لِفَضْلِهِمْ.

---

[٨] **(حقٌّ علي):**
قد مرَّ أنَّ الحق على الله إنَّما هو لجعله هذا الحق على نفسه، كما إذا وعد فصار الوعد حقّاً عليه قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

[٩] **(لقد... وأخلصتهم):**
الاصطفاء والانتجاب والإخلاص، متقاربة المعنى، إلَّا أنَّ (الاصطفاء): هو الاختيار، و(الانتجاب): طيب الأصل، و(الإخلاص): الخلو من الشوب والكدر.
ولعلَّ المراد هنا: الاصطفاء قبل هذا العالم، والانتجاب في طيب الولادة والآباء والأُمَّهات من آدم فما بعد، والإخلاص بعد التلوّث بالرِّجس في هذا العالم.

[١٠] **(ولقد أتاني):**
من هنا كلام الرسول صلى الله عليه وآله، وقبله كان حديثاً قدسياً عن الله تعالى.

---

(١) سورة يونس: الآية ١٠٣.

٥ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي الْمَغْرَاءِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَحْيَا حَيَاتِي، وَيَمُوتَ مِيتَتِي، وَيَدْخُلَ جَنَّةَ عَدْنٍ[١] الَّتِي غَرَسَهَا اللَّهُ رَبِّي بِيَدِهِ، فَلْيَتَوَلَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَلْيَتَوَلَّ وَلِيَّهُ، وَلْيُعَادِ عَدُوَّهُ، وَلْيُسَلِّمْ[٢] لِلْأَوْصِيَاءِ مِنْ بَعْدِهِ، فَإِنَّهُمْ[٣] عِتْرَتِي مِنْ لَحْمِي وَدَمِي، أَعْطَاهُمُ اللَّهُ فَهْمِي وَعِلْمِي[٤]. إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَمْرَ أُمَّتِي[٥]،

الحديث الخامس:

[١] **(جنَّة عدن):**

في المفردات(١) أي استقرار وثبات، وعَدَن بمكان كذا: استقر، ومنه المعدن: لمستقر الجواهر.

[٢] **(وليسلِّم):**

أي الانقياد والإذعان لهم.

[٣] **(فإنَّهم):**

أي علي بن أبي طالب عليه السلام والأوصياء من بعده.

[٤] **(أعطاهم الله فهمي وعلمي):**

إمَّا دعاء لهم بأن يعطيهم الله ذلك، وقد استجاب الله دعاءه، وإمَّا خبر أي قد أعطاهم الله ذلك.

[٥] **(أشكو أمر أُمَّتي):**

«الأُمَّة» المجموعة من الناس، والرسول ﷺ يشكو من هذه المجموعة المنتسبة إليه لكنَّها خالفته في أهل بيته.

أو المراد الشكوى من مجموع الأُمَّة ولكن باعتبار الأكثر، نظير قوله

---

(١) المفردات: ص٥٥٣.

الْمُنْكِرِينَ لِفَضْلِهِمْ، الْقَاطِعِينَ فِيهِمْ صِلَتِي[٦]. وَايْمُ اللَّهِ[٧] لَيَقْتُلَنَّ ابْنِي[٨] لَا أَنَالَهُمُ اللَّهُ شَفَاعَتِي.

٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُوسَى بْنِ سَعْدَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ عَبْدِ الْقَهَّارِ، عَنْ جَابِرٍ الْجُعْفِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَحْيَا حَيَاتِي، وَيَمُوتَ مِيتَتِي، وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ الَّتِي وَعَدَنِيهَا رَبِّي، وَيَتَمَسَّكَ بِقَضِيبٍ[١] غَرَسَهُ

تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾(١).

[٦] **(القاطعين فيهم صلتي):**

«فيهم» متعلق بـ(صلتي) أي القاطعين صلتي في علي والأوصياء عليهم السلام، و«الصلة» من الوصل ويُراد به البرّ والإحسان، كما يُقال: صلة الرحم، أي برّه والإحسان إليه.

[٧] **(ايم الله):**

«ايم» مخفَّف (أيمن)، قيل: هي حرف جرّ بمعنى القسم كالواو والتاء، وقيل: هي مفرد مشتق من اليُمن ـ وهو البركة ـ والهمزة للوصل، وقيل: جمع يمين، مبتدأ والخبر محذوف أي أيمن الله قسمي(٢).

[٨] **(ليقتلن ابني):**

إمَّا بتخفيف الياء، أي الإمام الحسين عليه السلام، أو بتشديدها ـ ياء التثنية وياء المتكلّم ـ يعني الحسنين عليهما السلام.

الحديث السادس:

[١] **(قضيب):**

«القضيب»: الغصن، ولعلَّ المُراد تشبيه أهل الجنَّة بالملوك حيث يأخذون

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٣٠.

(٢) راجع مغني اللبيب: ج١، ص١٣٦ ـ ١٣٧.

رَبِّي بِيَدِهِ، فَلْيَتَوَلَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَأَوْصِيَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِ، فَإِنَّهُمْ لَا يُدْخِلُونَكُمْ فِي بَابِ ضَلَالٍ، وَلَا يُخْرِجُونَكُمْ مِنْ بَابِ هُدًى، فَلَا تُعَلِّمُوهُمْ[٢] فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي[٣] أَلَّا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْكِتَابِ حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ[٤] ....

عصا الملك بيدهم، أو أنَّ إمساك غصن غرسه الله بقدرته فيه بهجة ومنزلة خاصة لأهل الجنَّة.

[٢] (فلا تعلموهم):

لعلَّ المُراد هو: لا تُخطِّئوهم في أقوالهم وأفعالهم، لأنَّهم أعلم منكم، وهذا المقطع يدلُّ على عصمتهم عليهم السلام، لأنَّ الأعلم إذا أخطأ في أمر فلا بدَّ من تنبيهه وتعليمه، فإذا نهى الرسول ﷺ عن تعليمه فإنَّ معنى ذلك صحة كل ما يقول ويعمل.

[٣] (وإنِّي سألت ربِّي):

في حديث الثقلين ـ المتواتر ـ (فإنَّ اللّطيف الخبير قد عهد إليَّ أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)(١)، وبجمعه مع هذا الحديث يدلُّ على أنَّ الرسول ﷺ سأل ذلك، والله تعالى قد استجاب الدُّعاء فأخبر الرسول ﷺ بذلك.

وحيث إنَّ الكتاب ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾(٢)، فعدم افتراق أهل البيت عليهم السلام عنه دليل على عصمتهم، لأنَّ في الذنب أو الخطأ افتراق عن الكتاب، فهم عليهم السلام الحافظون للكتاب، المفسِّرون له، العاملون به... الخ.

[٤] (حتى يردا عليَّ الحوض):

وهذا التعبير كناية عن عدم الافتراق أبداً، أو لأنَّ عدم افتراقهما يتبيَّن

---

(١) الكافي: ج٢، ص٤١٥؛ ومن العامة رواه في المعجم الكبير: ج٣، ص٦٥، الحديث: ٢٦٧٨؛ ومسند أحمد بن حنبل: ج٣، ص١٧، الحديث: ١١١٤٧.

(٢) سورة فصلت: الآية ٤٢.

هَكَذَا ـ وَضَمَّ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ[٥] ـ، وَعَرْضُهُ[٦] مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ إِلَى أَيْلَةَ[٧]، فِيهِ قُدْحَانٌ[٨] فِضَّةٍ وَذَهَبٍ عَدَدَ النُّجُومِ[٩].

بشكل واضح لدى الجميع عند الحوض.

[٥] **(ضمَّ بين إصبعيه):**

قيل: هما السبابتان، للدلالة على تساويهما وعدم افتراقهما بمقدار أنملة.

[٦] **(عرضه):**

إمَّا العرض مقابل الطول، فيكون طول الحوض أكثر من هذه المسافة، وإمَّا العرض بمعنى السعة، ولعلَّ سبب هذا العرض هو كثرة الشاربين منه، أو لأجل تعظيمه.

[٧] **(أيلة):**

قيل: «إيلة» جبل بين مكة والمدينة قرب مدينة ينبع، وقيل: غير ذلك.

[٨] **(قُدحان):**

جمع قَدَحْ، وهو الإناء الكبير، أو مطلق الإناء ـ كبيره وصغيره ـ.

[٩] **(عدد النُّجوم):**

كناية من كثرة القدحان، بحيث لا ينتظر مَنْ أذن الله له بالارتواء، فالكل يشرب منه بمجرَّد الإذن.

«فضَّة وذهب» لعلَّه لاختلاف درجات الشاربين.

«عدد النُّجوم» منصوب بنزع الخافض أي بعدد النُّجوم.

٧ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ زِيَادٍ، عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: وَإِنَّ الرَّوْحَ وَالرَّاحَةَ[١] وَالْفَلْجَ وَالْعَوْنَ وَالنَّجَاحَ وَالْبَرَكَةَ

الحديث السابع:

[١] **(الرَّوح والرَّاحة):**

«الرَّوح»: الرحمة والفرج، وهو في الأصل نسيم الريح، قال تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾(١)، و«الراحة»: في الدُّنيا باطمئنان القلب، وفي الآخرة بالجنَّة، و«الفلج»: أي الغلبة قال تعالى: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾(٢)، و«العون»: من الله، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾(٣)، و«النجاح»: الفوز بالمطلوب، و«البركة»: الخير الثابت، و«الكرامة»: الشرف بواسطة الأفعال الحميدة قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾(٤)، و«المغفرة»: العفو عن الذنب وصون العبد من العذاب، و«المعافاة»: من العافية أي السلامة في الدِّين والدُّنيا، و«اليسر»: أي السهولة في الدارين قال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾(٥)، و«البشرى»: الإخبار بما يَسُرّ قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾(٦)، و«الرضوان»: الرِّضا الكثير، ويُستعمل في رضا الله تعالى، قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ﴾(٧)، و«القرب»: أي الحظوة عند الله تعالى، قال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾(٨)،

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٨٩.
(٢) سورة المائدة: الآية ٥٦.
(٣) سورة يوسف: الآية ١٨.
(٤) سورة المعارج: الآية ٣٥.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٨٥.
(٦) سورة يونس: الآية ٦٤.
(٧) سورة التوبة: الآية ٢١.
(٨) سورة المطففين: الآية ٢٨.

وَالْكَرَامَةَ وَالْمَغْفِرَةَ وَالْمُعَافَاةَ وَالْيُسْرَ وَالْبُشْرَى وَالرِّضْوَانَ وَالْقُرْبَ وَالنَّصْرَ وَالتَّمَكُّنَ وَالرَّجَاءَ وَالْمَحَبَّةَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[٢] لِمَنْ تَوَلَّى عَلِيّاً وَائْتَمَّ بِهِ، وَبَرِئَ مِنْ عَدُوِّهِ، وَسَلَّمَ لِفَضْلِهِ، وَلِلْأَوْصِيَاءِ مِنْ بَعْدِهِ، حَقّاً عَلَيَّ[٣] أَنْ أُدْخِلَهُمْ فِي شَفَاعَتِي، وَحَقَّ عَلَى رَبِّي[٤] ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ أَنْ يَسْتَجِيبَ لِي

و«النصر»: العون على الأعداء قال: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾(١)، و«التمكن»: الاقتدار، قال تعالى: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾(٢)، وقال: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾(٣)، و«الرجاء»: الأمل بما فيه المسرَّة، قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾(٤)، و«المحبَّة»: أي حبّ الله تعالى لهم كقوله: ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾(٥).

[٢] (من الله عزَّ وجلَّ):

«من» تتعلَّق بجميع ما ذكر، أي الروح من الله، والراحة منه، والفلج منه. . . الخ.

والحاصل: إذا أراد الإنسان أن ينال هذا الثواب ـ عبر هذه الأمور ـ من الله عزَّ وجلَّ فعليه بولاية أمير المؤمنين عليه السلام، والبراءة من أعدائه، والتسليم لفضله وفضل الأئمَّة من بعده عليهم السلام.

[٣] (حقاً عليَّ):

«حقاً» مفعول مطلق، أي حق حقاً، كقوله: ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٦).

[٤] (حَقَّ على ربِّي):

«حَقَّ» فعل، أي ثبت على ربِّي استجابة دعائي فيهم.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٠.
(٢) سورة القصص: الآية ٦.
(٣) سورة النُّور: الآية ٥٥.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢١٨.
(٥) سورة آل عمران: الآية ٣١.
(٦) سورة يونس: الآية ١٠٣.

فِيهِمْ، فَإِنَّهُمْ أَتْبَاعِي[٥]، وَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي[٦].

---

[٥] (فإنّهم أتباعي):

حيث سلَّموا تسليماً لأمر النبي ﷺ في أوصيائه وطبَّقوا وصيته بالتمسُّك بهم.

[٦] (فإنَّه منِّي):

كما في قوله: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾(١)، وكقوله ﷺ: «سلمان منَّا أهل البيت»(٢).

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٦.

(٢) عيون أخبار الرضا: ج١، ص٧٠، الحديث: ٢٨٢.

بَابُ أَنَّ أَهْلَ الذِّكْرِ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ الْخَلْقَ بِسُؤَالِهِمْ هُمُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام

١ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَجْلَانَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ[١]﴾ [النحل: ٤٣] قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: الذِّكْرُ أَنَا[٢]، وَالْأَئِمَّةُ أَهْلُ الذِّكْرِ، وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ[٣]﴾ [الزخرف: ٤٤] قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: نَحْنُ قَوْمُهُ وَنَحْنُ

الحديث الأوّل:

[١] (إن كنتم لا تعلمون):

الآية تعطي قاعدة عامَّة يدلُّ عليها العقل أيضاً وهي لزوم سؤال أهل العلم عمَّا لا نعلم، وأظهر مصاديق الآية الأئمَّة عليهم السلام، لأنَّهم أهل العلم الكامل، وهم أهل القرآن، وهم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنَّ «الذِّكر» قد ورد بهذه المعاني.

[٢] (الذِّكر أنا):

كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا﴾(١)، حيث إنَّ الذِّكر في هذه الآية بمعنى الرسول صلى الله عليه وآله.

[٣] (وسوف تسألون):

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَذِكْرٌ﴾ أي شرف أو بمعنى التذكير ﴿لَّكَ﴾ يا رسول الله ﴿وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾، فأطلق الذِّكر في هذه الآية على القرآن الكريم.

---

(١) سورة الطلاق: الآيتان ١٠ ـ ١١.

الْمَسْؤُولُونَ[٤].

٢ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أُورَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] قَالَ: الذِّكْرُ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم وَنَحْنُ أَهْلُهُ الْمَسْؤُولُونَ. قَالَ: قُلْتُ: قَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤] قَالَ: إِيَّانَا عَنَى، وَنَحْنُ أَهْلُ الذِّكْرِ، وَنَحْنُ الْمَسْؤُولُونَ.

وليس المعنى أنَّ القرآن خاص بالنبي وقومه، لأنَّ القرآن للناس كافَّة، بل إمَّا بمعنى أنَّه شرف ورفعة لهم حيث نزل فيهم وبلسانهم، وإمَّا بمعنى التذكير لأنَّهم في الأصل كانوا على ملَّة إبراهيم عليه السلام، والإسلام والقرآن امتداد له كما قال: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾(١).

[٤] **(ونحن المسؤولون):**

فسَّر عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ بأنَّكم ستُسألون عن معاني القرآن، لأنَّه ذكر لكم، أو سوف تُسألون عن هذه النِّعمة لأنَّه شرف ورفعة لكم، والأول أنسب لمراد الإمام عليه السلام في هذا الحديث.

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٣.

٣ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ قَالَ: سَأَلْتُ الرِّضَا عليه السلام فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] فَقَالَ: نَحْنُ أَهْلُ الذِّكْرِ وَنَحْنُ الْمَسْؤُولُونَ، قُلْتُ: فَأَنْتُمُ الْمَسْؤُولُونَ وَنَحْنُ السَّائِلُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: حَقّاً عَلَيْنَا أَنْ نَسْأَلَكُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ[١]، قُلْتُ: حَقّاً عَلَيْكُمْ أَنْ تُجِيبُونَا؟ قَالَ: لَا[٢]، ذَاكَ إِلَيْنَا إِنْ شِئْنَا فَعَلْنَا وَإِنْ شِئْنَا لَمْ نَفْعَلْ، أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ[٣]﴾ [ص: ٣٩].

الحديث الثالث:

[١] (أن نسألكم، قال: نعم):

لأنَّ الأمر في ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ﴾ يدلُّ على الوجوب، وكذا ما دلَّ من الآيات الأخرى كقوله: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾(١)، وقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾(٢) وغيرها.

[٢] (قال: لا):

أي لا يجب علينا جواب كل سؤال وكل سائل، إذ لا يجب في حالة التقية، أو عند عدم استجابة السائل، أو عدم حاجته إلى الجواب ـ لعدم كونه محلاً لابتلائه ـ، أو لعدم كون السؤال ممَّا يرتبط بالحلال والحرام، أو لقصور فهم السائل أو نحو ذلك.

[٣] (بغير حساب):

تفسير الآية: وقلنا لسليمان ﴿هَٰذَا﴾ الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعدك ﴿عَطَآؤُنَا﴾ لك فتصرف كما تشاء ﴿فَٱمْنُنْ﴾ أي أعط ما شئت لمن شئت ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ بأن لا تعطي ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي لا يُحاسبك أحد عليه فلا تتحرج من الإعطاء أو المنع، ومن المعلوم أنَّ سليمان نبي، فلا يتصرف

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١٩.

(٢) سورة النساء: الآية ٨٣.

٤ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤] فَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الذِّكْرُ[١]، وَأَهْلُ بَيْتِهِ عليهم السلام الْمَسْؤُولُونَ، وَهُمْ أَهْلُ الذِّكْرِ.

إلَّا بالحكمة، فلا يعطي إلَّا لمصلحة، ولا يمنع إلَّا بسبب وجيه.

والاستشهاد بالآية إمَّا للتنظير، أي كما كان حال سليمان في الملك المادي، كذلك حالنا بالنسبة إلى العلم الذي أعطاه الله إيَّانا، أو لأنَّ سليمان أُعطي الماديات والعلم وفوَّض إليه العطاء منهما أو المنع.

الحديث الرابع:

[١] **(فرسول الله الذِّكر):**

قال في الوافي(١): كأنَّ في الحديث إسقاطاً أو تبديلاً لإحدى الآيتين بالأخرى، سهواً من الراوي أو الناسخ والعلم عند الله. انتهى.

أقول: ما ذكره بعيد لأنَّ الرواية صحيحة السند، مضافاً إلى ورودها بسند آخر ـ صحيح على الظاهر ـ في بصائر الدرجات، وبسند ثالث في تأويل الآيات(٢).

فلا بدَّ من القول بأنَّ للآية تفسيراً وتأويلاً.

أمَّا التفسير: فهو ما جاء في الحديث اللاحق أي القرآن هو الذِّكر للرسول صلى الله عليه وآله ولقومه.

وأمَّا التأويل: فهو ما جاء في هذا الحديث، فيُقال إنَّ الرسول هو الذكر، وإنَّ في الكلام التفاتاً، فيكون ﴿لَّكَ﴾ متعلق بـ (صراط مستقيم) في الآية السابقة أي: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ وهو القرآن ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، ثم يحصل الالتفات ـ بتوجيه الخطاب إلى عامَّة الناس ـ

---

(١) الوافي: ج٣، ص٥٢٨.

(٢) البرهان: ج٨، ص٥٦٨ و٥٦٩. عن البصائر: ص٥٧. وعن تأويل الآيات: ج٢، ص٥٦١.

٥ ـ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ رِبْعِيٍّ، عَنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤] قَالَ: الذِّكْرُ الْقُرْآنُ[١]، وَنَحْنُ قَوْمُهُ[٢]، وَنَحْنُ الْمَسْؤُولُونَ[٣].

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ الرسول ﴿لَذِكْرٌ﴾، وهنا ينتهي الالتفات ويرجع الكلام إلى السياق العام أي إنَّك على صراط مستقيم، هذا الصراط ﴿لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾، وهذا نظير الالتفات في آية التطهير حيث كان الخطاب لنساء النبي صلى الله عليه وآله ثم التفت إلى أهل البيت عليهم السلام ثم رجع إلى النساء.

والحاصل: أنَّ قوله ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ﴾ تكون جملة معترضة وفيها التفات، وهذا وإن كان خلاف الظاهر، لكن لا بأس به في التأويل، لأنَّ بطون القرآن الكريم لا تتبع الظواهر.

أو يُقال: إنَّه بحذف المضاف أي رسول الله ذو الذكر ـ نظير قوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾(١) ـ أي أهل القرية ـ فيكون قوله عليه السلام (فرسول الله الذكر) هو تفسير لقوله تعالى: ﴿لَذِكْرٌ لَّكَ﴾. فتأمَّل.

الحديث الخامس:

[١] (الذكر القرآن):

أي الضمير في ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يرجع إلى القرآن المذكور في الآية السابقة ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾، فيكون المعنى إن القرآن هو الذكر.

[٢] (ونحن قومه):

أي قوم الرسول صلى الله عليه وآله، وقد ذكر صلى الله عليه وآله في ضمير «لك».

[٣] (ونحن المسؤولون):

أي في الآية التفات من الغائب ـ لقومك ـ إلى الخطاب بقوله: ﴿تُسْـَٔلُونَ﴾.

---

(١) سورة يوسف: الآية ٨٢.

٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْحَضْرَمِيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام وَدَخَلَ عَلَيْهِ الْوَرْدُ أَخُو الْكُمَيْتِ فَقَالَ: جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ اخْتَرْتُ لَكَ سَبْعِينَ مَسْأَلَةً مَا تَحْضُرُنِي مِنْهَا مَسْأَلَةٌ وَاحِدَةٌ، قَالَ: وَلَا وَاحِدَةٌ يَا وَرْدُ؟ قَالَ: بَلَى قَدْ حَضَرَنِي مِنْهَا وَاحِدَةٌ[١]، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] مَنْ هُمْ؟ قَالَ: نَحْنُ. قَالَ: قُلْتُ: عَلَيْنَا أَنْ نَسْأَلَكُمْ؟ قَالَ نَعَمْ، قُلْتُ: عَلَيْكُمْ أَنْ تُجِيبُونَا؟ قَالَ: ذَاكَ إِلَيْنَا.

٧ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ رَزِينٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ[١]: إِنَّ مَنْ عِنْدَنَا يَزْعُمُونَ أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧] أَنَّهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، قَالَ: إِذاً يَدْعُونَكُمْ إِلَى دِينِهِمْ! قَالَ: ـ قَالَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ[٢] ـ نَحْنُ أَهْلُ الذِّكْرِ وَنَحْنُ الْمَسْؤُولُونَ.

الحديث السادس:

[١] **(قد حضرني منها واحدة):**
أي تذكَّرت إحداها الآن.

الحديث السابع:

[١] **(قال):**
أي قال محمد بن مسلم، سائلاً الإمام الباقر عليه السلام.

[٢] **(قال بيده إلى صدره):**
أي أشار بيده إلى صدره، لأنَّ «القول» يُطلق على الفعل ـ توسعاً ـ.
ثمَّ اعلم أنَّ إنكار الإمام عليه السلام لعلَّه يرجع إلى زعم البعض سؤال معالم

٨ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: عَلَى الْأَئِمَّةِ مِنَ الْفَرْضِ[١] مَا لَيْسَ عَلَى شِيعَتِهِمْ. وَعَلَى شِيعَتِنَا مَا لَيْسَ عَلَيْنَا؛ أَمَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَسْأَلُونَا، قَالَ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْأَلُونَا، وَلَيْسَ عَلَيْنَا الْجَوَابُ، إِنْ شِئْنَا أَجَبْنَا وَإِنْ شِئْنَا أَمْسَكْنَا.

الدِّين عن أهل الكتاب، ومن المعلوم أنَّهم لا يسألون عن ذلك، لوضوح أنَّهم يدعون إلى دينهم ويكذِّبون الإسلام والرسول صلى الله عليه وآله.

وهذا لا ينافي سؤال أهل الكتاب عن بعض معتقداتهم ـ التي لا يتمكنون من إنكارها ـ مثل كون بعض أنبيائهم بشراً كموسى وإبراهيم وإسحاق وغيرهم عليهم السلام، فإنَّ المشركين كانوا ينكرون رسالة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله لكونه بشراً زاعمين لزوم كون الرسول مَلَكاً!! فجاء الردّ بأنَّ الأنبياء السابقين أيضاً كانوا بشراً فاسألوا أهل الكتاب عن بشريتهم، فأهل الكتاب ـ في هذه المسألة ـ مصداق للآية، وأظهر المصاديق: من يؤخذ منهم كل شيء وهم الرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام.

الحديث الثامن:

[١] (على الأئمّة من الفرض):

في المرآة(١): مثل خشونة الملبس وجشوبة المأكل.

---

(١) المرآة: ج٢، ص٤٣١.

٩ ـ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى الرِّضَا عليه السلام كِتَاباً، فَكَانَ فِي بَعْضِ مَا كَتَبْتُ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ[١]﴾ [التوبة: ١٢٢] فَقَدْ فُرِضَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْأَلَةُ، وَلَمْ يُفْرَضْ عَلَيْكُمُ الْجَوَابُ؟ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ

الحديث التاسع:

[١] (لعلّهم يحذرون):

﴿وَمَا كَانَ﴾ نفي بمعنى النهي ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ﴾ لطلب العلم ﴿كَآفَّةً﴾ جميعهم، بل البعض ينفر والبعض يبقى، ﴿فَلَوْلَا﴾ تحضيض وحثّ ﴿نَفَرَ﴾ خرج لطلب العلم ﴿مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ المجموعة الكبيرة كالقبيلة ﴿مِّنْهُمْ﴾ من المؤمنين ﴿طَآئِفَةٌ﴾ أي جماعة ويبقى الباقون، لأنّه لا يصلح كل أحد للتعلّم والتعليم، مضافاً إلى لزوم بقاء مجموعة لأعمال أخرى، ﴿وَلِيُنذِرُواْ﴾ تخويف من العقاب ببيان الأحكام الشرعية ﴿قَوْمَهُمْ﴾ الباقين ﴿إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ رجع النافرون إلى قومهم ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ الباقين ﴿يَحْذَرُونَ﴾ عمّا أُنذروا عليه.

وفي الآية تفسير آخر، وهو أن لا ينفر الجميع للجهاد بل يبقى البعض في المدينة لتعلّم المسائل من الرسول صلى الله عليه وآله ثم يعلّمونها للمجاهدين النافرين بعد رجوعهم.

وفي أحاديث متعدّدة أنّ من مصاديق الآية هو النفر لمعرفة الإمام بعد موت الإمام السابق، فراجع تفسير البرهان(١).

---

(١) البرهان: ج٤، ص٥٧٩ ـ ٥٨٤.

﴿مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ[٢]﴾ [القصص: ٥٠].

---

[٢] (ممَّن اتبع هواه):

﴿قُلْ﴾ للكفَّار الذين لا يقبلون القرآن ـ كما لم يقبلوا التوراة من موسى عليه السلام ـ ﴿فَأْتُوا بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ﴾ أكثر هداية ﴿مِنْهُمَا﴾ من القرآن والتوراة ﴿أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في عدم كفاية القرآن للهداية، ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ أي لم يأتوا بكتاب أهدى من القرآن والتوراة ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ لأنَّهم لا حجَّة لهم ولو كانت لهم حجَّة لأتوا بها.

﴿وَمَنْ﴾ استفهام إنكاري ﴿أَضَلُّ﴾ أكثر ضلالاً ﴿مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ «اتباع الهوى» عبارة أخرى عن «بغير هدى من الله» فيكون للتأكيد، أو أحدهما في جانب الفعل والآخر في جانب الترك، أو لأنَّ الهوى قد يطابق الحق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي سبب لا يلطف بهم اللُّطف الخاص الموجب للهداية، ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ أي أتبعنا البعض ببعض ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فإنَّ الاستمرار والتدرُّج قد يكون سبباً لزوال العناد.

ثم اعلم أنَّ وجه استشهاد الإمام بهذه الآية في جواب قول السائل (ولم يفرض عليكم الجواب)، هو أنَّ الحجَّة قد تمَّت، لأنَّ الأئمَّة عليهم السلام بيَّنوا جميع الأحكام، فلا يجب عليهم التكرار، أو لأنَّ السائل متعنِّت معاند فلا فائدة في التكرار بعد البيان مراراً.

ومن هذا الجواب يستكشف أنَّ السائل لو كان مستفهماً وفي أُمور ترتبط بتكليفه، ولم يكن هناك مانع ـ كالتقية ـ، فيجب بيان الحكم الشرعي له.

بَابُ أَنَّ مَنْ وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ بِالْعِلْمِ هُمُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام

١ - عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ الْقَاسِمِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ سَعْدٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ[١]﴾ [الزُّمَر: ٩]، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّمَا نَحْنُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ، وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ عَدُوُّنَا، وَشِيعَتُنَا أُولُو الْأَلْبَابِ.

الحديث الأوَّل:

[١] (إنَّما يتذكَّر أولو الألباب):

تفسير الآية: هل الكافر ـ المذكور في الآية السابقة ـ أفضل ﴿أَمَّنْ﴾ أم من ﴿هُوَ قَانِتٌ﴾ أي خاضع لله تعالى ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ في ساعته، لأنَّ الطاعة تظهر بشكل جليّ في العبادة باللَّيل ﴿سَاجِدًا﴾ لله، ﴿وَقَائِمًا﴾ بالصلاة، ﴿يَحْذَرُ﴾ عذاب ﴿الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ بالفوز بالجنَّة، فهل هذا المؤمن يتساوى مع الكافر؟ ﴿قُلْ﴾ استنكاراً ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فالمؤمن هو الذي يعلم والكافر هو الذي لا يعلم، وأبرز مصاديق الذين يعلمون هم الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام حيث يعلمون كلّ شيء ممَّا في القرآن وما تحتاج إليه الأمَّة، وأبرز مصاديق الجهَّال هم أعداء أهل البيت حيث ظهر جهلهم في أبسط المسائل، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ وينتفع حيث علم بالفرق فيتبع العالم ويترك الجاهل ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول الذين يستعملون عقولهم.

٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ﴾ [الزُّمَر: ٩] قَالَ: نَحْنُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ، وَعَدُوُّنَا الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ. وَشِيعَتُنَا أُولُو الْأَلْبَابِ[١].

الحديث الثاني:

الظاهر أنَّ هذا هو نفس الحديث السابق، وإنما كرّره الكليني (رضوان الله عليه)، لتعدد السند إلى جابر، وللتفاوت في بعض الألفاظ.

ثم اعلم أنَّ الروايات الدالّة على أن أولي الألباب هم الشيعة روايات مستفيضة[١]، لأن كل من استعمل عقله فإنه يصل إلى الدين القويم الذي هو أوضح من الشمس، وذلك باتباع أهل البيت عليهم السلام حسب أمر الرسول صلى الله عليه وآله قال سبحانه: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَٰلِغَةُ﴾[٢].

---

(١) راجع بصائر الدرجات: ص٧٤، باب ٢٤، الحديث: ١ ـ ٩؛ الكافي: ج١، ص٢١٢، باب من وصفه الله بالعلم، الحديث: ١ و٢؛ البرهان في تفسير القرآن: ج٤، ص٦٩٧ ـ ٦٩٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٤٩.

بَابُ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الأَئِمَّةُ عليهم السلام

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ الْحُرِّ، وَعِمْرَانَ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: نَحْنُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ وَنَحْنُ نَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ[١].

الحديث الأوّل:

[١] (ونحن نعلم تأويله):

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾.

أما معنى الآية ـ كما في التقريب ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أي القرآن، ﴿مِنْهُ﴾ أي قسم من الكتاب ﴿ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ﴾ غير متشابهات، فالمفاد منها واضح، لا يخفى على أهل اللّسان ﴿هُنَّ﴾ أي تلك الآيات المحكمات ﴿أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي أصله الذي يُرجع إليه لدى الشك والخصام والجدال.

﴿وَأُخَرُ﴾ أي آيات أخر ﴿مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾، والمتشابه هو الذي يحتمل وجهين أو وجوهاً، ممّا سبّب عدم إدراك الناس كلهم لها.

وإنّما يؤتى به:

١ ـ إمّا امتحاناً ـ حتى يعرف المؤمن من المنافق ـ.

٢ ـ أو لتقريب المطلب إلى أذهان الناس الذين لا يدركون الحقائق، ككثير من آيات الصفات ونحوها.

٣ ـ أو لأنَّ المطلب دقيق لا تتحمَّله بعض العقول، كآيات الجن والشيطان، ممَّا لا يتحمَّلها عقل من أَلِف المادة.

٤ ـ أو لأنَّه جيء به لاعتبار كلامي، فاشتبه الأمر نحو ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾. أو لغير ذلك.

والمتشابه ممَّا لا بدَّ منه في الكلام الراقي.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي ميل وانحراف عن الحق ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ اتّباعاً على خلاف المراد منه، ويوجّهون المتشابه حسب أهوائهم ومشتهياتهم، ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ أي لأجل إضلال الناس، ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أي يُؤوّلون الكلام على غير المراد منه ليطابق هواهم ومشتهاهم.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ أي ما يؤول وينتهي إليه الكلام ـ وهو المقصود الأصلي منه ـ ﴿إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ أي ثابتو قدم في العلم، الذين لهم اطلاع على المعلومات وبأساليب الكلام، وبما يدلُّ عليه العقل والشرع، وهذا ليس ببدع، فإنَّ القوانين المدنية لا يعرفها إلَّا من درسها وأتقنها، وأساليب الكلام العربي لا يعرفها إلَّا من أتقن الأدب والبلاغة، حال كون الراسخين ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ بالمتشابه، ، كما آمنّا بالمحكم، ﴿كُلٌّ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ فإذا لم يظهر المعنى في بادئ النظر لا ينكرون ولا يقولون بالتناقض، فإنَّهم جمعوا بين فضيلتي العلم بالتأويل والإذعان بصحة المتشابه، بخلاف الجهال فإنَّهم يعترضون على المتشابه أولاً، ويأوِّلون حسب أهوائهم ثانياً، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[1].

ثمَّ اعلم أنَّ رسول الله ﷺ والأئمَّة عليهم السلام هم المصداق البارز للراسخين، حيث إنَّهم يعلمون القرآن كلّه وكلّ المتشابهات بتفاصيلها وظهرها وبطنها.

ومن مصاديق الراسخين: العلماء الربانيون، الذين أخذوا العلم من

(١) تقريب القرآن: ج١، ص٣١٢ ـ ٣١٥ ـ بتصرُّف ـ

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمَّادٍ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَحَدِهِمَا عليهما السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]: فَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَفْضَلُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، قَدْ عَلَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مِنَ التَّنْزِيلِ وَالتَّأْوِيلِ[١]، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُنْزِلَ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يُعَلِّمْهُ تَأْوِيلَهُ[٢]، ....

النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، فقد تكون لهم درجة من الرسوخ في العلم وبمقدارها يكون لهم علم التأويل.

وهذا ما يظهر من بعض الروايات، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: (واعلم يا عبد الله أنَّ الراسخين في العلم هم الذين أغناهم الله عن الاقتحام على السدد المضروبة دون الغيوب، وأقرّوا بجهل ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ وقد مدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يُحيطوا به علماً...» الحديث(١).

كما يظهر أيضاً من الحديث اللاحق.

الحديث الثاني:

[١] **(من التنزيل والتأويل):**

«التنزيل» ما يوافق ظاهر اللفظ ـ مطابقة أو تضمناً أو التزاماً ـ، «التأويل» ما يُصرف اللفظ إليه لأجل قرينة عقلية أو نقلية(٢).

[٢] **(لم يعلّمه تأويله):**

كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(٣)، كما

---

(١) البرهان: ج٢، ص٣٦٧ عن تفسير العياشي.

(٢) اقتباس من المرآة: ج٢، ص٤٣٤ ـ بتصرُّف ـ

(٣) سورة النحل: الآية ٤٤.

وَأَوْصِيَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ يَعْلَمُونَهُ كُلَّهُ، وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ[٣] تَأْوِيلَهُ إِذَا قَالَ الْعَالِمُ فِيهِمْ بِعِلْمٍ فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ[٤]: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] وَالْقُرْآنُ خَاصٌّ وَعَامٌّ، وَمُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَنَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ، فَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَهُ.

٣ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أُورَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَئِمَّةُ مِنْ بَعْدِهِ عليهم السلام.

لم يُنقل أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله سُئل عن شيء من معاني القرآن فقال: لا أدري، وكذا الأئمَّة عليهم السلام.

[٣] (والذين لا يعلمون):

أي إنَّ قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا﴾ حال عن بعض الراسخين ـ لا كلهم ـ وهم الذين لا يعلمون بعض التأويلات، فلما يبيِّن الإمام عليه السلام التأويل يقبلونه ويؤمنون به.

و(الذين لا يعلمون) مبتدأ، الجملة الشرطية خبر، و«فأجابهم» جزاء الشرط.

[٤] (فأجابهم الله بقوله):

أي نقل الله قولهم في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، والمعنى: إذا قال العالم بعلم، فقد ذكر الله جواب الذين لا يعلمون بقوله: ﴿يَقُولُونَ﴾.

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ قَدْ أُوتُوا الْعِلْمَ وَأُثْبِتَ فِي صُدُورِهِمْ

١ ـ أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُخْتَارِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ[١]: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ[٢]﴾ [العَنكبوت: ٤٩] فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ.

الحديث الأوّل:

[١] (يقول في هذه الآية):

أي يفسِّرها.

[٢] (في صدور الذين أوتوا العلم):

القرآن ليس فيه شك وشبهة، والله تعالى سدّ كل الذرائع للتشكيك ﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا رسول الله ﴿تَتْلُواْ﴾ أي تقرأ ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ قبل القرآن ﴿مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ﴾ أي لا تكتبه ﴿بِيَمِينِكَ﴾ فالرسول صلى الله عليه وآله لم يتعلّم القراءة والكتابة عند أحد ولم يستعملهما ﴿إِذًا﴾ أي لو كنت تقرأ وتكتب ﴿لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي وجدوا منفذاً للتشكيك فقالوا: إنَّه قرأ الكتب ولفق منها، ثمَّ إنَّ هذا الارتياب ليس في محلّه أيضاً حتَّى لو كان الرسول صلى الله عليه وآله يستعمل القراءة والكتابة، لأنَّ القرآن لا يمكن لأحد مهما أوتي من علم أن يأتي بمثله ولذا قال (المبطلون).

﴿بَلْ هُوَ﴾ القرآن ﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ واضحات في كونها من الله ﴿فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ العلماء فإنَّهم يعرفون معجزة القرآن، وأظهر مصاديق العلماء هم الأئمّة عليهم السلام لأنهم يعرفون كل القرآن ظاهره وباطنه، تفسيره وتأويله... الخ، فهم أوتوا العلم كاملاً من كلّ جهات القرآن.

٢ ـ عَنْهُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعَبْدِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العَنكبوت: ٤٩] قَالَ: هُمُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام.

٣ ـ وَعَنْهُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى، عَنْ سَمَاعَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام فِي هَذِهِ الْآيَةِ[١] ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العَنكبوت: ٤٩]، ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ مَا قَالَ بَيْنَ دَفَّتَيِ الْمُصْحَفِ[٢]؟ قُلْتُ: مَنْ هُمْ جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ قَالَ:

وقوله تعالى: ﴿فِى صُدُورِ﴾ إمَّا متعلق بـ﴿بَيِّنَٰتٌ﴾ فالمعنى أنَّها واضحة عند أهل العلم، وإمَّا متعلق بمقدَّر أي «آيات بيِّنات كائنة في صدورهم».
ثم إنَّ الرسول صلى الله عليه وآله كان يعلم القراءة أو الكتابة بطريقة إعجازية ـ أي علّمه الله ذلك ـ من غير أن يتعلّمهما عند أحد ولم يستعملهما طيلة حياته.

الحديث الثالث:

[١] **(قال أبو جعفر عليه السلام في هذه الآية):**
أي قرأها وفسَّرها ـ ولم يذكر الراوي ذلك الكلام ـ.

[٢] **(دفتي المصحف):**
أي لم يقل هي آيات بيِّنات مكتوبة بين الدفتين ـ أي بين الجلدين ـ، لأنَّ من لا يفهم اللغة أو لا يعرف القراءة لا يشعر بكونه آية إذا رآها مكتوبة، بل الذي يفهم الآيات يشعر بإعجازها وبأنَّها نازلة من الله تعالى، فكونه آية بيِّنة إنَّما في صدور هؤلاء العلماء.
لأنَّ القرآن الكريم يُخاطب العقول، عكس أكثر المعاجز التي ترتبط بالحواس ـ وخاصة البصر ـ.
وحيث إنَّ الآية ليست خاصة بزمان واحد، دلَّت على أنَّ للقرآن حملة في كلّ زمان، وأنَّ هؤلاء الحملة أوتوا العلم كلّه، ولم يُعطَ العلم كلّه أحدٌ إلّا الأئمَّة عليهم السلام.

مَنْ عَسَى أَنْ يَكُونُوا غَيْرَنَا[٣].

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ يَزِيدَ شَعَرٍ، عَنْ هَارُونَ بْنِ حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾، قَالَ: هُمُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام خَاصَّةً.

٥ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ قَالَ: هُمُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام خَاصَّة.

---

[٣] (أن يكونوا غيرنا):
استفهام إنكاري.

بَابٌ فِي أَنَّ مَنِ اصْطَفَاهُ اللّٰهُ مِنْ عِبَادِهِ وَأَوْرَثَهُمْ كِتَابَهُ هُمُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام

١ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، عَنْ سَالِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ[١]﴾؟

الحديث الأوّل:

[١] (سابق بالخيرات بإذن الله):

تفسير الآية: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ «من» بيانيّة للذي أُوحي ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب السابقة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ﴾ يرى بواطنهم، ﴿بَصِيرٌ﴾ ناظر إلى أعمالهم، فلذا كان الكتاب مطابقاً للواقع لعلمه تعالى بتكوين الإنسان وتركيبته وحاجاته، ﴿ثُمَّ﴾ بعد إنزال الكتاب عليك أو بعدك ﴿أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ﴾ علم الكتاب ـ كما ينقل المال من المورِّث إلى الوارث ـ أي نقلنا علم الكتاب إلى ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ والاصطفاء هو الخلوص من الشوب والنقص، و«من» للتبعيض، لأنَّ المصطفَين هم بعض العباد.

والعباد على ثلاثة أقسام: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ ومن مصاديقه من لا يعرف الإمام حيث ترك واجباً مهماً.

﴿وَمِنْهُم﴾ من العباد ﴿مُّقْتَصِدٌ﴾ أي متوسط في العمل، فلا هو ظالم، ولا هو سابق بالخيرات، ومن مصاديقه العارف بالإمام.

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ وهو الإمام ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ حيث اصطفاه الله تعالى فلذا كان سابقاً، لأنَّ السابقين ليسوا إلَّا الأنبياء والأوصياء ومن يليهم، ولذا قال تعالى حول أصحاب اليمين: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾[(١)] ولكن حول السابقين قال سبحانه: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾[(٢)]، وذلك لكثرة الأنبياء في الأُمم السابقة بلغوا مائة وأربعة وعشرين ألفاً ـ حسب بعض الروايات ـ، فضلاً عن أوصيائهم، ولكن في الآخرين ليس نبي إلَّا محمَّد رسول الله صلى الله عليه وآله والأوصياء اثنا عشر وبعض قليل ممَّن يلونهم، ولذا كان السابقون في الأولين كثيرين ولكنهم قليلون في الآخرين، أمَّا أصحاب اليمين فهم جماعة كثيرة من الأولين وجماعة كثيرة من الآخرين.

و﴿ذَلِكَ﴾ أي السابق بالخيرات بإذن الله ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ من الله تعالى حيث تفضَّل عليه بذلك، ونتيجة أنَّه سابق بالخيرات ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ﴾ يزيَّنون ﴿فِيهَا﴾ في تلك الجنَّات ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ جمع سوار ـ وهو ما يوضع في اليد ـ ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ «من» بيان أساور، ﴿وَ﴾ يحلّون ﴿لُؤْلُؤًا﴾ عطف على محل أساور ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ الآيات.

ولا يتوهم رجوع ضمير ﴿فَمِنْهُمْ﴾ إلى ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾، وذلك لأنَّ المصطفى لا يكون ظالماً لنفسه، فهو خالص من كل شوب وكدورة، نظير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[(٣)].

مضافاً إلى أنَّ الضمير يرجع إلى الأقرب وهو ﴿عِبَادِنَا﴾.

ثم اعلم أنَّه ورد في بعض الروايات تفسير ﴿عِبَادِنَا﴾ بذرِّية فاطمة عليها السلام، والروايات طائفتان[(٤)]:

الأولى: فيمن صحَّ معتقدهم فلم يدعُ إلى إمام غير حق، فهؤلاء كلّهم

(١) سورة الواقعة، الآيتان ٣٩ ـ ٤٠.

(٢) سورة الواقعة، الآيتان ١٣ ـ ١٤.

(٣) سورة الحديد: الآية ٢٦.

(٤) راجع تفصيل الروايات في تفسير البرهان: ج٨، ص١٤٦ ـ ١٥٤.

[فاطر: ٣٢] **قَالَ: السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ: الْإِمَامُ، وَالْمُقْتَصِدُ: الْعَارِفُ لِلْإِمَامِ، وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ: الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْإِمَامَ.**

٢ ـ الْحُسَيْنُ، عَنْ مُعَلًّى، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] **فَقَالَ: أَيَّ شَيْءٍ تَقُولُونَ[١] أَنْتُمْ؟**

مغفور لهم، فالظالم لنفسه هو من صحَّ معتقده ولكن ارتكب بعض الذُّنوب، والمقتصد هو من كان مؤمناً ورعاً، والسابق هو الإمام خاصة ـ كما في الحديث اللاحق في هذا الباب ـ.

الثانية: في ذرِّية فاطمة أجمع ـ من صحَّ معتقده ومن لم يصح ـ فليس هؤلاء كلّهم مغفور لهم، بل الظالم لنفسه هو الضال عن الإمام فلا يدخل الجنَّة، والمقتصد هو العارف بالإمام وهو مغفور له، والسابق هو الإمام، ـ كما في الحديث الثالث من هذا الباب ـ ولا يخفى أنَّ ذلك من مصاديق الآية أو من تأويلها فلا تنافي عمومية ﴿عِبَادِنَا﴾.

الحديث الثاني:

[١] **(أي شيء تقولون):**

أي الزيديّة، لأنَّ سليمان بن خالد كان زيدياً، قال النجاشي: «كان قارئاً فقيهاً وجهاً... خرج مع زيد ولم يخرج معه من أصحاب أبي جعفر عليه السلام غيره... فقُطعت يده... ومات في حياة أبي عبد الله عليه السلام، فتوجع لفقده، ودعا لولده، وأوصى بهم أصحابه(١)».

وفي المرآة: لكن قالوا إنَّه تاب من ذلك ورجع إلى الحق قبل موته، ورضي أبو عبد الله عليه السلام منه بعد سخطه وتوجّع بموته(٢).

---

(١) رجال النجاشي: ص١٨٣، الرقم ٤٨٤.
(٢) المرآة: ج٢، ص٤٤٠.

قُلْتُ: نَقُولُ: إِنَّهَا فِي الْفَاطِمِيِّينَ[٢]. قَالَ: لَيْسَ حَيْثُ تَذْهَبُ، لَيْسَ يَدْخُلُ فِي هَذَا[٣] مَنْ أَشَارَ بِسَيْفِهِ[٤] وَدَعَا النَّاسَ إِلَى خِلَافٍ[٥]. فَقُلْتُ: فَأَيُّ شَيْءٍ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ؟ قَالَ: الْجَالِسُ فِي بَيْتِهِ لَا يَعْرِفُ حَقَّ الْإِمَامِ[٦]، وَالْمُقْتَصِدُ: الْعَارِفُ بِحَقِّ الْإِمَامِ، وَالسَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ: الْإِمَامُ.

---

[٢] **(نقول إنَّها في الفاطميين):**
أي إنَّ الآية نزلت في ذرِّية فاطمة عليها السلام فكلّهم ورثة الكتاب وكلّهم أهل الجنَّة كما في الآية التالية.

[٣] **(ليس يدخل في هذا):**
أي في قوله تعالى: ﴿عِبَادِنَا﴾، أو في قوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ فالمعنى إنَّ الفضل الكبير وجنَّات عدن لا تشمل من لم تصحّ عقيدته.

[٤] **(أشار بسيفه):**
أي رفع سيفه، لأنَّ الزيديين يعتقدون أنَّ كل فاطمي خرج بالسيف فهو إمام، فيقول له الإمام الصادق عليه السلام: ليس كل فاطمي خرج بالسيف محق، بل قد تكون دعوته إلى ضلال، فلا يكون مشمولاً للآية.
والحاصل: أنَّ الآية ليست في كل الفاطميين، بل فيمن صحَّت عقيدته منهم، فهؤلاء مغفور لهم.

[٥] **(ودعا الناس إلى خلاف):**
أي خلاف الحق.

[٦] **(لا يعرف حق الإمام):**
لعلَّ المراد أنَّه يعتقد بالإمام، ولكنَّه لا يعرف حقَّه، فهذا ظلم نفسه، كبعض فسقة الشيعة، حيث يعتقدون بالعقيدة الصحيحة، ولكنَّهم لا يطيعون الأئمَّة، ولو كانوا يعرفون الأئمَّة حق المعرفة لأطاعوهم.
فعلى هذا المعنى تكون الرواية من الطائفة الأولى ـ التي أشرنا إليها قبل قليل.

٣ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] الْآيَةَ، قَالَ: فَقَالَ: وُلْدُ فَاطِمَةَ عليها السلام[١] وَالسَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ: الْإِمَامُ، وَالْمُقْتَصِدُ: الْعَارِفُ بِالْإِمَامِ، وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ: الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْإِمَامَ.

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ أَبِي وَلَّادٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ[١]﴾؟ [البقرة: ١٢١] قَالَ: هُمُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام.

الحديث الثالث:

[١] **(فقال ولد فاطمة):**

أي المراد من ﴿عِبَادِنَا﴾ ولد فاطمة عليها السلام، وكما مرَّ فإنَّهم من المصاديق البارزة للعباد.

فيكون المعنى ثم بعد رسول الله أورثنا علمنا الكتاب لمن اصطفيناهم من ذرِّية فاطمة عليها السلام ـ ومن هنا للتبعيض فإنَّ المصطفين بعض الذرِّية لا كلّها ـ فمن الذرِّية من لا يعرف الإمام وهو الظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم السابق وهو الإمام.

الحديث الرابع:

[١] **(أولئك يؤمنون به):**

وتفسير الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ جنس الكتاب سواء كان التوراة أم الإنجيل أم القرآن، هؤلاء إن قرأوا الكتاب فإنَّما ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ وذلك بالعمل بما في الكتاب، ﴿أُولَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ بالكتاب أو بالقرآن

أو بالإسلام أو بالنبي صلى الله عليه وآله، فهؤلاء يؤمنون إيماناً صحيحاً، لا كإيمان المعاندين ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ بعدم العمل ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

ومن المعلوم أنَّ التلاوة كما هي حقّها ـ بمراعاة الألفاظ وكلّ المعاني والعمل به كاملاً وحسب ما أراده الله تعالى ـ هي خاصة بالأئمّة عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِمَامَانِ إِمَامٌ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَإِمَامٌ يَدْعُو إِلَى النَّارِ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَالِبٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ[١]﴾ [الإسراء: ٧١] قَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْتَ إِمَامَ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَجْمَعِينَ[٢]، قَالَ: فَقَالَ

الحديث الأوّل:

[١] (ندعو كل أُناس بإمامهم):

أي بإمام زمانهم، فكلّ إمام لأهل عصر يُدعى أهل ذلك العصر به، فمن كان قد ائتمَّ به فإنَّه يلحق به إلى الجنَّة، ومن لم يكن قد ائتمَّ به يلحق بأئمَّة الضلال الذي كان يتبعهم أو بالشمس والقمر والحجارة التي كان يعبدها فيُقذفون جميعاً إلى النَّار كما قال تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾.

وما ذكرناه هو مقتضى الجمع بين الروايات فراجعها في تفسير البرهان(١).

[٢] (إمام الناس كلهم أجمعين):

مقصودهم هو أنَّ الرسول إمام كل الناس أجمعين، لكن ظاهر الآية هو أنَّ هناك أئمَّة متعدِّدون حيث قال: ﴿كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ فكيف نفهم معنى هذه الآية؟

---

(١) البرهان: ج٦، ص١١٦ ـ ١٢٤.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ[٣]، وَلَكِنْ سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِي أَئِمَّةٌ عَلَى النَّاسِ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَقُومُونَ فِي النَّاسِ فَيُكَذَّبُونَ[٤]، وَيَظْلِمُهُمْ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ وَأَشْيَاعُهُمْ، فَمَنْ وَالَاهُمْ وَاتَّبَعَهُمْ وَصَدَّقَهُمْ فَهُوَ مِنِّي وَمَعِي وَسَيَلْقَانِي[٥]، أَلَا وَمَنْ ظَلَمَهُمْ وَكَذَّبَهُمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَا مَعِي وَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ.

والجواب: أنَّ الرسول وهو رسول الله إلى الناس أجمعين إلى يوم القيامة، ومن بعده هناك أئمَّة متعدِّدون.

والآية تدلُّ على أنَّ كل ناس لهم إمام من الله، فمن تبع ذلك الإمام فهو تابع للرسول ﷺ، ومن خالف ذلك الإمام واتبع أئمَّة الضلال فرسول الله منه بريء.

[٣] **(أنا رسول الله إلى الناس أجمعين)**:

فلا نبي بعده، وكل الناس يلزمهم الإيمان برسالته، ومن بعده أئمَّة من الله تعالى.

ففي تفسير العياشي عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه إذا كان يوم القيامة يدعى كلٌّ بإمامه الذي مات في عصره، . . . الحديث.

عن الإمام الباقر عليه السلام: يجيء رسول الله ﷺ في قومه، وعلي عليه السلام في قومه، والحسن عليه السلام في قومه، والحسين عليه السلام في قومه، وكل من مات بين ظهراني إمام جاء معه.

والأحاديث في ذلك كثيرة وقد مرَّ بعضها(١).

[٤] **(فيكذبون)**:

أي يُكذِّبهم الناس أو أئمَّة الضلال ونحوهم.

[٥] **(فهو منِّي ومعي وسيلقاني)**:

«منِّي» أي هو تابع لي، كما قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾(٢)، و«معي» في الجنَّة. و«سيلقاني» أي على الحوض فأسقيه من ماء الكوثر.

---

(١) راجع تفسير البرهان: ج٦، ص١١٦ ـ ١٢٤.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٦.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ؛ وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: قَالَ: إِنَّ الْأَئِمَّةَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِمَامَانِ[١]. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

الحديث الثاني:

[١] **(في كتاب الله عزَّ وجلَّ إمامان):**

الجعل من الله تعالى أنواع، فمنها:

١ ـ الجعل بمعنى الوضع التكويني كقوله: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَآءَ﴾(١)، وقوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾(٢)، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾(٣).

٢ ـ الجعل التشريعي: بمعنى تشريع حكم، كقوله: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾(٤)، وقوله: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾(٥).

٣ ـ الجعل بمعنى عدم المنع التكويني وعدم منع الأسباب، كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾(٦)، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾(٧).

ثمَّ إنَّ قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾(٨)، يُراد به المعنى الأول، لأنَّ شأن النزول في الأنبياء عليهم السلام حيث قال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ

---

(١) سورة المائدة: الآية ٢٠.
(٢) سورة المائدة: الآية ٦٠.
(٣) سورة يونس: الآية ٥.
(٤) سورة النساء: الآية ٩٠.
(٥) سورة الإسراء: الآية ٣٣.
(٦) سورة الأنعام: الآية ١١٢.
(٧) سورة الأنعام: الآية ١٢٣.
(٨) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣] لا بِأَمْرِ النَّاسِ[٢]، يُقَدِّمُونَ أَمْرَ اللَّهِ قَبْلَ أَمْرِهِمْ[٣]، ....

نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾. . . الآية، وكذا قوله: ﴿بِأَمْرِنَا﴾ يتعلّق بـ﴿جَعَلْنَا﴾ أي الجعل بأمر الله لا بأمر الناس.

وأمّا قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾(١)، يُراد به المعنى الثالث إذ لا يعقل الجعل التكويني لأئمّة الضلال، حيث إنَّ هذا جبر لهم وقد مرَّ بطلان الجبر، كما لا يعقل الجعل التشريعي بأن يأمر الله تعالى باتباع أئمّة الضلال كما هو واضح.

وفي التقريب(٢): ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ جمع إمام، أي مقتدون للناس، ونسبة الجعل إليه سبحانه باعتبار أنّه خلقهم وهيّأ الأشياء والأسباب لهم، ولم يمنعهم منعاً تكوينياً عن أعمالهم ﴿يَدْعُونَ﴾ الناس ﴿إِلَى النَّارِ﴾ فإنَّ الدعوة إلى الكفر والمعاصي دعوة إلى النار، وهذا كما يقول الملك: «جعلت فلاناً مثالاً للعصيان ومحلاً للمتمردين» يريد أنّه لم يضرب على يده ولم يأخذه، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ عن النار فيدخلونها أذلّاء. . .

[٢] (لا بأمر الناس):

في المرآة: أي ليس هدايتهم للناس وإمامتهم بنصب الناس وأمرهم، بل هم منصوبون لذلك من قِبل الله تعالى(٣).

[٣] (يقدمون أمر الله قبل أمرهم):

أي يجعلون أمر الله هو المحور، ويكون أمرهم تابعاً لأمر الله تعالى، «أمرهم» أي قبل أمر أنفسهم، أو قبل أمر الناس، فالمعنى لا يقدمون ما يريده الناس على ما يريده الله تعالى.

---

(١) سورة القصص: الآية ٤١.

(٢) تقريب القرآن: ج٤، ص١٥٩.

(٣) المرآة: ج٢، ص٤٤٣.

وَحُكْمَ اللَّهِ قَبْلَ حُكْمِهِمْ[٤]. قَالَ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [القَصَص: ٤١] يُقَدِّمُونَ أَمْرَهُمْ قَبْلَ أَمْرِ اللَّهِ، وَحُكْمَهُمْ قَبْلَ حُكْمِ اللَّهِ، وَيَأْخُذُونَ بِأَهْوَائِهِمْ خِلَافَ مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

---

[٤] (قبل حكمهم):

الفرق أنَّ (أمر الله) عام شامل للأحكام ولكلّ شيء و(حكمه) خاص بالتشريعات.

بَابُ أَنَّ الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلْإِمَامِ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا ﷺ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ[١]﴾؟ [النساء: ٣٣]

الحديث الأوّل:

[١] (والذين عقدت أيمانهم):

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بل على الإنسان أن يعمل ويقنع، فإنَّ له رزقان، رزق يكسبه، ورزق يصل إليه بالإرث بلا كسب، ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا﴾ حيث إنَّ الغالب أنَّ الإنسان لا يصرف جميع ماله، بل ينتفع ببعض منه، ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾، فاعملوا ولا تكونوا كسالى تتمنون ما للغير، ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ لأنَّ الكسب قد يكون فيه خسارة وقد يكون ربحه قليلاً، فاسألوا الله أن يوسّع عليكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فيعلم المصالح ولذا فضَّل بعضكم على بعض، ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من الرجال والنساء ﴿جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ هم أولى بالإرث ـ جمع مولى ـ فالموالي يرثون ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ سبباً أو نسباً ﴿وَ﴾ من الورثة ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ جمع يمين إمَّا بمعنى القسم أي تحالفتم وهو ضامن الجريرة الذي يرث إن لم يكن للميّت قريب نسبي، وإمَّا بمعنى اليد اليمنى ويُراد به الإمام لأنَّه وارث من لا وارث له، فمعنى عقدت أيمانكم أي صارت بيعته في أعناقكم ـ لأنَّ البيعة تكون باليد اليمنى ـ، ﴿فَآتُوهُمْ﴾ أي كل من الوالدين والأقربين والذين عقدت أيمانكم ﴿نَصِيبَهُمْ﴾ من الإرث

قَالَ: إِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ الْأَئِمَّةَ عليهم السلام[٢]، بِهِمْ عَقَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَيْمَانَكُمْ.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ مُوسَى بْنِ أُكَيْلٍ النُّمَيْرِيِّ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ سَيَابَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ[١]﴾ [الإسراء: ٩] **قَالَ: يَهْدِي إِلَى الْإِمَامِ.**

وحسب ما تقرَّر في طبقات الإرث ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾ فلا تبخسوا إرث أحد لأنَّ الله يراكم ويُحاسبكم.

[٢] **(إنَّما عنى بذلك الأئمَّة)**:

إمَّا تفسير للآية فيكون إشارة إلى أنَّ الإمام هو وارث بعد الأقربين، لأنَّ طبقات الإرث هي كالتالي: الأبوان والأبناء، ثمَّ الأخوة والأجداد ثمَّ الأعمام والأخوال، ثمَّ المعتق، ثمَّ ضامن الجريرة ثمَّ الإمام فهو وارث من لا وارث له.

أو تأويل للآية بمعنى أنَّ بيعة الإمام هي فرض على كل أحد.

الحديث الثاني:

[١] **(يهدي للتي هي أقوم)**:

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى﴾ الناس ﴿لِلَّتِى﴾ أي للطريقة التي ﴿هِىَ أَقْوَمُ﴾ أي أحسن الطرق وأكثرها استقامة، فإنَّ الشرائع السابقة كانت مستقيمة في ظروف خاصة، ولذا فإنَّها نُسخت بعد تبدُّل تلك الظروف، لكن القرآن باقٍ يرشد إلى الطريقة المستقيمة أبد الدهر، ومن الواضح أنَّ القرآن يرشد إلى الإمام، لأنَّ تكميل الدِّين به، كما مرَّ في آية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(١)، وإنَّ الطريقة التي هي أقوم الطرائق تكون بواسطة الإمام، فلذا القرآن يهدي إليه.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

بَابُ أَنَّ النِّعْمَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام

١ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ بِسْطَامَ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ حَسَّانَ، عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ وَاقِدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْعَبْدِيِّ، عَنْ سَعْدٍ الْإِسْكَافِ، عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: مَا بَالُ أَقْوَامٍ غَيَّرُوا سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[١] وَعَدَلُوا عَنْ وَصِيِّهِ[٢]؟ لَا يَتَخَوَّفُونَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمُ الْعَذَابُ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ[٣]﴾ [إبراهيم: ٢٨]، ثُمَّ قَالَ: نَحْنُ النِّعْمَةُ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ، وَبِنَا يَفُوزُ مَنْ فَازَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الحديث الأوّل:

[١] (غيّروا سُنَّة رسول الله):

وكما مرّ فقد روت العامّة في صحاحها أنَّ أحد الصحابة ـ وهو أنس بن مالك ـ قال: (لا أعرف شيئاً ممّا أدركت إلّا هذه الصلاة وقد ضُيِّعت)(١).

[٢] (وعدلوا عن وصيّه):

إمَّا بمعنى أنَّهم لم يرجعوا إلى وصي الرسول لكي يعلِّمهم بالسُّنَّة الصحيحة، وإمَّا عطف تفسيري أي تغيير السُّنَّة كان بالعدول عن الوصي.

[٣] (دار البوار):

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي ألم تعلم، والاستفهام للتذكير ﴿إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ أي كفروا بالنعمة، فكأنَّهم أخذوا الكفر بدلاً من النعمة، ومن مصاديقها

---

(١) رواه البخاري ـ في الصحيح عندهم ـ: ج٢، ص٤٠١، باب تضييع الصلاة عن وقتها، الحديث: ٥٣٠.

٢ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ ـ رَفَعَهُ ـ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ[١]﴾ [الرَّحمٰن: ١٣] أَبِالنَّبِيِّ أَمْ بِالْوَصِيِّ تُكَذِّبَانِ[٢]؟ نَزَلَتْ فِي «الرَّحْمَنِ».

مشركو مكّة حيث جعل الله الرسالة في حيٍّ منهم، وكان هذا فخر لهم وشرف لكنّهم حاربوا الرسول ﷺ، فانتقم الله منهم في غزوة بدر، ومصداقها الآخر المنافقون الذين عدلوا عن الإمام علي عليه السلام إلى غيره، والذين تركوا أئمّة الهدى إلى سلاطين الجور، حيث إنّهم ﴿وَأَحَلُّواْ﴾ أدخلوا ﴿قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ أي الهلاك، فالرؤساء قادوا قومهم إلى حيث الهلاك، وهي ﴿جَهَنَّمَ﴾ ـ بدل عن دار البوار ـ ﴿يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾.

الحديث الثاني:

[١] **(فبأي آلاء ربكما تكذبان):**

«آلاء» جمع (إلىً) أو (ألًا) أي النعمة العظيمة، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (سورة الرّحمٰن نزلت فينا من أوّلها إلى آخرها)(١).

وروايات أخرى بأنّ ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي علّم رسول الله ﷺ القرآن، و﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ يُراد به الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وكذا تأويل (النجم) و(الشجر) و(السّماء) و(الميزان) بهم عليهم السلام فراجع تفسير البرهان(٢).

وكذا استفاضت الروايات بأنّ ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ و﴿ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ تأويلها، بالإمام علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام(٣).

[٢] **(بالنبي أم بالوصي تكذبان):**

ولم يذكر معلّى بن محمّد الإمامَ المروي عنه، لكن في روايات أخرى روي هذا المعنى عن الإمام الصادق عليه السلام، ففي تفسير القمّي عن أبي بصير قال: سألت أبا

---

(١) البرهان: ج٩، ص٣٠٩ عن تأويل الآيات.
(٢) البرهان: ج٩، ص٣٠٧ ـ ٣١٠.
(٣) المصدر نفسه: ص٣١٢ ـ ٣١٦.

٣ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ وَاقِدٍ، عَنْ أَبِي يُوسُفَ الْبَزَّازِ قَالَ: تَلَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٦٩] قَالَ: أَتَدْرِي مَا آلَاءُ اللَّهِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: هِيَ أَعْظَمُ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ[١] وَهِيَ وَلَايَتُنَا.

٤ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أُورَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾؟ [إبراهيم: ٢٨] الْآيَةَ، قَالَ: عَنَى بِهَا قُرَيْشاً قَاطِبَةً[١] الَّذِينَ عَادَوْا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَنَصَبُوا لَهُ الْحَرْبَ، وَجَحَدُوا وَصِيَّةَ وَصِيِّهِ.

عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قال: قال الله: فبأي النعمتين تكفران بمحمَّد أم بعليّ، وقريب منه ما في «تأويل الآيات»(١).

الحديث الثالث:

[١] **(أعظم نعم الله على خلقه):**

لأنَّ (الآلاء) بمعنى النعم العظيمة، وأعظم تلك النعم هي ولاية رسول الله وأهل بيته (عليه وعليهم الصلاة والسلام).

والآية ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾ نزلت في عادٍ وثمود حيث ذكرهم هود وصالح، وتأويلها برسول الله وأهل بيته، أو هم من أبرز مصاديقها.

الحديث الرابع:

[١] **(عنى بها قريشاً قاطبة):**

أي جميعاً، ثم بيَّن أنَّ المراد هم الذين عادوا الرسول والأمير وهم أغلب

---

(١) البرهان: ج٩، ص٣١٠.

قريش، لم يستثنِ منهم إلّا القليل، كما قال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١].

(١) سورة يٰس: الآيتان ٦ ـ ٧.

بَابُ أَنَّ الْمُتَوَسِّمِينَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ هُمُ الأَئِمَّةُ عليهم السلام، وَالسَّبِيلُ فِيهِمْ مُقِيمٌ

١ ـ أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ، عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَسْبَاطٌ بَيَّاعُ الزُّطِّيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ[1]﴾؟ [الحجر: ٧٥-٧٦] قَالَ: فَقَالَ: نَحْنُ

الحديث الأوّل:

[١] (لبسبيل مقيم):

أمّا تفسير الآية: فقد قال تعالى في قوم لوط: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ أي طين متحجّر من حصباء جهنّم، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي إهلاك قوم لوط بهذه الكيفية ﴿لَآيَاتٍ﴾ علامات على صدق الرُّسل وعلى عذاب الله ﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ أي من لهم الفراسة، فيتثبّتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وعلامته، ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي المدينة المعذّبة ﴿لَبِسَبِيلٍ﴾ أي طريق ﴿مُقِيمٍ﴾ أي ثابت، فإنّها كانت في الطريق العام بين الحجاز والشام، وقوله: ﴿مُقِيمٍ﴾ تشبيه، فكما أنّ الإنسان المقيم ظاهر للعيان، كذلك الطريق الذي يسلكه الناس باقٍ لم يندثر.

وأظهر مصاديق المتوسّمين هم رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام.

وفي أحاديث كثيرة إنّهم عليهم السلام يعرفون المؤمن والكافر، في قلوبهم، وما هم مبتلون به، وما هم عليه من سيىء عملهم وحسنه، وذلك بالتوسم فإنّهم ينظرون بنور الله تعالى(١).

---

(١) راجع الأحاديث في البرهان: ج٥، ص٥٠٣ ـ ٥١١.

الْمُتَوَسِّمُونَ، وَالسَّبِيلُ فِينَا مُقِيمٌ[٢].

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَسْبَاطُ بْنُ سَالِمٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ هِيتٍ، فَقَالَ لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ مَا تَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ قَالَ: نَحْنُ الْمُتَوَسِّمُونَ وَالسَّبِيلُ فِينَا مُقِيمٌ.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام[١] فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾، قَالَ: هُمُ

---

[٢] (السبيل فينا مقيم):

وفي المرآة(١): ولعلَّه على تأويله عليه السلام ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى القرآن، أي إنَّ القرآن ﴿لَآيَاتٍ﴾ وعلامات ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ الذين يعرفون بطون القرآن، ويعرفون الأمور بالدلالات والإشارات الخفيَّة، ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي الآيات حاصلة لهم لسبب سبيل مقيم فيهم ولا يزول عنهم، وهو: الإمامة، أو الإلهام، أو إلقاء روح القدس، ... إلخ.

فحاصل المعنى: أنَّ الآيات بسبب سبيل مقيم فيهم، وذلك السبيل هو الإمامة أو غيرها.

الحديث الثالث:

[١] (عن أبي جعفر عليه السلام):

الإمام الباقر عليه السلام أولاً بيَّن المصداق الظاهر للمتوسمين وهم الأئمَّة عليهم السلام، ثمَّ شرح معنى التوسم مستشهداً بكلام رسول الله صلى الله عليه وآله ثانياً.

---

(١) المرآة: ج٣، ص٢.

الْأَئِمَّةُ عليهم السلام، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ[٢]، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ[٣] عَزَّ وَجَلَّ، فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى[٤]: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾.

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْكُوفِيِّ، عَنْ عُبَيْسِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ فَقَالَ: هُمُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ قَالَ: لَا يَخْرُجُ مِنَّا أَبَداً[١].

---

[٢] **(اتقوا فراسة المؤمن):**

أي اتركوا القبيح في غياب المؤمن، لأنَّه سيكتشف فعلتكم بالفراسة التي جعلها الله تعالى فيه.

وحاصل المعنى: لا تظنّوا المؤمن غافلاً لا ينتبه إلى حقيقة عملكم أو قولكم وخاصة فيما يتعلّق به، فإنَّ كثيراً من المؤمنين يتراءى للناس أنَّهم سُذَّج فلا يحتاطون منهم متخيلين عدم إدراكهم لحقيقة الأمور، لكن اعلموا أنَّ الله تعالى يُلهم المؤمن فيعرف حقيقة الأمر.

[٣] **(ينظر بنور الله):**

أي يفكّر ويتأمّل ببصيرة من الله تعالى كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾(١).

[٤] **(في قول الله تعالى):**

متعلّق بـ«قال رسول الله» أي في معنى هذه الآية قال الرسول صلى الله عليه وآله هذا الحديث.

الحديث الرابع:

[١] **(لا يخرج منّا أبداً):**

أي لا يخرج السبيل منهم أبداً، فتلك الآيات فيهم، وسبب ذلك هو السبيل الذي أقام فيهم، هو الإمامة أو الاصطفاء أو غيرهما، كما مرَّ قبل قليل.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٢.

٥ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ قَالَ[١]: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الْمُتَوَسِّمَ، وَأَنَا مِنْ بَعْدِهِ وَالْأَئِمَّةُ مِنْ ذُرِّيَّتِي الْمُتَوَسِّمُونَ.

وَفِي نُسْخَةٍ أُخْرَى[٢] عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَيُّوبَ، بِإِسْنَادِهِ مِثْلَهُ.

الحديث الخامس:

[١] (قال):

«قال» تأكيد لـ«قال أمير المؤمنين».

[٢] (وفي نسخة أخرى):

أي في نسخة أخرى من الكافي ذكر هذا السند الثاني أيضاً، فقد كثرت نسخ الكافي لكنّهم جعلوا نسخة النعماني والصفواني هما الأصل، وحين اختلاف النسختين أشاروا إلى موطن الاختلاف ـ كذا قيل ـ.

ولعلّ سبب هذه الاختلافات الجزئية أنَّ الكليني رضوان الله عليه حينما كان يقرأ كتابه عليهم ليرووه، غَيَّر قليلاً في نصّ الكتاب ـ بإضافة أو حذف ـ، كما يتعارف في تغيير المؤلفين في كتبهم في طبعاتها المتعددة، فبعض الرواة كان حاضراً في القراءة الأولى وبعضهم في القراءة الثانية، فحصل هذا الاختلاف الجزئي، فتأمّل.

قد تواترت الأخبار في عرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، والعرض يتكرَّر، ففي كلّ يوم يُعرض مرّتين، ثمَّ يتكرَّر العرض في كلّ خميس، ثمَّ في كلّ شهر، ثمَّ في كلّ سنة، نظير مراجعة الناس لحساباتهم التجارية يوماً بيوم، ثمَّ يراجعونها لمعرفة حساباتهم خلال أسبوع، ثمَّ خلال شهر، ثمَّ في كلّ سنة لمعرفة مجمل الحسابات.

وقد دلّت الآيات القرآنية على ذلك كقوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾[1] ولا يشهد إلّا بما علم، وحيث إنّه يشهد على الأُمّة في كلّ شيء، فمعناه علمه بكلّ ما يجري فيهم.

وقوله: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[2] أنّ المراد بهم الأئمّة عليهم السلام يشهدون على الناس، إذ لا يمكن أن يكون المراد كل الأُمّة وفيهم الفسقة الذين لا تُقبل شهادتهم في حزمة بقل، ولا تصح الشهادة إلّا مع العلم والعصمة وإلّا لأمكن ردّها.

وكذا يدلُّ عليه قوله: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾[3]، والسين للتأكيد لا للمستقبل القريب، ومعنى الرؤية هنا العلم، أي يعلم به الله والرسول والأئمّة عليهم السلام، لوضوح أنَّ كثيراً من الأعمال لا يعلمها عامّة المؤمنين أبداً، فلا بدَّ أن يكون المراد صنف خاص منهم، ليسوا إلّا الأئمّة عليهم السلام. وللتفصيل راجع ما ذكرناه في كتاب (التفكّر في القرآن).

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٥.

بَابُ عَرْضِ الْأَعْمَالِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَالْأَئِمَّةِ عليهم السلام

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَعْمَالُ الْعِبَادِ[١]، كُلَّ صَبَاحٍ ـ أَبْرَارُهَا وَفُجَّارُهَا[٢] ـ فَاحْذَرُوهَا[٣]، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ١٠٥]. وَسَكَتَ[٤].

الحديث الأوّل:

[١] **(أعمال العباد):**

«أعمال العباد» عطف بيان لـ«الأعمال».

[٢] **(أبرارها وفجّارها):**

بدل عن العباد، أي أبرار العباد جمع (بَرّ) وهو الإنسان المتوسع في فعل الخير، وفُجّار العباد جمع (فاجر).

أو بدل من الأعمال، أي أبرار الأعمال وفجّار الأعمال، وإطلاق الأبرار والفجّار على العمل يكون مجازاً باعتبار فاعلها.

[٣] **(فاحذروها):**

أي فاحتاطوا في أعمالكم، فإنّ من يعلم بأنّ أعماله تُرى فلا بدّ له من الحذر والاحتياط، فلا يعمل القبيح ويلتزم بالحسن.

[٤] **(وسكت):**

أي لم يذكر تتمة الآية ولا تفسيرها، وهو قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، ولعلّه كان في تقيّة.

٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ الطَّائِيِّ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ شُعَيْبٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ[١]﴾ قَالَ: هُمُ الْأَئِمَّةُ.

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى، عَنْ سَمَاعَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَا لَكُمْ تَسُوؤُونَ[١]

الحديث الثاني:

[١] (والمؤمنون):

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ﴾ الأعمال الحسنة، أو بمعنى اعملوا ما شئتم من خير أو شر وليس بمعنى الأمر لأنَّ مصبَّ الكلام حول رؤية ذلك العمل، نظير قوله: ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(١) ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ﴾ السين للتأكيد، وفي التقريب(٢): وربما يُقال إنَّ دخول السين لتوحيد السياق بين الله والرسول والمؤمنين حيث إنَّهم لا يرون العمل إلَّا بعد زمان وقوعه ﴿عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ هذا في الدُّنيا ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾ بعد موتكم ﴿إِلَىٰ﴾ الله ﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ ما غاب عن الحواس ﴿وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ ما حضر لدى حواسكم ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ أي يخبركم ليجازيكم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

الحديث الثالث:

[١] (تسوون رسول الله):

أي تحزنونه، فإنَّ السوء كل ما يغمّ الإنسان كقوله: ﴿إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾(٣)، وإنَّما يحزن لما يرى من المعاصي التي تُرتكب، ممَّا سيكون

---

(١) سورة فصلت: الآية ٤٠.

(٢) التقريب: ج٢، ص٤٥٧.

(٣) سورة المائدة: الآية ١٠١.

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟! فَقَالَ: رَجُلٌ كَيْفَ نَسُؤُوهُ؟ فَقَالَ: أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَى فِيهَا مَعْصِيَةً سَاءَهُ ذَلِكَ، فَلَا تَسُؤُوا رَسُولَ اللَّهِ، وَسُرُّوهُ[٢].

٤ ـ عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الزَّيَّاتِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبَانٍ الزَّيَّاتِ ـ وَكَانَ مَكِيناً[١] عِنْدَ الرِّضَا عليه السلام ـ قَالَ: قُلْتُ لِلرِّضَا عليه السلام: ادْعُ اللَّهَ لِي وَلِأَهْلِ بَيْتِي، فَقَالَ: أَوَلَسْتُ[٢] أَفْعَلُ؟ وَاللَّهِ إِنَّ أَعْمَالَكُمْ لَتُعْرَضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. قَالَ: فَاسْتَعْظَمْتُ ذَلِكَ[٣]، فَقَالَ

مصير أصحابها إلى النار، فإنّه ﷺ ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

[٢] (وسروه):
أي اعملوا الأعمال الصالحة، لكي يُسَرّ حينما يراها.

الحديث الرابع:

[١] (وكان مكيناً):
أي كان ذا جاه ومنزلة ومكانة.

[٢] (أولست):
الهمزة للإنكار الإبطالي، فيكون من نفي النفي، فيفيد الإثبات، والواو استئناف لكنّها تتأخر عن همزة الاستفهام، كقوله: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾(٢).

[٣] (فاستعظمت ذلك):
أي عدّه عظيماً، والمراد: أنّه شقّ عليه ذلك وصعب قبوله.

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٨.
(٢) سورة العنكبوت: الآية ١٠.

لِي: أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] قَالَ: هُوَ وَاللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام[٤].

٥ ـ أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّامِتِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ مُسَاوِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ ذَكَرَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ قَالَ: هُوَ وَاللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام[١].

٦ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ قَالَ: سَمِعْتُ الرِّضَا عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ الْأَعْمَالَ تُعْرَضُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبْرَارَهَا وَفُجَّارَهَا.

---

[٤] (هو والله علي بن أبي طالب):

لعلّ ذكر خصوص الإمام علي عليه السلام ـ مع أنّ المراد كلّ الأئمّة ـ لأجل معرفة الراوي بمكانة الإمام علي عليه السلام وعدم استعظام عرض الأعمال عليه، فإذا كان ذلك للإمام علي عليه السلام فلا وجه لاستبعاد أن يكون للأوصياء من بعده.

الحديث الخامس:

[١] (هو والله علي بن أبي طالب):

خصّه بالذّكر، لأنّه المصداق حين الخطاب ـ أي حين نزول الآية ـ أو لأنّه الأصل والعمدة والفرد الأعظم ـ كذا في المرآة ـ(١).

---

(١) المرآة: ج٣، ص٦.

بَابُ أَنَّ الطَّرِيقَةَ الَّتِي حُثَّ عَلَى الِاسْتِقَامَةِ عَلَيْهَا وَلَايَةُ عَلِيٍّ عليه السلام

١ ـ أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ، عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ، عَنْ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا[١]﴾ [الجن: ١٦]

الحديث الأوّل:

[١] (ماءً غدقاً):

قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ﴾ أي أن لو ﴿اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ الحقّة الصحيحة ـ وهي الإيمان ومن أركان الإيمان الولاية للأئمّة عليهم السلام ـ ﴿لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ أي كثيراً، وهذا كناية عن الرِّزق الكثير تفضُّلاً عليهم.

وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(١).

ولا يخفى أنَّ النظام الصحيح هو الذي يوجب رفاه الإنسان واستفادته من خيرات الأرض ويدفع عنه المكاره، كما أنَّ النظام غير الصحيح يتسبَّب في هدر الإمكانات والطاقات وبروز المشاكل والمكاره، ولذا نشاهد أنَّ الدول التي بُنيت على نظام صحيح يتنعَّم أهلها ـ حتى وإن كانت فقيرة من المعادن والأراضي الخصبة ـ، والتي نظامها فاسد يكون أهلها في ضنك ومصائب حتى وإن كانت أثرى الدول من حيث المعادن والإمكانات.

وفي صحيحة أبي ولاد قال الإمام الصادق عليه السلام: «في مثل هذا القضاء

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٩٦.

قَالَ: يَعْنِي لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى وَلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ[٢] أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَوْصِيَاءِ مِنْ وُلْدِهِ ﷺ، وَقَبِلُوا طَاعَتَهُمْ فِي أَمْرِهِمْ وَنَهْيِهِمْ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً، يَقُولُ: لَأَشْرَبْنَا قُلُوبَهُمُ الْإِيمَانَ، وَالطَّرِيقَةُ هِيَ الْإِيمَانُ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ وَالْأَوْصِيَاءِ.

وشبهه تحبس السماء ماءها وتضنع الأرض بركتها»(١)، وقال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾(٢).

مضافاً إلى السبب الغيبي، حيث إنَّ الله تعالى أوجد أسباباً غيبيَّة، فإن سار على الطريقة الصحيحة حصلت له النتائج المرجوة، وإلَّا فلا.

والتأويل: بالإيمان كما في هذا الحديث الشريف، وبالعلم الكثير، وكذا بجعل أظلَّتهم في الماء الفرات العذب(٣)، وسيأتي إن شاء الله الكلام حول أحاديث الطينة.

[٢] **(ولاية علي بن أبي طالب):**

وفي خطبة فاطمة الزَّهراء ﷺ قالت: ما الذي نقموا من أبي الحسن ﷺ؟ نقموا والله منه نكير سيفه، وقلَّة مبالاته لحتفه، وشدَّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمّره في ذات الله، وتاللَّه لو مالوا عن المحجَّة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجَّة الواضحة، لردَّهم إليها، وحملهم عليها، ولسار بهم سيراً سجحاً لا يكلم خشاشه(٤) ولا يكلّ سائره ولا يملّ راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً صافيّاً رويّاً، تطفح ضفتاه، ولا يترنّق جانباه(٥)، ولأصدرهم بطاناً، ونصح لهم سرّاً وإعلاناً، ولم يكن يتحلّى من الغنى بطائل، ولا يحظى من

---

(١) الكافي: ج٥، ص٢٩١.

(٢) سورة الروم: الآية ٤١.

(٣) راجع الروايات في تفسير البرهان: ج١٠، ص٨٣ ـ ٨٤.

(٤) (سيراً سجحاً) أي اللّيّن السهل. (لا يكلم خشاشه) الكلم: الجرح، والخشاش: عود يجعل في أنف البعير لقيادته، والمعنى لا يتعامل بخشونة.

(٥) (منهلاً نميراً): ماء العين الزاكي الناجع، (تطفح): تمتلئ، (يترنّق): تراب في الماء يوجب كدرة.

٢ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَل: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ[١]﴾؟ [فصّلت: ٣٠] فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: اسْتَقَامُوا عَلَى الْأَئِمَّةِ وَاحِدٍ بَعْدَ وَاحِدٍ، ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

الدُّنيا بنائل، غير ريّ الناهل، وشبعه الكافل، ولَبان لهم الزاهد من الراغب، والصادق من الكاذب، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾(١).

الحديث الثاني:

[١] (ثمّ استقاموا):

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ أي قالوا معتقدين بذلك ملتزمين بما يأمره الله، ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ على الإيمان الذي يتضمَّن الإيمان بالأئمَّة عليهم السلام، ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ في مختلف الأوقات لكنَّهم لا يرونهم وتكون الفائدة التأثير الغيبي في استمرارهم، أو حين الموت، أو يوم القيامة، قائلين لهم ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ من الأهوال المستقبلية، أو على ما يجري على أهلكم من بعدكم، ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ لما فاتكم أو لموتكم فإنَّ الخوف هو من مكروه مستقبلي، والحزن على المكروه الواصل، ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

وفي حديث آخر في معنى: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ عن الإمام الباقر عليه السلام: استكملوا طاعة الله وطاعة رسوله وولاية آل محمَّد عليهم السلام.

---

(١) الاحتجاج: ج١، ص٢٨٨ ـ ٢٨٩، رقم ٥٠. والآيتان من سورة الأعراف: الآية ٩٦، وسورة الزمر:الآية ٥١.

وفي حديث آخر دخل حمران بن أعين على أبي جعفر عليه السلام فقال له: جعلت فداك يبلغنا أنَّ الملائكة تنزل عليكم؟ قال: إي والله، لتنزل علينا، فتطأ بُسُطنا، أما تقرأ كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ الآية[1].

(١) راجع تفصيل الروايات في تفسير البرهان: ج٨، ص٤٦٧ ـ ٤٦٩.

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ عليهم السلام مَعْدِنُ الْعِلْمِ وَشَجَرَةُ النُّبُوَّةِ وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ

١ ـ أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: مَا يَنْقِمُ[١] النَّاسُ مِنَّا!! فَنَحْنُ وَاللَّهِ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ[٢]، ....

الحديث الأوّل:

[١] (ما ينقم):
«نقم»: بمعنى أنكر، كقوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾(١)، و«ما» للاستفهام الإنكاري.

[٢] (شجرة النُّبوَّة):
إمّا نحن من بيت كانت النُّبوَّة إحدى ثمار هذا البيت، فالإضافة بمعنى (اللام)، فإنَّ رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله من هذا البيت.
أو بمعنى نحن شجرة جذرها النُّبوَّة، بمعنى أنَّهم فرع من رسول الله صلى الله عليه وآله، فالإضافة بمعنى (من)، كما قال الشاعر:

يا حبَّذا دوحةٌ في الخلد نابتةٌ ... ما مثلُها نبتت في الخُلْد من شجرِ
المصطفى أصلُها والفرعُ فاطمةٌ ... ثمَّ اللقاحُ عليٌّ سيِّدُ البشرِ
والهاشميان سبطاه لها ثمرٌ ... والشيعةُ الورقُ المُلْتَفُّ بالثمرِ

---

(١) سورة البروج: الآية ٨.

وَبَيْتُ الرَّحْمَةِ[٣]، وَمَعْدِنُ الْعِلْمِ[٤]، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ[٥].

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِنَّا ـ أَهْلَ الْبَيْتِ ـ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعُ الرِّسَالَةِ[١]، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَبَيْتُ الرَّحْمَةِ، وَمَعْدِنُ الْعِلْمِ.

---

[٣] **(وبيت الرَّحمة):**
لأنَّهم أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وورثته، وقد بعث رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾(١).

[٤] **(ومعدن العلم):**
«عدن» بمعنى أقام، ولذا يُقال (المعدن) لمستقر الجواهر في الأرض، فالمعنى هم منبع العلم ومستقره، لأنَّ الرسول صلى الله عليه وآله عَلَّمَ أمير المؤمنين عليه السلام تلك العلوم، وهم عليهم السلام يتوارثونها.

[٥] **(ومختلف الملائكة):**
«الاختلاف»: التعاقب بأن يأتي كلٌّ خلف الآخر، كقوله: ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾(٢).
قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾(٣) كما مرَّ في الباب السابق أنَّهم أظهر المصاديق.

الحديث الثاني:

[١] **(موضع الرسالة):**
أي البيت التي وضع الله فيه النُّبوَّة، حيث إنَّهم من ذرّية رسول الله صلى الله عليه وآله، أو بمعنى موضع علوم الرسالة.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.
(٢) سورة يونس: الآية ٦.
(٣) سورة فصلت: الآية ٣٠.

٣ ـ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْخَشَّابِ قَالَ: حَدَّثَنَا بَعْضُ أَصْحَابِنَا، عَنْ خَيْثَمَةَ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا خَيْثَمَةُ، نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَبَيْتُ الرَّحْمَةِ، وَمَفَاتِيحُ الْحِكْمَةِ[١]، وَمَعْدِنُ الْعِلْمِ، وَمَوْضِعُ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَوْضِعُ سِرِّ اللَّهِ[٢]، وَنَحْنُ وَدِيعَةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ[٣]، ....

الحديث الثالث:

[١] **(مفاتيح الحكمة):**

أي هم عليهم السلام الطريق إلى الحكمة، لأنَّ الحكمة هي وضع الأشياء في مواضعها، وذلك يستلزم العلم بالأشياء والعلم بالمواضع، فمن أراد الحكمة عليه أن يتلقّى عنهم، وعن النبي صلى الله عليه وآله: «أنا دار الحكمة وعليٌّ بابها»(١).

[٢] **(موضع سّر الله):**

أي محل العلوم التي تُكتم عن سائر الخلق، كالعلم بالقضاء والقدر والآجال والأرزاق ونحوها.

[٣] **(وديعة الله في عباده):**

لأنَّ الله تعالى خلقهم أنواراً فجعلهم بعرشه محدقين، ثمَّ أنزلهم إلى هذا العالم، رحمة للناس، وأمر الناس بأداء حقّهم وحفظهم، فصاروا كالوديعة بينهم، لأنَّ «الوديعة» هي الأمانة التي تُترك عند الغير ليصونها ويحفظها، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(٢).

---

(١) أمالي الصدوق: ص٦١٩؛ أمالي الطوسي: ص٤٨٣، الحديث: ١٠٥٥؛ ومن العامة رواه في سنن الترمذي: ج٥، ص٦٣٧، الحديث: ٣٧٢٣، حلية الأولياء: ج١، ص٦٤.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٧٢.

وَنَحْنُ حَرَمُ اللَّهِ الْأَكْبَرُ[٤]، وَنَحْنُ ذِمَّةُ اللَّهِ، وَنَحْنُ عَهْدُ اللَّهِ[٥]، فَمَنْ وَفَى بِعَهْدِنَا فَقَدْ وَفَى بِعَهْدِ اللَّهِ[٦]، وَمَنْ خَفَّرَهَا[٧] فَقَدْ خَفَّرَ ذِمَّةَ اللَّهِ وَعَهْدَهُ.

---

[٤] **(حرم الله الأكبر):**

«الحرم» ما يَحْرُمُ فيه الذي يَحِلُّ في غيره، كحرم مكّة، وذاك احترام له، فمعنى (حرم الله) ما أوجب الله احترامه.

وفي المرآة(١): وهم أكبر إذ حرمة الكعبة بسببهم.

[٥] **(ونحن ذمّة الله، ونحن عهد الله):**

لعلَّ الفرق بين العهد والذمّة، أنَّ «العهد» هو الوعد المقرون بشرط، كقوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾(٢)، أي أخبرناه بأنَّك لا تخرج من الجنَّة ما لم تأكل من هذه الشجرة(٣)، و«الذمَّة» هي حق للغير تجب مراعاته ويذمّ تاركه ـ عهداً كان أم لا ـ.

ويحتمل كونهما بمعنى واحد جيء بالثاني تأكيداً، فالمعنى إنَّ الله تعالى جعل لهم عليهم السلام حقوقاً على الناس تجب عليهم مراعاتها، فالله تعالى أخذ على الناس الإيمان بهم وإطاعتهم وولايتهم، وبذلك يُدخلهم الجنَّة ويأمنهم من العذاب.

[٦] **(فقد وفى بعهد الله):**

حيث إنَّ عهدهم هو نفس عهد الله، وقد قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾(٤).

[٧] **(خفَّرها):**

بتشديد الفاء، و«الخَفْر»: الوفاء بالعهد، و«التخفير» نقض للعهد من باب التفعيل، قال في شرح النظام في معاني باب التفعيل (وللسلب، نحو:

---

(١) المرآة: ج٣، ص١٠.

(٢) سورة طٰه: الآية ١١٥.

(٣) معجم الفروق اللغوية: ص٣٧٩.

(٤) سورة البقرة: الآية ٤٠.

جلَّدت البعير وقرَّدته، أي سلخت جلده وأزلت قُراده)[١]، ومعنى السلب هو إزالة الشيء عن المفعول.

فالمعنى: ومن نقض ذمَّتنا فقد نقض ذمَّة الله وعهده.

قال في المرآة[٢]: وفي بصائر الدرجات: (ومن خفرهما) ـ بصيغة التثنية ـ فالضمير للعهد والذمّة معاً وهو أنسب وأوفق مما بعده وما قبله.

(١) شرح النظام: ص١٤١، مؤسسة دار المحجة، ط١، ١٤٢٨.

(٢) المرآة: ج٣، ص١٠.

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ عليهم السلام وَرَثَةُ الْعِلْمِ يَرِثُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً الْعِلْمَ

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ عَلِيّاً عليه السلام كَانَ عَالِماً[١]، وَالْعِلْمُ يُتَوَارَثُ، وَلَنْ يَهْلِكَ[٢] عَالِمٌ إِلَّا بَقِيَ مِنْ بَعْدِهِ مَنْ يَعْلَمُ عِلْمَهُ، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ[٣].

الحديث الأوَّل:

[١] **(إنَّ عليّاً كان عالماً):**
لعلَّ هذا المقطع كالمقدِّمة لتوارث العلم، وإنَّما لم يذكر الرسول صلى الله عليه وآله لأنَّه لا خلاف بين الأُمَّة في علمه صلى الله عليه وآله عن طريق الوحي، وإنَّما حاول بنو أُميَّة وأتباعهم إنكار انتقال هذا العلم إلى غير الرسول، فكان بيان أنَّ الإمام عليّاً عليه السلام عالم ـ بتعليم من الرسول صلى الله عليه وآله ـ مقدِّمة لانتقال ذلك العلم إلى الأئمَّة عليهم السلام.

[٢] **(ولن يهلك):**
«الهلاك» هو الموت، ولا يُقصد به الذم قال تعالى: ﴿إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾(٢)، نعم إذا أُريد من الهلاك العذاب كان ذمّاً.

[٣] **(أو ما شاء الله):**
لعلَّه إشارة إلى وفاة آخر الأوصياء ـ الذي تقوم من بعده القيامة ـ فلا

---

(١) سورة النساء: الآية ١٧٦.

(٢) سورة غافر: الآية ٣٤.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ حَرِيزٍ، عَنْ زُرَارَةَ وَالْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي نَزَلَ مَعَ آدَمَ عليه السلام[١] لَمْ يُرْفَعْ، وَالْعِلْمُ يُتَوَارَثُ، وَكَانَ عَلِيٌّ عليه السلام عَالِمَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَهْلِكْ مِنَّا عَالِمٌ قَطُّ إِلَّا خَلَفَهُ مِنْ أَهْلِهِ مَنْ عَلِمَ مِثْلَ عِلْمِهِ[٢]، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ.

وصي آخر بعده ليرث علمه.

ويحتمل أن يكون المراد ما في المرآة(١): أي زائداً على علم السابق، لكن بعد الإفاضة على روح الإمام السابق، لئلا يكون علم الآخر أكثر من علم الأول كما ورد في الأخبار الكثيرة انتهى.

الحديث الثاني:

[١] (نزل مع آدم):

لأنَّ الله تعالى علَّم آدم كل العلوم، كما قال: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾(٢)، وبموت آدم وبرفع روحه وجسمه(٣) إلى السَّماء لم يرفع ذلك العلم عن الأرض، بل بقي مثله بين أوصياء آدم عليه السلام.

وفي زيارة الإمام الحسين عليه السلام: (السلام عليك يا وراث آدم صفوة الله) فورث كل شيء من آدم، ومنه علمه.

[٢] (مثل علمه):

إنَّما قال: «مثل علمه»، لأنَّه لا يزول علم الأئمَّة عليهم السلام بموتهم، إذ لا فرق بين حياتهم وموتهم، وإنَّما يبقى مثل ذلك العلم في الإمام اللاحق.

---

(١) المرآة: ج٣، ص١١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣١.

(٣) فإنَّ أجساد الأنبياء ترفع إلى السَّماء أيضاً، وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: (ما من نبي ولا وصي نبي يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيام حتى يرفع روحه ولحمه وعظمه إلى السماء...) راجع الروايات في كتاب الوافي: ج١٤، ص١٣٣٧.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ الطَّائِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّ الْعِلْمَ يُتَوَارَثُ، وَلَا يَمُوتُ عَالِمٌ إِلَّا وَتَرَكَ مَنْ يَعْلَمُ مِثْلَ عِلْمِهِ، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ.

٤ ـ أَبُو عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ صَفْوَانَ، عَنْ مُوسَى بْنِ بَكْرٍ، عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ فِي عَلِيٍّ عليه السلام سُنَّةَ أَلْفِ نَبِيٍّ[١] مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي نَزَلَ مَعَ آدَمَ عليه السلام لَمْ يُرْفَعْ، وَمَا مَاتَ عَالِمٌ فَذَهَبَ عِلْمُهُ، وَالْعِلْمُ يُتَوَارَثُ.

الحديث الرابع:

[١] (سُنَّة ألف نبي):

«السُّنَّة» بمعنى الطريقة، و«ألف» يُراد به التكثير، حيث إنَّ المتعارف حين إرادة بيان كثرة شيء أن يُقال ألف أو سبعين ونحوهما.

وفي المرآة(١): سُنَّة ألف من الأنبياء: أي طريقتهم وصفاتهم التي اختصَّ كلّ منهم بواحد منها على الكمال، فكمل جميعها فيه عليه السلام، كما قال النبي صلى الله عليه وآله: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في عبادته، وإلى إبراهيم في خلّته، وإلى موسى في سطوته، وإلى عيسى في زهده، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فإنَّ فيه سبعين خصلة من خصال الأنبياء. انتهى.

قوله: (التي اختصَّ كلٌّ منهم بواحد منها على الكمال) لعلَّ مراده هو اشتهار تلك الصفة، وإلّا فالأنبياء كلّهم فيهم جميع صفات الكمال، لكن قد تكون الظروف بشكل تبرز فيه إحدى تلك الصفات، أو بمعنى أنَّ كلهم كاملون من حيث صفات الكمال لكن بعضهم أفضل من بعض في تلك الصفات فتأمَّل.

---

(١) المرآة: ج٣، ص١٢.

٥ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبَانٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي نَزَلَ مَعَ آدَمَ عليه السلام لَمْ يُرْفَعْ، وَمَا مَاتَ عَالِمٌ فَذَهَبَ عِلْمُهُ.

٦ ـ مُحَمَّدٌ عَنْ أَحْمَدَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ ـ رَفَعَهُ ـ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: يَمُصُّونَ الثِّمَادَ[١] وَيَدَعُونَ النَّهَرَ

الحديث السادس:

[١] (يمصون الثماد):

«الثماد» جمع (ثَمَد) وهو الماء القليل الذي لا مادة له، والمقصود هو أنَّ علم المخالفين قليل جداً ولا ينبع من مادة الوحي، بحيث لا يمكن التملّي من العلم عن طريقهم، خلاف علم الأئمّة عليهم السلام حيث إنَّ مادته الوحي وينهل وارده عبّاً ـ لا مصّاً ـ.

وفي العصر الحديث ظهرت الحاجة أكثر إلى فقه أهل البيت عليهم السلام وعلمهم لأنّهم أخذوه من الرسول صلى الله عليه وآله وقد أوحاه إليه الله تعالى، فكان ذلك الحق الذي يلائم فطرة الإنسان، ويتلاءم مع التكوين، ولم يتأثر بظروف المكان والزمان ولم ينبع عن الشهوات وأهواء سلاطين الجور.

عكس فقه غيرهم حيث إنَّ مادته الفكر البشري المتأثر بظروف الزمان والمكان مع تأثره بالأهواء ومشتهيات سلاطين الجور، حيث وضع وعّاظ السلاطين الأكاذيب ولفّقوا آراء بعقولهم الناقصة، ولذا كثيراً ما يصلون إلى طرق مسدودة ولا يجدون حلولاً ناجحة للأزمات والمشاكل فكان فقهاً معوّقاً مشوّهاً يجعل الأغلال على عاتق الناس ويزيدهم إصراً إلى إصرهم.

وأمّا أهل البيت عليهم السلام فلهم الإمامة في جميع مناحي الحياة ـ لأنَّ علمهم مستند إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فلهم:

١ ـ **الإمامة السياسية**، بمعنى أنَّ لهم الحكومة والأمارة من قبل الله تعالى.

الْعَظِيمَ. قِيلَ لَهُ: وَمَا النَّهَرُ الْعَظِيمُ؟ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَالْعِلْمُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَمَعَ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله سُنَنَ النَّبِيِّينَ مِنْ آدَمَ وَهَلُمَّ جَرّاً[٢] إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله قِيلَ لَهُ: وَمَا تِلْكَ السُّنَنُ؟ قَالَ: عِلْمُ النَّبِيِّينَ بِأَسْرِهِ،

---

٢ ـ **والإمامة الفقهية**، ففقههم يتلاءم مع الإنسان وفطرته وحاجاته، ويسهّل حياته.

٣ ـ **والإمامة الفكرية**، في القضايا العصيبة وغيرها.

٤ ـ **والإمامة المعنوية الرُّوحيَّة**، حيث تركوا تراثاً ضخماً من الأدعية التي تكون البلسم الشافي لحاجات الإنسان المعنوية تربطه بالله تعالى، بأبلغ الألفاظ، وأدق المعاني، مع سلاسة في التعبير.

٥ ـ **والإمامة البلاغية**، فهم أئمَّة البلاغة والفصاحة.

٦ ـ **والإمامة الإنسانية العاطفية**، فهم قمَّة في الجانب الإنساني، ومصائبهم تستدرّ العاطفة المليئة بالمعنويات والدروس والسيرة العطرة.

٧ ـ **والإمامة في الحياة الاجتماعية والأُسرية ونحوها.**

وهكذا وهلّم جرّاً، فإنَّ الله جعلهم أئمَّة في كلّ جوانب حياة الإنسان، فيلزم إبراز هذه الجوانب المختلفة من حياتهم وعرضها على المسلمين ليتأسوا بهم.

[٢] **(وهلّم جراً):**

«هلّم» اسم فعل بمعنى تعال، قال في المفردات(١): هَلُمّ دعاء إلى الشيء، وفيه قولان:

أحدهما: أنَّ أصله ها لُمَّ، من قولهم (لَمَمْتُ الشيء) أي أصلحته، فحذفت ألفها، وقيل (هَلُمَّ).

وقيل: أصله: هَلْ أَمَّ، كأنَّه قيل: (هل لك في كذا أمّه) أي قَصَدَه،

---

(١) مفردات الراغب: ص٨٤٥.

وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَيَّرَ ذَلِكَ كُلَّهُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ أَمْ بَعْضُ النَّبِيِّينَ؟ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: اسْمَعُوا مَا يَقُولُ[٣]؟ إِنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ مَسَامِعَ مَنْ يَشَاءُ[٤]، إِنِّي حَدَّثْتُهُ أَنَّ اللَّهَ جَمَعَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ عِلْمَ النَّبِيِّينَ وَأَنَّهُ جَمَعَ ذَلِكَ كُلَّهُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَهُوَ يَسْأَلُنِي أَهُوَ أَعْلَمُ أَمْ بَعْضُ النَّبِيِّينَ!!

٧ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ الطَّائِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ

فرُكّبا، قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾(١).

[٣] **(اسمعوا ما يقول):**

أعرض الإمام عليه السلام عن جوابه، ووجّه الخطاب إلى سائر السامعين، لأجل أنَّ سؤاله يكشف عن قصوره وعدم إدراكه لما قاله الإمام عليه السلام ـ مع وضوح المراد بشكل جليّ ـ، قال تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(٢).

[٤] **(مسامع من يشاء):**

أي يفتح باب فهمه ليعي الحقائق، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾(٤).

الحديث السابع:

هو نفس الحديث الثالث بسنده ومتنه، ولعلَّ محمَّد بن مسلم سمعه من الإمام عليه السلام مرّتين، وحيث اختلف اللفظ اختلافاً قليلاً رواه مرّتين، ففي

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ١٨.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.
(٣) سورة فاطر: الآية ٢٢.
(٤) سورة الأنفال: الآية ٢٣.

مُسْلِمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّ الْعِلْمَ يُتَوَارَثُ، فَلَا يَمُوتُ عَالِمٌ إِلَّا تَرَكَ مَنْ يَعْلَمُ مِثْلَ عِلْمِهِ، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ.

٨ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي نَزَلَ مَعَ آدَمَ عليه السلام لَمْ يُرْفَعْ، وَمَا مَاتَ عَالِمٌ إِلَّا وَقَدْ وَرَّثَ عِلْمَهُ، إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَبْقَى بِغَيْرِ عَالِمٍ.

الحديث السابق (ولا يموت) (إلّا وترك) وفي هذا الحديث (فلا يموت) (إلّا ترك).

وله نظائر في القرآن حيث نزلت آيتان مرتين أو أكثر بألفاظ متقاربة، كقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾[1]، وقوله: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾[2]، وغيرهما كثير.

---

(١) سورة النمل: الآية ٨٠.

(٢) سورة الروم: الآية ٥٢.

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ عليهم السلام وَرِثُوا عِلْمَ النَّبِيِّ وَجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمُهْتَدِي، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُنْدَبٍ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَيْهِ الرِّضَا عليه السلام: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله

الحديث الأوّل:

يتضمَّن هذا الحديث الشريف بيان أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام من بعده هم أُمناء الله في الخلق، ومعنى ذلك ربط التشريع والتكوين بهم ـ بإذن الله تعالى ـ، كما أنَّ ملك الموت أمين الله في قبض الأرواح، وجبرائيل أمينه في الوحي.

وحيث إنَّهم أُمناء ويتصرَّفون في التشريع والتكوين، فلا بدَّ من أن يعلموا ما أراده الله تعالى ليقوموا بتنفيذه بحسب أراده سبحانه:

فأمَّا علمهم في مجال التكوين فإنَّهم عليهم السلام:

١ ـ يعلمون الخاتمة في الدُّنيا، (البلايا والمنايا).

٢ ـ ويعلمون البداية، (الأنساب والمولد).

٣ ـ ويعرفون المؤمن من المنافق .

٤ ـ ويعلمون الخاتمة في الآخرة، (يردون موردنا. . .).

وأمَّا علمهم في مجال التشريع فإنَّهم عليهم السلام:

(١) ورثة الأنبياء والأوصياء.

(٢) ورثة علم القرآن الكريم.

(٣) ورثة علم الرسول صلى الله عليه وآله.

ثم يستدلّ الإمام بعد ذلك بقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾[1] الآية.

---

(١) سورة الشورى: الآية ١٣.

كَانَ أَمِينَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ[١]، فَلَمَّا قُبِضَ صلى الله عليه وآله كُنَّا ـ أَهْلَ الْبَيْتِ ـ وَرَثَتَهُ[٢]، فَنَحْنُ[٣] أُمَنَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، عِنْدَنَا عِلْمُ الْبَلَايَا وَالْمَنَايَا، وَأَنْسَابُ الْعَرَبِ، وَمَوْلِدُ الْإِسْلَامِ[٤]، وَإِنَّا لَنَعْرِفُ الرَّجُلَ إِذَا رَأَيْنَاهُ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ، وَحَقِيقَةِ

---

[١] **(كان أمين الله في خلقه):**

لدلالة العقل والنقل على أنَّ من يؤدِّي عن الله يلزم أن يكون في أقصى درجات الكمال والأمانة، لكيلا يغيِّر أو يخطىء في تبليغ ما أرسل به، مضافاً إلى دلالة سيرة النبي صلى الله عليه وآله على أمانته وصدقه.

وهذا المقطع كالمقدِّمة لما بعده، لبيان أنَّهم عليهم السلام أُمناء الله على الخلق بعد الرسول صلى الله عليه وآله.

أولاً: علمهم في مجال التكوين

[٢] **(أهل البيت ورثته):**

قوله: «أهل البيت» منصوب على الاختصاص، فلا يشاركهم في ذلك سائر قرابة الرسول صلى الله عليه وآله، «ورثته» أي ورثته مادياً ومعنوياً، أما الإرث المادي فلأنَّ وارثته الوحيدة هي فاطمة عليها السلام وورثوها، وأمَّا وورثته معنوياً، فلأنَّه انتقلت إليهم علوم النبي صلى الله عليه وآله، حيث علَّمها علياً عليه السلام وهم تعلَّموا منه.

[٣] **(فنحن):**

تفريع على وراثتهم النبي صلى الله عليه وآله، فحيث انتقل علم الرسول صلى الله عليه وآله إليهم، فقد كانوا الأُمناء، إذ لا وجه لانتقال علمه كلّه لغير الأُمناء، بل الغرض هو بقاء هذا العلم ليتعلَّم الناس منهم عليهم السلام.

[٤] **(ومولد الإسلام):**

تخصيص هذه الأربعة بالذِّكر، لأهميتها أو لاهتمام الناس بها.

و«علم البلايا» جمع بَلِيَّة، أي المصائب.

و«المنايا» جمع منيَّة أي الوفيات.

و«أنساب العرب» فيعرفون من صحَّ نسبه ومن كان لصيقاً أو غير شرعي.

النِّفَاقِ[٥]، وَإِنَّ شِيعَتَنَا لَمَكْتُوبُونَ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ، أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ[٦]، يَرِدُونَ مَوْرِدَنَا، وَيَدْخُلُونَ مَدْخَلَنَا[٧]، لَيْسَ عَلَى مِلَّةِ

«ومولد الإسلام» لعلَّ المراد تاريخ الإسلام، فيعلمون كيف ولد الإسلام، ومن عارضه، ومن التحق به نفاقاً، ومن آمن به حقيقة، وقيل: المعنى أنَّهم يعلمون من يظهر منه الإسلام ومن سيظهر منه الكفر، وقيل: المعنى علمهم بما سيؤول إليه المولود بأنَّه هل يموت على الإسلام أم لا، والمعنى الأول أقرب.

والحاصل: أنَّهم عليهم السلام يعلمون المصائب التي تلاقي الناس، وكذلك مناياهم، وهذا يتعلق بالخاتمة في الدُّنيا، كما يعلمون الأنساب وتاريخ الإسلام، وهذا يرتبط بالبداية.

ثمَّ إنَّهم يعلمون أنساب الجميع، فتخصيص العرب بالذِّكر، إمَّا لأجل أنَّ غير العرب لا يهتمون بالأنساب، أو لأنَّ أعداء أهل البيت عليهم السلام وأولياؤهم - في بدء الأمر - كانوا من العرب، فيعلمون خبث ولادة الأعداء وطيب ولادة الأولياء.

[٥] **(حقيقة الإيمان وحقيقة النفاق):**

أي الإيمان الحقيقي، وكذا النفاق، فهم عليهم السلام يعلمون الباطن بتعليم من الله تعالى، ولا ينظرون إلى الظاهر فحسب.

[٦] **(أخذ الله علينا وعليهم الميثاق):**

أمَّا أخذ العهد على الأئمَّة، فهو بالتبليغ والهداية والرعاية للشيعة.

وأمَّا أخذ العهد من الشيعة، فهو الإقرار بهم وإطاعتهم وأداء حقِّهم عليهم السلام، ولعلَّ هذا الأخذ كان في عالم الذَّرّ، أو جعل في فطرتهم.

[٧] **(يردون... مدخلنا):**

«يردون» لعلَّ المعنى أنَّهم يردون الحوض على الأئمَّة عليهم السلام، لأنَّ «الورود» في الأصل هو: قصد الماء، نظير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾[١].

---

(١) سورة القصص: الآية ٢٣.

الْإِسْلَامِ غَيْرُنَا وَغَيْرُهُمْ[٨]، نَحْنُ النُّجَبَاءُ النُّجَاةُ[٩]، وَنَحْنُ أَفْرَاطُ الْأَنْبِيَاءِ[١٠]، ....

وحيث إنَّ الرسول صلى الله عليه وآله على الحوض، وأمير المؤمنين عليه السلام يسقي المؤمن ويذود المنافق، لذا نُسب الحوض إليهم عليهم السلام فقال (موردنا)، «ويدخلون مدخلنا»، لعلَّ المراد الجنَّة.

ويمكن أن يكون (يردون) و(يدخلون) بمعنى أنَّهم يتبعون الأئمَّة عليهم السلام في كلِّ شيء كاتباع الفصيل أثر أُمِّه.

[٨] **(غيرنا وغيرهم):**

أي الإسلام الحقيقي، لأنَّ من لا يتمسَّك بالأئمَّة عليهم السلام ضال، وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين: «ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً»(١).

وأمَّا الإسلام الظاهري، فكل من تشهَّد الشهادتين فإنَّه يجري عليه أحكام الإسلام من الموارثة والمناكحة ونحوها حتى وإن كان منافقاً، لكنَّه لا ينفعه في الآخرة، فيُحشر مع الكفَّار.

ثانياً: علمهم في مجال التشريع

[٩] **(النجباء النجاة):**

هذا كالمقدمة لبيان علمهم في مجال التشريع، لأنَّ حمل هذا العلم بحاجة إلى اصطفاء من الله تعالى.

«النجباء» جمع نجيب بمعنى كريم الأصل، و«النجاة» جمع ناجٍ، والمقصود رفعتهم عليهم السلام في البدء: حيث إنَّهم النجباء، وفي المنتهى: حيث إنَّهم النجاة.

[١٠] **(أفراط الأنبياء):**

لعلَّ المعنى: نحن الهداة الذين أخبر الأنبياء عنهم، و«الفَرَط» هو المتقدِّم

---

(١) الكافي: ج٢، ص٤١٥؛ ومن العامة: رواه في سنن النسائي: ج٥، ص٤٥، الحديث: ٨١٤٥؛ وكنز العمَّال: ج١، ص١٨٦، الحديث: ٩٤٤.

وَنَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَوْصِيَاءِ[١١]، وَنَحْنُ الْمَخْصُوصُونَ فِي كِتَابِ اللَّهِ[١٢] عَزَّ وَجَلَّ، وَنَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِكِتَابِ اللَّهِ[١٣]، وَنَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ[١٤]، ....

في طلب الماء، والهداة يتقدَّمون الناس في الإرشاد، ويدلّونهم على مواضع الخير والصلاح.

ويمكن أن يكون المقصود: نحن أولاد الأنبياء، لأنَّ «الفَرَط» الأجر المتقدِّم، ولذا يُقرأ على الصبي إذا مات: (اللَّهمَّ اجعله لأبويه ولنا فرطاً).

[١١] **(أبناء الأوصياء):**

إذ كل إمام لاحق وصي الأئمة السابقين، وكذا آباء النبي ﷺ كانوا أوصياء عيسى عليه السلام ـ كذا قيل ـ.

[١٢] **(المخصوصون في كتاب الله):**

أي خصَّهم الله تعالى في كتابه بأُمور: كالإمامة والولاية والخمس والقرابة ونحوها.

[١٣] **(أولى الناس بكتاب الله):**

أي أولى به تفسيراً وتأويلاً، لأنَّ علمه كلّه عندهم، علَّمهم رسول الله ﷺ، فهم الراسخون في العلم، ولأنَّهم عِدل القرآن ـ في حديث الثقلين ـ ولا يفترقان عنه أبداً.

[١٤] **(أولى الناس برسول الله):**

أولى به نسباً إذ هم عليهم السلام ذرّيته، وأولى به علماً، وأولى به في خلافته، كما قال تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾(١).

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٧٥.

وَنَحْنُ الَّذِينَ شَرَعَ اللَّهُ لَنَا دِينَهُ[١٥] فَقَالَ فِي كِتَابِهِ[١٦]: ﴿شَرَعَ لَكُم﴾ يَا آلَ

ثالثاً: تشريع الدِّين لهم ﷺ

[١٥] **(شرع الله لنا دينه):**

بما أنَّ الأئمَّة ﷺ هم الحافظون للدِّين، المطبِّقون له، المبلِّغون للناس، كما أنّهم العِلّة الغائبة للتكوين والتشريع فلذا كان تشريعه تعالى الدِّين لهم بهذه الاعتبارات، وإلّا فالدين شُرّع للجميع وعليهم الالتزام به.

[١٦] **(فقال في كتابه):**

الآيات السابقة ـ قبل هذه الآية ـ دلَّت على أنَّ التكوين بيد الله تعالى وأنَّه الخالق الرازق، فهو الحريّ بأن يشرِّع الدِّين للبشر لعلمه بتفاصيل خلقه، وعلمه بما يصلحهم وما يفسدهم، مع عدم تأثُّره بالأهواء والأغراض، فقال: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ﴾ جمع مقلاد وهو المفتاح ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ فكلّ شيء يرتبط به تعالى، ﴿يَبۡسُطُ﴾ يوسِّع ﴿ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ أي يضيق، وذلك حسب المصلحة، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿شَرَعَ﴾ أي نهج طريقاً واضحاً ﴿لَكُم﴾ لصالحكم والمراد الناس أو المسلمون ـ لأنَّهم المنتفعون ـ، والحفظ والتطبيق والتبليغ كان عن طريق الرسول ﷺ وبعده الأئمَّة ﷺ ﴿مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ﴾ أولي العزم من الأنبياء من نوح ﷺ إلى رسول الله محمَّد ﷺ، فكلّهم على دين واحد، فقد وصّى ﴿نُوحٗا﴾ وهو أول أولي العزم ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ ورسول الله محمَّد ﷺ آخر أولي العزم، ﴿وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ﴾ سائر أولي العزم ـ وهم بين نوح ﷺ ومحمَّد ﷺ ـ وهم ﴿إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ﴾ فإنَّ الدِّين عقائد وأحكام وأخلاق، وكل الأنبياء بشروا بعقيدة واحدة، وأُصول الأحكام متحدة، والأخلاق لا تغيّر في فضيلتها ورذيلتها، وإنَّما النسخ هو في بعض تفاصيل الأحكام الجزئية كما قال عيسى ﷺ: وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ.

والذي أوصاهم به هو ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾ بتطبيقه وبعدم الانحراف فيه ﴿وَلَا

مُحَمَّدٍ[١٧] ﴿مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ **قَدْ وَصَّانَا بِمَا وَصَّى بِهِ نُوحاً** ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ[١٨]﴾ **يَا مُحَمَّدُ** ﴿وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ **فَقَدْ عَلَّمَنَا وَبَلَّغَنَا عِلْمَ مَا عَلِمْنَا**[١٩] **وَاسْتَوْدَعَنَا عِلْمَهُمْ، نَحْنُ وَرَثَةُ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾ **يَا آلَ مُحَمَّدٍ** ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ **وَكُونُوا عَلَى جَمَاعَةٍ**[٢٠] ....

تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ في الدِّين، وهذا إمَّا خطاب للأنبياء أو للناس من باب الالتفات، ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾ لأنَّ من ينكر التوحيد فإنَّه لا يقبل دعوتكم سواء في التوحيد أم في النُّبوَّة أم في الإمامة أم في غيرها، ولكنَّ الله يختار ما هو الأصلح ـ رضي المشركون أم لا ـ ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ﴾ يختار ﴿إِلَيۡهِ﴾ بالرسالة أو الإمامة ﴿مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ﴾ إلى طريقته ﴿مَن يُنِيبُ﴾ أي يرجع ويُقبل إليه تعالى بقبول أحكامه واختياره، فليست الهداية اعتباطاً.

[١٧] **(يا آل محمد)**:

باعتبارهم حفظة الدِّين والمبلِّغون والمطبِّقون، أو لأنَّهم أبرز المصاديق، أو لأنَّهم العلَّة الغائية من التشريع والتكوين.

[١٨] **(الذي أوحينا إليك)**:

في المرآة(١): قيل: إنَّما لم يقل «وصينا» كما قال في غيره من أولي العزم، للإشارة إلى تأكيد عزمه، حتى أنَّه لا يحتاج إلى التوصية والمبالغة.

[١٩] **(وبلغنا علم ما علمنا)**:

لعلَّ هذا المقطع لبيان علَّة كون الخطاب في الآية لهم عليهم السلام حيث إنَّ الله علَّمهم لكي يبلِّغوا الناس ما علَّمهم.

[٢٠] **(وكونوا على جماعة)**:

أي متفقين على ذلك الدِّين ـ تطبيقاً وتبليغاً وتمسُّكاً ـ فإنَّ الواجب

---

(١) المرآة: ج٣، ص١٦.

﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ مَنْ أَشْرَكَ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ[٢١] ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ مِنْ وَلَايَةِ عَلِيٍّ إِنَّ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ[٢٢] ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣] مَنْ يُجِيبُكَ إِلَى وَلَايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام.

التمسُّك بالحقّ وعدم التفرُّق عنه، أمّا التفرُّق عن الباطل فهو واجب لازم، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾(١)، أي لا تفرَّقوا عن ذلك الحبل، فإنَّ الاتحاد لا قيمة ذاتية له، بل إذا كان المتَّحَدُ عليه حقّاً كان الاتحاد لازماً، وإن كان باطلاً كان التفرُّق عنه واجباً.

[٢١] **(من أشرك بولاية علي):**
إنَّما كانوا مشركين، لأنَّهم أشركوا غير الله مع الله في اختيار الإمام، فإنَّ الاختيار لله وحده، كما مرَّ في قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى﴾(٢)، فلما قرنوا أنفسهم بالله وجعلوا الاختيار لأنفسهم، فقد أشركوا بالله تعالى.
وفي الحديث دلالة على الشرك الباطني للمخالفين، وإن كانوا محكومين بالإسلام ظاهراً.

[٢٢] **(يا محمّد):**
لعلَّ المقصود هو أنَّ معنى ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾ هو أنَّ الله يختار الرُّسل، فلذا اختار محمّداً صلى الله عليه وآله، وليس لهم الخيرة.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِنَّ أَوَّلَ وَصِيٍّ كَانَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ هِبَةُ اللَّهِ بْنُ آدَمَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ مَضَى إِلَّا وَلَهُ وَصِيٌّ، وَكَانَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ مِائَةَ أَلْفِ نَبِيٍّ وَعِشْرِينَ أَلْفَ نَبِيٍّ[١]، مِنْهُمْ خَمْسَةٌ أُولُو الْعَزْمِ: نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ عليهم السلام، وَإِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَانَ هِبَةَ اللَّهِ لِمُحَمَّدٍ، وَوَرِثَ عِلْمَ الْأَوْصِيَاءِ، وَعِلْمَ مَنْ

الحديث الثاني:

[١] **(مائة ألف نبي وعشرين ألف نبي):**

استفاضت الروايات أنَّ الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف، ويتعارف في الأعداد الطويلة حذف الكسور، ولعلَّه لهذه الجهة لم تذكر الأربعة في هذا الحديث.

وفي كامل الزيارات عن الإمام زين العابدين والإمام الصَّادق عليهما السلام (من أحبّ أن يصافحه مائة ألف نبيٍّ وأربعة وعشرون ألف نبي، فليزر قبر أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام في النصف من شعبان فإنَّ أرواح النَّبيِّين يستأذنون الله في زيارته فيُؤذن لهم، منهم خمسة أولي العزم من الرُّسل، قلنا: من هم؟ قال: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمَّد صلى الله عليه وآله، قلنا له: ما معنى أولو العزم؟ قال: بُعثوا إلى شرق الأرض وغربها، جنها وإنسها(١).

قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾(٢).

---

(١) كامل الزيارات: الباب ٧٢، الحديث ٢، ص٣٣٤، راجع الأحاديث في العدد في البحار: ج١١، ص٣٢، ٣٣، ٤٣ وغيرها. وفي حديث آخر: عددهم مائة ألفاً وأربعة وأربعين، البحار: ج١١، ص٥٩، وفي حديث آخر: عددهم ثلاثمائة وعشرين ألفاً، ولعلَّ الاختلاف في العدد لاختلاف طبقات الأنبياء، فبعض هذه الأحاديث تشير إلى تلك الطبقات، فراجع باب طبقات الأنبياء في أول كتاب الحجَّة.

(٢) سورة الأحقاف: الآية ٣٥.

كَانَ قَبْلَهُ[٢]، أَمَا إِنَّ مُحَمَّداً وَرِثَ[٣] عِلْمَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ. عَلَى قَائِمَةِ الْعَرْشِ[٤] مَكْتُوبٌ: «حَمْزَةُ أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ وَسَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وَفِي ذُؤَابَةِ الْعَرْشِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ». فَهَذِهِ حُجَّتُنَا[٥]

---

[٢] **(وعلم من كان قبله)**:
هذا من ذكر العام بعد الخاص، فأولاً ذكر عليه السلام أنّه ورث علم الأوصياء، ثمَّ عمَّم فذكر أنّه ورث علم كل من كان قبله ـ من الأوصياء وغيرهم ـ.

[٣] **(أمّا أنّ محمّداً ورث...)**:
لعلَّ المراد بهذا المقطع هو بيان أنَّ الإمام عليّاً عليه السلام ورث علم من كان قبله عن طريق الرسول صلى الله عليه وآله.

[٤] **(على قائمة العرش...)**:
لعلَّ هذا المقطع للدلالة على أفضلية الأوصياء على غيرهم حتى على الشُّهداء، فالإمام علي عليه السلام أفضل من حمزة ـ مع ما لحمزة عليه السلام من الفضل ـ، ولذا كُتبت فضيلة حمزة على قائمة العرش، وفضيلة الإمام علي عليه السلام على أعلى العرش.
أو المقصود هو التشبيه بآدم عليه السلام، فكما كان هابيل شهيداً ولم يكن وصياً بل كان الوصي هبة الله شيث، كذلك كان حمزة عليه السلام شهيداً، ولم يكن وصياً لرسول الله صلى الله عليه وآله، بل وصيّه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.
أو المقصود أنَّ الذين قتلوا حمزة في أُحد ـ وهم بنو أُميَّة ـ هم الذين ينكرون حقَّ الإمام علي عليه السلام، مع أنَّهما في أعلى درجات الفضيلة بحيث كُتب اسمهما على العرش.

[٥] **(فهذه حجّتنا)**:
أي وراثة علم الأوصياء والأنبياء هي حجَّتنا، فإنَّه من المعلوم أنَّ الأئمة عليهم السلام كانوا أعلم أهل زمانهم، ولم يعجزوا عن جواب سؤال، رغم أنَّهم لم يتعلَّموا عند أحد، بل كان بعضهم في أوائل سنيّ عمره، وهذا أدلّ دليل على حقّهم وعلى اصطفاء الله تعالى لهم.

عَلَى مَنْ أَنْكَرَ حَقَّنَا[٦]، وَجَحَدَ مِيرَاثَنَا[٧]، ....

وذلك لأنَّ أدلَّة حقانيتهم وإمامتهم أُمور، منها:

١ ـ **معاجزهم**، وهذه كانت في حدود خاصة ـ لم يطَّلع عليها غالب الناس ـ.

٢ ـ **النصّ عليهم**، وهذا وإن كان من أقوى الأدلَّة، ولكن كان المخالفون يحاولون ـ ولا زالوا ـ طمسها بتحريفها أو تضعيف سندها، أو تخريب دلالتها، أو وضع مثلها لآخرين.

٣ ـ **علمهم**، فإنَّ تراثهم لا يمكن لأحد أن يجاريه في أدعيتهم وفقههم وكلامهم وبلاغتهم وغير ذلك ـ وقد مرَّ بعض الكلام في أنواع إمامتهم ـ فإنَّ هذا العلم هو من أقوى حججهم، وأنَّهم ورثوه عن جدّهم رسول الله ﷺ.

[٦] **(من أنكر حقَّنا):**

حقّنا في الإمامة والولاية، فإنَّ وارث علم الأوصياء والأنبياء أحقّ من غيره، وإلَّا لزم تفضيل المفضول على الفاضل، وهو قبيح عقلاً، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (وإنَّه ليعلم أنَّ محلِّي منها محلّ القطب من الرحى، ينحدر عنِّي السيل، ولا يرقىٰ إليَّ الطيرُ)(١).

[٧] **(وجحد ميراثنا):**

أي علمنا أدلّ دليل على أنَّا ورثة الأوصياء والأنبياء، فهذا هو الحجَّة على المنكرين لهذه الوراثة، فما عليهم إلَّا السؤال عن الأئمَّة عليهم السلام، وكذا ملاحظة تراثهم وما شاع عنهم، وفي الحديث عن الإمام الرِّضا عليه السلام: (فإنَّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا)(٢).

أو المعنى: من جحد ميراثنا المادي عن رسول الله ﷺ، حيث منع فاطمة عليها السلام ميراثها، فلا يمكن أن يكون أبو بكر يعلم حكماً عن رسول الله ﷺ ولا يعلم به أهل البيت عليهم السلام!!.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٣.

(٢) عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٢٧٥؛ ومعاني الأخبار: ص١٨٠.

وَمَا مَنَعَنَا مِنَ الْكَلَامِ[٨]، وَأَمَامَنَا الْيَقِينُ[٩]، فَأَيُّ حُجَّةٍ تَكُونُ أَبْلَغَ مِنْ هَذَا؟[١٠].

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ زُرْعَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ سُلَيْمَانَ وَرِثَ دَاوُدَ[١]، وَإِنَّ مُحَمَّداً

---

[٨] (وما منعنا من الكلام):

«ما» نافية أي الذي منع حقَّنا وجحد ميراثنا لم يتمكَّن من منعنا عن الكلام، فلذا تمَّت الحجَّة على الجميع حيث اشتهر علمنا.

والآن نشاهد أنَّه رغم تكميم الأفواه، ومحاربة حملة علوم أهل البيت عليهم السلام، ومنع وصول الكتب التي تنقل علومهم، مع كل ذلك فقد شاع هذا العلم ووصل إلى الأغلب، وخاصة في عصر التقنية الحديثة.

[٩] (وأمامنا اليقين):

في المرآة(١): أي الموت أو العلم بأنَّه لا يصيبنا منهم ضرر على ذلك، والمراد على الأول ـ أي الموت ـ أنَّهم بعد الموت يعلمون حقيّتنا.

أو مَن كان مشرفاً على الموت ويموت لا محالة لِمَ لا يتكلَّم بالحقّ ويصدع به في موضع أمر الله به. انتهى.

[١٠] (أبلغ من هذا):

تأكيد بأنَّ علمهم عليهم السلام ـ والذي شاع واشتهر ـ حجَّة بالغة على الجميع.

الحديث الثالث:

[١] (إنَّ سليمان ورث داود):

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ عظيماً، ﴿وَقَالَا

---

(١) مرآة العقول: ج٣، ص١٧.

وَرِثَ سُلَيْمَانَ[٢]، وَإِنَّا وَرِثْنَا مُحَمَّداً، وَإِنَّ عِنْدَنَا عِلْمَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ، وَتِبْيَانَ مَا فِي الْأَلْوَاحِ[٣]، قَالَ: قُلْتُ: إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْعِلْمُ[٤]؟

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ممَّن لم يؤت مثل علمنا، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ﴾ إرثاً من المال والعلم والجاه، ﴿وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا﴾ علَّمنا الله ﴿مَنطِقَ﴾ بمعنى نُطق ﴿ٱلطَّيْرِ﴾ الطيور، قاله تحدثاً بنعمة الله، ﴿وَأُوتِينَا﴾ أعطانا الله ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ ممَّا نحتاج إليه، ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ﴾ من الله ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ الواضح ـ كذا في التبيين ـ(١).

[٢] (وإنَّ محمَّداً ورث سليمان):

تخصيصه بالذِّكر لأنَّ سليمان جمع إلى نبوَّته سلطةً ظاهرة، مع بيان القرآن لخصوصيات من علمه كعلمه بمنطق الطير ـ مثلاً ـ.

[٣] (تبيان ما في الألواح):

«التبيان»: البيان الواضح، ولعلَّ الفرق بين (علم التوراة) و(تبيان ما في الألواح) هو الفرق بين علم التوراة وبين تفسيرها، قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾(٢)، أو هو تكرار للتأكيد، أو يكون المراد بالألواح: صحف إبراهيم ـ كما سيأتي احتماله في الحديث الخامس ـ.

[٤] (إن هذا لهو العلم):

أي العلم العظيم، فقال له الإمام: (ليس هذا هو العلم) أي هناك علم أعظم من علم التوراة والإنجيل والزبور وما في الألواح، وذلك العلم هو ما في القرآن الكريم، لأنَّ هذه الكتب تضمنت بعض العلم، ولذا جيء بـ«من» التبعيضية قال تعالى: ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾(٣)، وأمَّا القرآن فتضمَّن

---

(١) تبيين القرآن: ص٣٩٠.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٥.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٤٥.

قَالَ: لَيْسَ هَذَا هُوَ الْعِلْمَ، إِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي يَحْدُثُ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ وَسَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ[٥].

٤ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ شُعَيْبٍ الْحَدَّادِ، عَنْ ضُرَيْسٍ الْكُنَاسِيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَعِنْدَهُ أَبُو بَصِيرٍ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ دَاوُدَ وَرِثَ عِلْمَ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ سُلَيْمَانَ وَرِثَ دَاوُدَ، وَإِنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وَرِثَ سُلَيْمَانَ، وَإِنَّا وَرِثْنَا مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله، وَإِنَّ عِنْدَنَا صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَأَلْوَاحَ مُوسَى[١]، فَقَالَ أَبُو

كلّ شيء من الأحكام والحوادث وغيرها قال تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(١) وقال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾(٢).

[٥] **(وساعة بعد ساعة)**:

ليس المقصود أنَّ العلم يحدث يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة، بل المقصود أنَّ المعلوم هو الذي يحدث، وأن الكتاب قد تضمَّنه ونحن نعلم ما في الكتاب كلّه.

أو المراد به العلوم التي تفاض عليهم عليهم السلام كما سيأتي بأنّهم يزدادون، فتأمّل

الحديث الرابع:

هذا الكلام تكرَّر من الإمام عليه السلام عند عدَّة من الأصحاب ولذا تعدَّدت الرواية، وتعدَّد المتعجِّب واختلفت الألفاظ.

[١] **(وألواح موسى)**:

لم يذكر الزبور والإنجيل، لعلَّه لأنَّ أبا بصير قطع كلام الإمام عليه السلام

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٩.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

بَصِيرٍ: إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْعِلْمُ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ لَيْسَ هَذَا هُوَ الْعِلْمَ، إِنَّمَا الْعِلْمُ مَا يَحْدُثُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، يَوْماً بِيَوْمٍ[٢] وَسَاعَةً بِسَاعَةٍ.

٥ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: قَالَ لِي: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُعْطِ الْأَنْبِيَاءَ شَيْئاً إِلَّا وَقَدْ أَعْطَاهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله، قَالَ: وَقَدْ أَعْطَى مُحَمَّداً جَمِيعَ مَا أَعْطَى الْأَنْبِيَاءَ، وَعِنْدَنَا الصُّحُفُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٩] قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ هِيَ الْأَلْوَاحُ[١]؟ قَالَ: نَعَمْ.

إظهاراً للتعجُّب، فكأنَّ الإمام عليه السلام بدأ بذكر الكتب السالفة حسب تسلسل نزولها: الصحف، التوراة، فلم يدع أبو بصير الإمام يكمل كلامه، حتى أظهر تعجُّبه، فلذا لم يواصل الإمام كلامه وبدأ بجواب أبي بصير، فتأمَّل.

[٢] (يوماً بيوم):
أي يوماً بعد يوم، والباء للإلصاق أو المصاحبة.

الحديث الخامس:

[١] (هي الألواح):
يحتمل أن يكون مرجع الضمير في «هي» إلى خصوص صحف موسى عليه السلام، لأنَّ الألواح أُطلقت على التوراة كما في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾ الآية.
أو المرجع ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ لأنَّ هذه الصحف ـ حتى صحف إبراهيم ـ كانت مكتوبة على ألواح ـ على ما قيل ـ.

٦ ـ مُحَمَّدٌ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ[١]﴾ [الأنبياء: ١٠٥] مَا الزَّبُورُ؟ وَمَا الذِّكْرُ؟ قَالَ: الذِّكْرُ عِنْدَ اللَّهِ، وَالزَّبُورُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى

الحديث السادس:

[١] (من بعد الذّكر):

«الزبور» يُطلق على كتاب داود عليه السلام، كما أنَّه يُطلق على جميع الكتب السماوية لأنَّه مشتق من (زبر) بمعنى كتب، وفي المفردات(١): كل كتاب غليظ الكتابة يُقال له: زبور، وجمع الزبور: زُبُر كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾(٢).

وفي هذا الحديث تفسير (الزبور) بكلا المعنيين ـ الخاص بداود، والعام لما نزل على الأنبياء ـ.

وأمَّا «الذِّكر» ففيه احتمالات:

١ ـ أنَّه التوراة ـ مع كون المراد من الزبور كتاب داود ـ أي لقد كتبنا في زبور داود بعدما كتبنا في التوراة.

٢ ـ أنَّ المراد بالذِّكر، التذكير، أي بعد التذكير بالمبدأ والمعاد كتبنا هذا المطلب وهو أنَّ الأرض يرثها. . .الخ.

٣ ـ أن يكون معنى الذِّكر: اللوح المحفوظ، وهو ما يدلُّ عليه هذا الحديث الشريف.

ولا منافاة بين هذه المعاني لأنَّها بيان للمصاديق، وقد مرَّ مراراً أنَّه يكثر التفسير بالمصداق وخاصة إذا كان المصداق أبرز.

---

(١) المفردات: ص٣٣٧.

(٢) سورة الشعراء: الآية ١٩٦.

دَاوُدَ؛ وَكُلُّ كِتَابٍ نَزَلَ[٢]، فَهُوَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَنَحْنُ هُمْ.

٧ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي زَاهِرٍ؛ أَوْ غَيْرِهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَمَّادٍ، عَنْ أَخِيهِ أَحْمَدَ بْنِ حَمَّادٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ عليه السلام ،قَالَ: قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَخْبِرْنِي عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَرِثَ النَّبِيِّينَ

---

[٢] (وكل كتاب نزل):
الظاهر أنَّ الواو عاطفة، فالمعنى أنَّ الزبور هو كتاب داود، وكذا كل كتاب نزل على الأنبياء.
ويحتمل أن تكون الواو استئناف، لبيان مطلب آخر، وحينئذٍ فقوله: «فهو عند...» خبر.
ثمَّ إنَّ تتمة الآية هي: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ وقد استفاضت الروايات بأنَّ المراد من الآية الإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشريف وأصحابه(١)، وذلك لأنَّ ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ لا يُراد بها قطعة خاصة من الأرض، بل المراد كل الأرض، وحكم عباد الله الصالحين على كل الأرض لم يتحقَّق في سالف الدهر، وسيتحقَّق في عصر الإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشريف، وحكم الإمام المهدي عليه السلام هو حكم آل محمَّد ودولتهم المنتظرة، ولذا ورد في روايات أخرى أنَّهم آل محمَّد عليهم السلام(٢).

الحديث السابع:

خلاصة الحديث:
١ ـ الإمام عليه السلام بيَّن أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله أعلم من جميع الأنبياء.
٢ ـ سأل الراوي عن قدرة عيسى عليه السلام في إحياء الموتى وأنَّه هل يتمكَّن الرسول صلى الله عليه وآله من ذلك؟
ثمَّ سأل عن تمكُّن سليمان من فهم منطق الطير، فهل الرسول صلى الله عليه وآله كان

---

(١) راجع تفسير البرهان: ج٦، ص٥١٤.
(٢) المصدر نفسه: ص٥١٤.

كُلَّهُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ مِنْ لَدُنْ آدَمَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى نَفْسِهِ؟ قَالَ: مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيّاً إِلَّا وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله أَعْلَمُ مِنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَانَ يُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ، (قَالَ: صَدَقْتَ[١])، وَسُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ كَانَ يَفْهَمُ

يتمكّن من ذلك؟

٣ ـ أجاب الإمام عليه السلام عن منطق الطير، وبيّن أنَّ سليمان ـ على عظمته ـ لم يكن يعلم شيئاً يعلمه الهدهد ـ وهو محل الماء ـ.

٤ ـ ثمَّ ذكر الإمام عليه السلام آية تدلُّ على أنَّ القرآن يحتوي على ما يمكن تقطيع الأرض به ـ فيتبيَّن مواضع الماء ـ، وما يمكن به إحياء الموتى.

وحيث إنَّ الرسول صلى الله عليه وآله يعلم كل ما في القرآن فهو يعلم هذا الأمر الموجود في القرآن.

٥ ـ ثمَّ ذكر الإمام عليه السلام أنَّ الأئمَّة ورثوا علم الرسول صلى الله عليه وآله، فهم يعلمون ما به تسير الجبال وتقطع به الأرض ويتكلَّم به الموتى.

٦ ـ ثمَّ أضاف الإمام عليه السلام بأنَّ في القرآن آيات ـ لعلَّ فيها الاسم الأعظم ـ إذا أريد شيء وقرئت تلك الآيات لتحقّق ذلك الأمر، مضافاً إلى الخصوصيات الموجودة في الكتب السابقة، وأنَّ الله سبحانه قدر ذلك لهم عليهم السلام بما كتبه في اللوح المحفوظ، واستدل الإمام عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ﴾[(١)].

٧ ـ ثمَّ استدل الإمام عليه السلام بالقرآن على علمهم بكلّ شيء، حيث يقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ﴾ مع بيان أنَّ كلّ شيء موجود في القرآن لقوله: ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[(٢)].

[١] (قال: صدقت):

الظاهر أنَّ هذه جملة معترضة وردت في وسط كلام السائل، فقوله: «وسليمان بن

---

(١) سورة النمل: الآية ٧٥.

(٢) سورة النحل: الآية ٨٩.

مَنْطِقَ الطَّيْرِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْدِرُ عَلَى هَذِهِ الْمَنَازِلِ؟[٢]، قَالَ: فَقَالَ: إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ قَالَ لِلْهُدْهُدِ حِينَ فَقَدَهُ وَشَكَّ فِي أَمْرِهِ، فَقَالَ: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ[٣]﴾ [النمل: ٢٠] **حِينَ فَقَدَهُ، فَغَضِبَ عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ[٤]﴾** [النمل: ٢١].

داود كان يفهم...» هذا من كلام السائل لا من كلام الإمام عليه السلام.

فالسائل سأل عن أمرين كانا للأنبياء السابقين، فهل يكون مثلهما لرسول الله محمَّد ﷺ؟

[٢] **(يقدر على هذه المنازل):**

هذا استفهام من السائل، أي هل كان الرسول محمَّد ﷺ يقدر على إحياء الموتى وعلى فهم منطق الطير؟

[٣] **(أم كان من الغائبين):**

﴿وَتَفَقَّدَ﴾ سليمان ﴿ٱلطَّيْرَ﴾ أي استخبر حال الطيور ليرى هل هي موجودة أم مفقودة، لأنَّه كان حاكماً يستطلع أحوال الرعية، ﴿فَقَالَ﴾ لما لم يشاهد الهدهد ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ فهل هو حاضر لكن لم يقع بصري عليه ـ للزحام مثلاً ـ ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ فلذا لم أشاهده، وهذا من تثبّت سليمان عليه السلام وعدم تسرُّعه، ثم لمَّا تأكَّد من غياب الهدهد من غير استئذان قال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ قيل: هو نتف ريشه لكي يعتبر به سائر الطيور ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي حجَّة واضحة تكون عذراً له، وهذا أيضاً من عدل سليمان عليه السلام حيث لم يحكم عليه غيابياً بعقوبة، بل بيَّن أنَّه يستحق العقوبة إلَّا إذا جاء بحجَّة واضحة تكون عذراً له على غيابه.

[٤] **(سلطان مبين):**

في التقريب(١): وإنَّما تُسمَّى الحجَّة سلطاناً، لأنَّها تسيطر على الخصم، فلا مفلت له منها.

---

(١) التقريب: ج٤، ص٩٨.

وَإِنَّمَا غَضِبَ لِأَنَّهُ كَانَ يَدُلُّهُ عَلَى الْمَاءِ، فَهَذَا ـ وَهُوَ طَائِرٌ ـ قَدْ أُعْطِيَ مَا لَمْ يُعْطَ سُلَيْمَانُ، وَقَدْ كَانَتِ الرِّيحُ وَالنَّمْلُ وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَالشَّيَاطِينُ وَالْمَرَدَةُ[٥] لَهُ طَائِعِينَ، وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ الْمَاءَ تَحْتَ الْهَوَاءِ[٦]، وَكَانَ الطَّيْرُ يَعْرِفُهُ، وَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ[٧]: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ[٨]﴾ [الرّعد: ٣١]، ....

---

[٥] **(المردة):**

«المردة» جمع مارد، بمعنى الخبيث، وهو المتعري عن الخيرات، قال تعالى: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾(١).

[٦] **(الماء تحت الهواء):**

لما كان سليمان في البساط تنقله الريح، فإنَّ الماء الذي على ظاهر الأرض أو باطنه يكون تحت الهواء، فقوله: (تحت الهواء) يُراد به المياه الواقعة في جوف الأرض، وعن الإمام الصادق عليه السلام: (لأنَّ الهدهد يرى الماء في بطن الأرض كما يرى أحدهم الدهن في القارورة)(٢) وهذا ليس ببعيد فإنَّ للحيوانات حواساً تفوق أحياناً حواس الإنسان.

[٧] **(وأنَّ الله يقول في كتابه):**

هذا هو المقطع الرابع من الحديث، حيث يستدلّ الإمام عليه السلام بالآية الكريمة على أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام يعلمون ما لم يكن سليمان يعلمه، مضافاً إلى معرفتهم لما كان يعرفه، وكذلك يتمكنون من إحياء الموتى ـ بإذن الله ـ كما كان يفعل عيسى عليه السلام.

[٨] **(أو كُلّم به الموتى):**

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ أي لو كان مقروءاً بهذه الصفات فهو هذا القرآن الذي أنزل على رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله، فالجزاء محذوف، ﴿سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾

---

(١) سورة الصافات: الآية ٧.

(٢) البرهان: ج٧، ص٢٧٤.

وَقَدْ وَرِثْنَا نَحْنُ هَذَا الْقُرْآنَ[٩] الَّذِي فِيهِ مَا تُسَيَّرُ بِهِ الْجِبَالُ وَتُقَطَّعُ بِهِ الْبُلْدَانُ، وَتُحْيَا بِهِ الْمَوْتَى[١٠]، وَنَحْنُ نَعْرِفُ الْمَاءَ تَحْتَ الْهَوَاءِ، وَإِنَّ فِي

أي يزول الجبل من مكانه ويسير إلى مكان آخر بتأثير الطاقة الهائلة لهذا القرآن ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي انشقت بتأثيره ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ بأن يتكلَّم الأحياء مع الأموات، أو بمعنى إحياء الأموات.

وفي التقريب[١]: ثمَّ إنَّ هذا القرآن يؤثر بالفعل هذه التأثيرات، ولكن بشرط أن يتلوه الإنسان الصالح، فهو كالسيف الذي يصلح أن يجزّ الرقاب ولكن إذا كان بيد الشجاع.

والحاصل: أنَّ القرآن فيه هذه الطاقة الهائلة، لكنَّه أعظم من كل هذه الأمور، لكن هؤلاء معاندون فهم يكفرون بالرَّحمٰن مع مشاهدتهم لأعظم الآيات ـ وهو القرآن الكريم ـ.

[٩] (وقد ورثنا نحن هذا القرآن):

بمعنى أنَّهم يتمكنون من هذه الأفعال بسبب تلاوة القرآن، وليس مراده عليه السلام إرث ألفاظه وأوراقه، فإنَّهما عامان لكل المسلمين.

كما أنَّه ربما أطلق الإرث، وأريد به: المعاني ممَّا خفي على كثير من الناس ولذا انحرفوا فصاروا مجسمة ومجبرة ـ كذا في التقريب[٢] ـ.

[١٠] (وتحيا به الموتى):

فبتقطيع البلدان ـ وهو انشقاقها ـ يظهر الماء الذي في الباطن ممَّا لم يكن يعلمه سليمان، وبإحياء الموتى به يمكن فعل ما فعله عيسى عليه السلام، كل ذلك بإذن الله تعالى، وبتسيير الجبال يكون لهم عليهم السلام ما لم يكن لسليمان وعيسى عليهما السلام.

---

(١) التقريب: ج٣، ص٨٧.

(٢) التقريب: ج٣، ص٨٧.

كِتَابِ اللَّهِ لَآيَاتٍ[١١] مَا يُرَادُ بِهَا أَمْرٌ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ بِهِ، مَعَ مَا قَدْ يَأْذَنُ اللَّهُ مِمَّا كَتَبَهُ الْمَاضُونَ[١٢]، جَعَلَهُ اللَّهُ لَنَا فِي أُمِّ الْكِتَابِ[١٣]، إِنَّ اللَّهَ

---

[١١] **(ما يُراد بها أمر):**

لعلَّ المراد أنَّ الاسم الأعظم في تلك الآيات، أو أنَّ لتلك الآيات هذه الخصوصية بأنَّها مفتاح كل حاجة وأمر، فإذا تلاها من هو المحل القابل ـ وهم الأئمَّة عليهم السلام ـ لتحقَّق كل أمر أرادوه بإذن الله تعالى.

[١٢] **(ممَّا كتبه الماضون):**

أي إضافة إلى الخصوصيات التي هي في كتب الأنبياء السابقين، فالحاصل: أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام يعلمون ما علمه الأنبياء السابقون، وما في كتبهم، ويُضاف إليه علمهم بالقرآن وبما فيه من الخصوصيات التي تؤثِّر في التكوين بإذن الله تعالى.

[١٣] **(جعله الله لنا في أُمّ الكتاب):**

أي القدرة على هذه الأُمور المذكورة أعطانا الله إيَّاها، وقدَّرها في اللوح المحفوظ، فلا تبديل ولا تغيير فيها ـ لأنَّ ما في اللوح مطابق لما علمه الله تعالى ـ.

أو المعنى: أنَّ الله سبحانه قدَّر تلك الأُمور وسجَّلها في أُمّ الكتاب لأنَّه سبحانه علم بأنَّا سنريد تلك الأُمور وسنتلو تلك الآيات لتتحقَّق تلك الأُمور، فيكون المراد بيان أنَّ المقدِّر هو الله تعالى ولكنَّه جعل تلاوة هذه الآيات وسيلة وسبباً، كما أنَّه سبحانه يقدِّر سائر الأُمور المرتبطة بالعباد ولكنَّه يجعل لها أسباباً ـ وقد مرَّ شطر من الكلام في أبواب القدر ـ.

و«أُمّ الكتاب» هو اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾(١).

---

(١) سورة الرعد: الآية ٣٩.

يَقُولُ[١٤]: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٧٥]، ثُمَّ قَالَ[١٥]: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]، فَنَحْنُ الَّذِينَ اصْطَفَانَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَوْرَثَنَا هَذَا الَّذِي فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ[١٦].

---

[١٤] (إنَّ الله يقول):

هذا استدلال على أنَّ كلّ شيء موجودٌ في اللوح المحفوظ، فقد كتب في اللوحأن الله تعالى يأذن لهم عليهم السلام بأن يتلوا تلك الآيات فيتحقَّق ما أرادوا، قال سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ﴾ أي خافية تغيب عن الحواس ـ سواء كانت عيناً أم خصلة ـ ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ أي كتاب ظاهر لدينا، فإنَّا نعلم كلّ شيء غاب عن الحواس.

[١٥] (ثم قال):

هذا هو المقطع السابع ـ والأخير ـ في الرواية، حيث يبيِّن فيه الإمام عليه السلام علمهم بكلّ شيء، مستدلاً بأنَّ كلّ شيء في القرآن، وأنَّهم عليهم السلام ورثة علم القرآن.

[١٦] (فيه تبيان كلّ شيء):

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾(١)، وقد مرَّ تفصيل الكلام في هذه الآية، وكذا آية ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾...

---

(١) سورة النحل: الآية ٨٩.

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ عليهم السلام عِنْدَهُمْ جَمِيعُ الْكُتُبِ الَّتِي نَزَلَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا عَلَى اخْتِلَافِ أَلْسِنَتِهَا

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ، فِي حَدِيثِ بُرَيْهٍ[١]، ـ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ مَعَهُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَلَقِيَ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عليه السلام فَحَكَى لَهُ هِشَامٌ الْحِكَايَةَ[٢] ـ فَلَمَّا

الحديث الأوّل:

[١] **(حديث بريه):**

«بُريه» تصغير إبراهيم، وقد يُقرأ الاسم (بريهة) والحديث مفصَّل، روى منه الكليني رضوان الله عليه ما يرتبط بهذا الباب، وتمام الحديث رواه الصدوق.

وحاصله أنَّ بُريه كان جاثليقاً ـ أي ممثِّل البطريق الأعظم للنصارى في بغداد نظيره الآن الكاردينال الممثِّل الأعظم للبابا ـ ويطلب الإسلام، ويطلب من يحتج عليه ممَّن يقرأ كتبه ويعرف المسيح بصفاته ودلائله وآياته، وكان يعرف ضعف النصرانية وضعف حجَّتها، وكان يستقرىء المسلمين وفرقهم ولكنَّه لم يجد عندهم شيئاً، إلى أن التقى بهشام بن الحكم وجادله، فغلبه هشام، ثم سافر معه إلى المدينة للقاء الإمام الصادق عليه السلام، فلقي الإمام الكاظم عليه السلام ـ وهذا خلاصة الحديث فراجعه في توحيد الصدوق وفي مرآة العقول ـ(١).

[٢] **(فحكى له هشام الحكاية):**

أي تفاصيل قصة بريه.

---

(١) مرآة العقول: ج٣، ص٢٥ ـ ٢٧.

فَرَغَ[٣] قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام لِبُرَيْهٍ: يَا بُرَيْهُ! كَيْفَ عِلْمُكَ بِكِتَابِكَ؟ قَالَ: أَنَا بِهِ عَالِمٌ[٤]، ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ ثِقَتُكَ بِتَأْوِيلِهِ[٥]؟ قَالَ: مَا أَوْثَقَنِي بِعِلْمِي فِيهِ[٦]، قَالَ: فَابْتَدَأَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام يَقْرَأُ الْإِنْجِيلَ؟ فَقَالَ بُرَيْهٌ: إِيَّاكَ كُنْتُ أَطْلُبُ مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً أَوْ مِثْلَكَ[٧]، قَالَ: فَآمَنَ بُرَيْهٌ وَحَسُنَ إِيمَانُهُ، وَآمَنَتِ الْمَرْأَةُ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ.

فَدَخَلَ هِشَامٌ وَبُرَيْهٌ وَالْمَرْأَةُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فَحَكَى لَهُ هِشَامٌ الْكَلَامَ الَّذِي جَرَى بَيْنَ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام وَبَيْنَ بُرَيْهٍ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٨]، فَقَالَ بُرَيْهٌ: أَنَّى

---

[٣] (فلمّا فرغ):

أي فلما فرغ هشام من الحكاية.

[٤] (أنا به عالم):

تقديم «به» لإفادة الحصر الدال على كمال العلم به ـ كما في المرآة(١).

[٥] (كيف ثقتك بتأويله):

أي هل تعرف معانيه، فتعتمد على نفسك في ذلك؟

[٦] (ما أوثقني بعلمي فيه):

«ما أوثقني» صيغة تعجُّب، أي أنا مطمئن وواثق بعلمي في التأويل.

[٧] (أو مثلك):

عطف على إيَّاك، أي كنت أطلبك أو مثلك، ولعلَّ إضافته (أو مثلك) لأنَّ الإمام الكاظم عليه السلام كان شاباً، ولم يكن يبلغ الخمسين، وبريه كان يطلب منذ خمسين عاماً ففي ذلك الوقت كان يطلب مثله في العلم.

[٨] (والله سميع عليم):

والآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ﴾ أي اختار للنُّبوّة أو الإمامة أو كليهما ﴿آدَمَ وَنُوحًا

---

(١) المرآة: ج٣، ص٢٧.

لَكُمْ[٩] التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ وَكُتُبُ الْأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: هِيَ عِنْدَنَا وِرَاثَةً مِنْ عِنْدِهِمْ نَقْرَؤُهَا كَمَا قَرَؤُوهَا[١٠]، وَنَقُولُهَا كَمَا قَالُوا[١١]، إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْعَلُ حُجَّةً فِي أَرْضِهِ يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي[١٢].

﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي إبراهيم وآله، والعترة عليهم السلام داخلون في آل إبراهيم كما في بعض الروايات(١) ﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ أي موسى وهارون، فهؤلاء اصطفاهم الله تعالى ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، حال لكون هؤلاء ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ نسباً، ومنهجاً، أمَّا النسب: فآل عمران من ذرِّية إبراهيم، وإبراهيم من ذرِّية نوح، ونوح من ذرِّية آدم عليهم السلام، وأمَّا منهجاً: فكلهم أدّوا الرسالة وبلّغوا الدِّين ونصحوا الناس، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما تقوله الذرِّية ﴿عَلِيمٌ﴾ بضمائرهم وأعمالهم ولذا فضّلهم على من سواهم.

وإنَّما قرأ الإمام الصَّادق عليه السلام هذه الآية لبيان أنَّ الإمام الكاظم عليه السلام من الذرِّية المختارة فلا غرو في علمه بالإنجيل.

[٩] **(أنَّى لكم):**

أي من أين لكم علم التوراة والإنجيل وسائر الكتب السَّماويَّة؟

[١٠] **(كما قرؤوها):**

أي من غير تحريف، بلا زيادة ولا نقصان.

[١١] **(نقولها كما قالوا):**

أي نفسِّرها كما فسَّروها.

[١٢] **(فيقول لا أدري):**

وروى الصدوق تتمة الحديث: فلزم بُريه أبا عبد الله عليه السلام حتى مات أبو عبد الله عليه السلام، ثم لزم موسى بن جعفر عليه السلام حتى مات في زمانه، فغسَّله بيده، وكفَّنه بيده، ولحَّده بيده، وقال: هذا حواريٌّ من حواريِّي المسيح، يعرف حقَّ الله عليه، قال [ـ يعني هشام ـ]: فتمنَّى أكثر أصحابه أن يكونوا مثله.

---

(١) راجع تفسير البرهان: ج٢، ص٣٨٥.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ مُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: أَتَيْنَا بَابَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام ـ وَنَحْنُ نُرِيدُ الْإِذْنَ عَلَيْهِ ـ فَسَمِعْنَاهُ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ لَيْسَ بِالْعَرَبِيَّةِ، فَتَوَهَّمْنَا[١] أَنَّهُ بِالسُّرْيَانِيَّةِ، ثُمَّ بَكَى فَبَكَيْنَا لِبُكَائِهِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْنَا الْغُلَامُ فَأَذِنَ لَنَا، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ أَتَيْنَاكَ نُرِيدُ الْإِذْنَ عَلَيْكَ فَسَمِعْنَاكَ تَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ لَيْسَ بِالْعَرَبِيَّةِ فَتَوَهَّمْنَا أَنَّهُ بِالسُّرْيَانِيَّةِ، ثُمَّ بَكَيْتَ فَبَكَيْنَا لِبُكَائِكَ، قَالَ: نَعَمْ ذَكَرْتُ إِلْيَاسَ النَّبِيَّ ـ وَكَانَ مِنْ عُبَّادِ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ـ فَقُلْتُ كَمَا كَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ، ثُمَّ انْدَفَعَ فِيهِ[٢] بِالسُّرْيَانِيَّةِ، فَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا قَسّاً وَلَا جَاثَلِيقاً[٣] أَفْصَحَ لَهْجَةً مِنْهُ بِهِ[٤]، ثُمَّ فَسَّرَهُ لَنَا

الحديث الثاني:

[١] **(فتوهمنا):**

أي فظننا أنَّه باللغة السريانية، ولعلَّهم عرفوها من اللهجة وإن لم يكونوا يعرفون اللغة.

[٢] **(اندفع فيه):**

أي شرع فيه بسرعة.

[٣] **(قساً ولا جاثليقاً):**

أكبر رجال دين النصارى ـ الأرثوذكس ـ هو بطريق أنطاكية (ويعادله البابا في الكاثوليك)، ثم الجاثليق ـ وكان ممثلاً للبطريق في بغداد ـ (ويعادله الكاردينال)، ثم المطران، ثم الأسقف، ثم القسيس ـ كذا قيل ـ.

[٤] **(أفصح لهجة منه به):**

«منه» من الإمام عليه السلام «به» بالكلام، واللهجة: اللِّسان وما يُنطق به، ثم شاع استعماله في كيفية النطق.

بِالْعَرَبِيَّةِ، فَقَالَ: كَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «أَتُرَاكَ مُعَذِّبِي وَقَدْ أَظْمَأْتُ لَكَ هَوَاجِرِي[٥]، أَتُرَاكَ مُعَذِّبِي وَقَدْ عَفَّرْتُ لَكَ فِي التُّرَابِ وَجْهِي[٦]، أَتُرَاكَ مُعَذِّبِي وَقَدِ اجْتَنَبْتُ لَكَ الْمَعَاصِيَ، أَتُرَاكَ مُعَذِّبِي وَقَدْ أَسْهَرْتُ لَكَ لَيْلِي». قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنِ ارْفَعْ رَأْسَكَ فَإِنِّي غَيْرُ مُعَذِّبِكَ، قَالَ: فَقَالَ: إِنْ قُلْتَ: لَا أُعَذِّبُكَ ثُمَّ عَذَّبْتَنِي مَاذَا[٧]؟ أَلَسْتُ عَبْدَكَ وَأَنْتَ رَبِّي؟ قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنِ ارْفَعْ رَأْسَكَ، فَإِنِّي غَيْرُ مُعَذِّبِكَ، إِنِّي إِذَا وَعَدْتُ وَعْداً وَفَيْتُ بِهِ.

---

[٥] (أظمأت لك هواجري):

«الظمأ» شدَّة العطش، و«الهواجر»: جمع (هاجرة) وهي الساعة التي يشتدّ فيها الحرّ، كوقت الزوال أو من الزوال إلى العصر، والمعنى: صمتُ لك في شدَّة الحرّ، ونسبة الظمأ إلى الهاجرة مجاز كقولهم (صام نهاره).

[٦] (عفَّرت لك في التراب وجهي):

«التعفير»: التمريغ في التراب، وتعفير الوجه هو غاية في الخضوع والتذلُّل، لأنَّ الوجه أشرف الأعضاء، وبها كرامة وكبرياء الإنسان.

[٧] (ثمَّ عذَّبتني ماذا؟):

قال في المرآة(١) أي: أيُّ شيء يُنافي عدلك، ولعلَّه عليه السلام جوَّز أن يكون وعده تعالى مشروطاً بشرط فتضرَّع ليعلم أنَّه غير مشروط بل مطلق، مع أنَّه يحتمل أن يكون وجوب الوفاء بالوعد شرعياً، لا عقلياً - بقبح تركه -، وإن كان خلاف المشهور. انتهى.

أقول: دلالة العقل على وجوب الوفاء بالوعد قطعية، لقبح مخالفة الوعد

---

(١) المرآة: ج٣، ص٣٠.

ـ عقلاً ـ، وعدم الوفاء إمّا للعجز أو للبخل وكلاهما نقص، والله تعالى منزّه عن كلّ نقص.

والأظهر أنّ كلامه عليه السلام كان استعطافاً واسترحاماً وزيادة في التضرع، وبيان أنّ وعدك لا يوجب عجزك ولذا قال عليه السلام: (ألست عبدك وأنت ربّي) فتأمّل.

بَابُ أَنَّهُ لَمْ يَجْمَعِ الْقُرْآنَ كُلَّهُ إِلَّا الْأَئِمَّةُ عليهم السلام وَأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ عِلْمَهُ كُلَّهُ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي الْمِقْدَامِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ:

الحديث الأوّل:

١ ـ عدم التحريف في القرآن

اعلم أنَّ القرآن الذي بأيدينا هو كما أنزله الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله من غير زيادة ولا نقصان ـ حتى في حروفه وإعرابه وترتيبه ـ.

وعن السيِّد مرتضى رحمه الله في جواب المسائل الطرابلسيات ـ حسب نقل مجمع البيان ـ: إنَّ العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة، فإنَّ العناية اشتدت والدواعي توفَّرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حدّ لم يبلغه فيما ذكرناه، لأنَّ القرآن معجزة النُّبوَّة ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شيء اختُلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيّراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد.

وقال أيضاً: إنَّ القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن.

واستدلّ على ذلك: بأنَّ القرآن كان يدرّس ويُحفظ جميعه في ذلك الزمان، حتى عُيِّن على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنَّه كان

يعرض على النبي ﷺ ويُتلى عليه، وأنَّ جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود، وأُبي بن كعب، وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدَّة ختمات، وكل ذلك يدلُّ بأدنى تأمُّل على أنَّه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث.

ثم قال: أنَّ من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتدّ بخلافهم، فإنَّ الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث، نقلوا أخباراً ضعيفة، ظنّوا صحتها، لا يُرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته[1].

٢ ـ الرسول ﷺ هو الذي جمع القرآن بأمر الله

قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[2].

ولما نزل قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ قال جبرائيل: ضعها في رأس الثمانين والمائتين من البقرة ـ عن ابن عبَّاس والسدي ـ[3].

قال الوالد رضوان الله عليه: فإنَّه صريح في أنَّ الله تعالى أمر نبيّه بجمع القرآن وبترتيبه ترتيباً دقيقاً، حتى في مثل ترقيم الآيات، وقد فعل النبي ﷺ ذلك في حياته، كما أمره الله تعالى، ولم يكن ﷺ ليترك القرآن متفرقاً حتى يُجمع من بعده.

وهل يمكن للرسول ﷺ ـ مع كبير اهتمامه، وكثير حرصه على حفظ القرآن الكريم ـ أن لا يقوم بجمع القرآن وترتيبه! وأن يتركه مبعثراً في أيدي المسلمين ويوكل جمعه إليهم، مع أنَّ الوحي أخبره بقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[4].

---

(١) مجمع البيان: ج١، ص٢١، عن المسائل الطرابلسيات.
(٢) سورة القيامة: الآيات ١٧ ـ ١٩.
(٣) مجمع البيان: ج٢، ص٣٢٢، والتبيان: ج٢، ص٣٦٩.
(٤) سورة الزمر: الآية ٣٠.

فهل يصح أن يكون صلى الله عليه وآله حريصاً على القرآن من جهة ـ حتى أنَّه صلى الله عليه وآله كان يأمر بحفظ القرآن والاهتمام به والتحريض على تلاوته والعمل به، وخاصة في أيّامه الأخيرة، حيث كان يقول مراراً وبألفاظ متقاربة: إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً ـ وأن لا يجمع القرآن ويتركه مبعثراً من جهة أخرى؟!

بل أليس القرآن هو دستور الإسلام الخالد، ومعجزته الباقية على مرّ القرون والأعصار إلى يوم القيامة، ومعه هل يعقل أن يتركه النبي صلى الله عليه وآله مبعثراً من دون أن يجمعه؟!

أم كيف يأذن الله تعالى لنبيّه بأن لا يقوم بجمعه مع أنَّه تعالى يقول: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[1]، ويقول سبحانه أيضاً: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[2]؟! فعلى النبي صلى الله عليه وآله إبلاغ القرآن مجموعاً ومرتّباً إلى الناس كافة، كما جمعه الله تعالى ورتَّبه[3].

٣ ـ جمع الإمام علي عليه السلام لتفسير القرآن وتأويله

أمَّا جمع الإمام علي عليه السلام للقرآن ـ كما وردت به روايات متعدِّدة ـ فالمراد به أحد أمرين ـ أو كلاهما ـ:

١ ـ جمعه مع تفسيره وتأويله وبيان ناسخه من منسوخه وسائر ما يتعلق به، كما يظهر هذا المعنى من رسالة الإمام الباقر عليه السلام إلى سعد الخير: وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرَّفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه، والجهال يعجبهم حفظ الرواية، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية[4].

٢ ـ جمع القرآن مع الأحاديث القدسية، التي هي وحي لكنَّها ليس بقرآن،

---

(١) سورة القيامة: الآية ١٧.

(٢) سورة الحجر: الآية ٩.

(٣) متى جمع القرآن، للإمام الشيرازي: ص١٢ ـ ١٤ ط١، عام ١٤١٩ الناشر، مركز الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله للتحقيق والنشر، بيروت.

(٤) الكافي: ج٨، ص ٥٣، ح١٦.

مَا ادَّعَى أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ جَمَعَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ كَمَا أُنْزِلَ[١] إِلَّا كَذَّابٌ، وَمَا جَمَعَهُ وَحَفِظَهُ كَمَا نَزَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَالْأَئِمَّةُ مِنْ بَعْدِهِ عليهم السلام.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنِ الْمُنَخَّلِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: مَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّ عِنْدَهُ جَمِيعَ الْقُرْآنِ كُلِّهِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ[١] غَيْرُ الْأَوْصِيَاءِ.

قال الشيخ الصدوق: وقد نزل من الوحي الذي ليس بقرآن ما لو جمع إلى القرآن لكان مبلغه مقدار سبعة عشر ألف آية، وذلك مثل قول جبرائيل عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله: «إنَّ الله تعالى يقول: دارِ خلقي»، ومثل قوله: «عِش ما شئت فإنَّك ميِّت، وأحبب ما شئت فإنَّك مفارقه، واعمل ما شئت فإنَّك ملاقيه» و«شرف المؤمن صلاته باللَّيل» و«عزّه كفّ الأذى عن الناس» ومثل هذا كثير، كلّه وحي، ليس بقرآن(١).

[١] **(كما أنزل):**

أي بتفسيره وتأويله وسائر ما يتعلق به، ويؤيد هذا المعنى الحديث اللاحق.

الحديث الثاني:

[١] **(ظاهره وباطنه):**

أمّا الظاهر: فقد ذكرنا سابقاً أنَّ القراءة الصحيحة هي قراءة واحدة وهي القراءة المشهورة التي قرأ على طبقها حفص عن عاصم عن عبد الرَّحمٰن بن أبي النجود السلمي عن الإمام علي عليه السلام.

وأمّا الباطن: فهو التأويل الذي هو موجود في بطون القرآن الكريم، فإنَّ

---

(١) نقله عنه في الوافي: ج٩، ص١٧٧٨.

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ الرَّبِيعِ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ الصَّيْرَفِيِّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُصْعَبٍ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ مُحْرِزٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ مِنْ عِلْمِ مَا أُوتِينَا[١] تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ وَأَحْكَامَهُ[٢]، وَعِلْمَ تَغْيِيرِ الزَّمَانِ وَحَدَثَانِهِ[٣]، إِذَا أَرَادَ

القرآن فيه تبيان كلّ شيء، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾(١)، ومن المعلوم أنَّ الظاهر لا يشتمل على كل شيء، بل الباطن يحتوي على كل شيء.

الحديث الثالث:

[١] (ما أوتينا):

أي ما آتانا الله من العلم، أو ما آتانا من الإمامة، فعلى الأول تكون الأُمور المذكورة بعض علمهم، وعلى الثاني تكون هذه الأُمور من متعلقات منصب الإمامة.

[٢] (تفسير القرآن وأحكامه):

أي تفسير القرآن من كلِّ الجهات، وكان الكثير من الصحابة يُسأل عن آيات من القرآن فيقول لا أدري، في حين لم يسجل ذلك ـ ولا في مورد واحد ـ عن الأئمّة عليهم السلام، وأنَّ التفسير شاع عن طريق ابن عبَّاس وهو قد تعلَّمه عند أمير المؤمنين عليه السلام.

و«أحكامه» أي أحكام القرآن الكريم كالواجبات والمحرمات وتفاصيلهما، والناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والمطلق والمقيّد إلى غير ذلك، والأحكام من التفسير فيكون ذكرها من باب ذكر الخاص بعد العام.

[٣] (تغيير الزمان وحدثانه):

إشارة إلى أصل الوجود، وإلى تغيُّر أوصاف الموجود، مثلاً يُولد طفل

---

(١) سورة النحل: الآية ٨٩.

اللَّهُ[٤] بِقَوْمٍ خَيْراً أَسْمَعَهُمْ، وَلَوْ أَسْمَعَ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ لَوَلَّى مُعْرِضاً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْ، ثُمَّ أَمْسَكَ هُنَيْئَةً[٥]، ثُمَّ قَالَ[٦]: وَلَوْ وَجَدْنَا أَوْعِيَةً أَوْ مُسْتَرَاحاً

فهذا أمر حدث، ثمَّ هذا الطفل يكبر ويصبح عالماً فهذا أمر تغيّر.

و«الحدثان» بمعنى الحدوث وهو كون الشيء بعد أن لم يكن.

والحاصل: أنَّ لهم علم القضايا الخارجية التي تحدث.

[٤] **(وإذا أراد الله):**

المقصود بيان أنَّ هذا العلم لا يمكن أن يُباح به لعامَّة الناس، لأنَّه بحاجة إلى المحلّ القابل، إذ من اللغو إخبار مَن ليس قابلاً لتلك العلوم حيث لا يستفيد منها شيئاً، بل قد يكون في إشاعتها ضرر، وقد استدل الإمام عليه السلام بقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝٢٢ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾(١)، وقد مرَّ شرح هذه الآية.

[٥] **(هنيئة):**

أي ثم أمسك عن الكلام فترة يسيرة، و«هنيئة» الزمان القصير، تصغير (هِنو) بمعنى الوقت، أو (هِنْء) بمعنى طائفة من الزمان.

[٦] **(ثم قال):**

أي إنَّ هذا العلم يكون بيانه في صورتين:

١ ـ أن يوجد مَن له القابلية، فيكون وعاءً لذلك العلم، وفي الحديث: (إنَّ هذه القلوب أوعية وخيرها أوعاها)(٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(٣).

٢ ـ أن لا تكون تقية، ولذا قال عليه السلام: (أو مستراحاً) أي من تستريح النفس إليه.

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٢.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة رقم ١٤٧.

(٣) سورة ق: الآية ٣٧.

لَقُلْنَا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ[٧].

وقد يكون شخص لا يُتقى منه، لكنَّه لا يضبط لسانه فيذيع ما كانت المصلحة في إخفائه، فهذا أيضاً لا تستريح النفس إليه، رغم إيمانه.

[٧] (والله المستعان):

سؤال: وما الفائدة في علم لا يمكن البوح به؟

الجواب: **أوّلاً**: إنَّ فائدة العلم لا تنحصر في بيانه، بل هناك كثير من أُمور التكوين ترتبط بهذا العلم.

وثانياً: إنَّ العالم أفضل من الجاهل، فله علوّ عليه بسبب العلم، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١)، ويلزم أن يكون الإمام أفضل الناس بحيث لا يكون أحد أعلم منه في أية مسألة.

فالعالم الذي يضيع بين الجهّال، ولم يستفد أحد من علمه أصلاً فإنَّه أفضل من غير العالم.

مثلاً: العقيق أفضل من الحجر العادي بجوهره حتى لو كان في أعماق الأرض ولم يستفد منه أحد.

ثمَّ إنَّ في قول الإمام ﷺ (والله المستعان) إشارة إلى صعوبة أن يكون عالم لا يمكنه بيان علمه لعدم قابلية المستمع أو لأجل التقية ونحوها، فلذا يستعين بالله تعالى لتحمُّل هذه الصعوبة.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٩.

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى مَوْلَى آلِ سَامٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ كِتَابَ اللَّهِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، كَأَنَّهُ فِي كَفِّي[١]، فِيهِ خَبَرُ السَّمَاءِ، وَخَبَرُ الْأَرْضِ[٢]، وَخَبَرُ مَا كَانَ، وَخَبَرُ مَا هُوَ كَائِنٌ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: فِيْهِ تِبْيانُ كُلِّ شَيْءٍ[٣].

الحديث الرابع:

[١] **(كأنَّه في كفي):**

هذا كناية عن تسلُّطه على علم الكتاب، فإنَّ ما في كفّ الإنسان يتمكَّن من تقليبه كيف يشاء.

[٢] **(خبر السَّماء وخبر الأرض):**

أي ما في السَّماء وما في الأرض، وكذا خبر مَن في السَّماء مِن الملائكة ومَن في الأرض مِن الإنس والجن، قال تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(١) وقال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾(٢) ـ بناءً على تفسير الكتاب بالقرآن في الآيتين ـ.

وقوله: (خير السماء وخير الأرض) أي خبر ما يكون حالاً، وقوله: (خبر ما كان) أي خبر ما جرى في الماضي، وقوله: (خبر ما هو كائن) أي خبر ما سيقع في المستقبل.

[٣] **(فيه تبيان كل شيء):**

نقل بالمعنى، والآية: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾(٣).

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٩.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

(٣) سورة النحل: الآية ٨٩.

٥ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي زَاهِرٍ، عَنِ الْخَشَّابِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ[١]﴾ [النمل: ٤٠] قَالَ: فَفَرَّجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام بَيْنَ أَصَابِعِهِ فَوَضَعَهَا فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَعِنْدَنَا ـ وَاللَّهِ ـ عِلْمُ الْكِتَابِ كُلُّهُ[٢].

الحديث الخامس:

[١] (يرتد إليك طرفك):

﴿قَالَ﴾ آصف بن برخيا وصيُّ سليمان: ﴿ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ (من) للتبعيض أي بعض الكتاب، وهذا الكتاب هو مخزون مكنون عند الله تعالى، ولا يطّلع عليه إلّا من شاء الله من الأنبياء والأئمّة، وكان في هذا العلم حرف من الاسم الأعظم ـ كما يأتي في الباب الآتي ـ، قيل: إنَّ التعبير بذلك للدلالة على شرف العلم وأنَّ هذه الكرامة كانت بسببه، قال: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ بعرش بلقيس ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أي جفنك، والمعنى قبل أن تحرّك جفنك، قيل: إنَّ حركة الجفن بغمضةٍ وفتحٍ لا تستغرق سوى عُشر الثانية الواحدة، ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ رأى العرش ﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾... الآية.

[٢] (علم الكتاب كلّه):

«الكتاب» إمّا بمعنى القرآن، وحيث إنَّ القرآن فيه كل شيء فالعلم الذي كان عند آصف هو في القرآن الكريم أيضاً.

وإمّا بمعنى نوع الكتاب، أي علم كل الكتب السّماويّة.

وإمّا الألف واللام في (الكتاب) للعهد أي الكتاب الذي كان بعض علمه عند آصف فإنَّ كلّه عندنا، قال تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾(١).

---

(١) سورة الرعد: الآية ٤٣.

٦ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ ـ جَمِيعاً ـ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ[١]﴾ [الرّعد: ٤٣]؟ قَالَ: إِيَّانَا عَنَى، وَعَلِيٌّ أَوَّلُنَا وَأَفْضَلُنَا وَخَيْرُنَا[٢] بَعْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله.

الحديث السادس:

[١] **(ومن عنده علم الكتاب):**

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ﴾ يا رسول الله ﴿مُرْسَلًا﴾ من طرف الله تعالى، ﴿قُلْ﴾ في جوابهم ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ وشهادة الله هي عن طريق المعجزة التي ظهرت على يد الرسول صلى الله عليه وآله، ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فإنَّ الأئمَّة عليهم السلام بعلمهم وكمالهم وكراماتهم من أقوى الأدلة على حقانية الإسلام وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله.

والروايات المفسرة للآية بالإمام علي بن أبي طالب والأئمَّة عليهم السلام مستفيضة، فراجع تفسير البرهان(١).

[٢] **(أولنا وأفضلنا وخيرنا):**

في المرآة(٢) أي وإن كنّا في العلم سواء، وعندنا جميعاً علم الكتاب، لكن علي عليه السلام له الفضل علينا، بالسبق، وكثرة الجهاد، وتأسيس الإسلام، وكون علمنا منه.

---

(١) البرهان: ج٥، ص٣٦٦ ـ ٣٧٣، روى خمس وعشرين رواية.

(٢) المرآة: ج٣، ص٣٥.

بَابُ مَا أُعْطِيَ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام مِنِ اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى؛ وَغَيْرُهُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ قَالَ: أَخْبَرَنِي شُرَيْسٌ الْوَابِشِيُّ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ عَلَى ثَلَاثَةٍ وَسَبْعِينَ حَرْفاً[١]، وَإِنَّمَا كَانَ عِنْدَ آصَفَ مِنْهَا حَرْفٌ وَاحِدٌ، فَتَكَلَّمَ بِهِ، فَخُسِفَ بِالْأَرْضِ[٢] مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَرِيرِ بِلْقِيسَ حَتَّى تَنَاوَلَ السَّرِيرَ بِيَدِهِ، ثُمَّ عَادَتِ الْأَرْضُ كَمَا

الحديث الأوّل:

[١] **(ثلاثة وسبعين حرفاً):**
«الحرف» إمَّا بمعنى الطريقة والجهة، أو بمعنى الكلمة. فإنَّ الحرف يُطلق على واحد من حروف التهجي، وعلى الكلمة، وعلى الكلام المختصر ـ كذا في المرآة(١) ـ.

[٢] **(فخسف بالأرض):**
«الخسف» هو ذهاب الشيء، ومنه خسوف القمر، وخسف الأرض بمعنى غورها، والمعنى أنَّ الأراضي الواقعة بين آصف في فلسطين وبين سبأ خُسفت.
وبعد ثبوت أصل انتقال السرير من سبأ إلى فلسطين وأنّه كان بالخسف، فلا يهمّ معرفة كيفية ذلك، لأنَّ قدرة الله تعالى أحاطت بكلّ شيء، وحتى الظواهر الطبيعية قد لا يعرف الإنسان أسبابها وعللها، لكنّه يراها ويحسُّ بها، بل ما يعرفه الإنسان من الطبيعة وقوانينها هي أقل القليل ممَّا يجهله منها.

---

(١) المرآة: ج٣، ص٣٥.

كَانَتْ أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ، وَنَحْنُ عِنْدَنَا مِنَ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ حَرْفاً، وَحَرْفٌ وَاحِدٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى اسْتَأْثَرَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ[٣]، وَلَا

ثمَّ إنَّ الروايات ظاهرة في أحد أُمور:

١ ـ انخسفت الأرض بين مكان سليمان وعرش بلقيس فالتقت قطعتا الأرض.

٢ ـ أن تكون الحركة في جوف الأرض، بأن انخرقت الأرض وتحرَّك السرير أو الأرض التي هو عليها حتى خرج السرير من تحت مجلس سليمان.

٣ ـ أن يكون بتكاثف بعض أجزاء الأرض وتخلخل بعضها، بأن يكون الله تعالى حرَّك وزعزع الجبال والمساكن والأشجار الواقعة فيما بينهما يميناً وشمالاً حتى لا تمنع حركة موضع السرير(١).

[٣] **(استأثر به في علم الغيب عنده):**

«الاستئثار» التفرُّد بالشيء من دون غيره، والمعنى أن تفرُّده تعالى بذلك الاسم إنَّما هو في علمه، فلا يعلم به غيره.

سؤال: وما الفائدة في خلق حرف لا يعلم به أحد سوى الله تعالى.

والجواب: أنَّ فائدة الشيء لا تنحصر في علم الناس به، والآن ما أكثر القوانين الحاكمة على العالم والتي يجهلها الإنسان، بحيث لو لم تكن تلك القوانين لتغيَّرت السَّموات والأرض ولكانت الأرض غير صالحة لوجود الإنسان عليها، فتلك القوانين قد سخَّرها الله تعالى للإنسان مع جهل الناس بها.

وكذا هذا الحرف من الاسم الأعظم لعلَّه من ضمن نظام التكوين بحيث يرتبط به كثير من الأُمور والمخلوقات.

سؤال: ولماذا استأثر الله به؟

والجواب: إنَّ النبي ﷺ والأئمَّة عليهم السلام حيث أطلعهم الله تعالى على ما

---

(١) نقلاً عن مرآة العقول: ج٣، ص٣٦ ـ بتصرُّف ـ

حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ[٤] إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ؛ وَمُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ عِمْرَانَ الْقُمِّيِّ، عَنْ هَارُونَ بْنِ الْجَهْمِ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام لَمْ أَحْفَظْ اسْمَهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ[١]: إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عليه السلام أُعْطِيَ حَرْفَيْنِ كَانَ يَعْمَلُ

كان وما يكون وما هو كائن، لعلَّه تعالى أراد أن يعرف الملأ الأعلى وغيرهم أنَّه يعلم ما لا يعلمون، وأنَّ هناك فرقاً بين الخالق والمخلوق.

فإنَّ علم الله تعالى غير محدود فهو يعلم بما كان وبما لم يكن من غير نهاية، ولكن قد لا يدرك الكثيرون أنَّ علم ما لم يكن هو من العلم، فلا يعرفون العلم إلَّا بما كان، فلعلَّ الله تعالى أراد أن يدركوا أنَّه يعلم ما لا يعلمون، فتأمَّل.

[٤] **(ولا حول ولا قوَّة):**

لعلَّ الإتيان بهذا المقطع، لمنع الغلو، وبيان أنَّ علمهم إنَّما هو بإذن الله تعالى وأمره ومشيئته.

الحديث الثاني:

[١] **(سمعت أبا عبد الله يقول):**

اجتماع اثنين وسبعين حرفاً عند الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله دليل على أفضليته، وفيما سوى ذلك فليس كثرة الحروف عند نبي دليل على أفضليته، فإنَّه لا شكَّ في أفضلية الأنبياء أولي العزم على آدم عليه السلام وقد أعطي أكثر منهم.

فلعلَّ التفاوت لأجل اختلاف تأثير تلك الحروف، فأُعطي كلّ منهم ما يناسب معجزته.

أو لعلَّ تلك الحروف تتفاوت في درجاتها، فالحرفان عند عيسى عليه السلام أهم من الخمسة والعشرين التي كانت عند آدم عليه السلام.

بِهِمَا، وَأُعْطِيَ مُوسَى أَرْبَعَةَ أَحْرُفٍ، وَأُعْطِيَ إِبْرَاهِيمُ ثَمَانِيَةَ أَحْرُفٍ، وَأُعْطِيَ نُوحٌ خَمْسَةَ عَشَرَ حَرْفاً، وَأُعْطِيَ آدَمُ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ حَرْفاً، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَمَعَ ذَلِكَ كُلَّهُ[٢] لِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِنَّ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ حَرْفاً، أُعْطِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ حَرْفاً وَحُجِبَ عَنْهُ حَرْفٌ وَاحِدٌ.

٣ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيِّ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ صَاحِبِ الْعَسْكَرِ عليه السلام، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ حَرْفاً، كَانَ عِنْدَ آصَفَ حَرْفٌ، فَتَكَلَّمَ بِهِ، فَانْخَرَقَتْ لَهُ الْأَرْضُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَبَإٍ، فَتَنَاوَلَ عَرْشَ بِلْقِيسَ حَتَّى صَيَّرَهُ إِلَى سُلَيْمَانَ، ثُمَّ انْبَسَطَتِ الْأَرْضُ فِي أَقَلَّ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ، وَعِنْدَنَا مِنْهُ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ حَرْفاً، وَحَرْفٌ عِنْدَ اللَّهِ مُسْتَأْثِرٌ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ.

ثمَّ إنَّه قيل: إنَّ أفضل الأنبياء ـ بعد رسول الله محمَّد ﷺ ـ هو إبراهيم ثمَّ عيسى ثمَّ موسى ثمَّ نوح عليهم السلام. والله العالم.

[٢] (جمع ذلك كلّه):
أي الأحرف الأربعة والخمسين التي أعطاها للأنبياء المذكورين عليهم السلام، وقد زاده الله تعالى عليهم بثمانية عشر حرفاً آخر، فصار ما يعلمه عليه السلام من حروف الاسم الأعظم اثنين وسبعين حرفاً.

بَابُ مَا عِنْدَ الْأَئِمَّةِ مِنْ آيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مَنِيعِ بْنِ الْحَجَّاجِ الْبَصْرِيِّ، عَنْ مُجَاشِعٍ، عَنْ مُعَلًّى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَيْضِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: كَانَتْ عَصَا مُوسَى لِآدَمَ عليه السلام، فَصَارَتْ إِلَى شُعَيْبٍ، ثُمَّ صَارَتْ إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، وَإِنَّهَا لَعِنْدَنَا، وَإِنَّ عَهْدِي بِهَا آنِفاً[١]، وَهِيَ خَضْرَاءُ كَهَيْئَتِهَا حِينَ انْتُزِعَتْ مِنْ شَجَرَتِهَا[٢]، وَإِنَّهَا لَتَنْطِقُ إِذَا اسْتُنْطِقَتْ، أُعِدَّتْ لِقَائِمِنَا عليه السلام[٣]، يَصْنَعُ بِهَا مَا كَانَ

الحديث الأوّل:

[١] (عهدي بها آنفاً):

«آنف» أي قريباً، كقوله: ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾(١) أي قبل قليل.

[٢] (انتزعت من شجرتها):

قيل هي من شجر الجنّة.

[٣] (أعدت لقائمنا):

أي أدخرت له، فهي كانت عند الأئمّة عليهم السلام، لكنّهم لم يستفيدوا منها لدحر خصومهم، بل حفظوها لتصل إلى الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

---

(١) سورة محمّد: الآية ١٦.

يَصْنَعُ مُوسَى[٤]، وَإِنَّهَا لَتُرَوِّعُ، وَتَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ[٥]، وَتَصْنَعُ مَا تُؤْمَرُ بِهِ، إِنَّهَا حَيْثُ أَقْبَلَتْ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ، يُفْتَحُ لَهَا شُعْبَتَانِ، إِحْدَاهُمَا فِي الْأَرْضِ وَالْأُخْرَى فِي السَّقْفِ، وَبَيْنَهُمَا أَرْبَعُونَ ذِرَاعاً، تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ بِلِسَانِهَا.

---

[٤] **(ما كان يصنع موسى):**
وقد بيَّن الإمام الباقر عليه السلام ما كان يصنع بها موسى عليه السلام وما سيصنع بها الإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشريف، وهي:
١ ـ إنَّها تروّع، أي توجب الفزع ـ والخوف ـ كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾(١).
٢ ـ إنَّها تلقف ما يأفكون، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾(٢)، و«تلقف» أي تأكل بسرعة، و«ما يأفكون» أي ما قلّبوه عن وجهه حيث صوَّره أنَّه حيَّة، وذلك بالكذب والحيلة.
٣ ـ تصنع ما تؤمر، كما قال تعالى: ﴿اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾(٣).

[٥] **(تلقف ما يأفكون):**
أي تُبطل كل حيل المعسكر المحارب للإمام عليه السلام، وفي المرآة(٤): وقيل كتبهم التي يفترون فيها على ربّهم.
ولعلَّ تلك الكتب أحد المصاديق.

---

(١) سورة القصص: الآية ٣١.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١١٧.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٦٠.
(٤) المرآة: ج٣، ص٣٨.

٢ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ مُوسَى، عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ الْبَغْدَادِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: أَلْوَاحُ مُوسَى عليه السلام عِنْدَنَا، وَعَصَا مُوسَى عِنْدَنَا[١]، وَنَحْنُ وَرَثَةُ النَّبِيِّينَ[٢].

الحديث الثاني:

[١] **(وعصا موسى عندنا):**

لعلَّ تخصيص معجزتي موسى عليه السلام بالذِّكر لأنَّ التوراة هي أهم كتاب نزل قبل القرآن قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾(١) وقال سبحانه: ﴿أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾(٢).

والعصا هي القوَّة الإلٰهيَّة في مقابل الأعداء الطواغيت.

والحاصل: أنَّ الأئمَّة عندهم العلم والقوَّة التي كانت في التوراة والعصا.

[٢] **(ونحن ورثة النَّبيِّين):**

تعميم بعد تخصيص، فعندهم عليهم السلام ـ مضافاً إلى التوراة والعصا ـ جميع ما كان للنبيين حيث ورثوهم.

---

(١) سورة الاعراف: الآية ١٤٥.

(٢) سورة الاعراف: الآية ١٥٤.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُوسَى بْنِ سَعْدَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُرَاسَانِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّ الْقَائِمَ إِذَا قَامَ بِمَكَّةَ وَأَرَادَ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى الْكُوفَةِ نَادَى مُنَادِيهِ: أَلَا لَا يَحْمِلْ أَحَدٌ مِنْكُمْ طَعَاماً وَلَا شَرَاباً، وَيَحْمِلُ حَجَرَ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، وَهُوَ وِقْرُ بَعِيرٍ[١]، فَلَا يَنْزِلُ مَنْزِلاً إِلَّا انْبَعَثَ عَيْنٌ مِنْهُ، فَمَنْ كَانَ جَائِعاً شَبِعَ وَمَنْ كَانَ ظَامِئاً رَوِيَ[٢]، فَهُوَ زَادُهُمْ حَتَّى يَنْزِلُوا النَّجَفَ مِنْ ظَهْرِ الْكُوفَةِ[٣].

الحديث الثالث:

[١] **(وقر بعير):**

أي حِمل بعير، قال تعالى: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾(١) ولعلَّ ذكر حجم الحجر للدلالة على الإعجاز فيه، حيث يجري منه ماء كثير وهو بهذا الحجم.

[٢] **(روَي):**

أي ارتوى بحيث يرتفع الظمأ والعطش، وهذا من إعجاز الحجر حيث يشبع الجائع أيضاً.

[٣] **(ظهر الكوفة):**

الظهر بمعنى المرتفع البارز، وإنَّما سُمِّي النجف ظهر الكوفة لأنَّه يقع في مرتفع عند تلال وهي الذكوات البيض.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٦٠.

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُوسَى بْنِ سَعْدَانَ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْأَسَدِيِّ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: خَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ذَاتَ لَيْلَةٍ بَعْدَ عَتَمَةٍ[١] وَهُوَ يَقُولُ: هَمْهَمَةٌ هَمْهَمَةٌ[٢]، وَلَيْلَةٌ مُظْلِمَةٌ[٣]، خَرَجَ عَلَيْكُمُ الْإِمَامُ، عَلَيْهِ قَمِيصُ آدَمَ[٤]، وَفِي

الحديث الرابع:

[١] **(بعد عتمة):**
«العتمة» الثلث الأول من الليل بعد غيبوبة الحمرة المغربية.

[٢] **(همهمة همهمة):**
«الهمهمة» هو الكلام الخفيّ، والتكرار للتأكيد، وهي إمَّا مرفوعة على أنَّها خبر، أي (كلامي همهمة)، وذلك لعدم المصلحة في ذكر هذا الأمر بشكل علني، وإمَّا منصوبة على أنَّها مفعول (يقول) أي يقول كلاماً خفياً وذلك الكلام هو (خرج إليكم...) الخ.

[٣] **(وليلة مظلمة):**
الواو حالية، أي كان يقول همهمة والحال أنَّ اللَّيلة مظلمة.
وحاصل المعنى: أنَّ كلامي خاص، ولذا لا أقوله إلَّا بشكل خفي وفي ليلة مظلمة، حيث يخلد الناس في بيوتهم، ولم يبق إلَّا الخواص من الأصحاب حيث يمكن بيان هذه الأمور لهم.

[٤] **(قميص آدم):**
لعلَّ لبسه لقميص آدم عليه السلام للدلالة على أنَّ وراثته هي لكلّ الأنبياء عليهم السلام، بدءاً من آدم عليه السلام.
أو كان ذلك القميص الذي نزع عن آدم لما أكل من الشجرة، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ﴾(١) فيكون فيه دلالة على أنَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٧.

يَدِهِ خَاتَمُ سُلَيْمَانَ[٥]، وَعَصَا مُوسَى عليه السلام.

٥ ـ مُحَمَّدٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْمَاعِيلَ السَّرَّاجِ، عَنْ بِشْرِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ مُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: أَتَدْرِي مَا كَانَ قَمِيصُ يُوسُفَ عليه السلام؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام لَمَّا أُوقِدَتْ لَهُ النَّارُ أَتَاهُ جَبْرَئِيلُ عليه السلام بِثَوْبٍ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ فَأَلْبَسَهُ إِيَّاهُ، فَلَمْ يَضُرَّهُ مَعَهُ حَرٌّ وَلَا بَرْدٌ[١]، فَلَمَّا

أفضل من آدم عليه السلام لأنّه لم يفعل ما فعله آدم بحيث نزع عنه ذلك القميص.

أو هو اللباس الذي أُنزل مع آدم عليه السلام، فقد قيل في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا﴾(١)، أنّه أنزل ذلك مع آدم وحوّاء حين الأمر بالانهباط(٢) فيكون فضل هذا اللباس أنّه من الجنّة.

[٥] (خاتم سليمان):

روى الشيخ الصدوق رضوان الله عليه في كمال الدِّين بإسناده عن الإمام الصَّادق عليه السلام ـ في حديث حول سليمان عليه السلام ـ: فأخرج خاتمه، فلبسه، فخرَّ عليه الطير والريح، وغشيه الملك(٣).

الحديث الخامس:

[١] (فلم يضرّه معه حرّ ولا برد):

يظهر من هذا الحديث أنَّ الثوب كان سبباً لبرد النار، حيث قال تعالى: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾(٤)، فلمّا لبس إبراهيم عليه السلام ذلك الثوب انقلبت النار باردة.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٦.

(٢) نقله في مجمع البيان: ج٤، ص٢٣٩.

(٣) البحار: ج١٤، ص٦٩ عن كمال الدِّين: ص٩٤.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٦٩.

حَضَرَ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْتُ جَعَلَهُ فِي تَمِيمَةٍ[٢] وَعَلَّقَهُ عَلَى إِسْحَاقَ، وَعَلَّقَهُ إِسْحَاقُ عَلَى يَعْقُوبَ، فَلَمَّا وُلِدَ يُوسُفُ عليه السلام عَلَّقَهُ عَلَيْهِ، فَكَانَ فِي عَضُدِهِ حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ، فَلَمَّا أَخْرَجَهُ يُوسُفُ بِمِصْرَ مِنَ التَّمِيمَةِ وَجَدَ يَعْقُوبُ رِيحَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ[٣]﴾ [يوسف: ٩٤]. فَهُوَ ذَلِكَ الْقَمِيصُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنَ الْجَنَّةِ، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَإِلَى مَنْ صَارَ ذَلِكَ الْقَمِيصُ؟ قَالَ: إِلَى أَهْلِهِ، ثُمَّ قَالَ: كُلُّ نَبِيٍّ وَرِثَ عِلْماً أَوْ غَيْرَهُ فَقَدِ انْتَهَى إِلَى آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله.

---

[٢] (تميمة):

وهي عوذة تُعلَّق على الإنسان لدفع بلاء أو مرض أو شرّ ونحو ذلك، كأنَّها تمام الدواء والشفاء المطلوب.

ثمَّ إنَّ احتواء التميمة على القميص إمَّا لكونه رقيقاً جداً بحيث لم يكن له حجم كثير عند طيِّه، أو هذه خصوصية له لكونه من ثياب الجنَّة.

[٣] (لولا أن تفندون):

«الفَنَد» ضعف الرأي أو ضعف العقل بسبب الهرم، كالخرف.

وفي التبيين(١): ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا﴾ وقد كان جيء به من الجنَّة، ولذا كانت له رائحة طيِّبة تُعرف من مسافات بعيدة ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ﴾ أي يرجع ببركة هذا القميص ﴿بَصِيرًا﴾ بعد أن ابيضت عيناه، ﴿وَأْتُونِى﴾ إلى مصر ﴿بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٣ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ انفصلت القافلة بأن خرجت من مصر ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لمن حضره ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ تنسبوني إلى الفند ـ أي نقصان العقل ـ أي لولا التفنيد لصدقتموني.

---

(١) التبيين: ص٢٥٨.

بَابُ مَا عِنْدَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام مِنْ سِلَاحِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَمَتَاعِهِ

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ سَعِيدِ السَّمَّانِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلَانِ مِنَ الزَّيْدِيَّةِ، فَقَالَا لَهُ: أَفِيكُمْ إِمَامٌ

الحديث الأوّل:

اعلم أنَّ هذا الحديث ينقسم إلى مقطعين:

الأول: ردّ ادعاء من ادعى أنَّ سيف الرسول عند عبد الله بن الحسن، فزعم أنَّه الإمام ـ حيث إنَّ وجود سلاح الرسول عند أحد دليل إمامته ـ.

الثاني: بيان ما للإمام عليه السلام من مواريث الأنبياء عليهم السلام وقد ذكر الإمام الصّادق عليه السلام منها:

١ ـ راية الرسول صلى الله عليه وآله المغلبة.

٢ ـ ألواح موسى عليه السلام وعصاه.

٣ ـ خاتم سليمان.

٤ ـ طشت موسى.

٥ ـ الاسم الأعظم الذي كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله.

٦ ـ سلاح رسول الله.

إذا اتضح لك ذلك، علمت بأنَّه لا تكرار في الحديث، لأنَّ ذكر السلاح والراية ـ أولاً ـ إنَّما هو لردّ من زعم إمامة عبد الله بن الحسن، ثم ذكر السلاح والراية ـ ثانياً ـ إنَّما هو في سياق مواريث الأنبياء التي هي عند الأئمّة عليهم السلام.

ثمَّ لا يخفى لطف ترتيب تلك المواريث، فبدأ برسول الله وختم به، وذكر

مُفْتَرَضُ الطَّاعَةِ؟ قَالَ: فَقَالَ: لَا[١]، قَالَ: فَقَالَا لَهُ: قَدْ أَخْبَرَنَا عَنْكَ الثِّقَاتُ أَنَّكَ تُفْتِي وَتُقِرُّ وَتَقُولُ بِهِ[٢]، وَنُسَمِّيهِمْ لَكَ: فُلَانٌ وَفُلَانٌ، وَهُمْ أَصْحَابُ وَرَعٍ وَتَشْمِيرٍ[٣]، وَهُمْ مِمَّنْ لَا يَكْذِبُ، فَغَضِبَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام

في الوسط مواريث بعض الأنبياء في العلم والقوَّة والتقرُّب إلى الله تعالى، ولذا قرن بين عصا موسى وخاتم سليمان لأنَّهما سبب القوَّة، وفرَّق بين عصا موسى وطشته ليحسن الترتيب، فالعلم: في ألواح موسى، والقوَّة: في عصا موسى وخاتم سليمان، والتقرُّب: في طشت موسى.

[١] **(فقال: لا):**

الزيدية يرون الإمامة في كل فاطمي خرج بالسيف ـ ولو لفترة ـ، فهو عندهم إمام مفترض الطاعة.

ولعلَّ مقصودهم هل تخرج بالسيف حتى نتَّبعك، فقال عليه السلام لهم: لست إماماً مفترض الطاعة بالمعنى الذي تزعمونه ـ من اشتراط إطاعتي بحمل السيف ـ.

قيل: ولعلَّه كان تقية من الإمام عليه السلام لكثرة العيون في ذلك الوقت وشدَّة النزاع بين عبد الله بن الحسن وابنه محمَّد وبين العبَّاسيين، وكل يدعو لنفسه، فكان تصريح الإمام الصَّادق عليه السلام بأنَّه مفترض الطاعة يجلب عليه الخطر من أتباع كلا الجهتين.

[٢] **(تفتي وتقرّ وتقول به):**

لعلَّ الفرق أن «تقول به» بمعنى تعتقد بذلك، و«تقرّ» بمعنى تظهر ذلك للناس، و«تفتي» بمعنى إصدار حكم بذلك، فإنَّ الإنسان قد يعتقد بشيء ويظهره ولكنَّه لا يلزم الناس شرعاً به ـ كالأوامر الإرشادية ـ، وقد يفتي به بمعنى أنَّه يُلزم الناس به.

[٣] **(وتشمير):**

«الورع» شدَّة الاجتناب عن المعاصي، و«التشمير» رفع الثوب، وهو كناية عن التقوى والطهارة، كأنَّه لشدَّة ورعه يرفع ثوبه لكي لا تصيبه قذارةً، أو يرفعه لأجل الركوع والسجود.

فَقَالَ: مَا أَمَرْتُهُمْ بِهذَا[٤]، فَلَمَّا رَأَيَا الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ خَرَجَا.

فَقَالَ لِي: أَتَعْرِفُ هٰذَيْنِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، هُمَا مِنْ أَهْلِ سُوقِنَا، وَهُمَا مِنَ الزَّيْدِيَّةِ، وَهُمَا يَزْعُمَانِ أَنَّ سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ[٥]، فَقَالَ: كَذَبَا ـ لَعَنَهُمَا اللَّهُ ـ وَاللَّهِ مَا رَآهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بِعَيْنَيْهِ وَلَا بِوَاحِدَةٍ مِنْ عَيْنَيْهِ، وَلَا رَآهُ أَبُوهُ[٦]، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَآهُ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ. فَإِنْ كَانَا صَادِقَيْنِ[٧] ....

---

[٤] **(ما أمرتهم بهذا):**

إمَّا بمعنى أنِّي لم آمرهم بالإذاعة، لكنَّه عليه السلام أبهم مراده بحيث زعم السائلان أنَّه لم يقل بأنَّه مفترض الطاعة.

أو بمعنى أنَّهم لم يفهموا كلامي بشكل صحيح، فلم أقل لهم المعنى الذي تراه الزيدية ـ من اشتراط الإمامة بالخروج بالسيف.

[٥] **(عند عبد الله بن الحسن):**

فبزعمهم هو الإمام، لأنَّ وجود سيف رسول الله ﷺ عند أحد دليل على إمامته.

ولذا عبَّر الإمام عنهما بشدَّة، وأنَّهما كذبا، ولعنهما.

[٦] **(ولا رآه أبوه):**

أي الحسن المثنى أيضاً لم ير سيف الرسول ﷺ، نعم يمكن أن يكون رآه الحسن المثنى عند الإمام زين العابدين عليه السلام ولعلَّ ذلك لشدَّة الارتباط بينهما، لأنَّ الإمام زين العابدين عليه السلام كان صهراً للإمام الحسن عليه السلام، وكان الحسن المثنى صهراً للإمام الحسين عليه السلام.

[٧] **(فإن كانا صادقين. . .):**

في المرآة(١): والغرض إن كانا صادقين في كونه عبد الله، فليسألاه عن العلامتين، فيُخبرا.

---

(١) المرآة: ج٣، ص٤٢.

فَمَا عَلَامَةٌ فِي مَقْبِضِهِ[٨]؟ وَمَا أَثَرٌ فِي مَوْضِعِ مَضْرَبِهِ؟ وَإِنَّ عِنْدِي لَسَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَإِنَّ عِنْدِي لَرَايَةَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَدِرْعَهُ وَلَامَتَهُ وَمِغْفَرَهُ[٩]. فَإِنْ كَانَا صَادِقَيْنِ فَمَا عَلَامَةٌ فِي دِرْعِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[١٠]؟ وَإِنَّ عِنْدِي لَرَايَةَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الْمِغْلَبَةَ[١١]، وَإِنَّ عِنْدِي أَلْوَاحَ مُوسَى وَعَصَاهُ،

---

[٨] **(فما علامة في مقبضه):**

بمعنى: أيُّ علامة في مقبض السيف؟ وتنكير «علامة» لعلَّه لتفخيم أمر تلك العلامة، أو للإشارة إلى وجود علامة خاصة، فلا يريد مطلق الوصف بل تلك العلامة الخاصة.

و«المقبض» محل قبض السيف.

و«المضرب» هو المكان الذي يُضرب به من السيف، وهو أعلاه ـ عادة ـ.

[٩] **(ودرعه ولامته ومغفره):**

«اللامة» أداة الحرب وقيل هي نوع من الدرع، وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وآله درعان أحدهما لامة، والآخر من نوع آخر، وسنذكرهما في آخر هذا الحديث. و«المغفر»: نسيج من حديد يوضع على الرأس للوقاية.

[١٠] **(فما علامة في درع رسول الله):**

إنَّما ذكر الإمام عليه السلام الدرع، مع أنَّهما لم يدّعيا وجود الدرع عند عبد الله بن الحسن، لأنَّ الدرع أيضاً من علائم الإمامة، كما سيأتي في آخر هذا الحديث.

وحيث إنَّهما ادعيا إمامة عبد الله ـ بادعائهما وجود سيف الرسول صلى الله عليه وآله عنده ـ وحيث إنَّه لا بدَّ من وجود الدرع عند الإمام، فليسألاه عن أوصاف الدرع، فإنَّه سيجيبهم بعدم علمه، ممَّا يتبيَّن به كذبهم.

[١١] **(لراية رسول الله المغلبَّة):**

لعلَّ هذه الراية غير تلك الراية ـ المذكورة قبل قليل ـ، أو نفسها، والتكرار لبيان اسمها، أو لما ذكرناه في مقدِّمة الحديث فراجع.

وَإِنَّ عِنْدِي لَخَاتَمَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ، وَإِنَّ عِنْدِي الطَّسْتَ[١٢] الَّذِي كَانَ مُوسَى يُقَرِّبُ بِهِ الْقُرْبَانَ، وَإِنَّ عِنْدِي الِاسْمَ[١٣] الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا وَضَعَهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ لَمْ يَصِلْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ نُشَّابَةٌ[١٤]، وَإِنَّ عِنْدِي لَمِثْلَ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ[١٥]. وَمَثَلُ السِّلَاحِ

و«المغلبة»: إمَّا اسم آلة، أو اسم فاعل من باب التفعيل، أو اسم مفعول من التفعيل بمعنى المحكوم لها بالغلبة.

[١٢] **(وعندي الطست...):**

القربان من الأُمور المهمَّة في الشرائع كافة، ولذا قرّب ابنا آدم القربان، وكذا إبراهيم عليه السلام، وكان في بني إسرائيل، وهو من الأحكام في الشريعة الإسلامية في الحج وغيره.

ويظهر من هذا الحديث الشريف أنَّ موسى عليه السلام كان يضع قربانه في هذا الطشت ـ إمَّا لذبحه أو لتأكله النار ـ.

[١٣] **(وإنَّ عندي الاسم...):**

لعلَّه الاسم الأعظم، ومن خصوصياته منع وصول سهام المشركين إلى المسلمين.

[١٤] **(نشّابة):**

«نُشَّابة» نوع من أنواع السهم، والجمع (نُشاب).

[١٥] **(لمثل الذي جاءت به الملائكة):**

أي ما هو نظير التابوت، وبيَّنه الإمام عليه السلام بأنَّ التابوت في بني إسرائيل كان علامة النُّبوَّة، وسلاح رسول الله ﷺ في المسلمين علامة الإمامة.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١).

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤٨.

فِينَا كَمَثَلِ التَّابُوتِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي أَيِّ أَهْلِ بَيْتٍ وُجِدَ التَّابُوتُ عَلَى أَبْوَابِهِمْ أُوتُوا النُّبُوَّةَ، وَمَنْ صَارَ إِلَيْهِ السِّلَاحُ مِنَّا أُوتِيَ الْإِمَامَةَ، وَلَقَدْ لَبِسَ أَبِي دِرْعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَخَطَّتْ عَلَى الْأَرْضِ خَطِيطاً[١٦]، وَلَبِسْتُهَا أَنَا فَكَانَتْ وَكَانَتْ[١٧]، وَقَائِمُنَا مَنْ إِذَا لَبِسَهَا مَلَأَهَا[١٨] إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وفي التبيين: التابوت هو الذي أنزله الله على أُمّ موسى عليه السلام فوضعته فيه وألقته في اليم، وقد كان عند بني إسرائيل ينتصرون بسببه على أعدائهم، فلما استهانوا به رفعه الله من بينهم(١).

[١٦] **(فخطَّت على الأرض خطيطاً):**

أي أثّرت في الأرض، بمعنى أنَّه زادت عن طول الجسم بحيث جُرَّت على الأرض جرّاً.

[١٧] **(فكانت وكانت):**

أي كانت بين الاستواء وبين الخطّ، والمعنى أنَّها كانت طويلة بمقدار قليل جداً، وهذا نظير قولهم (بين بين).

[١٨] **(ملأها):**

أي استوت عليه بلا زيادة ولا نقصان.

ثم اعلم أنَّه كان لرسول الله صلى الله عليه وآله درعان: أحدهما يُسمَّى ذات الفضول ـ كما سيأتي في الحديث الرابع ـ، واستوائه على البدن علامة القيام بالأمر كما يُظهر من هذا الحديث، ولذا يستوي على الإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشريف، قال في المرآة(٢): ولعلَّ هذا غير الدرع الذي استواؤه على البدن من علامات الإمامة.

والآخر: درع يستوي على بدن جميع الأئمَّة وهو من علامات الإمامة.

---

(١) تبيين القرآن: ص٥١، وراجع تفسير البرهان: ج٢، ص٢٣٩.

(٢) المرآة: ج٣، ص٤٣.

٢ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ أَعْيَنَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: عِنْدِي سِلَاحُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لَا أُنَازَعُ فِيهِ[١]، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ السِّلَاحَ مَدْفُوعٌ عَنْهُ[٢]، لَوْ وُضِعَ عِنْدَ شَرِّ خَلْقِ اللَّهِ لَكَانَ خَيْرَهُمْ[٣]. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ يَصِيرُ إِلَى مَنْ يُلْوَى لَهُ

الحديث الثاني:

[١] **(لا أُنازع فيه):**
أي لا يمكن لأحد ادّعاء أنَّ سلاح الرسول صلى الله عليه وآله عنده، أو إنكار أنَّ السلاح عندنا، أو بمعنى أنَّه لا يمكن لأحد انتزاعه عنَّا بالجبر والإكراه.

[٢] **(مدفوع عنه):**
أي لا يصل إلى غير الإمام المنصوب من قبل الله تعالى، فيحفظ في كلّ الحالات بحفظ الله تعالى.

[٣] **(لكان خيرهم):**
لعلَّ المعنى أنَّ وجود السلاح عند أحد دليل على أنَّه خير خلق الله ـ حيث يكون هو الإمام ـ، ولذلك فإنَّ السلاح مدفوع عنه لا يصل إلى أحد إلَّا الإمام الذي عيَّنه الله تعالى.
فقوله: (لو وضع عند شر) علَّة لقوله: (مدفوع عنه)، فصورة الدليل هكذا:

١ ـ السلاح علامة الإمامة، فمن كان عنده السلاح كان إماماً.
٢ ـ لذا لا يعقل وصول السلاح إلى غير المعيَّن من قِبل الله تعالى، بل يكون عند الأئمَّة من أهل البيت عليهم السلام في جميع الحالات والظروف، فوصول السلاح إلى شرّ الناس يستدعي صيرورته إماماً، وهذا خلاف الحكمة، فلذا يمنع الله عن ذلك.

الْحَنَكُ[٤]، فَإِذَا كَانَتْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ الْمَشِيئَةُ خَرَجَ، فَيَقُولُ النَّاسُ[٥]: مَا هَذَا

وعن البزنطي قال: سمعت الإمام الرِّضا عليه السلام يقول: أتاني إسحاق فسألني عن السيف الذي أخذه الطوسي هو سيف رسول الله؟ فقلت له: لا إنَّما السلاح فينا بمنزلة التابوت في بني إسرائيل أينما دار السلاح كان الملك فيه.

والمراد بالطوسي: المأمون، ولعلَّه أخذ منه عليه السلام سيفاً زعماً منه أنَّه سيف رسول الله صلى الله عليه وآله ـ كما في البحار ـ(١).

[٤] **(يُلوى له الحنك):**

أي الذي ينكرون وجوده، ويستهزئون به وبمن يؤمن به.

وفي البحار: الإلواء: الإمالة، وهو كناية عن انقياد الناس له اضطراراً، فإنَّ من لا يرضى بأمر ولا يمكنه دفعه يمضغ أسنانه، ـ وهذا مثل معروف بين الناس ـ.

أو كناية عن عدم قدرتهم على التكلُّم في أمره عند ظهوره.

أو عن غمز الناس فيه بالإشارة مع عدم قدرتهم على التصريح بنفيه ـ وهذا أيضاً مثل شائع ـ. . .الخ(٢).

[٥] **(فيقول الناس):**

الأظهر أنَّ المعنى أنَّ الناس ينكرون تصرُّفات القائم عليه السلام، لقصور عقلهم، ولعدم معرفتهم بسيرة الرسول صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام، فيلطف الله عليهم فيضع يده على عقولهم، فتكمل، فيعرفون الحق، ويخضعون للقائم عليه السلام.

والظاهر أنَّ المراد بالناس ـ هنا ـ المخالفون لشيوع استعمال كلمة (الناس) في الروايات وإرادة المخالفين منه، وذلك لأنَّهم لا يعرفون سُنَّة الرسول صلى الله عليه وآله لابتعادهم عن تراث أهل البيت عليهم السلام واعتقادهم بما وضعه

---

(١) البحار: ج٢٦، ص٢٠٣.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٦، ص٢١٠.

الَّذِي كَانَ؟ وَيَضَعُ اللَّهُ لَهُ يَداً عَلَى رَأْسِ رَعِيَّتِهِ[٦].

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: قَالَ: تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[١] فِي الْمَتَاعِ[٢] سَيْفاً، وَدِرْعاً، وَعَنَزَةً، وَرَحْلاً[٣]، ....

حكّام الجور ووعّاظ السلاطين، وحيث يرون القائم عليه السلام عاملاً بسيرة الرسول صلى الله عليه وآله ينكرونه لعدم معرفتهم بها.

[٦] (على رأس رعيته):

وقد مرَّ في كتاب العقل عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه قال: (إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم).

الحديث الثالث:

[١] (ترك رسول الله):

معنى «الترك» أنَّها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مرض الموت، ومعنى «الإرث» هو الوصول إلى الإمام علي عليه السلام بالإهداء، فكأنَّه إرث، وليس بمعنى الإرث الحقيقي، فإنَّ وارث الرسول صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام وأزواجه.

وهذا المعنى صريح الحديث التاسع الآتي، فإنَّ الإمام علي عليه السلام قبضها في حياة الرسول صلى الله عليه وآله حين مرضه.

[٢] (في المتاع):

أي ترك في جملة متاعه، فـ«في» للظرفية، أو هي بمعنى (مع) كقوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾(١).

[٣] (عنزة ورحلاً):

«عَنَزَة»: رُميح طوله بين العصا والرمح.

---

(١) سورة القصص، الآية ٧٩.

وَبَغْلَتَهُ الشَّهْبَاءَ[٤]، فَوَرِثَ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام[٥].

٤ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: لَبِسَ أَبِي دِرْعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ذَاتَ الْفُضُولِ فَخَطَّتْ، وَلَبِسْتُهَا أَنَا فَفَضَلَتْ[١].

و«الرحل»: ما يوضع على البعير ـ كالسرج في الفرس ـ.

[٤] **(الشهباء):**
من (شهب) بمعنى اللون الرمادي، وهو بياض يخالطه سواد، وهذه البغلة إمّا كانت بهذا اللون، أو كان اسمها شهباء ـ من غير نظر إلى لونها ـ.

[٥] **(علي بن أبي طالب عليه السلام):**
وعدم غصب القوم هذه التركة، لعدم اهتمامهم بشأنها، ولجهلهم بأهميتها، مضافاً إلى أنَّ بعضها مدفوع عنه، عكس فدك التي كانت تدرّ أرباحاً طائلة والتي كانت فاطمة عليها السلام توزّعها على الفقراء.

الحديث الرابع:

[١] **(ففضلت):**
أي زادت قليلاً، وهذا المعنى قد مرَّ في الحديث الأوّل حيث قال الإمام الصادق عليه السلام: (لبس أبي درع رسول الله صلى الله عليه وآله فخطّت على الأرض خطيطاً، ولبستها أنا فكانت وكانت).
وفي الوافي: (فَفَضُلْتُ بصيغة المتكلّم أي كنت أَفْضَلُ منها)(١) والمعنى فكانت قصيرة بحيث كنتُ أطول منها.

---

(١) الوافي: ج٣، ص٥٧٠.

٥ ـ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ ذِي الْفَقَارِ سَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[١] مِنْ أَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: هَبَطَ بِهِ جَبْرَائِيلُ عليه السلام مِنَ السَّمَاءِ، وَكَانَتْ حِلْيَتُهُ مِنْ فِضَّةٍ، هُوَ عِنْدِي.

الحديث الخامس:

[١] (سيف رسول الله):

اعلم أنَّ سيف ذي الفقار كان لرسول الله صلى الله عليه وآله فأعطاه الإمام عليّاً عليه السلام يوم أُحد لمَّا انكسر سيفه.

قال ابن شهرآشوب رحمه الله في المناقب، في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾(١)، قال: وقد روى أصحابنا كافة أنَّ المراد بهذه الآية ذو الفقار، أُنزل من السَّماء على النبي صلى الله عليه وآله فأعطاه عليّاً عليه السلام(٢).

وفي تفسير القمّي: فلما انقطع سيف أمير المؤمنين عليه السلام جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إنَّ الرجل يُقاتل بالسلاح وقد انقطع سيفي، فدفع إليه رسول الله صلى الله عليه وآله سيفه ذا الفقار، فقال: قاتل بهذا، ولم يكن يحمل على رسول الله صلى الله عليه وآله أحدٌ إلّا استقبله أمير المؤمنين عليه السلام، فإذا رأوه رجعوا، فانحاز رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ناحية أحد فوقف، وكان القتال في وجه واحد ـ وقد انهزم أصحابه ـ، فلم يزل أمير المؤمنين عليه السلام يقاتلهم حتى أصابه ـ في وجهه ورأسه وصدره وبطنه ويديه ورجليه ـ تسعون جراحة، فتحاموه، وسمعوا منادياً من السماء: «لا سيف إلّا ذو الفقار، ولا فتى إلّا علي»، فنزل جبرائيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمَّد، هذه والله المواساة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لأنّي منه وهو منّي،

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٥.
(٢) البرهان: ج٩، ص٤١٢، عن المناقب: ج٣، ص٢٩٤.

٦ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام قَالَ: السِّلَاحُ مَوْضُوعٌ عِنْدَنَا، مَدْفُوعٌ عَنْهُ، لَوْ وُضِعَ عِنْدَ شَرِّ خَلْقِ اللَّهِ كَانَ خَيْرَهُمْ، لَقَدْ حَدَّثَنِي أَبِي[١]: أَنَّهُ حَيْثُ بَنَى بِالثَّقَفِيَّةِ[٢] ....

فقال جبرائيل: وأنا منكما(١).

وفي مناقب ابن شهرآشوب: سئل الإمام الصادق عليه السلام: لِمَ سُمِّي ذو الفقار؟ فقال: إنَّما سُمِّي ذو الفقار لأنَّه ما ضرب به أمير المؤمنين عليه السلام أحداً إلَّا افتقر في الدُّنيا من الحياة، وفي الآخرة من الجنَّة.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: لأنَّه كان في وسطه خطة في طوله، مشبَّهه بفقار الظهر.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جبرائيل بين السَّماء والأرض، على كرسي من ذهب، وهو يقول: لا سيف إلَّا ذو الفقار، ولا فتى إلَّا علي.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: نادى ملك من السَّماء ـ يوم أُحد ـ يُقال له رضوان: لا سيف إلَّا ذو الفقار، ولا فتى إلَّا علي(٢).

الحديث السادس:

[١] (لقد حدَّثني أبي):

نقل الإمام الكاظم عليه السلام هذه القضية، كشاهد على كون السلاح مدفوعاً عنه.

[٢] (بنى بالثقفيَّة):

أي تزوَّج بها، وذلك لأنَّ الرجل إذا تزوَّج امرأة بنى عليها قبَّة ليدخل فيها، فيُقال بنى الرجل على أهله وبأهله.

---

(١) البحار: ج٢٠، ص٥٤ ـ ٥٥، عن تفسير القمِّي.

(٢) البحار: ج٤٢، ص٥٨، عن مناقب ابن شهرآشوب.

ـ وَكَانَ قَدْ شُقَّ لَهُ فِي الْجِدَارِ[٣] ـ فَنُجِّدَ الْبَيْتُ[٤]، فَلَمَّا كَانَتْ صَبِيحَةُ عُرْسِهِ رَمَى بِبَصَرِهِ، فَرَأَى حَذْوَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ مِسْمَاراً، فَفَزِعَ لِذَلِكَ[٥]، وَقَالَ

---

[٣] **(قد شقَّ له في الجدار):**

أي أُخفي السلاح في الجدار، بأن ثقب الجدار ووضع فيه السلاح، ثم غُطّي عليه بطين أو نحوه.

[٤] **(فنُجّد البيت):**

«التنجيد»: التزيين، وأدوات التزيين تدقُّ على الجدار بالمسامير ـ عادة ـ.

[٥] **(ففزع لذلك):**

«الفزع» انقباض يحصل للإنسان من الشيء المخيف.

سؤال: كيف فزع الإمام عليه السلام مع علمه بأنَّ السلاح مدفوع عنه؟

الجواب: إنَّه قد يفزع الإنسان من الشيء المخيف حتى مع علمه بعدم إصابته بسوء؛ كما يفزع من يسمع بنجاة ابنه من حادث عظيم ـ مع علمه بأنَّه لم يصبه مكروه ـ.

فإنَّ من الحالات النفسية التي تعرض على الإنسان حالة الاضطراب، وهذه الحالة تجتمع حتى مع العلم واليقين، وذلك لأنَّ محل الاضطراب هو القوَّة الواهمة، ومحل اليقين هو العقل أو قوَّة أخرى في النفس، وذلك كخوف بعض الناس من المكان المظلم مع علمهم بعدم وجود أي خطر فيه.

ولذا لم يكن إبراهيم عليه السلام مطمئناً مع كونه متيقناً في الوقت ذاته، وفي عناية الأُصول: (بل لا يبعد دعوى كون عملهم بالعلم واليقين هو بملاك الوثوق والاطمئنان وسكون النفس، فلو فرض انفكاك العلم واليقين في مورد عن سكون النفس والاطمئنان لم يعملوا على طبقهما ولم يتحرَّكوا على وفقهما، ولعلَّ من هنا لا يقدمون على الدخول في الأماكن الموحشة حتى مع العلم بعدم الضرر، فإنَّه ليس ذلك إلَّا لفقد سكون النفس والاطمئنان، كما لا يخفى، ولعلَّ من هذا الباب كان سؤال إبراهيم عليه السلام

لَهَا: تَحَوَّلِي فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَدْعُوَ مَوَالِيَّ فِي حَاجَةٍ، فَكَشَطَهُ[٦]، فَمَا مِنْهَا مِسْمَارٌ إِلَّا وَجَدَهُ مُصْرِفاً طَرَفَهُ عَنِ السَّيْفِ، وَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ.

٧ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ حُجْرٍ، عَنْ حُمْرَانَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: سَأَلْتُهُ عَمَّا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ دُفِعَتْ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ صَحِيفَةٌ مَخْتُومَةٌ[١]؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لَمَّا قُبِضَ وَرِثَ عَلِيٌّ عليه السلام عِلْمَهُ وَسِلَاحَهُ وَمَا هُنَاكَ[٢]، ثُمَّ

من ربّه كيف يحيي الموتى فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾(١) فهو مع إيمانه بالله تعالى وعلمه بأنّه جلَّ وعلا قادر على كلّ شيء أراد أن يشاهد إحياء الموتى حسّاً، ليحصل له من سكون النفس واطمئنان القلب ما لم يكن حاصلاً له قبله) انتهى(٢) فتأمّل.

[٦] **(فكشطه):**

أي أمر مواليه بكشطه، و«الكشط» إزالة ما عليه وكشفه.

الحديث السابع:

[١] **(صحيفة مختومة):**

السؤال كان عن الصحيفة، ولكن الإمام عليه السلام عمّم الجواب فذكر الصحيفة والسلاح وغيرهما.

ويحتمل أن تكون الصحيفة هي كتاب علي عليه السلام، أو مصحف فاطمة، أو كلاهما، أو علوم أخرى.

[٢] **(وما هناك):**

أي سائر الأُمور التي كانت عند النبي صلى الله عليه وآله كآثار الأنبياء والأوصياء وكتبهم.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.

(٢) عناية الأُصول: ج٣، ص٢٥٠.

صَارَ إِلَى الْحَسَنِ، ثُمَّ صَارَ إِلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَلَمَّا خَشِينَا أَنْ نُغْشَى[٣] اسْتَوْدَعَهَا أُمَّ سَلَمَةَ[٤] ثُمَّ قَبَضَهَا بَعْدَ ذَلِكَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام. قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ ثُمَّ صَارَ إِلَى أَبِيكَ، ثُمَّ انْتَهَى إِلَيْكَ[٥]، وَصَارَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَيْكَ، قَالَ: نَعَمْ.

٨ ـ مُحَمَّدٌ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ فَضَالَةَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبَانٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَمَّا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ دُفِعَ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ صَحِيفَةٌ مَخْتُومَةٌ؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لَمَّا قُبِضَ وَرِثَ عَلِيٌّ عليه السلام عِلْمَهُ وَسِلَاحَهُ وَمَا هُنَاكَ، ثُمَّ صَارَ إِلَى الْحَسَنِ، ثُمَّ صَارَ إِلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ صَارَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، ثُمَّ صَارَ إِلَى ابْنِهِ، ثُمَّ انْتَهَى إِلَيْكَ، فَقَالَ: نَعَمْ.

---

[٣] (أن نغشى):

«الغشاوة» ما يُغطى به الشيء، والمراد هنا أن تنزل نائبة تحيط بنا فتتلف هذه المواريث أو تسقط في يد الأعداء، وذلك لأنَّه نُهب ما كان مع الإمام الحسين عليه السلام بعد استشهاده، كما أمر والي المدينة بهدم منازلهم وبيوتهم في المدينة المنورة لما بلغه نبأ استشهاده عليه السلام.

[٤] (استودعها أُمّ سلمة):

أي استودعها الحسين عليه السلام حينما أراد التوجه إلى العراق.

[٥] (انتهى إليك):

أي وصل إليك، وقوله: (وصار...) عطف تفسيري على قوله: (ثم انتهى إليك).

٩ ـ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ؛ وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَلِيدِ شَبَابٍ الصَّيْرَفِيِّ، عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الْوَفَاةُ دَعَا الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، فَقَالَ لِلْعَبَّاسِ[١]: يَا عَمَّ مُحَمَّدٍ تَأْخُذُ تُرَاثَ مُحَمَّدٍ[٢]، وَتَقْضِي دَيْنَهُ، وَتُنْجِزُ عِدَاتِهِ[٣]؟ فَرَدَّ عَلَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ

الحديث التاسع:

[١] **(فقال للعبَّاس):**

في المرآة(١): الاستفهام كان لمصلحة، مع علمه بعدم قبوله، لئلا يتفطن المنافقون أنَّ هذه من علامات الإمامة، فيحتالوا في أخذها منهم وسلبها عنهم، كما أخذوا فدكاً، وإلَّا فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله مأموراً بأن يسلِّمها إلى أمير المؤمنين عليه السلام. انتهى.

وأيضاً لبيان أحقية أمير المؤمنين عليه السلام للخلافة، كي لا يستدلّ أحد بأنَّ العم أقرب من ابن العم، بل عليٌّ عليه السلام أقرب إلى الرسول صلى الله عليه وآله لأنَّه أخوه كما سيأتي قول الرسول: (يا علي يا أخا محمد)، مضافاً إلى أنَّ ابن العم من الأبوين أولى من العم الذي هو من الأب فقط، وكان أبو طالب وعبد الله من أمّ واحدة، والعباس من أمّ أخرى.

ولعلَّه كان من الأدب مع العم ـ مع علمه بعدم قبوله ـ.

[٢] **(تراث محمَّد):**

«تراث» في الأصل (وُراث)، قلبت الواو تاءً لاستثقال الابتداء بواو مضمومة.

[٣] **(تنجز عداته):**

«التنجيز» فعل الشيء بسرعة كاملاً غير منقوص، و«عدات» جمع (عِدة) وهي الوعد بخبر وخاصة في إعطاء المال.

---

(١) المرآة: ج٣، ص٤٨.

ـ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ـ إِنِّي شَيْخٌ كَثِيرُ الْعِيَالِ، قَلِيلُ الْمَالِ، مَنْ يُطِيقُكَ وَأَنْتَ تُبَارِي الرِّيحَ[٤]؟! قَالَ: فَأَطْرَقَ ﷺ هُنَيْئَةً[٥]. ثُمَّ قَالَ: يَا عَبَّاسُ أَتَأْخُذُ تُرَاثَ مُحَمَّدٍ، وَتُنْجِزُ عِدَاتِهِ، وَتَقْضِي دَيْنَهُ؟ فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، شَيْخٌ كَثِيرُ الْعِيَالِ، قَلِيلُ الْمَالِ، وَأَنْتَ تُبَارِي الرِّيحَ!!

قَالَ: أَمَا إِنِّي سَأُعْطِيهَا مَنْ يَأْخُذُهَا بِحَقِّهَا[٦]. ثُمَّ قَالَ: يَا عَلِيُّ، يَا أَخَا مُحَمَّدٍ، أَتُنْجِزُ عِدَاتِ مُحَمَّدٍ، وَتَقْضِي دَيْنَهُ، وَتَقْبِضُ تُرَاثَهُ[٧]؟ فَقَالَ:

---

[٤] **(وأنت تباري الريح):**

كناية عن السخاء، لأنَّ الريح كثيرة النفع بنسيمها وسوقها السُّحب والأمطار ونحوها، و«الإطاقة» القدرة على الشيء والمعنى من يطيق أفعالك، و«المباراة» المعارضة والمسابقة.

[٥] **(هنيئة):**

أي فأطرق برأسه قليلاً ساكتاً كأنَّه يفكِّر في شيء، ولعلَّ ذلك لإعطاء المجال للعبَّاس أكثر، ثمَّ إنَّ تكرار عرض الأمر على العبَّاس لتكون الحجَّة أبلغ، وليظهر امتناع العبَّاس عن القبول بصورة أوضح، وليتبيَّن أنَّه ليس أهلاً للوصية.

[٦] **(يأخذها بحقّها):**

الباء للمصاحبة أو للإلصاق، والمعنى يأخذها مؤدِّياً حقّها.

[٧] **(تقبض تراثه):**

خاطب الرسول ﷺ علياً عليه السلام بقوله: (يا أخا محمَّد) للدلالة على أنَّه أقرب، كما أنَّه ﷺ قدَّم إنجاز العدات وقضاء الدَّين على قبض التراث في مخاطبة الإمام علي عليه السلام، وبالعكس في مخاطبة العبَّاس حيث قدَّم قبض التراث، وفي ذلك لطف لا يخفى ـ كما في الوافي(١) ـ.

---

(١) الوافي: ج٣، ص٥٧٥.

نَعَمْ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ذَاكَ عَلَيَّ وَلِي[٨]، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ حَتَّى نَزَعَ خَاتَمَهُ مِنْ إِصْبَعِهِ، فَقَالَ: تَخَتَّمْ بِهَذَا فِي حَيَاتِي[٩]، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ حِينَ وَضَعْتُهُ فِي إِصْبَعِي، فَتَمَنَّيْتُ[١٠] مِنْ جَمِيعِ مَا تَرَكَ الْخَاتَمَ.

ثُمَّ صَاحَ يَا بِلَالُ[١١]: عَلَيَّ بِالْمِغْفَرِ، وَالدِّرْعِ، وَالرَّايَةِ، وَالْقَمِيصِ،

---

[٨] **(ذاك عليّ ولي):**
أي تنجيز العدات وقضاء الدَّين عليّ وفي ذمَّتي، والتراث لي.

[٩] **(تختم بهذا في حياتي):**
لعلَّ الرسول صلى الله عليه وآله أراد أن يُعرف ذلك بين الناس، لكي لا يزعم أحد أنَّ علياً عليه السلام أخذه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله.
وفي حديث آخر: ثم قال: يا علي، قم فاقبض هذا بشهادة من في البيت من المهاجرين والأنصار كي لا ينازعك فيه أحد من بعدي، قال: فقام علي عليه السلام حتى استودع جميع ذلك في منزله ثم رجع(١).

[١٠] **(فتمنيّت):**
«التمني» تقدير شيء في النفس وتصويره فيها، وهنا ضُمّن معنى الحبّ، أي قلت في نفسي لو لم أقبض إلَّا هذا الخاتم لكفاني شرفاً وبركة، وأمثال ذلك.

[١١] **(ثمَّ صاح يا بلال):**
اعلم أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله أمر بإحضار تراثه بثلاثة أوامر:
الأول: (يا بلال علي بالمغفر...) الخ، وخاطب به بلالاً، والظاهر أنَّ هذه كانت جهازه صلى الله عليه وآله في الحرب، فإنَّ (المغفر والدرع والراية وذا الفقار) أدوات حرب، ويظهر من بعض الروايات أنَّ (السحاب) أيضاً عمامته ألبسها علياً عليه السلام في غزوة الخندق(٢)، وأمَّا (الأبرقة) فقد أمر عليه السلام

---

(١) البحار: ج٢٢، ص٤٥٩ عن علل الشرائع: ص٦٧.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٠، ص٢٠٣.

وَذِي الْفَقَارِ، وَالسَّحَابِ، وَالْبُرْدِ، وَالْأَبْرَقَةِ، وَالْقَضِيبِ[١٢]. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهَا غَيْرَ سَاعَتِي تِلْكَ - يَعْنِي الْأَبْرَقَةَ -، فَجِيءَ بِشِقَّةٍ[١٣] كَادَتْ تَخْطَفُ الْأَبْصَارَ، فَإِذَا هِيَ مِنْ أَبْرُقِ الْجَنَّةِ، فَقَالَ: يَا عَلِيُّ إِنَّ جَبْرَئِيلَ أَتَانِي بِهَا، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اجْعَلْهَا فِي حَلْقَةِ الدِّرْعِ، وَاسْتَذْفِرْ بِهَا[١٤] مَكَانَ الْمِنْطَقَةِ.

بجعلها في حلقة الدرع، ويُستفاد أنَّ (القميص والبرد والقضيب) أيضاً كانت مع أدوات الحرب، ولذا دعا بالإتيان بها مع جهازه.

الثاني: (ثمَّ دعا بزوجي نعال...) الخ ولم يأمر بلالاً بالإتيان بها، ولعلَّها كانت في إحدى حجرات نسائه.

الثالث: (ثمَّ قال: يا بلال عليَّ بالبغلتين...) الخ.

ولعلَّ هذه الحيوانات السبع كانت في مربض واحد، ثمَّ إنَّ أمره بالإتيان بها ليشاهد الناس أنَّه أقبضها عليّاً عليه السلام، كي لا يدّعيها أحد بعد وفاته صلى الله عليه وآله.

[١٢] **(والمغفر... والقضيب)**:

«المغفر»: مرَّ أنَّه نسيج من حديد يوضع على الرأس في الحرب للوقاية، و«الدرع»: قميص منسوج من الحديد يُلبس وقت الحرب، و«القميص»: لعلَّه قميص إبراهيم الذي وصل إلى يعقوب ثمَّ إلى يوسف، أو هو قميص من قمصان الرسول صلى الله عليه وآله، و«السحاب»: عمامة الرسول صلى الله عليه وآله، و«البُرد»: نوع ثوب كان يؤتى به من اليمن - عادة -، و«الأبرقة» نوع قماش له لونان أو له بريق، و«القضيب»، الغصن من الشجر، والمراد به هنا: العصا.

[١٣] **(فجيء بشقة)**:

في الكلام تقديم وتأخير، أي (فجيء بشقة فوالله ما رأيتهما غير ساعتي)، و«الشقة» ما شُق مستطيلاً من الثوب أو العصا.

[١٤] **(استذفر بها)**:

«الذفر» الرائحة الطيّبة الشديدة، يُقال: مسك أذفر، وروضة ذَفِرة، و«الاستذفار»: التطيُّب، و«المنطقة» ما يُشدّ به الوسط كالحزام.

والمعنى: تطيّب بها بجعلها في وسطك مكان المنطقة.

ثُمَّ دَعَا بِزَوْجَيْ نِعَالٍ عَرَبِيَّيْنِ جَمِيعاً أَحَدُهُمَا مَخْصُوفٌ[١٥] وَالْآخَرُ غَيْرُ مَخْصُوفٍ، وَالْقَمِيصَيْنِ: الْقَمِيصِ الَّذِي أُسْرِيَ بِهِ فِيهِ، وَالْقَمِيصِ الَّذِي خَرَجَ فِيهِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَالْقَلَانِسِ الثَّلَاثِ[١٦]: قَلَنْسُوَةِ السَّفَرِ، وَقَلَنْسُوَةِ الْعِيدَيْنِ وَالْجُمَعِ، وَقَلَنْسُوَةٍ كَانَ يَلْبَسُهَا وَيَقْعُدُ مَعَ أَصْحَابِهِ.

ثُمَّ قَالَ: يَا بِلَالُ عَلَيَّ بِالْبَغْلَتَيْنِ: الشَّهْبَاءِ[١٧]، ....

---

[١٥] **(أحدهما مخصوف):**

أي مُرقَّع، وذلك بجعل خَصَفة ـ أي أوراق ـ عليه، ولعلَّ خاصف ذاك النعل كان الإمام علي عليه السلام. فقد روت العامَّة والخاصَّة أنَّه انقطع شسع نعل النبي صلى الله عليه وآله فدفعها إلى علي عليه السلام يصلحها ثم مشى غلوة أو نحوها وأقبل على أصحابه وقال: إنَّ منكم من يقاتل على التأويل كما قاتل معي على التنزيل، فقال أبو بكر: أنا ذاك يا رسول الله؟ فقال: لا، فقال عمر: أنا يا رسول الله؟ قال: لا، فأمسك القوم ونظر بعضهم إلى بعض، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ولكنَّه خاصف النعل وأومأ بيده إلى علي عليه السلام(١).

[١٦] **(القلانس الثلاث):**

عن ابن عبَّاس: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يلبس القلانس تحت العمائم وبغير العمائم، ويلبس العمائم بغير القلانس، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يلبس القلانس اليمانية، ومن البيض المضربة، ويلبس ذوات الآذان في الحرب... الخ(٢).

[١٧] **(الشهباء):**

مرَّ أنَّ (الشهب) بياض يختلط بالسواد ـ أي اللون الرمادي ـ، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «إنَّ جبرائيل أتاني بخزائن الدُّنيا على بغلة

---

(١) البحار: ج٣٢، ص٢٩٩ ـ ٣٠٠، عن إرشاد المفيد، وقريب منه عن مسند أحمد وسُنن الترمذي وغيرهما.

(٢) البحار: ج١٦، ص١٢٤.

وَالدُّلْدُلِ[١٨]، وَالنَّاقَتَيْنِ: الْعَضْبَاءِ[١٩]، وَالْقَصْوَاءِ[٢٠] وَالْفَرَسَيْنِ:

شهباء، فقال لي: يا محمَّد، هذه خزائن الدُّنيا، ولا ينقص من حظك عند ربّك، فقلت: يا جبرائيل، لا حاجة لي فيها، إذا شبعت شكرت ربِّي، وإذا جعت سألته»(١).

[١٨] (الدلدل):

عن النهاية: دلدل في الأرض: ذهب ومرَّ، يدلدل ويتدلدل في مشيه إذا اضطرب(٢).

وفي المناقب: وإنَّما سُمِّيت دلدل، لأنَّ النبي ﷺ لمَّا انهزم المسلمون يوم حنين قال: دلدل، فوضعت بطنها على الأرض فأخذ النبي ﷺ حفنة من تراب، فرمى بها وجوههم(٣).

قيل: أهدى دلدل لرسول الله ﷺ المقوقس ملك الإسكندرية(٤).

[١٩] (العضباء):

روي أنَّ اسم صاحبها كان عضباً فسمَّاها النبي ﷺ باسمه(٥).

وأصل «العضب» في الأُذُن: أن يذهب نصفها أو ثلثها، وفي اليد: قصرها، وفي الرجال: الذي لا إخوة له ولا ناصر ولا أحد(٦).

[٢٠] (القصواء):

«القصواء»: الناقة المقطوعة الأُذُن، قيل: لم تكن ناقة الرسول مقطوعة الأذن وإنَّما كان هذا لقب لها.

وروي أنَّ ناقة رسول الله ﷺ القصواء، إذا نزل عنها علَّق عليها زمامها،

---

(١) البحار: ج٧٤، ص٨٠، عن مكارم الأخلاق، وأمالي الشيخ، ومجموعة ورام.

(٢) المرآة: ج٣، ص٥١.

(٣) البحار: ج٤٢، ص٥٩، عن مناقب آل أبي طالب.

(٤) البحار: ج١٦، ص١٢٦.

(٥) البحار: ج١٧، ص٤١٧ عن المناقب.

(٦) راجع مقاييس اللغة، لابن فارس: ص٧٥٧، ط دار إحياء التراث العربي.

الْجَنَاحِ[٢١] كَانَتْ تُوقَفُ بِبَابِ الْمَسْجِدِ لِحَوَائِجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَبْعَثُ الرَّجُلَ فِي حَاجَتِهِ فَيَرْكَبُهُ فَيَرْكُضُهُ فِي حَاجَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَحَيْزُومٍ وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ[٢٢]، وَالْحِمَارِ عُفَيْرٍ، فَقَالَ: اقْبِضْهَا فِي حَيَاتِي.

قال فتخرج فتأتي المسلمين، فيناولها الرجل الشيء، ويناولها هذا الشيء، فلا تلبث أن تشبع، قال: فأدخلت رأسها في خباء سمرة بن جندب فتناول عَنَزة فضرب بها على رأسها، فشجَّها، فخرجت إلى النبي ﷺ فشكته(١).

وفي المرآة: فشكته إمَّا باللِّسان أو بالإشارة، وعلى التقديرين فهو من معجزاته ﷺ(٢).

قيل: الناقة التي هاجر عليها رسول الله ﷺ كانت القصواء، وقيل غير ذلك(٣).

[٢١] (الجناح):

هو ذو الجناح فرس رسول الله ﷺ، روي أنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان يركبه يوم عاشوراء(٤).

[٢٢] (أقدم حيزوم):

أي وحيزوم هو الذي كان يقول رسول الله له: أقدم يا حيزوم، وروي أنَّ جبرائيل قالها أيضاً، وقيل: حيزوم فرس جبرائيل(٥).

ولا منافاة، إذ لعلَّ حيزوم فرس جاء به جبرائيل إلى النبي ﷺ، أو أنَّ النبي ﷺ سمَّى فرسه باسم فرس جبرائيل.

---

(١) روضة الكافي: ج٨، ص٣٣٢.

(٢) البحار: ج١٦، ص١٢٥.

(٣) البحار: ج١٦، ص١٢٧.

(٤) الخصائص الحسينية: ص٦٤، المطبعة الحيدرية.

(٥) راجع البحار: ج١٩، ص٣٤٣، والمرآة: ج٣، ص٥١.

فَذَكَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ مِنَ الدَّوَابِّ تُوُفِّيَ عُفَيْرٌ[٢٣]، سَاعَةَ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَطَعَ خِطَامَهُ، ثُمَّ مَرَّ يَرْكُضُ، حَتَّى أَتَى بِئْرَ بَنِي خَطْمَةَ بِقُبَا، فَرَمَى بِنَفْسِهِ فِيهَا فَكَانَتْ قَبْرَهُ.

وَرُوِيَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ الْحِمَارَ كَلَّمَ[٢٤]

و«أقدم» أمر من الإقدام، وهو إظهار الشجاعة بالتقدُّم في الحرب أو كل ما يتهيَّب منه.

[٢٣] **(عفير):**
ويُسمَّى (يعفور) أيضاً[١]، و«ساعة»: ظرف وعامله إمَّا (توفي) أو (قطع)، و«الخطام»: الزمام، و«بني خَطْمة» حيّ من الأنصار كانوا يسكنون قبا.

[٢٤] **(أنَّ ذلك الحمار كلَّم):**
زعم البعض أنَّ في هذه المرسلة غرابة واستبعدوها!! ولكن لا يخفى أنَّ الإشكالات التي أوردها غير صحيحة، ولا إشكال في معنى هذه المرسلة، فمضمونها صحيح رغم الإرسال في سندها، وملخص الإشكالات مع أجوبتها:
١ ـ كيف تكلَّم هذا الحمار؟
الجواب: إنَّ كلام الحيوانات مع الأنبياء غير مستبعد، وهذا يصنّف في معجزاتهم، ككلام سليمان عليه السلام مع الهدهد، ومعرفته لمنطق الطير، وسماعه كلام النملة، وقد تواترت الروايات بين الخاصَّة والعامَّة على كلام جملة من الحيوانات مع رسول الله صلى الله عليه وآله أو سائر الأنبياء.
٢ ـ كيف عرف هذا الحمار أبوه وجده، وكيف نقل خبراً عن أحد أجداده؟
والجواب: إنَّ هذا مجرَّد استبعاد، فإنَّا لا نعرف كيف تفكِّر الحيوانات، وكيف تتكَّلم، وكيف يعرف بعضها بعضاً، والعاقل لا ينكر ما لا معرفة

---

(١) راجع البحار: ج٢٢، ص٤٥٧.

رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ كَانَ مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ، فَقَامَ إِلَيْهِ نُوحٌ، فَمَسَحَ عَلَى كَفَلِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ هَذَا الْحِمَارِ حِمَارٌ يَرْكَبُهُ سَيِّدُ النَّبِيِّينَ وَخَاتَمُهُمْ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنِي ذَلِكَ الْحِمَارَ.

له، هذا مضافاً إلى أنَّ هذه القضية هي معجزة، وإذا أراد الله معجزة لأحد أنبيائه فلا يعجزه شيء، وليس معرفة عفير لأبيه وجده ونقله عنهم أغرب من تكلُّمه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس أغرب من تكلُّم الهدهد مع سليمان، ومعرفته لسبأ، ولعبادتهم الشمس، وملك امرأة لهم، وأنَّها أوتيت من كل شيء، وأنَّ عرشها عظيم، وأنَّ الشيطان زيَّن لهم أعمالهم، وأنَّه صدّهم عن السبيل. . .الخ ممَّا ذكره القرآن الكريم قال تعالى: ﴿...فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾[1].

والحاصل: أنَّه لا وجه لاستبعاد معجزة وقعت للرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع تحدّث القرآن عمَّا هو أغرب منها وقد حدثت لأنبياء سابقين.

٣ ـ بين نوح عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آلاف السنين، وهذا يقتضي كون الواسطة بين عفير وبين جدّ أبيه أكثر من مائة من الآباء ـ مثلاً ـ.

والجواب: أنَّه لا مانع من طول عمر عفير، وأنَّ الله تعالى أبقاه مئات أو آلاف السنين، لتظهر هذه المعجزة على يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وليس طول عمر بعض الحيوانات بل بعض البشر ببعيد، وذلك بمشيئة الله تعالى.

٤ ـ ألا تكون هذه العبارة: (فالحمد لله الذي جعلني ذلك الحمار) من وضع بعض الزنادقة، وكيف يمكن أن ينقل الإمام هذه الجملة؟

والجواب: أنَّ كل موجود له درجة كمال، وإذا شعر بها فإنَّه قد يتمناها، مع كونها نقص في موجود آخر، وأنْ يتمنى حيوان كماله لا إشكال فيه،

---

(١) سورة النمل، الآيات ٢٢ ـ ٢٤.

ثمَّ إنَّ ينقل القرآن أو الرسول ﷺ أو الأئمَّة ﷺ ذلك التمني لا إشكال فيه، والقرآن مليء بنقل أقوال الكفَّار والمنافقين والحيوانات والناس وأمثال ذلك.

مثلاً: المرأة تتمنى الزوج، والزواج من كمال دينها، فلو نقل رجل بأنَّ فلانة تريد الزوج فهل في ذلك إشكال؟ مع أنَّه من أكبر القبائح أن يتمنى الرجل رجلاً، فهو نقص فيه وكمال فيها، وكذا العكس.

وعلى كلٍّ حال فإنَّ منطق المعجزة يختلف عن منطق العادة والطبيعة، وليس استبعاد البعض لهذه المرسلة إلَّا كاستبعاد الماديين لعصا موسى، وطوفان نوح، ونار إبراهيم، وأمثال ذلك، فملاك كلا الاستبعادين واحد.

ثمَّ إنَّ تهريج بعض العامَّة على هذه المرسلة لا يقوم على أساس صحيح بعد ورود تكلُّم يعفور في بعض مروياتهم(١).

(١) كمثال انظر: البداية والنهاية: ج٦، ص١٥١؛ ميزان الاعتدال: ج٤، ص٣٤، الحديث: ٨١٦٢.

الفهرس

باب الاضطرار إلى الحجة ٩

الدليل العقلي على ضرورة النبوة ١٠

بعض خصوصيات الأنبياء ١٤

مناظرة هشام بن الحكم مع عمرو بن عبيد ٢٣

مناظرة أصحاب الإمام الصادق عليه السلام مع الشامي ٢٨

كيفية النقاش والجدال ٤١

مناظرة الأحول مع زيد بن علي ٤١

تحقيق حول زيد بن علي رضوان الله عليه ٤٧

باب طبقات الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام ٥٠

عدم قابلية من عبد صنماً للإمامة ٥٤

الفرق بين الإمامة والخلافة والإمارة ٥٦

الفرق بين النبي والرسول والإمام ٥٨

باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدّث ٦٠

حال النبي صلى الله عليه وآله قبل البعثة ٦٣

الفرق بين النبوة والإمامة ٦٥

باب أن الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام ٦٧

باب أن الأرض لا تخلو من حجة ٧٠

أوصاف حجة الله ٧٢

باب أنه لو لم يبق في الأرض إلا رجلان لكان أحدهما الحجة ٧٩

باب معرفة الإمام والرد إليه ٨٢

تكليف الكفار بالفروع أيضاً ٨٧
أولاً: طريق الصلاح ٩٣
ثانياً: قبول العمل الصالح ٩٥
ثالثاً: الثواب على الوفاء بالشروط ٩٥
رابعاً: بيان العهود ٩٦
خامساً: طريق معرفة ولاة الأمر ٩٩
سادساً: البصيرة في معرفتهم ١٠٤
سابعاً: هم الرسول والأئمة عليهم السلام ١٠٦
ثامناً: لزوم الاعتقاد بجميعهم ١٠٦
النتيجة ١٠٦
لكل علم منهج خاص به ١٠٨
معنى الأعراف ١١٥
باب فرض طاعة الأئمة ١٢٤
في معنى الأنفال ١٢٨
طاعة الأئمة كطاعة أمير المؤمنين مفترضة ١٣١
تكليف الرسول والأئمة بظاهر الشريعة ١٣٣
إضافة العبد إلى غير الله ١٣٤
أصناف الناس بالنسبة إلى معرفتهم ١٣٥
معنى (حبهم إيمان وبغضهم كفر) ١٣٧
معنى (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) ١٤٦
باب في أن الأئمة شهداء الله عز وجل على خلقه ١٤٨
معنى (الأمة الوسط) وكيفية شهادتهم على الناس ١٥٤
معنى (الحنيفية السهلة السمحاء) ١٥٧
باب أن الأئمة هم الهداة ١٦٠

باب أن الأئمة عليهم السلام ولاة أمر الله وخزنة علمه ١٦٤
باب أن الأئمة عليهم السلام خلفاء الله عز وجل في أرضه وأبوابه التي منها يؤتى ١٧٢
مناهج المعرفة ١٧٣
باب أن الأئمة عليهم السلام نور الله عز وجل ١٧٦
مصاديق النور ١٧٦
تفسير آية النور ١٨٥
تأويل آية النور ١٨٧
باب أن الأئمة عليهم السلام هم أركان الأرض ١٩٤
معنى كون أمير المؤمنين عليه السلام قسيم الجنة والنار ١٩٧
الخصال التي أعطي أمير المؤمنين عليه السلام ٢٠٩
باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته ٢١٢
الفصل الأول: الاستدلال على أن الإمامة بالتعيين ٢١٤
الدليل الأول ٢١٤
الدليل الثاني ٢٢٠
الفصل الثاني: أمور مرتبطة بالإمامة والإمام ٢٢٧
أولاً: منزلة الإمام ٢٢٧
ثانياً: فائدة الإمامة ٢٢٨
ثالثاً: محلّ الإمامة من الدين ٢٢٨
رابعاً: دور الإمام ٢٢٩
خامساً: تشبيه الإمام بالنور ٢٣١
سادساً: النجاة باتباع الإمام ٢٣٣
سابعاً: عموم خير الإمام ٢٣٤
ثامناً: نسبة الإمام إلى الناس ٢٣٦
تاسعاً: نسبة الإمام إلى الله تعالى ٢٣٦

عاشراً: صفات الإمام ٢٣٦
حادي عشر: فضل الإمام على الناس ٢٣٨
ثاني عشر: عدم معرفة كنه الإمام ٢٣٩
الفصل الثالث: مخالفتهم لاختيار الله تعالى ٢٤٢
الفصل الرابع: سبب تركهم الإمام الحق ٢٤٦
الفصل الخامس: اختصاص الإمامة بآل محمد ﷺ ٢٤٨
الفصل السادس: فضائل الإمام بفضل من الله تعالى ٢٥٣
خلاصة الكلام ٢٥٧
خطبة الإمام الصادق عليه السلام في حال الأئمة وصفاتهم ٢٦٢
أولاً: إيضاح الدين بالإمام ٢٦٢
ثانياً: لا ايمان إلا بمعرفة حق الإمام ٢٦٣
ثالثاً: بيان العلّة ٢٦٤
رابعاً: علم الإمام عليه السلام ٢٦٦
خامساً: إنهم من ذرية الإمام الحسين عليه السلام ٢٦٦
سادساً: أثر الإمام وفائدته ٢٦٩
سابعاً: التميّز في خلق الإمام وفي صفاته ٢٧١
ثامناً: رعاية الله للإمام ٢٧٣
تنزيه الإمام عن النقائص ٢٧٤
تاسعاً: نهوضه بأعباء الإمامة ٢٧٧
عاشراً: من لا يعرفهم!! ٢٨٢
باب أن الأئمة عليهم السلام ولاة الأمر، وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله عز وجل ٢٨٣
شأن نزول آية (وأولي الأمر منكم) ٢٨٣
باب أن الأئمة عليهم السلام هم العلامات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه ٢٨٩

باب أن الآيات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه هم الأئمة عليهم السلام ٢٩١
باب ما فرض الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله من الكون مع الأئمة عليهم السلام ٢٩٤
باب أن أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة عليهم السلام ٣٠٨
باب أن مَن وصفه الله تعالى في كتابه بالعلم هم الأئمة عليهم السلام ٣١٧
باب أن الراسخين في العلم هم الأئمة عليهم السلام ٣١٩
باب أن الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدورهم ٣٢٣
الفرق بين القرآن وسائر المعاجز ٣٢٤
باب في أن من اصطفاه الله من عباده وأورثهم الكتاب هم الأئمة عليهم السلام ٣٢٦
باب أن الأئمة في كتاب الله إمامان: إمام يدعو إلى الله وإمام يدعو إلى النار ٣٣٢
أنواع الجعل من الله تعالى ٣٣٤
باب القرآن يهدي للإمام ٣٣٧
باب أن النعمة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه، الأئمة عليهم السلام ٣٣٩
باب أن المتوسمين الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه هم الأئمة عليهم السلام والسبيل مقيم فيهم ٣٤٣
كيفية عرض الأعمال على الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ٢٤٦
باب عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ٣٤٨
باب أن الطريقة التي حُثّ على الاستقامة عليها ولاية علي عليه السلام ٣٥٢
باب أن الأئمة عليهم السلام معدن العلم وشجرة النبوة ومختلف الملائكة ٣٥٦
باب أن الأئمة عليهم السلام ورثة العلم يرث بعضهم بعضاً العلم ٣٦١
عموم إمامة أهل البيت عليهم السلام في كل شيء ٣٦٤
باب أن الأئمة عليهم السلام ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم ٣٦٨
أولاً: علم الأئمة في مجال التكوين ٣٦٩

ثانياً: علمهم في مجال التشريع ٣٧١
ثالثاً: تشريع الدين لهم ٣٧٣
من أدلة حقانية الأئمة عليهم السلام ٣٧٨
باب أن الأئمة عليهم السلام عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها ٣٩١
باب أنه لم يجمع القرآن كلّه إلا الأئمة عليهم السلام وأنهم يعلمون عِلمه كلّه ٣٩٧
١ ـ عدم التحريف في القرآن ٣٩٧
٢ ـ الرسول صلى الله عليه وآله هو الذي جمع القرآن بأمر الله ٣٩٨
٣ ـ جمع الإمام علي عليه السلام لتفسير القرآن وتأويله ٣٩٩
فائدة العلم الذي لا يمكن البوح به ٤٠٣
باب ما أعطي الأئمة عليهم السلام من اسم الله الأعظم ٤٠٧
باب ما عند الأئمة عليهم السلام من آيات الأنبياء ٤١١
باب ما عند الأئمة عليهم السلام من سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله ومتاعه ٤١٨
حول سيف ذي الفقار ٤٢٨
كيفية اجتماع العلم مع عدم اطمئنان القلب ٤٣٠
ردّ الشبهات حول تكلّم عفير ٤٤٠